

# قصة الديانات

تأليف: سليمان مظهر

• عقائد مصر والسحر القديم

• عقائد ما بين النهرين

• البوذية • الجانية • الهندوس

• الكونفوشيوسية • الراوية • السنو

• الزرادشتية • اليهودية • المسيحية

• الإسلام

مكتبة مدبولي



# قصة الديانات

سليمان مظهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# قصة الديانات

- عقائد مصر والسوق القديم
- عقائد ما بين النهرين
- البوذية \* الجائنة \* الهندوس
- الكونفوشيوسية \* الطاوية \* السنو
- الزرادشتية \* اليهودية \* المسيحية
- الإسلام

تأليف : سليمان منظر

مكتبة مدبولي

بجميع الحقوق محفوظة

١٩٩٥م - ١٤١٥هـ

**MADBOULI BOOKSHOP** مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٥٧٥٦٤٢١ Tel: 5 756421

إهداء  
إلى وطني ..

أرض الخير... والحقيقة... والأيمان  
بإيمان ظهر



## فهرس الموضوعات

- ١٥ تصدير
- ١٩ تقديم
- ٢٧ القسم الأول: عقائد مصر والشرق القديم
- ٢٧ ديانة مصر القديمة
- رع إله الشمس، أسطورة الخلق. إهلاك البشر. البقرة الإلهية.  
الآلهة الكونية. الآلهة المحلية. العبادات الحيوانية. آلهة النيل  
والشمس. آلهة الموت. أسطورة أوزوريس. البعث والحساب.  
آمون إله طيبة. أخناتون والتوحيد. حقيقة آتون.
- ٥٧ عقائد ما بين النهرين
- قصة الخلق. انتصار مردوك على تيامات. العقائد السومرية. حياة  
ما بعد الموت. عقائد الأكاديين. أنليل وآدم وانكى الدين  
البابلي. دار العقاب أبالو. جلجميش الممنون الالهي. آشور. يجمع  
الآلهة للاشورية دنيا الموت.
- تقديم
- ٧٩ القسم الثاني. عقائد الهند
- ٧٩ عقيدة الهندوس
- قصة الخلق. الطوائف. المنيوذون. الطوائف العليا والسفلى ثواب  
الحياة الأخرى. قانون الحياة. النيرفانا. نظرية التناسخ. براهما.  
خلق الأرض. ثالوث الآلهة. الآلهة كالي عبادة الفيلة. القرده  
والأفاعي تقديس البقرة.
- ٩٩ البوذية:
- مولد بوذا. نبوءة أسيتا. التعميد. طفولة مترفة. البحث عن  
الحقيقة. الراهب المتسول. حكمة العالم. من أجل حياة صالحة.  
تجربة الشيطان. قانون الحياة. المستنير. لا وثنية. الطريق الوسط.  
الطائر الحكيم. حكيم الساكيا. الوصايا الخمس. عقيدة عالمية.  
وفاة بوذا. عقيدة حب. الوهية بوذا. انقسام البوذية.

- ١٤٢ الجانتية : الموت المقدس . القسم . المزيد . ماهافيرا القسم الأعظم . المحدث العظيم . الطريق إلى النيرفانا بين بوذا وماهافيرا الجنة والنار . ساعات الموت . مؤسسو الجانتية . طريق الخلاص . طهارة الروح . الانتحار نعمة . الآلهة والشياطين . طبقات الجحيم . طبقات الأرض . انقسام الجانتية .
- ١٦٩ المصلحون الدينيون : عقيدة كبير . عقيدة الشيخ عقيدة النبلاء . أرض الديانات .
- ١٨٥ القسم الثالث : عقائد الصين واليابان
- ١٨٦ الكونفوشية : إنقاذ العالم . عبادة الطبيعة . شانج ني . عبادة الأسلاف . مولد كونفوشيوس . أمين مخازن الحبوب . الحكيم . قاضي القضاة . وزير الجريمة . المؤامرة . بين تسي لو وتشانج جو . تعاليم كونفوشيوس . وفاة الحكيم . مذهب إنساني . الحكيم منشيس . الفضائل الخمس . الملوك والشعوب . الإمبراطور الأول . إحراق كتب الحكماء . أقدس القديسين . من أجل حياة صالحة .
- ٢٢٥ الداوية : إيمان الدوايين . بين لاوتسي وكونفوشيوس . حياة لاوتسي . كتاب العقل والفضيلة . حقيقة الداو . أساس العقيدة . الداوية والطبيعة . تحول خطير . غموض الداوية . الخلود وإكسير الحياة . الخير والشر . البوذية في الصين .
- ٢٤٩ الشنتو : جسر الساء . عقيدة بسيطة . قصة الخلق . عبادة الميكادو البوذية في اليابان . النظام الاجتماعي . الساموراي الهارا كيري أسس الإيمان . فساد الكهنة . وصول الكونفوشية .
- ٢٧٥ القسم الرابع : عقائد الإله الواحد
- ٢٧٥ الزرادشتية : البارثيون في الهند . عبادة بدائية آلهة الطبيعة . الكهانة والسحر . مولد زرادشت . الطيب . البحث عن الحقيقة . أهورا مزدا واهرمان . الدعوة . الملك كشتاسب . خلق العالم . أول البشر حساب الآخرة . طريق الإيمان . زرادشت في السجن . المعجزة . كبير الكهنة . انتشار الزرادشتية . موت زرادشت . حقيقة أهورا مزدا النار المقدسة اليوم الآخر . التغييرات في العقيدة . الخصال الحميدة . بقايا أتباع زرادشت .

### اليهودية:

٣١٩

إبراهيم . تحطيم الأصنام . بنو إسرائيل . الهجرة إلى مصر . مولد موسى . الهرب إلى مدين . عصا آدم . الرسالة . بين موسى وفرعون . الخروج . عودة إلى الوثنية . الوصايا العشر . اغتصاب فلسطين . رب اليهود . انقسام إسرائيل . الأسر في بابل . التأثير بالزرادشتية . المسيح المنتظر . دين غير عالمي . الأنبياء . عاموس . أشعيا التورات . أرميا . حزقيال . أشعيا الثاني . نفي اليهود . المسيح الكاذب . التلمود . سلطة الحاخامات . الله في التلمود . الملائكة والشياطين . آدم وحواء . رأي اليهود في المسيح . الشعب المختار . الحلال والحرام . الصهيونية . الحكومة العالمية .

### المسيحية:

٣٧٤

أحلام دانيال . انتظار المسيح . مولد يسوع . نجم في المشرق . يسوع في الناصرة . مدينة الله . يوحنا المعمدان . تجربة الشيطان . الرسالة . موعظة الجبل . التحول في حياة يسوع . الصدوقيون والفريسيون . الصراع مع يسوع . تطهير الهيكل . المؤامرة ضد يسوع . العشاء الأخير . القبض على يسوع . المحاكمة . الصليب . القيامة . تجسد المسيح وألوهيته . رأي المسلمين في التجسد . رأي الإسلام في صلب المسيح معجزات المسيح . الرسل . بولس الرسول . عقيدة الإغريق والرومان . انتشار المسيحية

### الإصلاح الديني:

٤٢٩

انقسام الكنيسة . الحروب الصليبية . البابوية في روما . المعارضون للكنيسة . الكاثاري . محاكم التفتيش . وسائل التعذيب . آلات التعذيب . مارتن لوثر . صكوك الغفران . لوثر يتحدى البابا . مخطوط لوثر . مشروع الإصلاح . قرار الحرمان . عصر النهضة . كنيسة إنجلترا . طوائف البروتستانت . الطوائف الأمريكية .

### الإسلام:

٤٦٤

مولد إسماعيل . الضحية . بناء الكعبة . عقيدة العرب . التأثير بالديانات . مولد محمد . لقاء بحيري . زواج محمد بخديجة . نزول الوحي . الدعوة إلى الإسلام . مناقشات قریش . تعذيب المسلمين . الحصار . الإسراء . البيعة . الهجرة إلى يثرب . مؤسس دين ودولة . نشر الدعوة . الصدام مع المشركين . معركة بدر . معركة أحد . الغزوات بعد أحد . أركان الإسلام . فتح مكة . وفاة محمد . معجزات محمد . القرآن . المنتسبون . المرتدون . الموالي . الفرق الإسلامية . الخوارج . الشيعة . السبئية . الكيسانية . المرجئة . الاثنا عشرية . الزيدية . الاسماعيلية . الدروز . البابية . البهائية .

## فهرس الصور

٥١	ابزيس وأنوبيس ومعكمة الموق
٥٢	اختالون. وقرص الشمس آتون
٥٣	الطوفان البابلي
٥٤	برج المعبد المقدس في أور
٨٧	الإله براهما رب الخلق
٨٨	لوحة الرامايانا الهندية
٨٩	الإله ساراسفاتي.....
٩٠	لا كشمي زوجة فشنو. ربة الحظ السعيد
٩٠	تطهير الموق في نهر الجنجز المقدس
١٠٧	الزاهد أسيتا يتنبأ للطفل الوليد بمستقبله
١٠٧	نقش على الحائط. يمثل ولادة المستنير
١٠٨	تمثال ضخم لبوذا أثناء إدخاله أحد المعابد
١٠٩	تمثال بوذا. يجلس مترعاً على عرش اللوتس رأس تمثال
١٢٧	بوذا في شبابه. وتمثاله بعد أن تحول إلى اله
١٢٨	كاهن بوذي يقدم القرابين لبوذا
١٢٨	الإله شيفا وزوجته الآلهة «شاكتي»
١٢٩	اتباع شيفاتيدون الصلاة.....
١٣٠	تمثال زحل رمز الطالع الحسن
١٤٧	مدخل أحد المعابد الجانتيّة الفخمة
١٤٨	الملكة تريسالاماهافيرا الفاتح
١٤٩	تمثال من البرونز لإحدى ربات الجانتيّة.....
١٤٩	تمثال منحوت في الصخر للقديس الجيني جوتا مشفارا
١٥٠	ملك الناجا. من أتباع ماهافيرا
١٥٠	لوحة لماهافيرا مرسومة على قماش
١٨٣	فقير هندي يمارس عملية التعذيب النفسي
١٨٣	رقصة مقدسة لإرضاء الآلهة في بنارس
١٨٤	تمثال من الخشب للآلهة كوان - بن.....
٢٠١	كونفوشيوس. حكيم لو
٢٠١	معبد السماء في بكين
٢٠١	القرابين تقدم للملك وين
٢٠٢	الآلهة نوكوآشي منقذة الأرض
٢٠٢	كونفوشيوس يلقي دروسه على أتباعه.....
٢٠٣	الحكيم في أواخر أيام حياته.....
٢٠٣	روح الخير التي تخلي الطريق إلى السماء.....



٢٠٤	الثالوث الداوي المقدس
٢٠٤	أقدس القديسين
٢٣٧	لاوتسي . صاحب العقيدة الداوية
٢٣٧	الأم الملكية . هسي وانج مو
٢٣٨	شانج تاولنج . مكتشف أكسير الحياة
٢٣٨	تونج كنج . أحد أنبياء الداوية
٢٣٨	لوحة جانبية في أحد المعابد الداوية
٢٥٥	الإلهان الشابان إيزاناجي وإيزانامي
٢٥٦	تمثال كوانون . ربة الرحمة عند الشتو
٢٥٧	موكب الكهنة في عيد ابن السماء
٢٩١	ميثرا إله الشمس
٢٩٢	بقايا أحد أبراج الصمت
٢٩٣	أهورا مزدا . إله النور والخير
٢٩٤	تمثال النبي زرادشت
٣٢٧	موسى كاتب التوراة ونبي إسرائيل
٣٢٨	الشمعدان المقدس ذو الفروع السبعة
٣٤٥	نجمة إسرائيل في معبد اليهود بأورشليم
٣٤٦	موسى يرفع يديه بعد إعلان الوصايا العشر
٣٤٦	النبي أشعيا
٣٤٧	النبي يشوع
٣٤٧	النبي حزقيال
٣٤٨	الإسرائيليون يكون عند حائط المبكى
٣٨١	جريل يشر العذراء بمولد يسوع
٣٨٢	ميلاد يسوع وحوله الملائكة
٣٨٣	العذراء مريم تحمل يسوع
٣٨٤	يسوع مع الصيادين وبينهم بطرس
٤١٧	يسوع المسيح مع بطرس وأندراوس
٤١٨	المسيح يختار حواريه
٤١٨	قم يا كسيح واحمل فراشك وامش
٤٥١	إقامة ابن أرملة ناين
٤٥١	قبلة يهوذا الأسخريوطي
٤٥٢	مارتن لوثر وزفنجلي
٤٨٥	بثر زمزم
٤٨٦	غار حراء . حيث نزل الوحي على محمد
٤٨٧	وقفه الحجاج على جبل عرفات
٤٨٧	القبّة الخضراء فوق الحرم النبوي
٤٨٨	غار ثور . حيث اختفى النبي ليلة الهجرة
٥٣٧	القليب . وحوله دارت معركة بدر
٥٣٧	باب السلام . مدخل الحرم النبوي الشريف
٥٣٨	قبر أبناء رسول الله في مشارف يثرب
٥٣٩	رسم للمقصورة الشريفة
٥٣٩	قبر إبراهيم الخليل أمام الكعبة
٥٤٠	قبر رسول الله محمد بن عبدالله

## المراجع العربية

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - العهد القديم والعهد الجديد
- ٣ - الملل والنحل « ٥ أجزاء »
- ٤ - تاريخ الأمم والملوك
- ٥ - العقد الفريد
- ٦ - الفرق بين الفرق
- ٧ - تاريخ الإسلام السياسي « ٣ أجزاء »
- ٨ - تاريخ الفلسفة في الإسلام
- ٩ - كتاب فرق الشيعة
- ١٠ - تاريخ الجمعيات السرية
- ١١ - قصة الحضارة « ٢٢ جزءاً »
- ١٢ - محاكم التفتيش
- ١٣ - المذاهب الإسلامية
- ١٤ - العقيدة والشريعة في الإسلام
- ١٥ - قصص الأنبياء
- ١٦ - شرح صحيح البخاري
- ١٧ - تاريخ بني إسرائيل « ٣ أجزاء »
- ١٨ - البهائية « لجنة النشر المركزية للبهائيين »
- ١٩ - محمد
- ٢٠ - حياة محمد
- ٢١ - محمد « كتاب الشهر جزءان »
- للإمام أبي الفتح الشهرستاني
- ابن جرير الطبري
- ابن عبد ربه
- أبو منصور البغدادي
- د. حسن إبراهيم حسن
- تأليف دي بور ترجمة أبو ريذة النويختي
- محمد عبدالله عنان
- ول ديورانت ترجمة محمد بدران
- د. علي مظهر
- الشيخ محمد أبو زهرة
- تأليف احناس جولد تسهير ترجمة يوسف محمد موسى وآخرين .
- عبد الوهاب النجار
- الكرماني
- محمد عزة دروزة
- توفيق الحكيم
- د. محمد حسين هيكل
- محمد صبيح :

- ٢١ - في منزل الوحي  
٢٣ - قصص القرآن  
٢٤ - الرسالة الخالدة  
٢٥ - مستقبل الإسلام  
٢٦ - اليهودية دين لا قومية  
٢٧ - تاريخ الإسلام في الهند  
٢٨ - قصص الكتاب المقدس  
٢٩ - الأنبياء  
٣٠ - ابن الإنسان  
٣١ - سفراء في السلاسل  
٣٢ - هذا هو الإسلام  
٣٣ - زرادشت الحكيم  
٣٤ - كونفوشيوس  
٣٥ - بوذا الأكبر  
٣٦ - قصة الأدب الفارسي  
٣٧ - زرادشت باستاني  
٣٨ - الشاهنامه «الفردوسي»  
٣٩ - دراسات في الشاهنامه  
٤٠ - الحراب في صدر البهاء والباب  
٤١ - بلاد ما بين النهرين  
٤٢ - إيران في عهد الساسانيين  
٤٣ - تاريخ الكنيسة  
٤٤ - إسرائيل والفكرة الصهيونية  
٤٥ - الصهيونية العالمية  
٤٦ - الصهيونية في المجال الدولي  
٤٧ - التلمود  
٤٨ - التلمود شريعة إسرائيل  
٤٩ - أساس الدين  
٥٠ - المسألة اليهودية  
٥١ - عقائد الإمامية  
٥٢ - يهوه  
٥٣ - عشرون قرناً في موكب التاريخ
- د. محمد حسين هيكل  
محمد أحمد جاد المولى  
عبد الرحمن عزام  
محمد عبد القادر العماوي  
«المر بجر» ترجمة دار المعارف  
عبد المنعم النمر  
القس لبيب مشرقي  
القس لبيب مشرقي  
القس لبيب مشرقي  
القس لبيب مشرقي  
د. محمد غلاب  
حامد عبد القادر  
د. حسن سعفان  
حامد عبد القادر  
حامد عبد القادر  
حاجي ميرزا عبد المحمد خان  
ترجمة الفتاح بن علي البنداري  
د. طه ندا  
محمد فاضل  
ديلابورت ترجمة محرم كمال  
كريستنسن ترجمة يحيى الخشاب  
يوسابيوس القيصري ترجمة مرقص داود  
تأليف روفائيل باناي وآخرين  
عباس محمود العقاد  
د. محمد عبد المعز نصر  
لجنة كتب سياسية  
د. هلال فارحي  
كارل ماركس ترجمة محمد عيتاني  
د. حامد عفيفي داود  
برسوم ميخائيل  
: حبيب سعيد

- ٥٤ - الدرر النفيسة في تنصر تاريخ الكنيسة  
أغناطيوس أفرام الأول برصوم
- ٥٥ - قصة بوذا  
عبد العزيز أحمد الزكي
- ٥٦ - موجز تاريخ المسيحية  
يسطس الدويري
- ٥٧ - تاريخ الأدب في إيران  
إدوارد جرانفيل براون ترجمة إبراهيم الشواربي
- ٥٨ - مصر والشرق الأدنى القديم «٦ أجزاء»  
د. نجيب ميخائيل إبراهيم
- ٥٩ - مصر القديم «٦ أجزاء»  
د. سليم حسن
- ٦٠ - في موكب الشمس (جزءان)  
د. أحمد بدوي
- ٦١ - حضارة مصر والشرق القديم  
د. محمد أنور شكري وآخرين
- ٦٢ - مصر الفرعونية  
د. أحمد فخري
- ٦٣ - انتصار الحضارة  
تأليف وست ترجمة فخري
- ٦٤ - ديانة مصر القديمة  
تأليف أرمان ترجمة عبد المنعم أبو بكر
- ٦٥ - دوريات ومراجع مترجمة وحوليات أخرى مختلفة

### مراجع أجنبية

- 1 Encyclopaedia Britanica.
- 2 Encyclopaedia of Living Faiths: By R. C. Zaehner
- 3 Oriental Philosophy: By F. Grant.
- 4 A Popular History of Philosophy: By M. Kaunitz.
- 5 The Outline of History: By H. G. Wells.
- 6 How The Great Religions Began: By Joseph Gaer.
- 7 Myths and Legends of China: By Chalmers Werner.
- 8 Myths and Legends of Japan: By Hadland Davis.
- 9 Myths of Babylonia and Assyria: By Spence.
- 10 Myths of the Hindus and Buddhists: By Nivedita & Coomaraswamy.
- 11 The Book of the Epic: By Guerber.
- 12 Mythology of All Races Indian: By Keith Iranian: By Carnoy.
- 13 An Introduction to Mythology: By Lewis Spence.
- 14 India of the Princes: By Rosita Forbes.
- 15 Life of Christ: By Hillard.
- 16 The Uses of the Past: By Herbert Muller.
- 17 Epics, myths and Legends of India: By P. Thomas.
- 18 Thus Spoke Zarathustra: By Nietzsche. Trans. By Hollingdale.
- 19 A History of the Christian Church: By W. Walker.
- 20 - A First Church History: By V. E. Walker.

## تصدير

يخطئ كثير من يتصور أنه قادر على معرفة الحقيقة الكاملة لمعتقدات وديانات هذا العالم . فما أكثر الأساطير والخرافات والشوائب التي امتزجت - وما تزال - مع الحقائق ، حتى لتكاد تضيع الفلسفات والأسس والأصول والمثل التي قامت عليها منذ البداية .

وطوال الأعوام التي رحلت خلالها أغوص في أعماق بحار التراث الإنساني ، وأقلب صفحات المراجع الفلسفية ، وأغرق نفسي بين أمواج التاريخ العقائدى ، كنت أستشعر أن الحقائق ما تزال غامضة مضطربة في حاجة إلى وضوح الصورة وصفائها .

ولعل كدت أتوقف عن متابعة البحث ، حتى أتحت فرصة السفر والترحال إلى مختلف دول العالم .. وبخاصة في الشرق .. منبع الفكر والفلسفة وموطن الحضارات والعقائد التي ما تزال حية . هناك أصبح من الممكن أن أعيش في أعماق الصورة ، وأن أتعايش في المعابد والهياكل والأديرة والمجامع مع مئات الملايين من أتباع المعتقدات المتباينة ، وأن ألتقى بأولى العلم والفكر والبحث من قادتهم ومعلميهم وكهانهم وورهبانهم وأشياخهم .. بل وفلاسفتهم ومقدساتهم وأهنتهم .

هكذا عشت في الهند وتايلند وماليزيا وإندونيسيا والفيليبين وسيرلانكا وسنغافورة وبروناي والصين وفيتنام وكوريا ونيبال .. مع الهندوس والبراهمة والنبوذيين والبوذيين والكونفوشييين والداويين والجانتيين والسيخ والشتويين والبارثيين وعمدة الأوثان وقوى الطبيعة والأرواح والأسلاف . وشهدت ممارساتهم مع معبوداتهم وتمائيل أهنتهم .. تمامًا كما تدارست الديانات الأخرى . مع أشياخها ، بل حتى مع رجال الفرق والنحل والمذاهب التي ظهرت وتباينت على مدى التاريخ .

والحق .. أن الشرق القديم كان مصدر الإلهام لكثير من المفكرين والفلاسفة الذين كانوا يؤمنون بالمثل العليا ، ويكرسون أنفسهم للدفاع عما يؤمنون به حتى ولو جادوا بأنفسهم في هذا السبيل . وفي ذلك الشرق نبتت الحضارات المختلفة والمعتقدات المتباينة ونمت وترعرعت بحثا عن معرفة الخلق والخالق ، حيث حاول الإنسان - وهو يبنى حياته ويمكن نفسه لحاضره ومستقبله - أن يرى الكون المحيط به وأن يتعرف على أسرار ذلك الكون ، حين لم يكن قد عرف بعد الفروض والمقدمات والبراهين والتناجج واجتهد هذا الإنسان في أن يتكر بخياله الخصب أسبابا ومقدمات لما يرى وتفسيرات للوجود الذى يحيط به كذلك ابتكر المعانى ورمز لها برموز ، وخلق لها أبطالا يقومون بالخوراق من الأعمال ، كما ابتكر خياله أعداء لهؤلاء الأبطال ، ليتم عنصر الصراع الأبدى بين الخير والشر

ولقد كانت بداية اهتماماتى بذلك الميدان حين أصدرت كتابى « أساطير من الشرق » ثم أتبعته بكتابين هما « أساطير من الغرب » و « حكايات أفريقية » وحين أخرجت الطبعة الأولى من هذا الكتاب تحت عنوان « بين السماء والأرض » اعتمدت على قراءاتى فى الكتب والمراجع التى ذكرت أسماءها فى الثبت المخصص لها فى نهاية الكتاب .

ولكنى بعد أن أتاحت لى فرصة المعاشية على أرض الواقع ، أجريت الكثير من التعديلات الجوهرية والزيادات التى أضافت أكثر من مائة صفحة ، حتى أصدرت الطبعتين الثانية والثالثة تحت عنوان « قصة الديانات » وهو ما فعلته أيضا من الإضافات والتصويبات فى هذه الطبعة الرابعة التى أضعتها بين يدى القارئ ، بعد أن استفدت كثيرا من آراء ونصائح النقاد الذين أسعدنى ما كتبوه فى تعليقاتهم على الطبعات السابقة .

وقد كنت أدرك ، وأنا أعيد صياغة « قصة الديانات » أن القارىء قد يجد صعوبة فى متابعة الحديث عن العقائد والفلسفات حين تقدم إليه فى قوالب ثقيلة جامدة فكان أن لجأت أكثر إلى السهولة والتبسيط وإلى سبك الصياغة فى كثير من المواضع بالأسلوب القصصى الشيق الذى يقرب الأمر إلى أذهان القراء ، ويسهل عليهم محاولة تفسير الجامد منها وردها إلى الأصول التى صدرت عنها

وقد اعتمدت فى هذا المؤلف - على أى الحالات - الوحدة الزمنية والمكانية قديما وحديثا فى التلاحم الفكرى ، خدمة للحقيقة والدين الحنيف ، والإنسانية الباحثة فى مهمة الحياة عن سبيل الخلاص والانفتاح من ربقة المادة إلى مشارف الروح ويقظة الضمير والوجدان ، وأنا أستهدف تبين أن طريق الوصول إلى الله هو المعرفة والحقيقة والمحبة « وهو هدف البشرية الأسمى » وهدف الإنسان على وجه الخصوص فقد كانت كل الشعوب منذ الخليقة تسعى إلى تأكيد الحقيقة الأزلية ، وهى « أن الله موجود » وهو الواحد الأحد .. الفرد الصمد  
ولعل أكون قد وفقت ...

المؤلف





ما اعجب قصة الخلق... وما اعجب حياة الانسان على هذه الارض...  
لقد كانت هذه القصة دائما ، هي الاساس الاول في كل العقائد الانسانية  
التي نشأت في هذا العالم الكبير ومهما غاص المرء في اعماق تاريخ البشرية...  
فسيجد لهفة الناس تتركز على تحديد تاريخ خلق العالم والطريقة التي  
صنع بها ومن هو الذي خلقها وما هو تفسير هذا الخلق ومتى  
عين الانسان مشرفا عاما على هذه الارض

وكان هذا هو اول طريق البشرية في محاولة البحث عن الله  
فقد عاش الانسان اول امره حياة بدائية تحوطها مئذات الاخطار والاسرار.  
وحملته مدهشات الكون واعاجيبه التي لم يستطع ادراكها ادراكا علميا  
على ان يتوهم لها تفسيرا . ويتخيل اصولا ووقائع يرتاح اليها وتزيلي حيرة  
نفسه

وكان اول ما ملأ رأسه من تلك الخوارق التي تحيط به ايمانه  
بوجود قوى مهيمنة خالقة عاقلة ذات قدرة اسمى من قدرة كل العناصر  
والكائنات

وبدا الانسان يتأمل تلك القوى ، ويجسم كل شيء خارق منها يحسه  
ولا يستطيع الوصول اليه فيجعله الها ، يعمل على استرضائه بتقديم الضحايا  
والقرايين فالنار والرياح والشمس والقمر والنجوم والمياه والبرق  
والرعد كلها آلهة طفق الانسان ينسج حولها القصص ويتناقلها خلفا  
عن سلف ، جيلا بعد جيل

ولكن الانسان اخذ يعجب بعد ذلك لكل تلك القوى كيف جاءت هي  
الاخرى؟! لا بد ان هناك شيئا خالقا شيئا اقوى من كل شيء ، استطاع  
ان يصنع وحده كل تلك الاشياء

من هنا بدأ تصور الانسان لقصة الخلق وملأت رأسه افكار كثيرة  
حول تصويره لهذا الخالق وكيف اقام السماء والارض ، وكيف جاءت  
الكائنات على اختلاف صورها واشكالها لتعمر الكون

### بداية الخلق

لم تستطع قصة الخلق الخالدة في ذهن الانسان ان تجد زمتنا محددا  
يتفق عليه كل الناس فقد آمن البعض ان العالم تم خلقه منذ ٥٧٠٠ عام  
على وجه التحديد بينما قال القوم في اواسط آسيا ان الاله اديناث قد  
ظهر على الارض منذ مائة تريليون « باليا » والباليا فيما يقولون هي تلك  
الفترة من الزمن التي يستغرقها طائر صغير في تفريغ مساحة ميل مربع مليء  
بالشعر الدقيق ، لو انه نقل شعرة واحدة كل مائة عام ! لقد جاء اديناث  
كما يقولون منذ ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ باليا ولنا ان نتصور بعد ذلك كم  
يظن هؤلاء الناس عمر العالم ...

ولكن قبل ان يحاول البشر كشف التاريخ الغامض للخلق وما يتصل بذلك من تصور الخالق اهتموا بعدد كبير آخر من المسائل ويبدو في الحقيقة ان الرجل البدائي كان غريبا جدا في هذه الناحية ولقد كان كغيره من المخلوقات على هذه الارض يأكل ويترب وينام وكان كغيره يتمنى الحر عندما يشتد البرد ، ويتمنى البرد عندما يشتد الحر وكان ايضا كسولا جدا ولكنه خالف بقية المخلوقات في انه كان ينظر ويتساءل

### الخيالات الاولى

منذ الصباح حتى الليل كانت تملأ راس الانسان البدائي اسئلة كثيرة لماذا تشرق الشمس نهارا وليس بالليل ؟ اين تذهب الشمس عندما يهبط الظلام ؟ لماذا يزداد الالهال ضخامة واستدارة من ليلة لآخري ؟ اين تكون الريح عندما لا تهب ؟ لماذا يزار الرعد بعد وميض البرق ؟ ثم من الذي صنع كل هذه الاشياء في العالم !  
لم تكن تلك الاسئلة سوى قليل من كثير جدا سألتها الناس بعضهم البعض او على الاقل سألتها الانسان لنفسه منذ تلك الالاف من السنين ويعقل الرجل البدائي كان لا بد ان يستخدم الانسان خياله بشكل واسع في الحصول على اجابة كل سؤال تماما كما يفعل البعض منا كثيرا في علمنا الحديث

### الشمس ... قوة الحياة

ويبدو ان الانسان كان مؤلفا بارعا - او قصاصا ومن هنا كان يستطيع ان يتخيل الاجابة على كل سؤال يلقي عليه كان الانسان عندما يقرصه البرد يشعل النار في الحطب في محاولة ليستثير الدفء بين اعضائه ولكنه لم يكن يستطيع ان يشعل النار في كثير من الاحيان عندما يكون المطر المنهمر قد بلل كل شيء وتصرخ المرأة في رجلها الذي يطالبها باشعال النار - النار لا تشتعل الحطب غارق في ماء المطر ويملؤه الضيق وهو يصرح  
- اللعنة كل شيء بلله المطر كل شيء كل شيء  
وتحاول امراته ان تهديء ثورته فتقول له  
- لنتنظر حتى تطلع الشمس لتتحمل الصقيع حتى تشرق من جديد

اجل ان عليهما ان ينتظرا الشمس الشمس؟! ما اعجب سر هذا القرص الذي يصنع كل شيء النور والدفء والحياة ..؟ هذا النور الذي يرسله ذلك القرص ليصنع الدفء ويمنع الخير ما حقيقته؟! هل هو من صنع خالق معين؟! هل هو الخالق نفسه؟! هل هو صاحب القدرة وحده على كل هذه الاشياء؟!  
ويبدو للمرأة ان رجلها الحائر بين كل هذه الاشياء قد اصابته لوثة ولكنها تسمع صرخته :

- اللوثة في عقل كل من يرى هذا الذي يجري ، ولا يدرك ان هناك قوة مسيطرة تدبر هذا الخلق .. هناك خالق لهذا الكون .. هناك قدرة معينة

تصنع اشياء معجزة هناك شيء يهدينا الى الخير ويحول بيننا وبين الشر . .  
من هو هذا الخالق ؟ انه السر الذي اريد ان اعرفه  
نعم هذا السر اترى يكون قرص الشمس هو الخالق نفسه ؟!  
ولكن ابدا هناك شيء آخر هو الذي خلق قرص الشمس هو  
الذي يحركه ويجعله يختفي ليتأتى الليل ويظهر ليحيى النهار . . !  
ولكن هذا الانسان يجد في بعض الاحيان قصاصا بارعا من رفاقه يجيب  
عليه في بساطة اذ يستغرب شروق الشمس وغروبها  
- ما اسهل تفسير هذا الامر فتلك الشمس التي في كبد السماء  
ليست سوى عجلة من نار تركبها كل يوم روح الشمس عبر السماء لترى  
العالم وفي الليل تضع روح الشمس عجلة النار في بهو الظلمات وتأوي الى  
فراشها وفي الصباح التالي تخرج العجلة مرة اخرى لتقوم برحلة ثانية عبر  
السماء اما اذا شعرت روح الشمس بالكسل او الغضب يوما فانها لا  
تقوم بالرحلة وفي مثل ذلك اليوم لا تشرق الشمس قط

### العبادة والتراتبيل

وقد يحدث بالفعل كسوف للشمس ذات يوم فجأة وهنا يتصور  
الانسان ان قصة ذلك القصاص قد تكون صادقة ويتذكر الرجل الاول  
هذا الذي حدث بالفعل فيتساءل : اذا لم تشرق الشمس فكيف  
نستطيع ان نذهب الى الصيد لناثي بقوتنا ؟  
ويهز القصاص البارع كتفيه وهو يجيب لا ادري ولكننا نستطيع  
ان نفرغ روح الشمس بعيدا عن الكسل والغضب  
كيف ؟ ويكون الجواب الامر بسيط فعندما تصعد الشمس في  
الصباح المبكر نستطيع ان نصعد الى قمة الجبل لنكون قريبين تماما من  
الشمس ثم نقضي لروح الشمس ونثني عليها وبذلك نفرحها فلا تلجأ  
الى الكسل ، او الغضب ابدا . . !  
ويبدؤ الجواب مقنعا فيروح الاثنان الى قمة الجبل ليمتدحا روح  
الشمس

ومن هنا تبدأ عبادة الانسان البدائي . . للشمس . . او لروح الشمس .  
القوة المسيطرة التي تختفي وراء هذا القرص ويصبح الصعود الى قمة  
الجبل والتغني والتراتبيل تعبدا لروح الشمس

### عبادة الطبيعة

ويعود الانسان ليفكر  
اذا كانت للشمس روح يمكن اغراؤها والشناء عليها فمن المؤكد ان  
للقمر هو الاخر روحا تقوم برحلة الليل  
واذن فليعبد الناس روح القمر ايضا  
ومنذ ذلك الوقت يروح الناس ينظرون الى النجوم التي تملأ السماء  
لا بد انها هي الاخرى مواطن ارواح اخرى وان كانت اصغر شأنا واذن  
فليتقرب الانسان الى الكواكب ايضا ويثني عليها ويتقدم اليها بالصلاة  
وليفعل الشيء نفسه للروح الفاضبة في الرعد والروح الثائرة في الريح  
والروح الباكية في المطر . . والروح الوديعه في النهر . . والروح الفامضة في

الغابة والروح الهائجة في المحيط  
وتكون عباده جميع ارواح قوى الطبيعة هي اول عقيدة للانسان البدائي  
وهو في طريق البحث عن الله . وتكون اول التراتيل التي يعرفها عنه الانسان  
الحديث وهو يكتشف رسوم التراتيل والعبادة على جدران الكهوف قبل الاف  
السنين :

يا روح الشمس استيقظ بسلام  
انت يا ذا النور المضيء الطاهر ..  
انك انت الذي تشرق على كل مكان بنورك  
وبور عجلة النار التي تركيبها  
لا تغضب علينا وتنزل بنا نعمتك  
اظهر في سلام  
يا حسن الوجه  
يا رب الاشعة  
يا خالق النور

ولكن اذا كانت هذه هي اول تراتيل الانسان للقوة العظمى التي شهدها  
امامه وهو يبحث عن طريق الله .. فان التفكير تحول بالانسان البدائي بعد  
مرحلة اخرى من تاريخه الى طريق آخر مليء بالظلام والشرات  
**الطواطم والاوثنان**

فمع مضي السنين ، وتعدد البشر على الارض راح تصاص بارع  
جديد يتصور اشياء اخرى جديدة وتخيّل ان الارواح لا يمكن ان تقتصر  
على الطبيعة وحدها بل هناك ارواح اخرى محيطة تبدو في الظلام  
ويتساءل الناس وكيف عرفت ؟  
ويلقي القصاص البارع بنظره الى الغابة ويقول اذكر ذات مرة ان  
احاطت بنا النار في الغابة وكنت انا وامي واختاي نلتقط التوت ، عندما  
احاطت بنا النار التي راحت تجتاح التل وتلتهم الاشجار وكأنها ثور ضخّم  
يلعق بالسنة الهيب كل شيء حتى العشب وتلفتنا حولنا دون ان ندرى ماذا  
نصنع ، فالنار من امامنا ومن خلفنا ولم يكن من سبيل لنا الا ان نحفر  
حفرة ونقفز بداخلها وننتظر وعندما انتهت النار وخرجنا من الحفرة وجدنا  
انفسنا وليس من ضرر اصابنا فمن الذي حمانا من الاحتراق في تلك النار  
الرهيبه ؟

وبالفعل تصبح مسألة محيرة في ذهن الانسان البدائي ويسمع  
ردا على حيرته يقتنع به لان قائله قد فكر فيه قبله واقتنع بما تصوره :  
انها روح العائلة .. !

روح العائلة اننا نعرف ان روح الشمس تقيم في الشمس ، وروح  
القمر تقيم في القمر ، ولكن اين تقيم روح عائلتك تلك ؟  
ويجب صاحب الخيال البارع

تقيم روح عائلتنا في ضفدعة ولكنها ليست ضفدعة عادية بالطبع  
بل هي في حجم ذلك التل لها عين واحدة وبنيت في جبينها قرن ذهبي  
لقد رأيناها في ذلك اليوم حين احاطت النار بنا في الغابة  
ويهز الناس رؤوسهم ويقولون لم نر مثل هذه الضفدعة قط  
ويجب الرجل : لي صديق سأسأله ان يصور لكم روح عائلتنا حتى  
يمكن ان تروها .

## صور وتمائيل

يذهب القصاص البدائي البارع الى صديقه في رسم له على الصخرة صورة للصفدة كما وصفها صاحبه ويلون قرنا باللون الذهبي ويقول الناس اذا كانت لعائلة هذا القصاص روح تحميها فمن المؤكد ان لعائلتنا ارواحا نحن الاخرون ويروح الناس يصورون ارواح العائلات كل بالشكل الذي يتخيله ولا يمضي وقت طويل حتى تكون هناك الاف الصور صور صنعت من الخشب وصور صنعت من الطين وصور صغيرة وصور كبيرة بعضها يبدو كالذئب والديبة والاسود والتماسيح والضفادع والسمك وبعضها يبدو نصفه سمكة ونصفه الاخر نسرًا وبعضها نصفه ثعبان والنصف الاخر غزال وبعضها ليس له شبه بأي مخلوق على ظهر الارض وهكذا ترك الانسان البدائي عبادة الطبيعة ليعبد التماثيل التي سميت بالاصنام

## العبادة الطوطمية

مر الانسان البدائي بهذه الفترة المظلمة من تاريخه خلال بحثه عن القوى المسيطرة على هذا العالم الكبير وجاء وقت اعتقد الانسان ان للاصنام قدرة - اذا تقدم اليها بقربان - على ان تفعل الخير له وتلحق الضرر باعدائه. فاذا تنازع رجل مع جاره جاء الى صنمه المحبوب وصلّى له ليجعل بقرة جاره تدر لبنا دمويًا أو يضره بأي شكل آخر ولكن الجيران هم الاخرون كانت لهم اصنامهم وبينما يدعو الرجل اصنامه لتضر اعداءه راح يشعر بالقلق ازاء ما قد تفعله ارواح اصنام اعدائه اه ولاهل بيته واضطر الناس ان يفكروا في شيء يحميهم من ارواح اعدائهم فوضعوا حول اعناقهم تماثيل صغيرة لاصنامهم لحماية انفسهم من قوة الارواح الشريرة التي تحارب في صفوف الاعداء واصبحت هذه التماثيل الصغيرة هي التماثيل والطواطم . . وبدأ بعض الناس يعتقدون ان بعض التماثيل تستطيع القاء التعاويذ على الاخرين وتجعلهم يمارسون السحر وراح هؤلاء البعض يؤمنون بأنهم ببعض التماثيل ومناداة الاسماء الحقيقية لبعض الارواح يستطيعون فتح ابواب المستقبل ورؤية ما يخبئه لهم

## المجتمع الالهي

برغم هذه التماثيل والطواطم كان الانسان البدائي يواصل التفكير في الخالق الاول ويتصوره مصدرًا رئيسيًا للقوة والخلق يهيمن على كل شيء ، ويسيطر على اركان الكون الشاسع ولكنه مع مرور السنين بدأ تصور هذا الخالق ومن حوله الاله الاخرون ينظّمون الحياة على الارض ويصرون أعمال الناس ، فيشبهون المحسن وينكلون بالمسيء وتباينت صور هذا الخالق في اذهان البشر . . حتى آمن البعض بفكرة

الرب الواحد .. الذي يتمثل دائما في رب الارياب او كبير الالهة وجعلوا الالهة الاخرى اتباعا له يكلفهم مساعدته ويوكل لكل منهم مهمة معينة، ويمنحهم قوى خاصة يمارسونها تارة بارشاده ، وتارة اخرى من تلقاء انفسهم ، دون ان يكون في ذلك مساس به او تجريد لما له من ربوبية مطلقة ، وسلطان شامل على كل شيء ..!

وكان لا بد للانسان بعد ذلك ان يتخيل ذلك المجتمع الالهي الذي يختلط فيه آلهة مختلفو النزعات والاهداف والمهام فهيم الذكر فيهم بالانثى وكان لا بد ايضا ان تختلط تلك الصور في ذهنه بالعالم الارضي الذي يعيش فيه هو نفسه .. فنسخ في اساطيره كل ما تخيله لذلك المجتمع الالهي من صور الصراع والنزاع والحسد والطمع والجشع والخير والشر مما يراه كل يوم ويشهده في العالم البشري

### قصة الطوفان

عندما تصور الانسان مجتمع الالهة وتخيله بدأ يربط بينه وبين مجتمعه ، حيث كان لا بد من اتصال الالهة والبشر واشتباك اعمال هؤلاء بأعمال اولئك .. فنشأت صور جديدة ترسم ذلك الاتصال ثم الاشتباك ثم الصراع الذي كان لا بد ان يكون ..!

ولا شك ان الانسان منذ الاف السنين قد شهد اثار التخريب والتدمير الذي حدث للارض

وقد كان هناك بالفعل الطوفان الذي اغرق الارض ولكن الانسان من خلال تصوراته لحقائق لم يعرف تفاصيلها بدأ ينسج من هذه التصورات قصصا تصور الطوفان لماذا لا يكون هذا الطوفان الذي وقع على الارض نتيجة لصراع بين الالهة والبشر؟!

لا بد ان هذا قد حدث حين يعمن اهل الارض في الفساد والسخرية بالالهة ، فيغضب الالهة عليهم وينزلون بهم تقمتهم بغمر صاحب تنفجر له عيون السماء فهبط طوفان هائل يقضي على البشر المفسدين .. الا واحدا يصطفيه الالهة فينجو في فلك يصنعه .. وعلى يديه تعود الحياة من جديد واذا كان الباحثون لم يعرفوا بالضبط تفاصيل حدث الطوفان كما كان يتصوره البدائيون الا ان اساطير الطوفان التي عرفت في المراحل التالية من الديانات الانسانية قد اكدت وجود هذا التصور في اذهان البشر اذ بدت صورة الطوفان واضحة في مختلف الاساطير وتمثلت صورة الانسان الذي اصطفته السماء فهو شمس قيشتين عند البابليين وتجتوح عند السومريين وكيزبوتروس عند الاشوريين .. ودوكاليون عند الاغريق ..!

### الابطال والخوارق

عاد الانسان خلال ذلك يواصل المسير بحثا عن الحقيقة والنور ومحاولة الوصول الى معرفة الله وراح يظل الى الاشياء الغامضة التي تحيط به فوهم ان لكل شيء حوله نفس الصفات التي له وبعد ان كان يتصور ان الارواح هي في مظاهر الطبيعة وحدها .. عاد يتصور ان للجماد روحا وللنبات روحا كما لبقية الالهة التي تصورها من قبل ارواحا .. واذن فهي تتصرف

تماما كما يتصرف الانسان تحب وتكره ترضى وتغضب وتفعل كل ما يفعله هو نفسه

واستمر الانسان في صراعه مع الطبيعة ومع الحيوان.. صراع عنيف ينتصر فيه الانسان مرة والطبيعة والحيوان مرات فما كان لدى الانسان سوى وسائل بدائية بسيطة ساذجة للنزول بها في معتك هذا الصراع الرهيب

ولم تعد وسائل الحرب العادية البسيطة تكفي ذلك الانسان وهو يصارع قوى اشد منه واكثر قدرة فبدأ يتصور بخياله كائنات تهتطيع بقواها الخارقة منازلة اعدائه ومن خلال خيالاته بدأ يستعين بأصحاب الخوارق فيما لم يستطع ان يفعله بنفسه فصور اصاف الالهة يستمدون قواهم من السماء وصور ابطالا خارقين تتمثل فيهم مظاهر القوة عند الحيوان ومظاهر الجبروت عند الالهة وهكذا ظهرت الميثولوجيا الانسانية في اساطير الانسان

### مجتمع الجن

لم يكتف الانسان خلال بحثه عن مصادر القوة التي تساعده على الاعداء بمثل هؤلاء الابطال فبدأ يتخيل من جديد كائنات اخرى تستطيع القيام بما يعجز عن الاتيان به والوصول اليه

وهنا ظهر الجن في تصورات الانسان القديم جن خيرون يستطيع بواسطتهم الوصول الى ما يجد نفسه عاجزا عن بلوغه بغير شيء خارق وجن شريرون يساعدونه في الانتقام من الاعداء عند تصور اقصى انواع الشر في مجال الشر وجعل الانسان للجن من القوى والسمات الفائقة ما يقدمهم عليه هو نفسه ما دام هو ادنى قوة واقل من الجن سلطانا !!

تصور الانسان ان مجتمع الجن مثل مجتمع الانسان من حيث التركيب ففيه حكام وامراء وفيه اجراء وصعاليك وفيه خيرون وشريرون. ولكن اهم صفات هذا المجتمع انه يساكن الانسان ويعاشره ويساكنه في جسمه وفي ثوبه وفي طعامه وفي تفكيره وفي علاقاته الجنسية وفي اخص خواطره هكذا تخيل الانسان الجن الذين لا يراهم رأي العين وادخلهم دائما خلال صراعه بين الخير والشر وبين البشر والالهة ونظم اسلوبا للتعامل بينه وبينهم وجعل عالمهم تصاعديا مطبوعا بالسلطة شأن المجتمع البشري الاقطاعي واذاف الى اشخاصهم صفات الشذوذ في الهيئة والمسكن والسلوك والصوت حتى يستطيع بذلك ان يتم عن صفاتهم الخارقة المصطلح العام ، ويدل على التميز البالغ حد التفوق

### السحر في شعائر العبادة

غير ان اشياء اخرى في تفكير الانسان دفعته الى البحث عن وسائل جديدة لبلوغ اهدافه وسائل يستطيع ان يلمسها ويتبينها بنفسه في الوقت الذي لا يستطيع فيه ان يلمس ويتبين اشخاص الجن وهنا اتجه الانسان نحو السحر

واصبح السحر في عقيدة القدماء بمثابة الروح من شعائر تلك العبادة وتصور الانسان محاولات محددة لاسترضاء الالهة والقوى الخفية التي ظل

يجهل طبيعتها وغاياتها فعمل على اجتلابها في صفة لمعونه ولم يجد سوى السحر سبيلا الى ذلك باعتباره القوة الجديدة التي يستطيع بها ان يقهر القوى المناهضة له او الخارقة لكل مستطاع وهكذا شاع الاعتقاد بان الرقية او التعويذة او القسم القدسي يجبر القوى الخفية على ان تطيع الانسان وجعل هذا الانسان قوة السحر اساسا جديدا لصراعه مع العالم المجهول

### اصول الديانات الانسانية

كل هذه الافكار البدائية التي ابتدعها الانسان البدائي خلال مراحل تفكيره في الخلق والخالق عاشت مع الانسان بعد ذلك حتى بدأت الديانات السماوية فاخذت تتلاشى كنظام حل محله النظام الديني . ومع ذلك فان بعض هذه الافكار ما زال لها بقايا في معتقد كل امة ، حتى الامم التي تعيش في ظل الصناعة والعلوم بقايا لا تزال مسيطرة على العادات والتقاليد والثقافة الانسانية بوجه عام

من ذاك ان الفراعنة حتى بعد ان سمووا بالتفكير البدائي الى مراحل اعلى فروا الفيضان في اساطيرهم بأنه حقيقة الدموع التي تسفحها ايزيس وهي تبكي اخاها اوزوريس الذي قتله ست . وعندما جاءت المسيحية مصر وازالت عبادة ايزيس استمرت اسطورتها تعيش في معتقد الفلاحين في شكل تصور مسيحي جديد يقول ان الفيضان ينبع من دموع القديس ميخائيل الذي كان كلما حل ميعاد الفيضان يدخل على العرش الالهي يرجو الله ان يرحم عباده المصريين فيأمر بزيادة النيل ويظل يتضرع ويبكي حتى يستجاب دعاؤه ويفيض النيل من فيض دموعه

### المراحل الاخيرة للتفكير البدائي

كل هذا التفكير وهذه الصور لجأ اليها الانسان البدائي وهو يحاول الوصول الى معرفة الله واذا كان الانسان قد اخذ يدرك حقيقة الفرق بين الخير والشر وضرورة ان يكون الخالق الاول خير عظيم الا ان الشر كان مع ذلك ينتشر في الارض ومع مضي الايام تبين الحكماء ان اساس كل هذا الشر هو عبادة الاصنام فأخذوا يعظون الناس بالكف عن عبادة الاوثان وقامت عقائد جديدة على الارض عقائد انسانية كثيرة اخذت مكانها في افكار كثيرة وبين شعوب عديدة في ارجاء الكون في محاولات جديدة لرحلة البحث عن الله ومن اجل ان تهدي السماء الناس ارسلت الرسل برسالات محددة الى اهل الارض لتبعدهم عن الجاهلية الاولى ومع تغير الناس في العالم وتناسلهم راحت تلك العقائد الانسانية تتغير وراح كل جديد يمحو القديم حتى انمحت من الوجود الان بعض الديانات الانسانية التي كانت موجودة فيما مضى من الايام تماما كما انمحت امم وشعوب كانت موجودة على الايام ولكنها كانت مع كل ذلك تواصل جهودها لمحاولة الوصول الى معرفة الله . . الخالق الاول العظيم

سليمان مظهر



## القسم الأول

### عقائد مصر والشرق الأدنى القديم



تروك جميل يا سيد الابدية  
انت مشع وجميل وقوي  
حك عظيم وكبير  
اشعتك تظهر كل ما خلقت  
سطحك يضيء معطيا الحياة للقلوب  
انت تسأل الارض بحبك  
ايها الاله المعبود  
الذي صنع نفسه بنفسه  
الذي صنع كل ارض وخلق كل ما عليها  
ما اكثر مخلوقاتك التي تجهلها  
انت الاله الاحد لا شريك لك  
خلقت الارض بارادتك  
ولما كنت وحيدا في هذا الكون  
خلقت الانسان والحيوان..الكبير والصغير  
والمخلوقات التي تدب في الارض  
او تطير بأجنحتها  
انت الذي احللت كل انسان في موضع  
وانعمت عليه بحاجاته  
فصار كل منهم يأخذ نصيبه  
ويعيش ايامه المعدودة  
لقد خلقت السننهم واجسامهم وجلودهم  
فسبحانك من مميز لخلقك

(( اخناتون ))

## كل العبادات .. حتى التوحيد

هناك .. في قلب هليوبوليس .. كان يقبع قصر فخم لم تعرف مصر قصرا مثله على الاطلاق .. امام ابوابه تنتصب مسلات شامخة ، وعمد ضخمة ، وعلى جوانب ممراته تصطف تماثيل اسود وكباش ، ترقب كل زائر غريب ، وتنحي كل مارد رجيم . اما القصر نفسه، فيموج بجموع هائلة من الخدم، كلهم عيون مفتوحة وآذان مرهفة ، في حراسة الاله الاكبر «رع» رب القصر العظيم .

هنا .. في هذا القصر .. كانت تجري قصة الحياة ..

يفتح رع اله الشمس عينيه فييزغ الفجر على الوجود . وينهض من فراشه ليدلف الى الحمام يستحم بالماء البارد . وتقبل عليه « انوبيس » الهة الندى فتصب عليه اباريقها الاربعة الطاهرة ، وينطلق « هورس » فيداك جسده . وينحني « توت » فيجفف ساقيه . وما يكاد الجميع ينتهون ، حتى يرتدي الاله الاكبر ملابسه المتلألئة ذاب البريق . وينطلق ومن امامه الرسل تتسابق لاختلاء الطريق ، ومن حوله جنود الموكب ينحنون حتى تلامس جباههم غبار الارض . ويصل الاله الى زورقه العلوي الراسي على ضفة النهر ، فيستقله منزلقا به على الامواه ، بلا مجذاف ولا شراع ولا دفعة .. ويطلع النهار فيهتف الناس والالهة على الضفتين

« تباركت يا رع .. يا خالق السموات والارض .. يا مربي الجبال وساقى البحار .. يا رسول الفرح والحرارة والضوء الى ارض السلام » .

ومن الشرق ، تبدأ دورة كل يوم ، لتنتهي بعد ذلك في الغرب،

حيث يختفي موكب رع في ظلمات الافق فتظلم الارض وتضيء  
ظلمات العالم السفلى . . . اقليم الجحيم الرابض في الاعماق .  
وهناك ، يستمر مسير الاله على صفحة نهر كبير ، يخترق واديا  
تفرع الى اثني عشر فرعا تفصل كل واحد منها عن الاخر جدران  
هائلة ذاب ابواب ضخام . . .

وتجري رحلة الليل كما تجري كل يوم . وتمر الساعات  
هادئة طوالا والاله لا يزال يسير ، حتى يلاج الباب الذي يصل الى  
حدائق « آبالو » ، حيث يرقد رقدة قصيرة في قصره الكبير . . .  
ما اسرع ما ينهض بعدها ليبلغ الفجر ، وتبدأ اشراقه يوم جديد .  
وكان الناس . . . كل الناس في هذا العالم الكبير ، يسجدون  
لرب النور كل صباح . . . الرب السخي على كل خلقه في هذه  
الارض . فهو لا ياتي طوال تسياره بصرف كل انواع الاعمال . . .  
يقابل الخلق ويهديهم . ويقضي على شكاوى المظلومين . ويرفق  
بالمعذنين فيزيل عنهم الازواج . ويعلم الناس تعاويد الوقاية من  
خطر الثعابين والحيات . وينسجهم الطلاسم التي تطرد كل شرير  
من الارواح . ولم يبخل رع ابدا على الناس بما يحمل من تعاويد  
وطلاسم لحمايتهم من الشرور . . . فهؤلاء الناس بعض خلقه . . . هم  
مخلوقاته التي اخرجها من فمه عندما لم تكن سماء ولا ارض . . .  
وكان خلقه لهم بصورة مخالفة لما سبق ان صنعه هو نفسه سن  
نفسه . ففي البدء لم يكن هناك غير محيط ازلي مظلم . . . هو  
« نون » . . . برز منه اله الشمس بقدرة فيه . . . وكان هو نفسه رع  
 . . . تماما كما كان هو نفسه ايضا الاله المبدئي « توم » مقترنين  
 معا . . . وبقوته المذكورة ، او بقوة الاستنماء الداخلي ، اعتلى « رع  
أتوم » حجرا مديبا من أعلاه يسمى بنين » ثم خلق من  
نفسه وبطريقة مادية اول زوج من الالهة . . . هما « شو » اله الهواء  
 . . . و « تفنوب » الهة الندى . ومن هذين ولد « جب » اله  
الارض و « نوت » الهة السماء . وكانت الارض والسماء رتقا  
ففتقهما شو . ومن تزواج جب ونوب ولد « اوزوريس » وايزيس



(١) حور

وست و نفييس . . . . ومن الجميع تكون التاسوع المقدس لعين  
شمس .

كل ذلك كان البشر يعرفونه ويؤمنون به في مصر . . . . وفي  
هليوبوليس بالذات . . وكانوا يقولون ان رع حين خلق بقية  
الالهة كان يجلس عاليا على البين في صورة طائر الفينكس  
المعروف بروح رع . . كما كان يتخذ لنفسه احدى صور ثلاثة . .  
فهو يظهر عند الفجر في صورة جفران هو خبري . . . . وهو عند  
الظهر في صورة الشمس رع . . وهو في نهاية اليوم في صورة  
الرجل المسن . . . . آتوم . . والناس يعرفون له اسماء اخرى  
كثيرة واشكالا اخرى عديدة . . فهو خالق السماء وخالق الارض  
. . وهو شمس الصيف ووهج الظهيرة . هو النور والظلام  
«مرسى الجبال ومجرى البحار» هو من تتولد الضياء من فتح  
عييه ومن غمضهما يتولد الليل . .

غير انه مع كل ذلك . . وكما تصور المصريون القدماء . . . .  
تعرض ذات يوم للهوان مع زوال قوته وسريان ديب الشيوخوخة  
فيه . . . . وأطل البشر من حولهم ، فاذا الههم هرم عاجز ، شقي  
ساخط لا يستطيع ان يفعل شيئا بعد . . . .

وبدأ حركة العصيان البشري ضد رع . . وبعد ان كان  
البشر يسجدون ويصلون للاله العظيم . . راحوا يسخرون  
ويضجون ويتغامزون . . ويهاجم بعضهم بعضا من أجل الهزؤ بابي  
الالهة . . ويقولون انظروا . . لقد شاخ رع شاخ الذي عظامه  
من فضة . . . . ولحمه من ذهب . . وشعره من لازورد .

واضطرب رع . . وشعر بالمهانة والخزي . . وملأه غضب صاحب  
على جميع مخلوقاته فوق ظهر الارض . . وهتف رب الشمس في  
آلهة التاسوع الذين يحيطون بموكبه كل يوم

— انتها الالهة . . اجدادي وابنائي . . ها انتم اولاء برون  
البشر . . مخلوقاتي التي أخرجتها من فمي « يتهامسون علي

ويأتسرون بي .. أصبحوا يتعمدون احتقاري ويسخرون بهيسي  
ونفوذني .. وراحوا يواصلون الفساد والشر على الارض ...  
فماذا انتم فاعلون ؟

وتكلم نون الجد الاعظم لكل الالهة ..

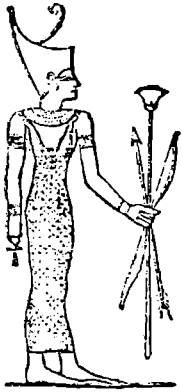
— يا ولدي رع .. يا الها اكبر من الاله الذي انبثقت منه  
... احكم بالعدل .. واقم الدعوى على المذنبين .. حتى يبين  
المارق فيعاقب .. ويظهر المذنب فيدان ! ..

ولم يقتنع رع

— اذا نحن انتظرنا حتى نقيم العدل .. استشعر المارقون  
بالخوف وعرفوا المصير الذي سياخذ بالمذنبين .. في ذلك  
الوقت سيعمدون الى الصحارى والقفار يختبئون فيها ولا يعود  
لنا اليهم من سبيل .

وتشاور الالهة .. ثم احنوا جباههم وهم يقولون مجتمعين

— ليعاقب البشر دون محاكمة .. ولتكن حاتحور .. عين  
رع الالهية في صورة سحمت .. هي الجلاذ ..  
وهكذا كان ..



(ب) نيت

وانقضت حاتحور تلاحق البشر في كل مكان .. وتشن فيهم  
طعما وتذبيحا .. تعذب هنا وهناك .. تذبح وتقتل .. وتعذب  
الدم عبا .. انتقاما لاييها المقدس من كانوا يفسدون ...

ومن كل اركان الارض المتناثرة ، علت صرخاب البشر ذليلة  
خانعة تطلب الغفران . ومن عليائه أطل رع .. فاذا مصر كلها  
انهار من دماء ، وصفوف طويلة من أجساد الاشقياء . واغمض  
الاله الرحيم عينيه . فما تصور قط ان حاتحور تفعل كل هذه  
الافاعيل بالبشر الذين خلقتهم .

وانفتأ غضب رع ، واخذته بالناس شفقة غامرة رحيمة ، وصاح  
في ابنته ان تكف عن القتل والتذبيح ... ولكنها لم تهتم قط ..  
وما سمعت له ابدا .

وكان الفتك والتقتيل وطوفان الدم بشعا مخيفا .. ولسم  
يكن بد من أن يسرع رع بانهاء رحنة النهار ، فهبط الليل ، وسادت  
الظلمة ، وتوقفت شاربة الدماء عن الطواف المجتاح على أمل ان  
تستأنفه في الصباح .

وأطل رع حزينا الى شعبه المسكين وملاه الاسى .. وهتف  
فيمن حوله من ارباب السماء أن يأتوه سراعا برسلا حاذقين أسرع  
جريا من الهواء . وعندما أتوا امرهم بالذهاب الى جزيرة « فيله »  
واحضار كمية هائلة من ثمار الرمان .. والخشخاش ...

وما هي الا لحظات حتى كانت الثمار قد وصلت . وكان الاله  
قد استدعى طحان هليوبوليس ، وامره بعصر الثمار ومزجها  
بسحوق حب الشعير .. وعندما امتزجت كل تلك الاشياء ، نتج  
عنها مزيج مسكر بلون الدم البشري ، يملأ ستة الاف مكيال .  
وأمر رع بنقل المكاييل الى كل انحاء الارض . وصب الرسل السائل  
الاحمر في كل مكان ، فامتلات به الكهوف والحقول والانهار ..

وجاء الصباح . ونهضت حاتهور تستأنف دورة التقتيل وعب  
الدماء واطلت فاذا طوفان شامل يشبه الدم يعريها ويدعوها لري  
الظما . وراحت تعب من السائل المسكر المخدر وهي تظنه دما  
بشريا صرفا حتى ارتوت . وظلت تشرب حتى هدأ ثورتها  
ولان قلبها وانطلقت سكرى مخدرة لا تفكر في متابعة التذبيح  
والتقتيل .. واستلقت في راحة لتضع حدا للمجزرة المجنونة الهائلة .

وعاد الحياة من جديد على ظهر الارض .

واسسرت الايام تمضي وفي اعقابها السون . والشيوخه



( ج ) حثور

سخر بدييها الثقيل في جسد رع • حتى اتى زمن جديد عاد فيه  
المشر الى التهامس عليه والسخرية به •• واستئناف الفساد والشر ••

في هذه المرة لم يفكر الاله في تعذيب البشر واهلاكهم ••  
بين ملائته الرغبة في التنحي عن حكم العالم •• والخلود الى الراحة  
الهدوء •• وقرر ان يرحل الى حيب لا يصل اليه بشر قط •

ونادى رع ولديه شو •• اله الجو •• ونوب الهة السماء ••

— يا ولدي شو •• انا تارك لك مقاليد الحكم •• فأكمل  
مشيئتي وتول انت الامر •• وانت يا ابنتي نوت •• احملي ابالك  
على ظهرك وارفعيه بعيدا جدا فوق الارض •••  
وحاولت نوب ان تعترض • غير انها اذعنت للامر فتحولت الى  
بصرة • وحملت اباهها رع فوق ظهرها الكبير •

وطلع الصباح على الناس فاذا رع العظيم قد غادر قصره ••  
واذا بقرة الهية هائلة قائمة ومن فوق ظهرها الاله الغاضب على  
البشر •

وراح الناس يتوسلون الى الاله ان يعود •• وراحوا  
تقدمون له قرايين بشرية ليزول غضبه •• ولكنه كان رحيمًا  
عباده •• فلم يحتمل قلبه ان يضحى بعض البشر ببعضهم تكفيرا  
عن ذنوب المذنبين •• فقرر ان يهديهم الى استبدال المذنبين بالثيران  
والطيير في القربان •• على ان يتلو الكاهن الذي تولى تقديم  
القربان تعاويذ خاصة تحل الحيوانات محل المذنبين ••

وبعد ان تعلم الناس القربان •• اعتلى رع ظهر البقرة الالهية  
ابنته نوت •• فارتفعت اكثر وتقوست حتى اصبحت كالقبة •!

غير ان نوب لم تستطع ان تصمد طويلا • وكادت تنهار تحت  
ثقل رع • فخارت قواها ووهنت قوائمها • ولم تجد بدا من طلب  
بد العون • عندئذ قال رع

— ما لذي شو .. ضع نفسك تحت ابنتي نوب ، رأزرها  
في حملي واجعلها تسد على ذراعيك القويتين من الجانبين ..  
واحفظها فوق رأسك العظيم .

واطاع شو .. وسلت نوب من السقوط . وامتد بطنها  
قبة زرقاء صارت هي نفسها فيما بعد السماء التي تغطي الكون ..  
وراح رع ينثر على صفحتها النجوم لتتير الليل . وانصرف من بعد  
الى تنظيم العالم الجديد الذي اكتشفه من فوق ظهر البقرة  
المرامية الاطراف .. واستمر الحياة تسير .

## الالهة الكونية

بمثل هذه الاساطير تصور الناس في مصر القديمة قصة الخلق  
والطوفان .. وحقيقة الاله الخالق والالهة المساعدة التي تنظم  
شئون الكون .. وكانت الالهة الكونية كما يقول العالم المصرولوجي انور  
شكري هي ابرز المعتقدات الالهية عند المصريين : « حيث للعناصر  
الكونية في ارضهم قوة ووضوح وشخصية تؤثر تأثيرا ضخما على  
كل شيء .. ينظر المصري فيرى حوله سماء صافية لا تكاد تغيم ،  
وشمسا ساطعة تشرق مرسله شعاعاتها الباهرة وهي تنطلق في تؤده  
ملك عظيم لتحيط بالكون مشرقة عليه من الشرق السى العرب  
ونجرما زاهية تضيء الليل وقد تحددت خطاها واتضحت مسالكها ،  
ونبلا يفيض في موعد ثابت كل عام يرتقب مجيئه ويشير الرهبة الى  
تعدي حده .. يروي الارض فينمو النبات ويأكل السكان  
ويكتسون .. كل ذلك الى جوار صحارى قاحلة تحيط بالوادي  
مستدة الى ما لا يحده طرف .. باعثة الرهبة في قلب من يجوب  
فيافها ومناهاها . من هنا لم يكن عجيبا ان تعلق قلوب المصريين  
بمظاهر الطبيعة وتتوه بينها خيالاتهم .. فيروا في الشمس والقمر  
والارض والسماء والماء والهواء آلهة يرهبون جانبها ويقدمونها  
حيثما تكون دون الحاجة في البداية لرمز يكن عنها ، او معبد يشير  
لعبادتها ، على غير ما كانوا يصنعون مع المعبودات المحلية . ومع  
التقدم السياسي وما صاحبه من تقدم في التفكير الديني لم تعد



اسر الالهة المحلية الاولى تتفق وقيام حكومة في البلاد ذاب سلطان شامل كما لم تعد تكفي لتفسير نظام الكون وخلق العالم على صورة مطقية مقبولة . لذلك ابتدع المفكرون من رجال الدين نظريات دينية جديدة اختاروا عناصرها من الالهة الكونية كما اضافوا في بعض الاحيان من الصفات الكونية على الاله المحلي ما كان يرتفع به الى مصاف الالهة الكونية العظيمة . . .

### الالهة المحلية

اذن . . كانت هناك آلهة محلية تتصل بالعصور الحضارية الاولى . . كيف كانت هذه الالهة . . ؟ الى أي شيء كانت ترمز وما هي مميزاتها ؟

الحق ان تتبع هذه الالهة ، وعلى الاصح المعبودات المحلية يحتاج اولا الى تعقب تاريخي لما كان يجري على ارض النيل الحالد منذ أكثر من خمسة آلاف سنة . . والعقيدة المصرية القديمة بشكل عام يمكن تعقبها من اصولها البعيدة الممتدة الى عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، حيث اظهرت الاثار والحفريات كيف كانت بعض الحيوانات تعامل وتدفن بتقدس كبير تؤكد أن عبادة الحيوانات كانت جزءا من العقيدة المصرية .

ولماذا لا يحدث ذلك . . بينما الظروف الطبيعية التي كانت تسود مصر تجعل للحيوان قيمة كبيرة عند المصري القديم مسدب الازمنة الاولى قبل عصر الاسراب ؟ لقد كانت الطبيعة المصرية غنية بالمناقع والاحراش حيب افراس النهر والتماسيح . . وحيب الغزلان والايائل في ودان الصحارى المحيطة بوادي النيل . . وحيب الظباء والثيران والسباع والذئاب . . ولم يكن غريب ان نأنس المصريون - وهم في حياتهم على اوثق اتصال بطبيعة بلادهم - في بعض الحيوانات والطيير من الصفات والخصائص ما شير شعورهم فيقدسوه . . اما عن رهبة وخشية كاللبؤة والتمساح او ابتغاء خيره ونفعه كالبقرة والثور . . او لغرابة في طبعه ومظهره

كأبي منجل ، القرد ، او لصفة ممتازة فيه كالصقر ..

ولكن كل هذه المعبودات لم تكن مهياة للتقديس في كل انحاء مصر معا . فقد كانت مصر قبل الاسرات تنقسم الى مقاطعات .. لكل مقاطعة اعلامها . ولكي تميز كل مقاطعة عن الاخرى كان كل علم يحمل رمز الحيوان او النبات الذي يميزه عن غيره .. وهي في مجموعها تمثل اقدم الالهة . ومن هنا لم تعد المقاطعات مقسمة تقسيما اداريا فقط بل تحوالت الى مناطق نفوذ ديني . وظل سكان كل مدينة مستقلة يعبرون معبودهم اعظم الآلهة واليه ينسبون خلق الكون . وعندما قام الاتحاد اصبح اله العاصمة الاله الرسمي للمقاطعة . ولم تترحم المدن المغلوبة على امرها الى ذلك فارتبطت آلهة المقاطعة برباط عائلي . ثم بدأ التوحيد يحدث على نطاق اوسع بين المقاطعات جميعا . واصبحت لبعض هذه المعبودات صفة عالمية .. اظهرت بعض هذه الآلهة في صورة آدمية لتقريبها للاذهان وان احتفظت برأس الحيوان او برمز يذكر بأصل المعبود مثل «الاله من» اله الخصب .. بينما اخذت آلهة اخرى صورته آدمية خالصة عندما تكون شخصيتها مجردة مثل «آتوم» في هليوبوليس و «أمون» في واسه و «بتاح» في منف .. وآمون في طيبة . ومن ابرز امثلة الالهة المحلية التي تحوالت الى آلهة عالمية .. ارتفاع المعبود «حور» الحيواني الاصل من صورة الصقر الى مرتبة ملك السماء صاحب العينين العظيمتين .. الشمس والقمر .. وكانت مرحلة الانتقال معاصرة لاتتصاره الحربي مما ادى الى ظهور «رع حوراختي» فيما بعد في هليوبوليس ..



(د) خنوم

اما في الجانب الآخر فقد توقفت بعض الالهة عن الصعود الى سلم الترقى بسبب «عالمية الوظيفة» مثل «خنوم» صانع الاواني الفخارية والصور الآدمية ، و «تحو» اله العلم .. و بتاح اله الفن و «شباب» الهة الكتابة و «حقا» حامية الحوامل ..

وبشكل عام .. فقد اخذت المعبودات في معظم الحالات

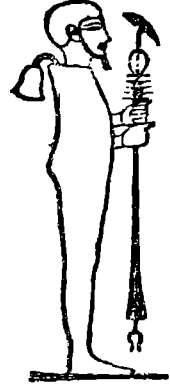
الشكل الحيواني •• وقدم الاله في صورة حيوان كامل كما هو الحال مع الاله العجل ايبس ، او كمخلوق له جسم الانسان ورأس الحيوان • ويعتبر هذا المزج بين الحيوان والانسان تطورا احتذاه قدماء المصريين كحل وسط • وتتضح هذه الامثلة في اشكال الاله انوبيس برأس بن آوى والصقر حورس ، والكبش خنوم ••!

وتعتبر العبادات الحيوانية في الواقع جزءا اساسيا من الديانة المصرية • كما تشير ايضا الى الحياة الجماعية في افريقيا والتي نشأت في اودية الانهار • وعديد من الآلهة الكونية او الآلهة التي من صنع الانسان نبع من منطقة شرق الدلتا • ولكن هذا لا يوضح ان هناك ديانات اخرى كثيرة كانت تقدر الحيوان ايضا • ولكن الامر الجدير بالملاحظة في مصر هو انه كان هناك احياء وامتداد للعبادات الحيوانية التي شهدتها الفترة السابقة لعصر الاسرات •• واحدى هذه العبادات التي امتدت واتسعت هي عبادة العجل ايبس في ممفيس والذي قدس في وقت مبكر منذ الاسرة الاولى • وكان تقديس ايبس يصور تطورا شعبيا الى حد ما • وبعد البداية الذاتية التي بدأها ايبس فقد تم بعد ذلك ربطه بالآلهة الكبرى رع واوزوريس كما ربط ايضا بالاله بتاح الاله الرئيسي لممفيس •

وبينما كان فرعون نفسه هو الاله من الناحية الرسمية فقد حظيت جماعة قليلة اخرى بهذه المنزلة ، وكانوا محل التقدير والاحترام بعد موتهم اعترافا بصفاتهم المميزة ، ومن خلال هذه العقيدة كانت النظرة الى امحوتب المهندس اللامع الشهير للملك روسر في الاسرة الثالثة • كذلك كانت النظرة الى امحوتب ابن حابو في الاسرة الثامنة عشرة • كما نجد ايضا ان تقديس المسوب في مرحلته الاخيرة اظهره - وعلى غير توقع - الها للطب مما وحده بعد ذلك مع اسليبيوس اليوناني • كما كان هناك نوع آخر من الآلهة يختلف تماما يضم سلسلة من المعنويات المجسمة مثل سيا اله النهم ، وحو اله الكلام ، وهابل اله السحر •

ولعله يبدو من خلال ذلك ان الديانة المصرية تحتوي على افكار وعقائد لا تخلو من تناقض في بعض الاحيان . ولكن ذلك لا يرجع الى طبيعة المصريين وانما الى انه تراث اجيال طويله وعبادات مختلفة وعلى اية حال فقد تصور المصريون آلهتهم على شاكلتهم ، عاشوا على الارض وتعرضوا فيها لما تتعرض له الحياة الانسانية من افراح وآلام واعتورهم ما يعمرى الانسان من ضعف وموت . وكان لهم ما له من غرائز وشهوات . بيد انهم الى جانب ذلك تمثلوا الاله الاكبر ايا كازاسمه او مكان عبادته ، بأنه الاله العظيم . . القوي . . الطيب . . العدل . . الرحيم .

لقد كان خيال المصريين القدماء خيالا واسعا عريضا عميقا حقا كما يقول عالم المصروولوجي نجيب ميخائيل . . « فقد رأوا في السماء بقرة كبيرة تعتمد على قوائنها الاربع التي تمثل دعائم السماء وفيها يجر قارب يحمل شمس الصباح . ورأوا في السماء ايضا امرأة تحل محل البقرة احيانا تنحني بجسمها المديد فوق الارض وتعتمد على ذراعيها وساقها التي تحل محل قوائم البقرة . . اما الشمس فقد رأوا فيها حيوانا مرة ورأوا فيها مرة اخرى قرصا مجنحا . . وهو مرة تالفة قرص يتحرك بين جسدها وارجلها . كانت السماء اثني والارض ذكرا . السماء الهة هي « نوت » . وان كانت للسماء الهات اخريات هن « حاتحور » برأس البقرة وذراعي الاربعه او بالارجل الاربعه للبقرة التي تمثل دعائم السماء الاربعة . ثم تتحول الدعائم فيما بعد الى جبال . وتحت البقرة او المرأة على وجه السماء خضم تبحر فيه سفن الشمس وتسقط منه الامطار . اما الارض فرجل يستلقي على بطنه او على ظهره وتنمو النباتات على ظهره ويحيط به محيط واسع واحد جانبيه احمر قاحل يعيش فيه المتديرون والآخر اسود خصب حيب المصريون . والارض جسد مؤله هو جب . وبين السماء والارض يقبع الفضاء « شو » وهو اله يسند مع غيره من الالهة البقرة . ولكنه يستاز عنهم بأن له زوجة . . وهو يقف على الارض ويسد السماء



( ٥ ) پاج

بذراعيه • اما النيل فسحة الآلهة للناس وهو يخرج من الجندل  
الاول وهو جسد مؤله كذلك له صدر الهة اثني • وتحت الارض  
العالم السفلي •• عالم الموتى • تدخله الشمس كل مساء وتقضي  
به الليل لتخرج منه من الشرق كل صباح • وفي العالم السفلي نهر  
تبحر فيه الشمس في قارب السماء التي هي سماء ثانية سفلية •  
والعالم السفلي يعج بالموتى الذين يسعدون برؤية الشمس • وعند  
خروج الشمس من العالم السفلي تتهلل القردة ••

الا ما اوسع خيال المصري القديم وهو يتصور معبوداته من  
خلال طبيعة ارضه وسمائه •

فعندما تأمل المصريون الخصب الدائم المنوح لارضهم  
الطيبة اعتبروا ان صانع كل ذلك هو النيل والشمس •• وان  
الآلهة المرتبطة بكل من هاتين الظاهرتين هي صاحبة اليد الاولى  
لحركتهما ومسيرتهما وتأثيرهما في حياة الارض والناس • وارتبط  
النهر الخالد بالاله حابي •• الى جانب آلهة اخرى محلية هي الني  
تحمل الطمي الخصب والنبات في الفيضان •

ومع ابتداء وصول مياه الفيضان في يوليو كان يظهر النجم  
سيروس مع شروق الشمس •• ومن هنا سمي هذا النجم اللامع  
بالاله سوزيس •• ممثلا للخضرة الناشئة من خصب الفيضان ••  
كما كان الاله سبك •• الاله التمساح • بل ان الاله اوزوريس  
ايضا يمثل وهو في كفن الموتى علاقة قريبة بين النيل والخصب •

## الاله رع

اما عن الشمس •• فان الاله رع في هليوبوليس هو الذي  
يمثله في قوة اللاهوت الكونية • وكان رع يتمثل في شكل آتوم  
رع •• وفي اله السماء حورس •• الاله الصقر الذي يعني اسمه  
انه « هو البصير » • ورع اختى يتمثل في شكل جسم رجل ورأس  
صقر • والرمز الرئيسي لرع هو المسلة •• والمثل العليا للعدالة  
والكلمة المقدسة هي الاله رع •• والالهة ماعت «الصدق والعدل

والوثام » بنته • وكانت عبادة الشمس قد بلعب من الاهميه والانتشار مهد لقيام الاسره الخامسة بعد عصر بناء الاهرام وهي التي جعلت من ديانة رع الديانة الرسمية للبلاد • وشيد لها المعابد وحسنت عليها الاراضي • • واصبح يراعى منذ ذلك العهد ان يتألف الاسم الذي يتخذه الملك عند توليه العرش من اسم « رع » ان لم يكن اسمه الاصلي الذي عرف به منذ ولادته يشمل عليه • وقد قدر لعبادة الشمس ان يكون لها أثر عسيق في ذاب المعبودات المحلية فقد حدث عندما اصبحت هي العبادة الرسمية ان حرص كهنة العبادات الاخرى على الا تتخلف معبوداتهم عن اله الشمس فشبوها به وادعوا انها صور له ليكون لها نصيب من جاهه وسلطانه • وهكذا اتخذ كثير من الآلهة شخصية اله الشمس واتحدت به مثل « مين رع » و « سبك رع » و « خنوم رع و آمون رع » •

## الاله بتاح

على ان هذا لا يمنع من وجود آلهة اخرى رئيسية غير رع اله الشمس في هليوبوليس • فقد كان هناك الاله بتاح الذي كان الها للعاصمة الجديدة منف او ممفيس بعد انزال الدولة هليوبوليس وكان يعتبر اله الفنون والصناعات واعتبر ايضا خالق كل شيء من آلهة وبشر • وقال الكهنة انه خلق الاشياء كلها بفكرة فكر فيها القلب ونطق بها اللسان • • وبمعنى آخر فقد نشأ الكون اول الامر صورة في عقل بتاح • • ثم نطق لسانه بما فكر فيه عقله فخلق الكون بالكلمة •

وكان هناك آمون • • اله الامبراطورية وخاصة عندما انتقلت العاصمة في الدولة الحديثه الى طيبة • ومن خلال اثايند آمون التي نشرها كهنة يدعى الاله ناته « ملك الآلهة و سيه الملوك » و « الاله العظيم » و بداية ما جاء الى الوجود « و « سيد السماء » • • وفي الدولة الوسطى كان آمون مقترنا تماما

بإله الدولة القديمة رع تحت اسم آمون رع القوي الشهير . فلما كانت الدولة الحديثة طغى آمون على جميع اختصاصات وصفات رع فأصبح هو إله الدولة آمون رع والاب الجثمانى للملك الحاكم كما كان رع من قبل .. وتحول بذلك النظام الشمس الكاملة لدولة رع إلى آمون رع .

وفي الكهنوت الطيبى يعتقدون ان آمون عندما جاء إلى الوجود لم يكن هناك شيء كائن . لهذا كان هو خالق نفسه بنفسه ثم جاءت الآلهة بعده إلى الوجود . وهو لم يكن له أب أو أم بل انه شكل بيضته بنفسه ومزج نطقته بجسده وكان مختفيا كآمون على رأس الآلهة . وهو يرتبط بظاهرة الهواء في الضوء والماء أيضا . واقدم رمز له هو الأوزة وبعد بدء الدولة الحديثة يصبح رمزه هو الخروف . وكان يمثل على هيئة رجل ملتجح بلبس غطاء رأس تعلوه ريشتان ومن خلفه يتدلى خيط ويمسك في يده « واس » وفي الأخرى « عنخ » . وقد كانت لآمون السيادة حين كانت هناك مستعمرات مصرية . وازدادت عظمته بعظمة مصر واختفى حين ضاعت هيبتها .. فقد كان حقا إله مصر الإمبراطورية

### اسطورة اوزوريس

وكان هناك غير ذلك إلهان بارزان آخران لعبا دورا كبيرا في العقيدة المصرية القديمة .. هما اوزوريس وحوريس . ولهما قصة تتحدث عنها الأساطير ..

بعد ان لعن رع الآلهة نوت اصدر حكمه بأن تظل عاقرا طيلة أيام السنة .. وهزت الشفقة عاطفة الإله تحوت نحوها فخلق لها أيام النسيء الخمسة فوضعت فيها اولادها الخمسة « اوزوريس » و « ست » و « ايزيس » و « تفتيس » و « نبت حت » . وعند ولادة اوزيريس صاح صوت في معبد طيبة ان ملكا طيبا صالحا قد ولد . ثم اعتلى اوزيريس العرش بعد ابيه « جب » . وكان ملكا صالحا نشر الثقافة بين الناس وعلمهم الزرع واحترام القانون

واكرام الآلهة ودرهم تحوب « على الآداب والفنون وابتكر لهم الكتابة الهيروغليفية • وكان اوزيريس « موسيقيا بارعا احبه الناس فحقد عليه اخوه ست وتآمر مع آخرين حتى صنع صندوقا بحجم اوزيريس زعم في حفل اقامه له انه يهديه لمن يتسع له • ولم يتسع لغير اوزيريس الذي كان طويل القامة جدا • واغلق ست الصندوق بمعونة انصاره والقاء في النيل بعدما احكم اغلاقه • وجد ايزيس زوجته في البحث عن جثته حتى عثرت عليها داخل شجرة ارز في جبل بيلوس « كان الملك قد قطعها واقامها عمودا ودعامة في قصره • وتعرفت ايزيس الى نساء الحريم الملكي حتى يستخدمها الملك مربية لاولاده • واستطاعت ان تصل الى هدفها • وفي الليل اشعلت نارا بجوار جسد احد الاطفال • ورأتها الملكة تحوم على هيئة طائر حول العمود • واضطرت ايزيس عند سؤالها ان تكشف عن شخصيتها وتميط اللثام عن سيدها • واخرج الصندوق من داخل ساق الارز • وكان بكاء ايزيس قد قضى على اصغر اطفال الملك • وحاوت ان تأخذ ابنه الاكبر معها ولكنه رآها تقبل جسد زوجها اوزيريس فحرميتا حين نظرت اليه الالهة بعينها الساحرة • وحين عادت الى مصر اخفت الصندوق في مستنقعات شمس • ثم ولدت حوريس وقامت على تنشئته في بوتو • واستطاع ست ان يعثر بعد جهد على جسد اوزيريس وانتهاز فرصة غياب ايزيس وقطع الجثة الى اربعة عشر قسما وبعثر اجزاءها في جميع مقاطعات مصر • وراحت ايزيس تواصل البحث من جديد عن جثة اوزيريس حتى عثرت على الاجزاء جميعها ودفنت كل جزء في الموضع الذي عثرت عليه به • وصار اوزيريس ملكا للموتى ثم اعتزل هذه المملكة فترة من الزمان ليهيء ابنه هموريس للكفاح ضد ست • واثضر الابن على عمه بعد معركة عنيفة واقتيد ست مكبلا بالاغلال الى امه • واشفقت ايزيس على اخيها ففكت قيوده • وغضب هموريس فالتقى بيتاج امه على الارض • واعاضها عنه تحوب بما يشبه راس البقرة • وحين تحرر ست من



فيده اتهم هوريس بانه ابن غير شرعي •

وتتحدث اسطورة اوزيريس عن الصراع الطويل بين هوريس وست والذي اسمر ثمانين عاما • وكيف قدم ست لمحكمة اتاسوع المقدس حسب صدر الحكم في النهاية لصالح هوريس ضطر ست للتنازل عن حقوقه المزعومة وجلس هوريس على عرشه وبوج بالتاج الابيض وقدمت له ايزيس التحية كملك • وتساءل تاج عما يصنع ست فطلب رعا ان يعبر ست انسا له ثم منحته لارض الحمراء اي الصحراء ليكون حاكما لها •

وهكذا عرف المصريون اوزيريس واتخذوه رمزا للطبيعة ما دام قد عاش ومات وبعث كما تعيش وتموت وتبع الطبيعة • ثم عرفه المصريون اله للموتى حيث تتولى محكمة الحساب بعد اللعب •

### مساعده الموتى

على ان اوزيريس لم يكن وحده المقدس المعبود بين الالهة التي تقبل بالموت والموتى • فقد اعطى المصريين دائما تقديسا كبير العدد من الالهة غير اوزيريس كانوا يعتقدون انها تساعد الموتى • ومن بين هذه الالهة انوبيس وشوكاريس وخنتمثيس وبيواديب التي تأكد وجودها في ايام الدولة القديمة •

من بين هذه الالهة ، كان الاله انوبيس الذي أخذ شكل الكلب المتوحش او ابن آوى • وقد ارتبط هذا الاله بعملية تحنيط الموتى ، كما حظي هذا الاله باهتمام دائم عبر التاريخ الطويل للديانة المصرية القديمة •

ومن ناحية اخرى انتقل الاله اوزيريس من الغموض النسبي الى الالهية الجارفة في محيط المعتقدات الجنائزية وفي رحلة صعود هذا الاله الى القوة الروحية وشكل توحيد مع الفرعون الميت مرحلة هامة في هذه الرحلة •• وكان ذلك خلال ايام الاسرة السادسة •

ومن ايضا اصبح اوزيريس يعتبر حاكما لمملكة الموتى  
يتولى حساب الموتى حيث يجازي الاخيار ويعاقب الاشرار .

**اسطورة الحساب** وتورد الحدى الاساطير المصرية القديمة صورة محكمة  
الحساب وكيف يتم الجزاء للاخيار والاشرار . فقد بشر الاله بتاح  
ساتني ابن فرعون اوزيريس الذي كان يتوق الى انجاب ولد بانه  
سحجب امرأته العاقر ولدا يسميه سنوزيريس يأتني بالخوارق .  
وبالفعل لم يكد سنوزيريس يرى النور حتى هتف باسم بتاح  
ثم سجد يصلي . كان الولد معجزة وكان وهو في السادسة من  
عمره يشرك مع كهنة بتاح في قراءة كتاب الحكمة . وذات يوم  
بيما الاب وابنه معا اذ شق السكون صوب عويل يرتفع في  
الطريق تختلط به اهازيج موسيقى الموب . واطل ساتني فاذا ماتم  
رهيب في الطريق الى مدافن ممفيس لواحد من الاغنياء يشيع الى  
مدفنه الاخير في موكب فخم . ومضت لحظات واذا ميت اخر يعبر  
الطريق ملفوف في خرقة ، يشيعه بضعة افراد من ولده الى خارج  
ممفيس يعبر ما موسيقى ولا احتفال ولا موكب . وهتف الاب  
وهو يطل الى السماء

— يا اوزيريس يا سيد الامنت العظيم القدرة في العالم الاخر  
اكتب لي دخول دار الاموات في عظمة وجلال كهذا الغني ، ولا  
تحرمني شجو الموسيقى وندب الناديين كما حرمت هذا الفقير .

ونظر اليه ولده سنوزيريس طويلا ثم قال

— يا ابت ، اني لاتمنى لك ان تموت ميتة هذا الفقير لا ميتة  
هذا الغني

وتألم ساتني لامنية ولده له . ولكن الابن قال له

— اذا اردت . . فانا على استعداد لاطلعك على مصير كل

مهسا في الاخره • العبي الذي بكاه الناس والفقير الذي لم يجد من يبكيه •

وامسك سوزيريس يدايه واخذ يتلو تعاويذ بدت غريبه حسي على ابيه ثم انطلق به يقوده الى جبل ممفيس حيث هبطا معا فجوة ضيقة بين الصخر ما كادا يهبطانها حتى وجدا نفسيهما في قاعة قادتهما الى اخرى اكثر سعة ثم الى ثالثة تزيد اتساعا عن كل قاعات قصر الفرعون نفسه • وهنا شهد ساتني جماعة مزدحمة من الناس ••• فيها الفقير والعبي الوضيع والرفيع ، الجبيل والقيح •



وعاد سوزيريس يقود اباه ويجتاز به الباب الى قاعة رابعة، حيث شهدا قوما مولين وعلى ظهورهم حبير تأكل وقوما اخرين يسدون ايديهم الى الطعام المعلق فوق الظهر فلا يستطيعون اليه سيلا ، اذ تقف دونهم حفر يحفرها قوم اخرون •• تتسع وتتسع وتحول بينهم وبين الوصول الى الزاد •

وتحولا معا ليجتازا القاعة الرابعة الى الخامسة • وشهد ساتني باب القاعة يرتكز على عين رجل راح يستغيث ويصرخ •• ومن خلفه ناس يبكون ويلحون في طلب الدخول فلا يسمح لهم • وكان لا بد لساتني وولده كي يدخلا القاعة الخامسة ان يطأ الرجل المنطرح تحت الباب • وكان هذا جزءا من العقاب الذي قدر له ان يطأه كل الاموات الذين يجتازون قاعات العذاب الى مكان السعداء •

وكانت القاعة السادسة •• وشاهد ساتني محكمة الموتى منعقدة • برأسها القاضي الاكبر اوزيريس سيد « الامنت » أي الدار الاخرة ••• متربعا على عرش من ذهب ، وفوق رأسه تاج الجنوب الابيض المرصع من جانبيه بريشتي نعام رمز العدل والحق • والى جوار اوزيريس كان يتربع الاله انوبيس والاله

توت • وحولها من شمال ويسين اثنان واربعون قاضيا من الالهة  
تكتمل بهم هيئة المحكمة •

كان هناك في وسط القاعة ميزان توزن فيه الحسنات  
والسيئات • يسجوب انويس الميث ويدون تحوب اجوبته • فمن  
رجحت حسناته السيئات قاده الاله المحيطون باوزيريس الى  
جنته الامواب الصالحين حيث يتمتع بالسعادة الخالدة • واما من  
رجحت مساوئه حسناته فانه يسلم الى الالهة معاب كليه سيد  
الامنت المفرسة المستلقية تح قدميه مستعدة دائما لتزيق  
كل محكوم عليه بالعقاب • • وهي تثير الرعب بفمها الفاغر كأتون ،  
ومحالبها الجاده كسكين وراسها المدب كتساح وجسمها  
البشع كتنين • •



ولمح الاب رجلا نبيل الطلعة يرتدي ثوبا من كتان فاخر  
يقف الى جوار اوزيريس • وتساءل عنه فأجابته ولده هذا هو  
الفقير الذي رأيته مكفنا بخرقه بالية ومحمولا بلا موكب الى  
خارج ميفيس • انه هو نفسه الذي تسميت لك يا ابي ان تسوب  
سنته • لقد حل امام محكمة الموتى • فرجحت حسناته سيئاته  
تمدب كثيرا في الارض ليسعد صويلا في السماء • ولكي تتم  
سعادته خلع اوزيريس عنه كفه المسزق ، والبسه كفن الغني الذي  
رأيته مشيعا في حفاوة الى مقبرة مفسس • هذا الغني نفسه هو  
الذي وطئته قدماءك عندما ولحت القاعة وكان محور الباب  
مرتكزا في عنقه اليمنى يفرها كلما فتح أو أغلق • • فقد حوكم  
الغني فرجحت سيئاته حساته ، وحكم عليه بالعقاب الصارم •

ادهشي فهل تخمري عن هزلء الذي  
على ظهور تاكل الحما ؟ وعن اولئك  
الى سبب الحفر التي تزداد وتتسع تحب اقدامهم  
سي

اجاب سنوزيريس الاولون هم ابناء هذه الارض الذين  
لمنتهم الالهة لكثرة سيئاتهم • يعملون ليل نهار ليضمنوا بقاءهم ••  
فتتحول نساؤهم الى حمير نهمة ، تنهب اموالهم وتأكل على  
ظهورهم •• اما الذين يمدون ايديهم عبثا الى الطعام ، فهم اولئك  
الذين استأثروا بخيرات الارض وما شبعوا ، فعوقبوا بالحرمان  
جزاء حرمانهم للاخرين ••

### العقائد الجنازية والكهنة

لقد كانت العقيدة المصرية القديمة تؤمن بالبعث والحساب  
ولذلك عمل المصريون لذلك اليوم الف حساب •• وكانت العقائد  
الجنازية من ثم لها ايضا مكان كبير في الديانة المصرية •

كانت العقائد الجنازية كما يقول علماء المصروولوجي خليطا  
من الافكار والخيالات • فكان يعتقد ان الميت في قبره يأكل ويشرب  
وانه يحيا حياة خالدة في مملكة الغرب • وانه بين حاشية الشمس  
في نفس الوقت • وكان يغالى في تحنيط الجثة وما يؤدي لها من  
طقوس وما يودع معها من أثاث • وكثيرا ما كان يزود الميت  
بتعاويد وفصول تكتب على اوراق البردى من كتاب الموتى • وكثرت  
التمائم واختلفت أصنافها • وزاد عدد التماثيل الجنازية حتى كان  
يودع منها مع الميت مئات في بعض الاحيان • وازداد في نفس  
الوقت شأن الالهة المختلفة بما كانت تلقاه من كل ملك يتولسى  
العرش من هبات وعطايا •• وكان ابرز هذه الالهة آمون اله طيبة  
الذي كان كهنته قد بلغوا وخاصة في عصر الامبراطورية شأوا  
كبيرا في الغنى والسلطة والنفوذ بحيث اصبح بيدهم التحكم في  
كل شيء من ثروة البلاد وسياستها •• كما أصبحوا ايضا موضع  
الحقد والغيرة من كهنة الالهة الاخرى في مصر •••

### ثورة اخناتون الدينية

من هنا •• بدأت تظهر بوادر الثورة الدينية في مصر في عهد  
اخناتون •• واذا كان الكهنة وعامة الشعب قد تمسكوا باستمرار  
بذلك الخليط من العقائد والعادات •• فالحق ان خاصة المفكرين

ما كانوا يرتضون ذلك .. بل لعلهم احسوا الحاجة الى دين واضح مريح ، يعلي من شأن الحقيقة والواقع ، ويتحرر من ربة التقاليد البالية ، ويشمل سلطانه الكون الفسيح ، وترضى به الشعوب على اختلافها .

وإذا كان الامر كذلك .. فلا شك ان النظرة الى اله الشمس كان لا بد ان تبرز من جديد .. فهو اله واضح .. عبادته بعيدة عن الغموض والاسرار والظلام والخداع ... والرضى به يمكن ان يشمل كل الشعوب التي ترى مظهره وقوته وتلمس اثره وسلطانه . لذلك فهو أخرى الالهة جميعا بالعبادة ، وهو أحق المعبودات ليكون الها عاما للامبراطورية في كافة انحاءها .

على أن اله الشمس اتخذ هذه المرة اسما جديدا هو أتون . ولم يكن هذا الاسم مجهولا من قبل ، ولكن لم تكن له قداسة أو صفة دينية ، اذ كان المصريون يقصدون به قرص الشمس التي لم يكونوا يتعبدون لها ولكن يرون انها مقر الالهة . أما الان .. فلا بد ان يصبح هذا الاسم مقدسا ولا بد ان يصبح دين أتون هو الدين الرسمي للامبراطورية .

وكان صاحب هذا الهدف وتلك الافكار هو الفرعون نفسه امنحوتب الرابع .. الذي تسمى بعد ذلك باختاتون ..

ويلخص بلاكمان عقيدة اخناتون الدينية عندما يقول « يمكننا ان ندرك ان التفكير الديني في المدة السابقة لحكم اخناتون تميل الى الوحدانية . ولكنه كان من الضروري ان تتقدم الى هذه الناحية خطوة او خطوتين لنصل الى التوحيد الحقيقي . وهذا هو ما فعله اخناتون حين اكد بل قطع نهائيا بان اله الشمس ليس الاله الاكبر والعالمي فحسب ، بل هو الاله الوحيد .. وهو توكيد لم يضغط عليه من سبقه من المفكرين الدينيين ، بل كان متشعبا ومبهما وكانت الاشارة اليه يحوطها



( ج ) سوبك

الفوضى والابهام وعدم التحديد » .  
وقد زاد برستد تلك الفكرة وضوحا حين قال « ان ما كان  
يؤله الملك هو القوة التي جعلت من الشمس شيئا يحس به على  
الارض . ومهما كان واضحا ان المصدر الهليوبوليسي هو أصل  
الدين الجديد فان العبادة لم تكن عبادة الشمس نفسها لان كلمة  
آتون » استعملت بدلا من الكلمة القديمة « اله » . وكانت  
العقيدة في الاله أبعد من ان تكون الشمس العادية . وكان الملك  
من غير شك يؤله الضوء أو الحرارة الحيوية حين ادرك انها  
تعجب الحياة كأنها .



(د) سخ

وكرس اخناتون حياته لعقيدته الدينية والدعوة لها . وانصرف  
الى تحقيق افكاره الدينية وشغل باعلان معتقداته والترويج لها  
وهداية شعبه الى الحقيقة والى الدين الصحيح . وبدأ باقامة معبد  
لاتون بالقرب من معبد آمون في طيبة واتخذ لاله الواحد صورة  
الاله « حوراختي » الذي كان يمثل بجسم انسان ورأس صقر  
يملوها قرص الشمس . على انه لم يلبث ان اهتدى الى رمز جديد  
لاله قبل هجرة البلاط الى آخيتاتون . وكان الرمز الجديد على  
صورة قرص شمس باسفله الصل متديلا وتنزل من القرص أشعة  
تنتهي بأيدي بشرية تمسك بعلامة « عنخ » كأنها تهب الحياة الى  
المتعبدين . وكان الصل يرتفع احيانا من قاعدة القرص الى ناحية  
المركز . وربما كان ذلك احياء لمعنى ان الاله الجديد لم يكن الها  
عالما فحسب بل ملكا عالما كذلك . لقد كان الرمز رمزا متسيدا  
معناه قوة تخرج من فيضه السماوي وتبسط يدها على العالم  
واعمال الناس .

كان خروج الملك بهذا الدين الجديد ضربة عنيفة لكهنة آمون  
اصحاب النفوذ الرئيسي في طيبة . . فما كانوا ليرضوا عن ان يشعل  
ذلك الاله الطارئ الملك عن الالههم ، وان يضع ما كسبوه من مركز  
وسلطان . وكان لا بد لاختاتون ان يقضي على هذه المعارضة وان

يمحو العبادة المختلفة اذا اراد لالهة القوة والسلطان او ان تتحقق  
الوحدانية . كان يدعو اليها . لذلك لم يلبث ان اعلن على  
المعبودات القديمة وخاصة آمون حربا ضارية . فأرسل جنوده  
واتباعه يمحو ناسمائها وصورها من على الاثار القائمة ، ويهشمون  
تماثيلها في المعابد .

وقرر اخناتون ان يترك طيبة ويبني عاصمة جديدة في مكان  
لم تدنسه عبادة اي اله من قبل . وهكذا انتقل الى تل العمارنة  
حيث اقام عاصمته اخيتاتون . . . وهناك اتاحت الفرصة للديانة  
الجديدة ان تستكمل خصائصها دون معوقات من تقاليد واثار  
قديمة . . . وراح اخناتون يصوغ من الاناشيد ما يشيد فيه في  
حماس شديد بنعيم الاله الواحد على الكائنات المختلفة من انسان  
وحوان ونبات وما يفيضه عليها جميعا من قوة وحياة . . . وكان  
يقول

بزوغك جليل في افق السماء يا آتون يا حي يا مبدىء  
الحياة . . .

اذا صعدت في افق السماء الشرقي افضت على الارض  
جمالك . . .

ما ذلك الا لانك جميل عظيم نير في السماوات العليا . . .  
تسطع على الارض وعلى جميع مخلوقاتك بأشعتك . . .  
أنت بعيد عن الارض ولكنك على اتصال معها  
بأشعتك . . .

أنت عال لكن اثارك واضحة في ضوء النهار . . .  
. . . . .

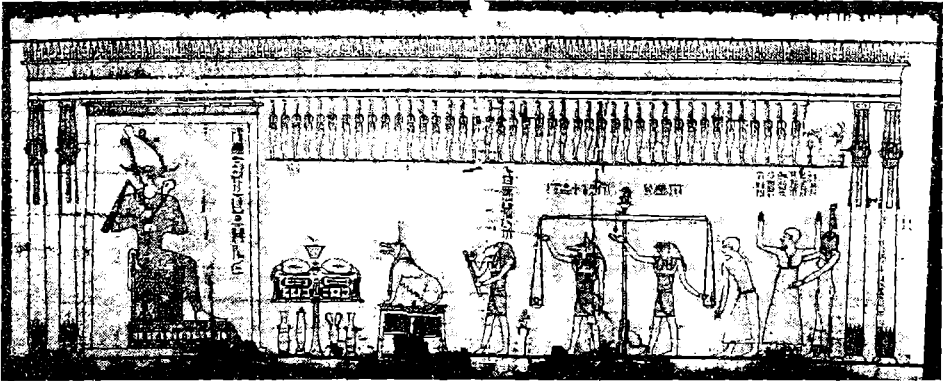
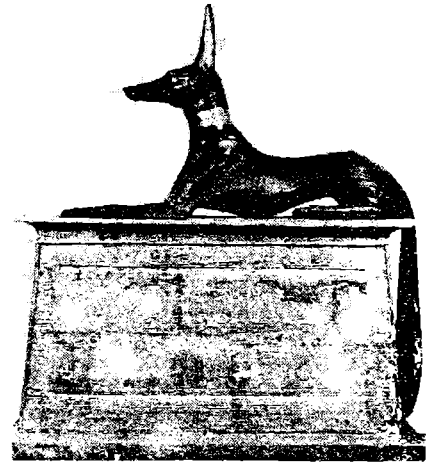
انت خالق الجنين في بطن امه انت خالق نطفة الانسان  
انت واهب الحياة للجنين في رحم امه وملطفه حتى لا  
يتكدر فيكي . . .

كيف لا وأنت المربي في الرحم . . .



(٥) رع





بن أوى حار الموتى  
 ترضع حورس ويرى  
 بينما قلب الميت يوزن تبين  
 اشرق الى القرب على سفينة الشمس

السمور  
 يس  
 في  
 حسناته من سيئاته \* والرابعة الاله رع وهو يسير ا



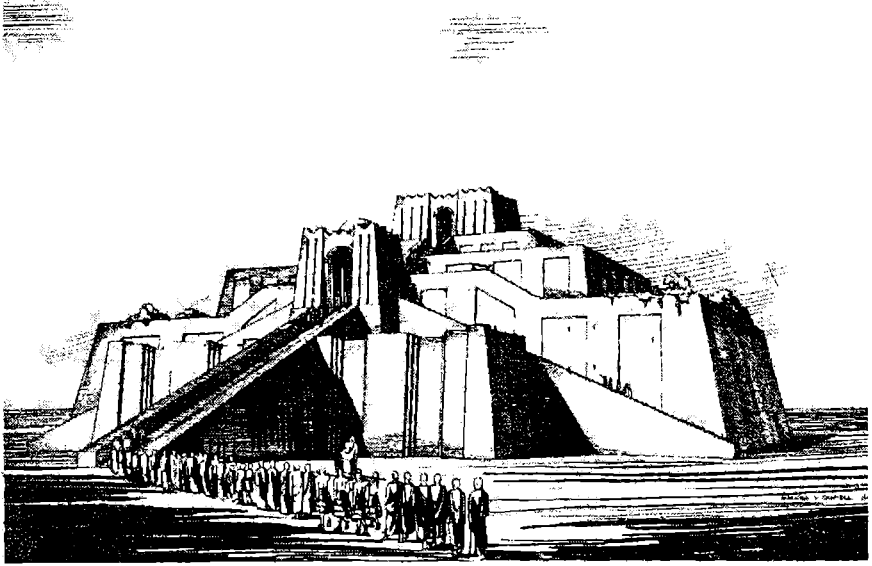
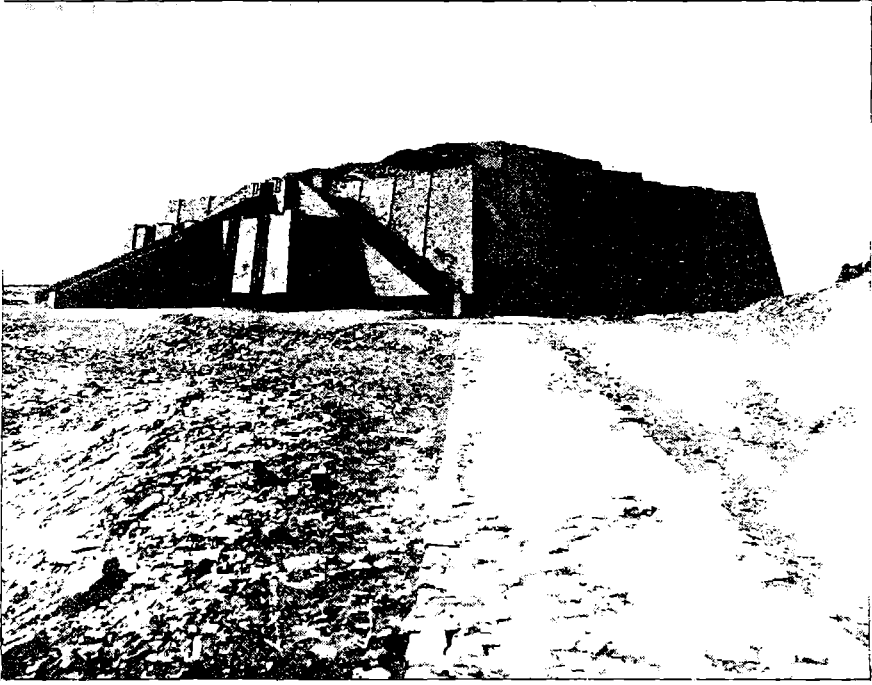
أخناتون عرف الاله الواحد ورمز له بالقوة وراء قرص الشمس آتون هو الذي يرسل أشعته حاملة الخير والنور والسلام



الاله باسيت برأس قطة أحد المعبودات المصرية ومركز عبادته في بوسطه ويلاحظ في يده اليمنى ولع يمثل رأس أسد .



نبيشتيم الذي انجته الالهة من الطوفان في الحقبة البابلية  
يقدم القرابين للالهة بعد ان رست سفينته على الارض بعد انتهاء  
الطوفان ••



برج المعبد المقدس الذي انشأه أورنامو ملك أور في عام ٢١١٠ قبل الميلاد حيث تقدم  
العبادة للالهة ٠٠ والرسم السفلي يعرض رسماً تخطيطياً للمعبد بكامل تفاصيله ٠٠

انت معطي نفس الحياة لكل مخلوقاتك ...  
انت فاتح فم الجنين بالكلام ومعطيه حاجاته يوم  
تلدته امه ..  
ما اكثر مخلوقاتك التي نجهلها ..  
أنت الاله الاحد لا شريك لك في الملك ..  
خلقت الارض بارادتك ..  
ولما كنت وحيدا في هذا الكون خلقت الانسان  
والحيوان ..  
الكبير منها والصغير .. والمخلوقات التي تدب في  
الارض وتطير بأجنحتها ..  
انت مبدع الجمال من نفسك ..  
فالمدن والبلاد والقرى والطرق والانهار ..  
كلها عيون تبصرك امامها ..  
كيف لا .. وانت آتون النهار فوق الارض !!

لقد كانت هذه هي بعض اناشيد وتراويل اخناتون للاله  
الواحد في الدين الجديد . الا انه لم يقدر لهذا الدين البقاء ، فقد  
كانت العبادات القديمة اشد رسوخا في البلاد من ان تعصف بها  
دعوة جديدة لم تتأصل جذورها . تقوم بها أقلية من المفكرين وان  
تزعمها ملك . وكان رجال الدين وخاصة كهنة آمون قوة تعتمد  
على مشاعر العامة وتمسكهم بتقاليدهم .. ولذلك لم يكن من  
السهل التغلب عليها .. بل كان الاسهل ان ينقض الكهنة على  
الدين الجديد .. وان تنجح المؤامرات اخر الامر في القضاء على  
دين التوحيد الذي جاء به اخناتون ... وان تتحطم مع حطام  
مدينة اخيتاتون دعوة الاله الواحد في مصر القديمة ... قبل  
ظهور ديانات السماء بعشرات كثيرة من السنين ...

واستمرت الحياة تسير \*





ايها الرب .. تطلع الي وتقبل تنهداتي ..  
ايها الاله المعروف وغير المعروف ..  
الا ليثقيء غضبك ..  
البشر معوجون وليس لدى واحد منهم  
بين الجميع من يعرف شيئا؟!  
مهما فعلوا من شر او خير .. ليس لسدى  
واحد معرفة .  
ايها الرب .. لا تطرح خادمك جانبا  
انه ينكفيء في الحمأة فخذ بيده ..  
حول ما ارتكبت من آثام الى نعمة  
لتحسل الريح بعيدا ما ارتكبت من تعديا ..  
جناياتي كثيرة .. مزقها كما يسزق الثوب  
أي الهي .. آثامي سبعة فاغفر لي خطاياي .  
اغفر خطاياي وسأضع امامك ..  
ليهدأ قلبك كقلب الام التي رزقت بمولود  
ليهدأ قلبك كقلب ام رزقت بطفل ..  
وقلب اب رزق بمولود !!

« مزموذ بابلي »

## من أجل الخلق... نَشَبَت معركة السماء

لم يكن هناك سوى «إيسو» المحيط الازلي .. و «تيامات» المياه المالحة .. لا سماء ولا ارض .. لا آلهة ولا بشر .. لا شيء من ذلك ابدا سوى الفضاء المحيط .. ابى كل شيء .. والمياه الممتدة الى ما لا نهاية ، بكل ما فيها من اضطراب وفوضى ، تضرب كلها الاطناب ، وتخرج من بعد كل شيء حي ..!

ولم تكن المياه قد تشكلت بعد في محيطات وبحار او بحيرات وانهار . بل كانت كلها شيئا واحدا، واسعا الى غير حدود، عميقا الى اللانهاية . اما المستقبل . فما كان يبدو منه شيء قط .. لا شيء سوى ظلمة اخرى حالكة .. اشد سوادا من اعماق الليل نفسه ..!

وتعاقبت الازمان ، حتى جاء زمن اختلط فيه الماء بالفضاء ، ومن اختلاطهما خرجت اشياء اخذت تنمو وتتخذ لها اشكالا عديدة غريبة . ثم ظلت ترتفع حتى استقرت في اعلى .. وكان منها كل آلهة النور ..

واطلت تيامات الى المخلوقات الجديدة وملاها الفزع .. فما كانوا قط من طينتها ، ولا تشكلوا ابدا بأشكالها . فهي لم تكن تعرف في حياتها سوى الظلام والفوضى والاضطراب . اما الذين يعيشون في اعلى .. فلا يريدون غير النور والنظام والاستقرار . وكان هذا كله عكس ما تريد .. بل كان هذا كله اول اسباب الحقد والغضب والثورة على آلهة النور ..

وقررت تيامات ان تتخلص من المخلوقات الجديدة .. وان تشن عليهم حربا لا هوادة فيها قط ..



وظلت تيامات تعمل بلا انقطاع.. فمن جوفها جاءت الوحوش  
المخيفة المفترسة وانطلق الثعابين المهولة ذاب السم وعلى  
سطح الماء برز رؤوس الثنائين ، بشعة تشير الرعب ، وخرج  
الكلاب مفترسة لا مثيل لوحشيتها ، والعقارب مخيفة سوداء  
كالمردة . ومن كل مكان انطلقت حيوانات اخرى كسيول شريده  
مجنونة .. تتحرك تحت امرة الوحش كنجو العملاق ، الذي  
وعده تيامات بالزواج واعطائه ملك كل شيء ، اذا تلعب على آلهة  
النور ، وسحقهم بذراعه القوي الجبار ..

وفوجيء الآلهة بعدوان تيامات . وكان اول من عرف نواياها  
هو الاله « آي » الذي ساق الخبر الى الاله « انصار » . وعجب  
هذا لموقف تيامات ، وامتلأ قلبه حنقا وسخطا ، يختلط بالخوف  
والرعدة مما قد يحل بسجتمع الآلهة .. وانطلق انصار الى الاله  
اونو « فكلفه الذهاب الى تيامات يسألها عن سر تحديها للآلهة .!

وانطلق اونو الى مملكة تيامات ..

غير انه ما كاد يقترب ، حتى نهض له « كنجو » .. الوحش  
المارد المستلقي الى جوار تيامات ، وهاجمه في شدة وعنف وجنون ،  
وتوقف اونو ثم حرك قدميه الى الخلف ثم ادار ظهره .. ثم  
ولى الادبار هاربا يجري في مواجهة الحيوان الصاخب المهول ..!

وتوالت مواكب الآلهة واحدا في اثر الآخر، لمقابلة تيامات ..  
ولكن احدا منهم لم يستطع الوصول اليها او مناقشتها .. ولا  
عرف احد منهم كيف يبج معها سر ذلك الغضب العنيف .

وجلس الجميع ذاب يوم يبحثون الامر وكان بينهم الاله  
مردك الذي لم يكن قد جرب حظه مع تيامات من قبل . ومن  
خلال الفصل الذي مي به الجميع اطلوا الى مردك وطلبوا  
مه ان ينازل الالهة المتوحشة . وبغير ما خوف انحى لهم مردك ..

وقد قبل النزال ، بشرط ان يقر له الجميع متى انتصر بأنه هو  
الاقوى .. ولا احد اقوى منه .

و لم يكن امام آلهة النور بد من القبول .. ومنح مردك  
السلطة السماوية الكاملة ليكون له حكم الكون كله !!

اراد مردك - قبل ان يمضي لمصارعة تيامات - ان يجرب  
ما لديه من فنون القوة . واتى الاله برداء طويل القاه امام كسل  
الآلهة .. وتلا بضعة تراتيل لم يكذبنيها حتى اختفى الشوب  
وتلاشى . واخذ بالآلهة العجب وطلبوا منه ان يعيد الرداء كما كان .  
وعاد مردك يتلو تراتيله فاذا الرداء يعود ، ويمتد في نفس المكان  
الذي كان قد تلاشى فيه .

واقترح مردك بأن احدا من الآلهة لم يعد له مثل نفوذه  
وسلطانه . فقرر البدء في رحلة الانتقام .

واتفرض مردك وهو ينهض ليبدأ الصراع الجبار . فبدأ  
رائعا وهو يتحرك ومن امامه تبرق البروق ، ومن فوقه ترعد  
الرعود ، والقوس الضخم فوق ظهره ، والرمح الثقيل في يده ،  
والشبكة الهائلة التي قرر ان يصطاد بها الوحش كنجو الرهيب  
يجرها خلفه . لقد كان الاله المنتقم قد اعد عدته للكفاح ، ولم يعد  
هناك سوى ان يلتقي بروح الشر في جسد تيامات !!

واسمر الاله مردك يقود مركبة القدر ليصل الى حيث  
تجري المعركة . وعندما وجد انه قد اقترب من المكان ، نطق كلمة  
واحدة ، فاذا ربح مروعة تجري امامه ، واذا الريح تتحول فتصير  
عواصف وزوابع واعاصير تتجمع كلها لتكون سلاحا في يد  
مردك سلاحا اقوى من أي سلاح يمكن ان يحمله الاله ..

واطلت الحيوانات المهولة فاذا كل شيء قد انقلب ، واذا نور  
شع من خوذته يخطف الابصار ، فهرعت تختفي في اعماق الظلمة،

وافواها من الخوف ترسل الزبد ..! واسمر مردك ، مصحوبا  
بكل دعوات آلهة السماء ، في طريقه المرسوم .

وبلغ مملكة تيامات . واطل فاذا وحش مهول في شكل تنين  
مخيف يحاول النهوض من استلقاءته ، ومن عينيه ينطلق بريق  
مخيف ، ومن منخاريه يندلع لظى اللهب وفتح التنين فمه فاذا به  
كجهنم . النار تغلي فيه ، والاصواب المربعة ترعد وتدوي ولا  
تسكت ابدا ..

وتوقف مردك في مكانه . وزعق يخاطب تيامات من بعيد ..  
ويطلب منها ان تنجح الى السلم ، وتبعد عن رأسها فكرة العدوان.  
وقهقهت تيامات وهي تهتز . ثم سلطت في سرعة على عدوها  
اقوى ما عرفته من تعاويد السحر واشدها اثرا ..

ولكن مردك كان قد اعد العدة لابعاد السحر عنه .. وفي  
لحظة ، رفع شبكته الهائلة والقي بها في قوة الى حيث وقفت تيامات  
.. واندفعت الآلهة المهولة الى الخلف ، ولكن الشبكة امسكتها ،  
وجذبها الاله اليه ثم اطلق على فمها ريحا صرصرا عاتية .

ودخلت الزوبعة عنيفة بين فكي تيامات .. واخرقت الحلقوم  
لتدخل في بطنها الذي ظل ينتفخ وينتفخ .. وعندما بلغ آخر  
درجات الانتفاخ ، رفع مردك رمحه الضخم وطعن البطن المنتفخ .  
فانفجر في صوب صاحب كالرعد . وسقطت تيامات ميتة ..!

عندما انتهى مردك من قتل تيامات ، وقف فوق جسدها ، ثم  
قطع قلبها الشرير فألقى به في الفضاء الاسود . ثم تحول الى  
التنين الهائل فقضى عليه .. اما وحوشها الاخرى ، وتوابعها  
السود ، فقد اخذوا يصرخون وهم يحاولون الفرار ، ولكنه لم  
يسلمهم بل اخذ يلقي عليهم شبكة تصطادهم واحدا في اثر آخر .  
ووقعوا كلهم في الاسر .

وانحنى مردك على جثة التنين فأخذ منها جوب القضاء  
والقدر التي اعطتها له تيامات المذبوحة تلك الجوب التي تمنح  
النفوذ والسلطان - لكل من يحملها - على المصائر والاقدار .

وحملت رياح الجنوب دماء تيامات الى اماكن سرية مجهولة،  
حين كان مردك قد انحنى من جديد على جثتها ، وشقها جزءين  
مستطيلين رفع احدهما ليكون السماوات .. وخفض الآخر  
ليكون الارض !!

وعندما انتهى مردك من رفع السماء ، ثر على صفحاتها  
الكواكب لتضيء ولتجري في طريق منتظم مرسوم .

وعندما اضاء مردك السماء .. جعلها مكانا لاقامة الآلهة  
« اونو وبعل آي » اما الآلهة الاخرون فقد قسم عليهم الكواكب،  
ليكون كل كوكب بيتا لاله . ثم قسم السنة وجعل لكل شهر ثلاثة  
كواكب . كما جعل لاله القمر حكم الليل وضاءته . ومنحه كل  
شهر يوما يسريح فيه . اما الشبكة الهائلة التي صحبتته في معركته  
مع تيامات فقد جعل لها كوكبا ومعها قوس .. واما الرياح التي  
ساعدته في القضاء عليها ، فقد جعل لكل منها كوكبا جديدا .

واد انتهى مردك من اقرار كل اله فوق كوكبه ، وضع نفسه  
هو الآخر في كوكب كان اكبر من كل الكواكب الاخرى واضخم ..  
وجعله المصدر الرئيسي للور في صفحة السماء غير ان مردك لم  
نس الارض عندما كان يرفع صفحة السماء .. فقد كانت الارض  
التي وضعها في حاجة هي الاخرى الى معجزة .

واطل مردك وهو يفكر لقد كانت الآلهة في حاجة الى من  
تصلي لها ويعبدها. واذن فلتكن المعجزة هي خلق الانسان ..  
وانحنى مردك على الارض وشرع يعجن التراب بدمائه ويصنع

من الطين ناسا تقوم على خدمة الآلهة والصلاة لهم وعبادتهم ..  
وهكذا خلقت البشرية !..



عسرت الارض بالمخلوقات الجديدة وطقق البشر يتزاوجون  
ويتناسلون ، ويسيون الصلاة للآلهة التي خلقتهم وسوت لهم  
الارض وقدمت لهم النور من السماء .. ولكن الامر لم يكن  
يسر طويلا على منوال واحد .. فاذا القوم كلما ازداد عددهم  
سافروا وتنازعوا ، واذا الصلوات تقل والعبادة تنهار ، والشر يدخل  
كل يوم من حيب خرج الخير .. واصبح الخلق غير الخاق ..  
والناس غير الناس . وظهرت على الارض سلسلتان من البشر  
سيران في خطين متوازيين .. احدهما لا تزال متصلة بالآلهة ..  
اما الاخرى فقد قطعت كل صلاتها بهم ، ولم يعد امام اصحابها من  
هدف سوى الوصول الى اللذة من أي طريق .

وامتلأ الارض بالشر ..

واطل الآلهة من عليائهم ومأههم الحزن ..

ان الانسان لم يعد هو الانسان الذي خلقه مردك .. وجعله  
صورة منه كريمة بريئة طاهرة .. وغضبت الآلهة على مخلوقات  
الارض .. وكان اكثر الكل غضبا الاله مردك الذي قرر ان  
يرسل طوفانا عارما ليهلك البشر ويمحو به آثار اعمالهم العاصرة  
بكل ما هو سيء وخيب !..

غير ان آي .. اله الحكمة ، اخذته الشفقة على البشر ،  
واعترزم ان ننجي منهم على الاقل رجلا وامرأة .. يحفظان سر  
الخلق .

وكان « شمس نيشتين » وزوجته هما اللذان وقع عليهما  
اختيار الاله ..

وفي ذلك اليوم .. وبينما كان شمس نائما ، جاءه صوت  
الاله في الحلم يقول

– انهض يا بن « اوبارا توتو » .. يا من اطعت الآلهة ،  
وحفظت العهد الذي وضعوه فيك .. انهض فاهدم بيتك، واصنع  
من الخشب فلكا ضع فيه كل ما تحتاجه لحياتك .. وخذ معك  
حبة حية من كل شيء .. نحسبها كما نحسبك من الطوفان الذي  
سيحل على الارض التي امتلأت بالشر والفساد والطفيان !!

وصدع « شمس نيشتين » بأوامر الاله ..

ومع مطلع النهار نهض ليهدم بيته ، وبنى من الخشب فلكا  
ضخما ..

واستخدم شمس عددا من العمال واخذوا يعاونونه ويشقون  
له الالواح ، حتى اذا ما انتهت ايام سبعة ، كان الفلك قد نهض  
قائما على الارض كأحسن ما يكون الفلك ، وقد ضم بين جنباته  
كميات كبيرة من الخمر والزيت ، واكوام جبوب حية من كل نبت  
ظهر على الارض ، وزوجين من كل حيوان او طير جرت في عروقه  
الحياة ..

واطل شمس الى فلكه وامتأ رضا .. لقد كان طوله يصل  
الى ١٢٠ ذراعا وارتفاعه ١٢٠ اخرى . وكان مقسما الى ستة طوابق  
كل طابق مقسم الى تسع غرف ..

اما سطحه الخارجي فمدهون بالقطران ، وسطحه الداخلي  
بالقار .

وعرف شمس من الهه ان عليه الدخول في فلكه واغلاقه  
متى ظهرت الاشارة المتفق عليها .. وهي مطر غزير يسقط من  
السماء ..

ومر ايام .. وسقط المطر مدرارا ..

لقد اتت الساعة ..!

وانطلق شمس نيشين الى الفلك ومعه زوجته وابناؤه ..  
ومن خلفه اغلق الابواب ..

ومر بالافق سحابة سوداء غطت كل الارض .. يسوقها  
لاله رامان مطلق الرعود ، وتمسك بسكانها الآلهة اورجال «  
ومن خلفهما الالهان «نابو» و مردك .. يفتحان للمطر  
كل طاقاب السماء ..!

واطبقت العاصفة والظلام على الارض وراح الناس  
ساقطون غرقى وصرعى . حتى الذين ركضوا يطلبون النجاة في  
لاقبية والغرف ذاب السقوف، ما استطاعوا ان يجدوا تحتها منقذا  
من الطوفان .. ولا الذين لجأوا الى قسم الجبال ، فقد طغت  
ماء .. وارتفعت حتى اختفت كل الجبال التي تحت السماء ..!

واستمر الطوفان ستة ايام .. كان فيها الكفاية لتطهير الارض  
من كل من في أنفه نسمة حياة .. من انس وطير وبهائم ووحش ..  
ولم يعد هناك سوى شمس . وكل من حل معه في الفلك الامين ..

وجاء اليوم السابع .. فهدأ الامطار ، وانسدب ينابيع  
لسماء .. وبدأت المياه تنجاب عن الارض .. واطل شمس نيشتين  
من طاقة في الفلك ثم صرخ عاليا .. لقد كان الناس جميعا غرقى  
في الطين ، وحيث كانت تمتد الحقول ، ظهرت هناك مستنقعات  
وبرك .. لم يكن هناك شيء حي .. وكل العالم لم يعد يظهر منه  
سوى بحر مهول عملاق ..

وظل شمس يبكي ، والفلك يسير على سطح الماء في اتجاه  
سيار ينخفض ويرتفع والمياه تتناقص من حوله شيئا فشيئا ..

حتى اذا سى اثنا عشر يوماً ظهرت الارض من بعد ..

وكانت الارض التي ظهرت ، هي قمة الجبل نازير

وارسل شمس غراباً يسطاع حال الارض . ولكن  
الغراب برغم انه لم يجد مكاناً يحط عليه ، الا انه انشغل في نهس  
الجثث الكثيرة المستلقية ، ولم يفكر في العودة الى الفلك .

وانقضت ايام سبعة اخرى ..

وارسل شمس عصفوراً ولكن العصفور ظل يطير من  
مكان الى مكان فلا يبصر شجراً او ارضاً جافة ، ولم يجد مستقراً  
لساقه فاضطر آخر اليوم للعودة الى الفلك .

وانقضت ايام سبعة ثانية ..

وارسل شمس يمامة .. ظلب تطير وتظير باحثاً عن مقر تحط  
عليه فلا تبصر ارضاً جافة .. ولكنها ما تكاد تفكر في العودة حتى  
تبصر اشجاراً خضراء فتحط عليها ثم تحمل في مقارها ورقة من  
غصن الزيتون تعود بها الى الفلك ..

وابتهج شمس .. وعرف انه الفرج ..

وفتح ابواب الفلك ، وخرج ومعه حاجاته وعائلته .. وكل  
الازواج الحية من حيوان وطيور .

وفي اللحظة التي لمست اقدامهم فيها الارض انكفأ شمس  
على وجهه وخر ساجداً ثم بنى مذبحاً وقدم عليه قرابين الشكر ..  
من اعواد القصب والبخور ..

وشمت الآلهة الرائحة الذكية فتعجبت .. ثم راحت تتجمع  
كالذباب حول القربان . وبين الجمع .. كانت هناك اشتار .. ربة



الحب والربيع - التي رفعت قلاذتها الالهية تحيي بها صاحب القربان • ثم قالت

- باسم جواهري الالهية التي تحيط بعقبي لن انسى هذا اليوم ابدا •• سأضعه دائما في ذاكرتي ، وسأذكر به كل الآلهة الذين يحيطون الآن القربان • حتى مردك •• مردك الذي لا يريد ان يقترب من قربان الانسان •• ورفض من قبل ان يجمع مجمع الآلهة يستشيرهم ، وارسل الطوفان يقضي به على عبيدي المخلصين ويسلمهم للهلاك والدمار •

والحق ان مردك لم يكن بعيدا عن القربان • فقد كان يقترب منه هو الآخر ، ويعجب لهذا المخلوق الفاني كيف نجا من الطوفان •• ويقسم ان لا بد من قتل شمس ••

ووقف الاله آي •• الذي كان قد اوحى الى شمس ببناء الفلك فأنقذه •• وقف يدافع عن المخلوق الفاني الذي اخلص للآلهة ولم يحقد عليها بل كان اول ما فعله حين وضع قدمه على الارض ان قدم لها القرابين • واتقد آي مردك الذي لم يستشر الآلهة عندما اتخذ قراره المدمر لمخلوقات الارض ••

واستسلم مردك آخر الامر •• واقترب من القربان •• ثم اخذ بيد شمس وزوجته وباركهما وسوى لهما مستقرا جديدا عند مداخل انهار الارض ••

وعاد الآلهة الى السموات •• ولكنها لم تنس قبل عودتها ان تكافئ شمس الذي قدم لها القربان •• وحفظ لها الجنس البشري ••

ومنح شمس سر الخلود •• ورفع الى مرتبة الآلهه •• واصبح عليه ان يقيم في مستقره عند مدخل الارض حتى الابد •• لا يغادره الا في رحلة يومية طويلة يرافق فيها موكب مردك ،

ليشرف بنائه البشر الذين ينطلقون في الارض ليعيدوا اليها  
المجد والحياة •• ثم يعود آخر اليوم الى مستفره ، ليستأنف مع  
الصبح رحلته الطويلة الخالدة من الشرق الى الغرب ••  
وانطلقت البشرية تحيا من جديد ••

هكذا كانت قصة الخلق والطوفان التي عرفها اهل العراق  
القديم تضع الحدود بين الآلهة التي تصورها الناس والبشر الذين  
عاشوا على ظهر الارض في منطقة ما بين النهرين •• واذا كان الحديث  
عن عقائد هذه المنطقة منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة يشمل الحديث  
عن ثلاث عقائد مختلفة عرفتها ثلاث عصور تاريخية هي عصر  
السومريين وعصر البابليين وعصر الاشوريين •• الا ان قصة  
الطوفان الذي نزل بالارض والبشر تكاد تكون واحدة في مختلف  
هذه العقائد •• فقد تناولت الوثائق القديمة الشعبية كيف نزل  
نظام الحكم من السماء وكيف قام ثمانية آلهة بالحكم في ثمانى  
مدن مختلفة وحكم كل منها عددا من السنين يزيد على الالف ••  
ثم انتهى حكمهم بحدوث الطوفان الذي عم العالم كله واهلك  
الحرث والنسل •

ومن خلال محاولات العلماء لاستقصاء حقيقة ما جاء في هذه  
الوثائق الشعبية القديمة عن الطوفان ، تأكد ان هذه الوثائق كلها  
— مع وجود بعض الاختلافات من حيث وصف الطوفان وتناججه  
ومسبباته — ترجع الى اصل واحد تناقلته الاجيال وتحدثت به  
افواه الناس الى ان تعلموا الكتابة فسجلوه في اكثر من وثيقة •  
وانتهى حديث العلماء الى تحديد تاريخ حدوث الطوفان في القرن  
الاربعين قبل الميلاد • والغريب ان الابحاث العلمية التي جرت في  
اكثر من مكان في بلاد العراق القديمة — كما يقول الدكتور عبد  
المنعم ابو بكر — قد وصلت الى ظواهر تؤكد ثبوت حدوث فيضان  
كاسح حوالي منتصف القرن العشرين قبل الميلاد •

## عقائد السومريين

كان السومريون الذين تقع اراضيهم في الجنوب من الاقليم الواقع بين بعداد والخليج والذي يضم اكاد في الشمال هم اول من تتبعهم التاريخ من اصحاب حضارات ما بين النهرين . وكان المجتمع السومري ينقسم الى دويلات ومقاطعات ومدن . وكانت المدينة تكون في المجتمع خلية كاملة تحوي كل ما تحويه الدولة بالمعنى المتعارف عليه . فمن حولها الاراضي المزروعة وفي وسطها معبدها الذي تتركز فيه الحياة الدينية الخاصة بعبادة اله المدينة المسيطر على كل ما فيها حيث يعتبر المعبد المركز الحيوي لكل مظاهر الحضارة في المدينة تتجمع من حوله كل اوجه النشاط . وكان الاله يعتبر سيد المدينة الحقيقي وعليه ان يختار وكيلا يسونه « ايشاكو » يتولى الحكم وتعهده اليه باسم الاله رعاية سنون الاهالي . وهكذا جمع الحاكم مهمة تعريف الامور الى مهمته الدينية في الوقت نفسه بتولي الاعمال الكهنوتية بصفته الكاهن الاكبر للاله .

وكشفت النصوص التي عثر عليها بين اطلال معبد مدينة العبيد « عن كهنة الهة المدينة وهي الالهة « نين - هرساج » والقابها « ام الالهة والبشر ، التي ترعى امراء المستقبل » وكانت تمثل على هيئة بقرة لم تلبث ان اختارت لها زوجا هو « نانا » اله « اور » الذي مثل على هيئة الثور القوي والذي يرمز به الى القمر .

اما اله مدينة « لجش » فكان يدعى « نين جيسو » ويصور على هيئة نسر كبير له رأس اسد ويقبض على حيوانين . وقد استمر هذا الاسلوب في تصوير الالهة على هيئة حيوان يتكون من اكثر من عنصر منتشرا في العصر السومري وانتقل منه الى العصر بابلي .

وقد اعتقد السومريون في حياة خالق الموت . وكان الحاكم يدفن في تابوت يوضع في قبو بني من الحجر ويحاط بعدد من

رجالته و... وحرص اهل سومير على تزويد الميت بحاجياته الشخصية سواء بلفها مع الجثة او وضعها بجواره داخل التابوت. وكانوا يضعون خارج التابوت قاربا صغيرا مملوءا بأواني فخارية مختلفة الاحجام تحوي انواعا كثيرة من القرابين .. فقد اعتقدوا بأن الميت سوف يضطر في رحلته الى العالم السفلي الى استخدام قارب مزود بأنواع المأكّل والمشارب . ولقد اثبتت الحفائر ان الناس كانوا يدفنون مع ملوكهم عددا كبيرا من العاشية يقتلون في نفس اليوم وتوضع جثثهم في الحفرة للقيام على خدمة حاكمهم .. وكان ذلك حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م في مدينة اور ..

### عقائد الاكاديين

في الشمال من دولة سومير تقع دولة اكاد حيث قامت الاسس الدينية فيها على نفس العقائد التي كانت سائدة عند السومريين . فقد اعتقدوا ان العالم في بدء امره كان يتكون من عنصر واحد هو الماء .. يحوي عنصرين ازليين هما المياه العذبة ابسو والمياه المالحة تيامات كما جاء في اسطورة الخلق والطوفان .. وتزاوجهما اثبتت الخليقة .. الآلهة والبشر . وكانت الالهة عندهم مخلوقات سماوية يمتازون عن البشر بحياة ابدية وان كانت تسود بينهم وتربط بين الواحد منهم والآخر نفس الاحاسيس البشرية . والالهة جميعا محبوبون للخير اما البشر فكانت هناك مخلوقات مثله ليسوا ببشر كما انهم لا يرقون الى مصاف الالهة . وبينما عبد الناس الآلهة وقدموا لها القرابين . حاولوا الاتصال بمخلوقات الشر عن طريق السحر فقط رغبة في ابعاد اذاهم عن انفسهم .

وكان العالم ينقسم عندهم الى ثلاثة اقسام

- السماء ويسطر عليها الاله آدوم او انو
- الهواء والارض ويسيطر عليهما الاله انليل
- البحار والمحطات ويسيطر عليها الاله « انكي

وكانت هناك عدا هؤلاء مجموعة كبيرة من الالهة تمثل قوة الطبيعة والعناصر المهمة في بيئتهم • اما الناس فقد خلقوا من طينة الارض وشكلوا حتى يشبهوا الالهة وما خلقوا الا ليكونوا خداما مطيعين لهم • ولذلك اعتبر الناس انفسهم ملزمين امام الالهة بأمرين اولهما خشية الاله •• وثانيهما العبادة وتقديم القرابين •

ويبدو ان فكرة الجنة والنار والنعيم الدائم والعذاب المخلد لم تكن قد استقرت في عقولهم بعد • وعلى ذلك ففكرتهم في القيام بالصلاة وتقديم القرابين لم تكن للحصول على الحياة الخالدة بل طمعا في النعم المادية الملموسة في الحياة الدنيا • وعقيدتهم في ذلك هي ان الانسان ما دام يعمل صالحا فقد استحق رضى الاله وعاش متمتعا بالسعادة • اما اذا اذنب بقصد او بدون قصد فان الاله حاميه يخلى عنه فتتلقفه مخلوقات الشر وتردى في عالم الرذيلة • واذا راد الانسان ان ينجو من عالم الرذيلة فعليه ان يلجأ الى السحر ويتمتع بتعاونه التي علمها الاله « انكي » للناس فحفظوها عن ضرر قلب • وكان الفرد الذي يتعلمها يصبح كاهنا لا عمل له الا مساعدة الناس للتخلص من ايدي مخلوقات الشر والعودة الى حظيرة الالهة •

### العقائد البابلية

في حوالي عام ٢١٠٥ ق ٠ م • ظهرت اسرة سامية اسسها رجل سمه سموآبوم بدأ كفاحه بالقضاء على امراء الدويلات الجنوبية به اعلن نفسه ملكا على بابل بعد ان بسط نفوذه على سومير واكاد وبذلك حقق نهائيا وحدة البلدين تحب صولجان واحد • وعندما جاء حمورابي بعد ذلك بعدة سواب استمر في توسعه نحو الشمال والجنوب ووصل شمالا الى اعالي نهر دجلة وضم بلاد الاشوريين اليه •• كما وصل بحدوده الى الخليج الفارسي • ولقد بقيت العقائد الدينية في عهد امبراطورية بابل على ما كانت عليه في العصور السابقة • واستمر عدد الالهة بعددهم وافر الذي لا يقل عن خمسة وستين الف اله •• ولا غرابة في

ذلك لانه كان لكل مدينة اله يحميها ثم لكل قرية ولكل جماعة  
ولكل اسرة واخيرا لكل فرد اله يحميه .. هذا غير الالهة الكبرى  
التي تمثل قوى الطبيعة والتي كان الجميع يتعبدون لها .

وعندما اسمر الامر لحمورابي جعل من الاله مردوك «  
معبود مدينة بابل المحلي » الاله الاعظم للامبراطورية وسيد الالهة  
اجعيين واستجاب الكهان لرغبة حمورابي فاسرعوا بتأليف  
القصص ونسجوا حول الاله الجديد كثيرا من الروايات .. وكان  
اهمها وابرزها قصة الخلق البابلية التي تتحدث عن بدء الخليقة  
وكيف اسطاع مردوك ان يصبح سيد المجتمع .

واما عن الدنيا الثانية فقد آمن البابليون ان الناس بعد موتهم  
نذهبون كلهم .. العبقري منهم والابله .. القديس والمذنب ..  
الى مكان مظلم في جوف الارض سموه ارالو « هو بمثابة دار  
العقاب .. حيث تقيد فيه ايدي وارجل الموتى ابد الدهر وحيث  
ترتجف اجسادهم من البرد ، وادا لم يتفضل ابناء الموتى واقرباؤهم  
بوضع الطعام لهم على مقابرهم في اوقات معينة فسوف يجوعون  
ويضأون . وكان اكثر اجسام الموتى تدفن في قباب ونادرا ما  
كانت الجثة تحرق وتوضع بقاياها في قدر وكانوا يعتقدون ان  
الميب الذي لم يعنى بدفن جثته على احسن وجه سوف يسبب  
العذاب للاحياء .

ومن الغريب ان التمسك بأهداب الدين البابلي لم يكن  
يتعدى تقديم القرابين للالهة .. وما دام البابلي قد قام بما حق  
عليه نحو الهه من تقديم القرابين - وهي تذهب بالتالي الى  
الكهنة - فقد اصبح في حل بعد ذلك من ان ينفق عين عدوه  
المهزوم ويقطع ايدي الاسرى وارجلهم ويشوي ما بقي من اجسامهم  
وهم احياء .. دون ان يؤذي بذلك آلهته ..

## العقائد الاشورية

اما عند الاشوريين فقد بقيت الاصول الدينية البابلية ايضا في جوهرها تهيمن عليهم كما يقول د. عبد المنعم ابو بكر في دراسته حضارة الشرق القديم . . اللهم الا ان الدين لم يكن له من السلطان على اصحاب الحكم بقدر ما كان له في بابل . . وقد كيفوا الدين بحيث يصبح ملائما للميول الحربية والطابع العسكري الذي تميز به الاشوريون .

وكان « اشور » هو الههم القومي ، وملك الالهة جميعا ، فهو خالق البشرية ، كما انه كان الها حربيا لا يشفق بأعدائه . وكانت زوجته « عشتار » المحاربة ، تحتل المكانة الثانية في مجمع الالهة الاشورية الذي يشمل الالهة « سن » و « شمس » و « اداد » و « بعل » و « نابو » و « نرجال » و « نسكو » .

وتتكون الطقوس الاشورية الدينية من ادعية وصلوات مصحوبة بتقدمات مختلفة والنقوش الملكية مليئة بالدعوات مثل

« فلترض عني الالهة عندما ارفع يدي اليها . ولتمنح حكمي امطارا غزيرة واعواما كثيرة مليئة بالثروة والرخاء . ولتعاونني على الخروج من الحروب سالما آمنا . ولتخضع لي كل الاقاليم المعادية وكل الملوك والامراء الذين اعلنوا الخصومة ضدي . ولتسبغ بركاتها علي وعلى نسلي .

اما العقائد الاشورية الخاصة بدنيا الموب . فكانت مثلها عند البابليين . لا تعطي الفرصة لمن عمل صالحا ان يتمتع فيها بشيء . فلم يبذل الاشوري أي جهد ليقوم لنفسه مأوى يمضي فيه حياته الثانية هائتا سعيدا . . بل كان همه ان يرضي الالهة لتمنحه السعادة والرخاء في الحياة الاولى . ولعل اوضح مثل لذلك ما قاله الملك اشور بني بعل للالهة التي رمم معابدها امنحوني - انا الذي اخشى معبوداتي العظيمة - حياة تمتد اياما طويلة وسرور القلب » .

● اله السماء •• اونو •• يمثل مركز الصدارة بين المعبودات في قوائم الآلهة في العراق القديم • وكان يعتبر ابا للآلهة •• وكما ان الآلهة كالناس والدول تنهار فقد انهار حين ضاع نفوذ سومر واكاد •• اختلس منه وظائفه مردوك البابلي حين بزغت شمس بابل •• ثم اختلس وظائف الاثنين اشور « حين اصبحت لدولة اشور السيادة •

واونو هو اب السموات وملكها ، وعرشه على قمة قبة السماء •• ويحكم اونو مجموعتين من الآلهة هما الاجيجي « في السماء و الانوناكي » في الارض • وهم الذين يقتسمون التصرف في شؤون العالم باشرافه •

● اله الارض انليل كان سيدا للمجمع السومري للآلهة •• ومعنى اسمه سيد الريح والروح « ثم اخذ بعد ذلك لقب « سيد الارض » • وكسيد للارض يحكمها كان يحكم البشر • وكانت له شبكة يعيد بها العصاة • وله مظهر الجندي المغوار الذي تهز قوته السموات والارض • وكان « سن » اله القمر يسمى احيانا « ثوير انليل القوي » وكان يعتبر انا له يتناوب اخذ الشبكة من ابيه •

● اله الماء •• انكي او « ايا كان ثالث افراد الثالوث الرئيسي • وكان يسكن التمييز بين ثلاثة انواع من الارض •• الارض العليا حيث يحكم انليل •• والارض السفلى حيث يحكم نرجال •• والارض الوسطى ما بين الاثنين حيث مملكة « ايا » او انكي « سيد الماء المقدس •

وكان اله الماء لها للسحر ولعل ذلك يرجع الى استخدام الماء العذب في طقوس التطهير • وهو الذي يتلو الرقي للآلهة •• ولهذا اتى مردوك اليه في محنته ليعرف الطريق الذي يسلكه • وكان انكي كذلك لها للحكمة التي ترجع الى اصل الهي فهورب العقل



والذكاء • اذنه كبيرة مفتوحة • وكاله للعلم ورب للفنون والصناعات  
يستلهمه الصناع والفنانون • وقد تمت عملية خلق البشر على يده  
فهو الذي شكل الانسان من الطمي ونفخ فيه نسمة الحياة • •  
وهو الذي استنجد به مردوك عندما خلق الانسان الاول • • ولهذا  
فرض على البشر عبادة الالهة على الارض •

● اله العالم السفلي • • رجال • • وهو اصلا اله الوباء  
المنوط به تعمير العالم السفلي والذي يعاقب بالحديد والنار من  
يعتدي على الشريعة • وكوكب نرجال هو المريخ ، وقد استطاع  
نقوته ان يسيطر على الاراللو • وزوجته هي ارشكيجال سيده  
الارض العظمى • وقد نشأ نرجال الها شمسيا وهو يشارك اونو  
واثيل ايا في ملك العالم • وهو منفذ الامور الكبرى وهو من  
يعهد اليه اونو بمعاينة المدن التي تثور ضد السماء بما فيها بابل •  
ورمزه الاسد واحيانا ثور او تين او غراب • ويقولون ان امرء  
لا يستطيع ان يقاومه فالبشر اسرى القدر ولا يستطيع ان يفلت  
منه واحد منهم بل هم يستسلمون في نهاية الامر •

● اله الشمس • • شمس • • واكثر صورته دائرة بأربعة اشعة  
تخرج بينها اشعة مجمدة تمثل المعبود الشمسي • ورمزا لطيران  
الشمس من الشرق الى الغرب تصور الكرة الشمسية ذات  
اجنحة وذيل طائر • وحين تترك الشمس عرشها لتعبر الفلك  
تستطي حصانا • اما صفا الاله فهو ضوء العالم • • ضوء الاعالي  
والاعماق • • ضوء السموات والارض • • ضوء الالهة • • يعيد  
الظلمات ويقصر الايام ويطيل الليالي وتتوقف عليه حياة البشر • •  
وهو مانح الحياة ومحيي الموتى • • وهو الذي يقود العالم كله • •  
الالهة والبشر • • وكظافر منتصر على الليل والموت يعتبر بطلا • •  
وبصفته كذلك كصاحب للاشعة التي تخترق الظلمة التي يعمل فيها  
الاشرار • • والفجر عدو للشر •

● اله القمر • • سن • • قال له مجمع الارباب منذ بداية

العالم .. بداية الشهر ستلتئم بقرون تحدد ستة أيام ، وهكذا ظهر الاله سكير « كثور قوي قرونه شديدة، وهو سيد التاج » .. يعين الملك ويمنح الصولجان .. أو ينزعه . وحين ينحدر الشهر يتحول اله القمر الى شيخ مسن له لحية من لازورد ينفذ بحكمته واقواله الرصينة قرارات الالهة وعدد اقدار البشر . وهو يباشر تنفيذ العدالة مع شمس في الليل وفي النهار وزوجته هي « بنجال » أي السيدة العظمى وقد ولد لهما شمس اله الشمس وعشتار ربة الزهرة .

● الهة الزهرة .. عشتار .. احدى بنات سن اله القمر .. وهي ذكر في الصباح يشرف على الحروب والمذابح .. واثى في المساء ترعى الحب والشهوة . فهي ربة هلوك تسعى وراء اللذة والاغواء . ورمزها نجم تخرج منه ثمانية من الاشعة او ستة عشر داخل دائرة . وقد دعا اونو الالهة ليمنحوها لقب «عشتار النجوم» لانها اكثر اشعاعا بينها ولهذا فهي التي تقود النجوم . وكوكب الزهرة .. نجم الفجر .. هي المرحلة بين مسلكة الظلام عرش اختها ارشيجال ومملكة الضوء عرش اخيها شمش . وهي في شجاعة اخيها وقوته وفتوته وسيدة المعارك تقضي على من تناول القانون بالتحوير او التغيير . وهي في نفس الوقت ربة العشق التي تحب المتعة والفرح وترتبط عبادتها بالعاشرات المقدسات وقد استطاعت ان تطغى على اختصاصات غيرها من المعبودات وكانت زوجة وعشيقة لكبار الالهة .. اونو وانليل واشور .. وهي بذلك « رفيقة كبار الالهة » وهي التي تحدد مصائر البشر .

● الاله مردوك .. الاله الوطني الذي لعب دورا رئيسيا في مصير بابل . وهو الابن البكر « لانكي » او « ايا » اله الماء . ورث عن ابيه العلم والسحر وهو الذي يتلو الرقى والتعاويذ للالهة ولردوك اربعة عيون واربعة آذان فهو « اعقل العقلاء بين الالهة » تسلم منهم القوة التي استطاع عن طريقها ان يدير شؤون السماء

والارض • وقد تركب فيه صفات الالهة جميعا وكلمته تخلق الخلق او تحوهم • وفي السماء كوكبه « المشتري » • ويصور مردوك احيانا في عجلته الحربية كاله للعناصر التي اطلقت من عقالها • وهو في السلم الاله الخير الذي يرعى الاقوات والشراب ويشرف على الاعمال العمرانية • وهو لا يستخدم اسلحة الحرب الا للدفاع عن الوطن •

وقد انتشرت عبادة مردوك من العاصمة بابل الى الامبراطورية وكانت توضع في المدائن الاخرى تماثله الى جانب المعبودات المحلية •

● الاله اشور •• وتاريخه مرتبط بتاريخ مدينة « اشور » يشغل في مجمع الالهة الاشورية وقائمتهم المكان الاول ويشار له كصاحب اعلى المراكز بين المعبودات وتاريخه في تصاعد مستمر ذكبر مع مدينته ثم زاد نموا مع بلاده واغتصب اختصاصات غيره من المعبودات وكسف زملاءه ومنافسيه فكان ابا للالهة بدلا من اونو والها للارض بدلا من انليل •• بل غدا خالقا للالهة جميعا •• سيدهم وملكا عليهم • وهو الذي يمنح التاج والصولجان للملك •• ويمتدح الناس قوته ويترنمون بعظمته وجلاله وهو يرأس مجمع الالهة الاشورية ليحدد مصائر البشر • ولهذا تقدم له الصلوات والقرايين •• ويقف الناس كل صباح متوجهين اليه بالدعوات •••

الا ليهدأ الغضب في قلب مولاي ••

الا ليهدأ قلب الهي ••

انا لا اعرف الاثم الذي ارتكبت

سوءاتي اجهلها

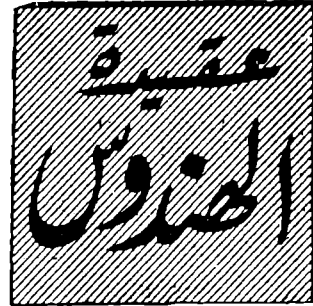
فليذكر الهي اسما طيبا

ليذكر الاله المعروف انني اكلت حطاما طاهرا

وشربت شراباً طهوراً

لقد آذنت يا الهي ما ليس بظاهر سهوا  
أي ربي .. ان آثامي كثيرة وتعدياتي كبيرة ..  
الاله في غضب قلبه تطلع الي  
الاله في هياج قلبه حاصرني  
سعيت وراء العون ولكن اجدا لم يأخذ بيدي  
بكيت ولكن واحدا لم يأت الي جانبي  
لقد غلبت على امري وانا مليء بالحزن  
الا فليهدأ الغضب في قلب الهي

## عقائد الهند



• تتعلق بي

كما تتعلق بمجموعة من الخرزات نحيط  
أنا من الماء طعمه العذب ،

وأنا من القمر فضته ومن الشمس ذهبها  
أنا موضع العبادة في القيدا ،

والهزة التي تشق أجواز الأثير ،  
والقوة التي تكمن في نطفة الرجل

أنا الرائحة الطيبة الحلوة ،

التي تعبق من الأرض المتبللة ،  
وأنا من النار وهجها الأحمر ،

وأنا الهواء باعث الحياة

أنا القدسية فيما هو مقدس من الأرواح  
أنا حكمة الحكيم وذكاء العليم ،

وعظمة العظيم ونخامة الفخيم

إن من يرى الأشياء رؤية الحكيم  
يرى أن براهما المقدس ،

والبقرة، والفيل، والكلب النجس ،

والمنبوذ وهو يلتمهم لحم الكلب

كلها كائن واحد

## من جسم مانو خلقت البشر

هو ذا يعيش وحده بعيداً جداً .. في اللانهاية .. حيث الفضاء رائع ،  
غريب ، عملاق يطل أمامه إلى حيث يستلقي كل العالم الذي لا يضيق  
بشيء ، ولا يتسع لشيء ، ولا يحده شيء على الإطلاق

لكأنا في أعماقه وهو يلقي بنظرته البعيدة هدير صاحب يقول

« أنا أقوى من السماء وأعظم من الأرض . وأرفع من كل هذه  
الأجرام والكواكب حولى . أنا أعلى من جميع هذه الأشياء . أنا الكلى  
فى الكلى . أفعل ما أريد . وأخلق كل ما يحظر لى . أنا جوهر هذا  
العالم الواحد الشامل لست بالذكر ولا بالأنى إنما أنا روح غير  
مشخص فى صفاته . أحتوى كل شىء وأكن فى كل شىء لا تدركنى  
الحواس لأنى أنا حقيقة الحقيقة . أنا .. راها »

غير أنه مع كل ذلك لم يكن يحس سروراً قط فلقد طالما كره  
تلك الوحدة التى تحتويه فى ذلك المحيط اللانهاى . ولعله لم يبلغ به الضيق  
ذلك الحد قبل هذه اللحظات التى بدا له فيها أن الأمر أصبح يتطلب  
شيئاً ثانياً .. شيئاً يستطيع أن يملأ بوجوده ذلك الفراغ الهائل الكبير .

وكان ما لا بد أن يكون

وبأطراف أنامله صنع راها شيئاً هائلاً كبير الحجم ليسكاد يعدل  
جسمه عملاقاً وعملاقة تعانقا . ونفخ الخلاق فى الجسد العملاق فإذا به  
ينشق نصفين .. نصفاً للرجل .. ونصفاً لامرأة .





وعلى سطح الأرض ، نشأ في العالم أول روج ، وأول زوجة  
واجتمع الزوجان فسكان أول نسلهما البشر  
وأطلت المرأة إلى رجلها . كان فيه شيء لم تفهمه ، وسر لم تدركه  
وفي الأعماق منها تساءلت « كيف استطاع ذلك العملاق أن يخرجني من  
نفسه ، ثم يخرج مني كل هذه الكائنات . أنه لشيء رهيب ، خارق  
شيء جعلني ابتعد عنه وأخفتني عن ناظريه !! »

وعندما غدا سهار بعد ليل . . كانت الزوجة قد اختفت في صورة  
بقرة ولكن الزوج كان في إمكانه أن يصنع نفس الشيء . فانقلب  
ثورا . وزاوجها . وكان بازداوجهما أن تولدت الماشية .  
وامتلأت الزوجة رعشة جديدة . ومن أجل أن تخفى عملت على أن تتخذ  
لنفسها هيئة الفرس ولكنه لم يمهأها بل انقلب هو الآخر في هيئة  
جواد .

وحولت المرأة لنفسها لتكون حمارة فحول هو الآخر نفسه ليكون  
حمارا من أجل أن تولد لهما ذوات الخوافر  
وانقلبت الزوجة عنزة . فانقلب لها تيسا . وتحول إلى نعجة فتحول  
كباشا ، لتكون لهما الماعز والخراف .

وعلى وجه الأرض راح كائنات جديدة تنطلق في كل مكان .  
تنوعت بينها الذكور والأنثى . حتى بلغ وجودها في التدرج إلى  
حيث النمل

ومن قمة اللانهاية ، أطل براهما وقد أدرك تلك الحقيقة . أنه هو هذا  
الخلق نفسه . . لأنه أخرجه من نفسه !

ومن هنا بدأت قصة الخلق كما يراها الهندوس . قصة الخلق التي  
قام بها « براهما » ، روح العالم ، عندما خلق « مانو » أول البشر  
ومن أول البشر خلقت البشرية .

\* \* \*

على أن الحياة عندما أطلت على كل البشر ، وجدتهم غير متساوين  
على الإطلاق رغم أنهم جاءوا جميعا من « مانو » أول البشر  
فالذى حدث تماما أن أربعة أنواع من البشر جاءوا من مانو  
فمن رأسه جاء أفضل الناس وأعظمهم قدسية وهم الكهنة البراهمة  
ومن ذراعه جاء من يليهم في الأفضلية وهم الملوك والحاربون .. ويسمون  
بالا كشترية .

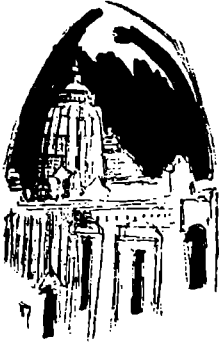
الطوائف  
عند الهندوس

ومن نخذيته جاء أرباب المهن في العالم بين رراع وتجار ممن يوفرون  
مسائل العيش للكهان والملوك والحاربين وهؤلاء هم الفيشية  
ومن قدميه جاء بقية الناس الذين ينتمون إلى الطبقة السفلى ، وليس  
لهم من مهمة سوى خدمة الطوائف الثلاث السابقة في أحسن حاجاتها  
وهؤلاء هم الذين يسمون بالشودرا .. أو المنبوذين

ومضت الطوائف الأربع منطلقة في الأرض لكل منها واجب  
ومهمة. البراهمة لدراسة أسفار الفيدا المقدسة وهي الكتب بقوانينها وشرائعها  
وتعاليمها وتقريب القربان وإدارة الضحايا ولهم الأخذ والعطاء . والملوك والحاربون  
لحماية الشعب وممارسة الإحسان والتضحية وتلاوة الكتب المقدسة وعدم الإنهماك  
في الشهوات . والتجار والزراع لتربية اللواشى وإيتاء العطاء والتضحية  
ودراسة الكتب المقدسة والبيع والشراء وحرث الأرض . أما المنبوذون







فليس عليهم سوى أن يضعوا أنفسهم تحت أقدام كل فرد من الطبقات  
للثلاث الأخريات !

وقال الكهنة أنه هكذا جعل براهما الخلاق أربعة أنواع مختلفة من الناس  
في طبقات بعضهم أفضل من بعض ، وبعضهم أسوأ من بعض . أما البراهمة  
فهم على رأس كل الطبقات حتى الملوك عليهم أن يحذروا فرض ضريبة  
على برهمي حتى ولو نضبت كل موارد المال الأخرى ، لأن البرهمي إذا ماثار  
غضبه يستطيع أن يسحق الملك وجيشه جميعا بتلاوة لعنات ونصوص مسحورة .  
فكل ماهو كائن في الوجود هو ملك للبراهمة والسخاء في العطاء للبرهمي  
من أسمی الواجبات الدينية .. حتى أنه يستطيع إذا لم يجد ترحيبا كريما في  
أحد البيوت أن يذهب عن صاحب البيت كل ما كان يستحقه من جزاء  
على ما سبق من حسنات . أما إذا اقرف البرهمي ما شاء من الجرائم ، فليس  
يحق عليه القتل . ولكن من حاول أن يضرب البرهمي فلزام عليه أن يصلى  
عذاب النار مائة عام . فإذا ضربه بالفعل فقد حقت عليه الحجيم ألف عام .

### المنبوذون

أما الشودرى المنبوذ ، فالامتثال المطلق لأوامر البراهمة هو أقصى ما  
عليه من الواجبات . إن خدمة الشودرى للبراهمة هي أفضل عمل يحمد عليه .  
ولا يجوز له أن يجمع ثروة أيا كانت ولو كان على ذلك من القادرين لأنه  
إذا جمع المال فسيصبح له ذلك أن يطاول البراهمة بوقاحته . وهو إذا علا فوق  
من هو أعلى منه بيده أو عصاه قطعت يده . وهو إذا نادى من هو أعلى منه  
باسمه أو اسم طائفته متكلمة فعقابه أن يدخل في فمه خنجر محمى مثلث النصل  
طوله عشرة قراريط . ويأمر الملك بصب زيت حار في فمه وفي أذنيه إذا بلغ  
من الوقاحة ما يبدي به رأيا للبراهمة في أمور وظائفهم .

وقد يحدث أن يعتدى رجل من الشودرى على عفاف برهمي ،  
Hassanen witwet 85

فإذا حدث هذا صودر كل ما يملكه وأنزل به عقاب يجعله لا هو بالذكور ولا بالأنثى وإذا قتل زميلا له كان عليه أن يكفر عن جريمته بعشر بقرات يهبها للبراهمة ، أما إذا قتل أحدا من الفيشية فكفارته للبراهمة مائة بقرة ، وإذا قتل أحدا من الكشائية ارتفعت الكفارة إلى ألف بقرة يعطيها للبراهمة . أما إذا قتل برهيميا فلا بد من قتله لأن العقاب بالقتل لا يكون إلا لقتل برهيمي !

الطوائف العليا  
والسفلى

وقال الكهنة البرهميون : هكذا كلما ارتفعت الطائفة التي يولد فيها المرء زادت امتيازاته في الحياة . فالذين من الطائفة العليا هم وخدم الذين يمكن أن يصبحوا كهنة ومعلمى عقيدة أما الذين يولدون في الطائفة السفلى فلا يمكن أن يصبحوا كهنة ولا حكاما، أو أن تكون لهم مراكز هامة من أى نوع .  
وتساءل بعض القوم

— أمان سبيل لإنسان من طبقة دنيا بلغ من الطيبة والصلاح أقصى الحدود وأصبح غاية في الشجاعة والذكاء ، أن يستمتع بنفس الامتيازات في الحياة كواحد من الطوائف الأعلى ! ؟  
— كلا . إذا ولد انسان في طائفة فليس له أبدا أن يستمتع بامتيازات الطائفة التي تلوه .

ومهامس بعض الناس

— إذن فلا جدوى في أن يكون المرء صالحا ؟

وهنا أجاب الكهنة بل هناك جدوى فانك إذا كنت صالحا في هذه الحياة فستجازى عن صلاحك في الحياة الأخرى . . . !  
وتساءل القوم : أية حياة ؟

ثواب الحياة  
الأخرى



وأجاب الكهنة لكل كائن حي روح . وهذه الروح تأتي من  
براهما روح العالم وبراهما لا يموت قط وهكذا فإن روحي الكائنات  
الحية التي تأتي من روح العالم لا تموت قط  
وتساءلوا من جديد إذن ما الذي يحدث للروح عندما يموت الإنسان ؟  
وكان الجواب : عندما يموت الإنسان تخرج روحه من جسده وتدخل  
على الفور جسد طفل ولد لتوه . فإذا كان الإنسان ممن يقيمون حياة طيبة  
صالحة ولد في طائفة أعلى بينما يولد في طائفة أدنى إذا كان يقيم حياة  
فاسدة مليئة بالشر .

وسأل بعض الناس وما الذي يحدث للإنسان إذا هو استمر يقيم  
حياة فاسدة بعد حياة أخرى أكثر فساداً ! ؟

وأجاب الكهنة : « مثل هذا الإنسان يظل يولد في طائفة أدنى من  
طائفته مرة بعد أخرى . وقد يولد عليلاً ليظل يشقى طوال حياته عقاباً له  
على ما أساء .. بل وما من بأس في أن يولد حيواناً أعجم . وقد يولد الإنسان  
الذي هو غاية في السوء فيلاً . وإذا صار فيلاً شريراً فإنه بعد موته يولد  
مرة أخرى كلباً . فإذا كان كلباً فاسداً ظل ينحدر كلما ولد حتى يولد  
برغوثاً أو بعوضة .. !

وأراد القوم أن يعرفوا السر الذي يجعل أرواح الصالحين من الناس  
تتجسد في طوائف أعلى . بينما يجعل أرواح السيئين تتجسد أجساماً من  
الطوائف الدنيا أو الحيوانات

وقال الكهنة : هناك قانون للحياة يقول « جزاء الخير خير مثله  
وعقاب الشر شر مثله . وهذا القانون اسمه الكارما »

ورأى الناس بالفعل أن هذا هو ما يجب أن يكون فالعمل الصالح

يجب أن يثاب عليه . والعمل السيء يجب أن يعاقب عليه المرء وبدأ صوابا لديهم أن يكون في الحياة مثل هذا القانون .

## النيرفانا

وظهر سؤال : ولكن ما الذى يحدث للمرء إذا هو استمر يحيا حياة صالحة بعد حياة صالحة أخرى ؟

وأجاب الكهنة : إذن يثاب . فإذا كان رجل من طائفة غاية في الأبحاث يحيا حياة طيبة فإنه يولد في المرة التالية في طائفة أعلى .

— وإذا ظل مواظبا على الصلاح . ؟

— يظل يرتفع مرة بعد مرة حتى يصبح كاهنا برهيميا .

وماذا يحدث لو أن الكاهن ظل صالحا . فبأى صورة يولد من جديد ؟

— عندئذ لا يولد مرة أخرى . فهنا تنتهى دورة الحياة .

— ولكن ما مصير تلك الروح التى تظل خيرة مع مجرى الزمن ؟

— إن أرواح الكائنات تأتى من براها روح العالم .. ف عندما تنتهى

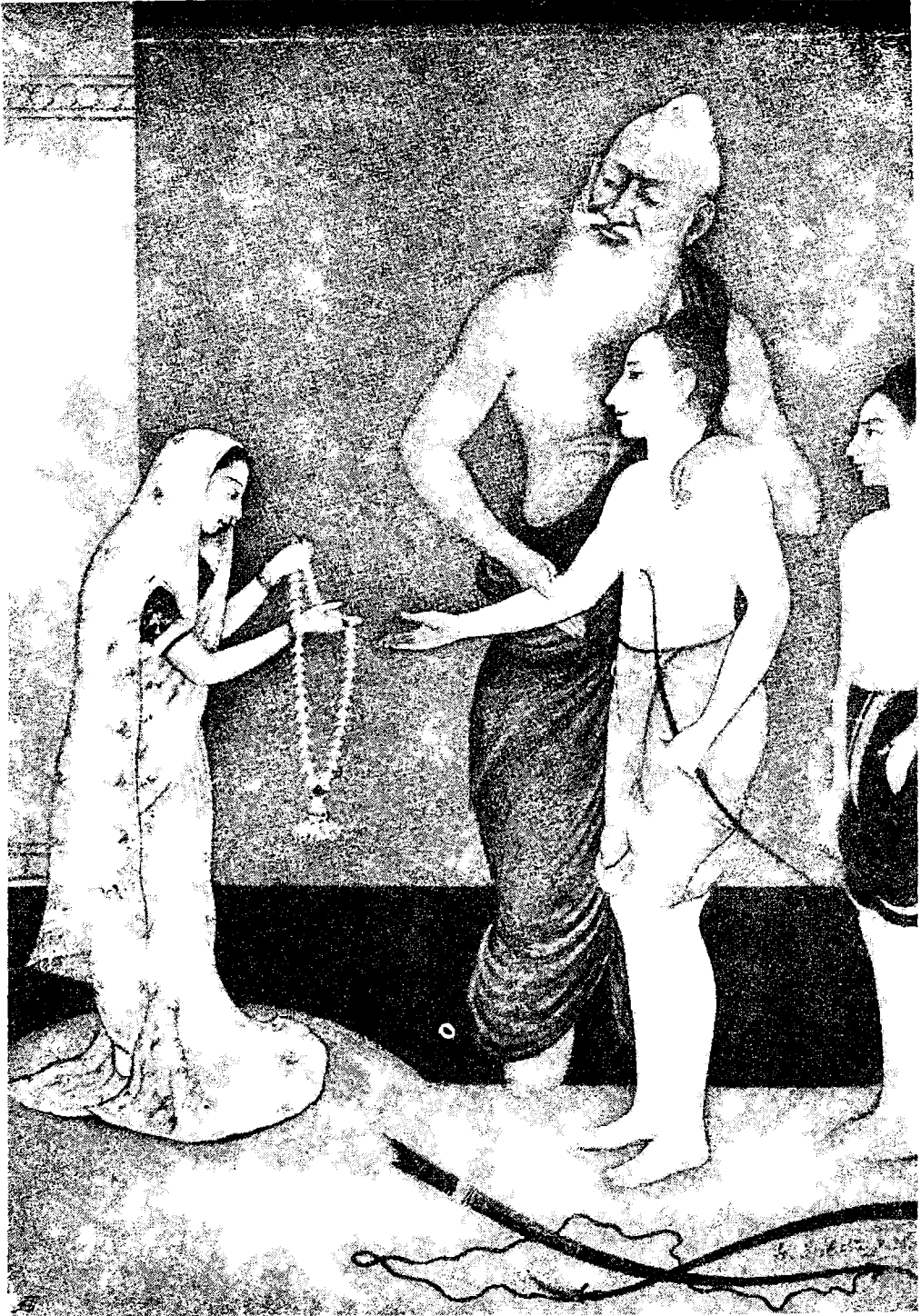
الروح من دورة الحياة تعود إلى روح العالم وتتحد مع براها وهذا هو ما يسمى بالنيرفانا .. وتلك أعظم سعادة يمكن أن تتمناها روح .. ومن هنا كان على كل الناس أن يحيوا حياة صالحة .. وألا يفعلوا الشر حتى يمكن فى النهاية أن يتحدوا مع روح العالم وأن يدخلوا للنيرفانا ؟

## نظرية التناسخ

من هنا بالذات . جاء تناسخ الأرواح كما يؤمن به الهندوس .. فالروح تتقمص عديدا من الاجساد خلال رحلتها فى الفضاء الخارجى حتى تصل إلى هدفها النهائى وتنطبق نظرية التناسخ على كل الكائنات سواء كانت بشرية أو حيوانية أو حشرية أو نباتية .. فكلها يحكمها



تمثال لاله  
الخالق براهما  
روح العالم غير  
المشخص في صفاته  
والمحتوي لكل شيء  
والكامن في كل  
شيء والذي لا  
تدركه الحواس



لوحة من « الرامايانا » الهندية من سلسلة لوحات تمثل  
اسطورة راما ويبدو الملك جاناك وهو يحتفل بزواج ابنته  
سيتا الى الامير راما اين داشاراذا والذي أصبح بعد ذلك  
Hassanen witwet احد رموز الاله



الإله ساراسفاني . واحد  
من آلاف الآلهة الهندية .. وهم  
آلهة يتميزون بكثرة أعضائهم  
الجسدية التي يمثلون بها قدرتهم  
الخارقة في العلم والنشاط والقوة .



لا كشمى زوجة قشنو . ربة الحظ  
السميد . وزوجها إله الحب الذى كثيراً  
ما قلب إنسانا ليتقدم بالمون إلى البشر .  
ويقال أنه هبط إلى جهنم ثم صعد إلى  
السماء على أن يعود فى اليوم الآخر  
ليحاسب الناس .

حتى الموتى قبل  
أن ينتقلوا إلى الدار  
الآخرة لا بد  
من تطهيرهم فى  
مياه نهر الجنجيز  
القدس







قانون واحد . . ولا تختلف روح عن روح إلا بقدر ما يقوم صاحبها به  
من أعمال .

\* \*

وعرف الهندوس الآلهة .

كيف عرفوها وما هي مهمهم في السماء ؟

الواقع أن أقدم ديانة في الهند كانت عبادة طوطمية لأرواح كثيرة  
تسكن الصخور والحيوان والأشجار ومجارى الماء والجبال والنجوم ..  
وكانت الثعابين والأفاعى مقدسة أما أقوى الآلهة فهي قوى  
الطبيعة نفسها وعناصرها السماء والشمس والأرض والنار والضوء والريح  
والماء والجنس

كل هذه الأعداد من الآلهة خلقها الهندوس لأنفسهم معتمدين على  
العناصر الطبيعية فجعلوا السماء أباً وسموه « فارونا » . وجعلوا الأرض  
أمّاً وأطلقوا عليها أسم « برينيفى » وكان المطر عندهم هو الإله « بارجانيا »  
والنار هي « أجى » .. والريح هي « فايو » أما العاصفة فهي « أندرا »  
والفجر « أوشاس » ومجرى الممرات في الحقل هو الإله « سيتا » والشمس  
هي الإله « سوربا » أو « مترا » أو « فشتو » بينما النبات المقدس الذى  
يسكر عصيره كل الناس وكل الآلهة هو الإله « سوما »

ومع الزمن تمثل الناس هذه الآلهة في صورة أشخاص راحوا يعبدوهم ..  
وأصبحت الشمس التى تهب الحياة إلهاً جديداً اسمه « سافيتار » وأما ضوءها  
فإله آخر اسمه « فيفاسفات » ثم أصبحت الشمس التى تولد الحى من الحى  
إلهاً عظيماً جديداً اسمه « براجاباتى » هى رب كل الأحياء ..

وإذ كثر عدد الآلهة نشأت مشكلة جديدة .. هي : «أى هؤلاء الآلهة خلق العالم؟»

وقال البعض إنه « آجنى » إله النار وقال آخرون بل « اندرا » إله العاصفة .. وقالت طائفة أنه « سوما » إله النبات .. بينما قال الباقون أنه « براجاباتي » إله الشمس خالق كل شيء ورب كل الأحياء .. وظل هذا الرب يرتفع ويعلو حتى صار ذات يوم يعبد على انه الإله الواحد . ثم صار هو « براهما » الذى يفنى فى نفسه كل شيء والذى ابتلع براجاباتي ذاته داخل جوفه الكبير .

فماذا يكون براهما هذا ذلك الإله الذى انتسبت إليه طائفة البرهمية . . . ومن يكون؟

براهما الخالص

لقد حاول الهندي الوصول إلى سر هذا العالم فى خلال سنوات التفكير الطويلة التى عز عليه خلالها أن يفهم : من أين جئنا ؟ وأين نقيم ؟ وإلى أين نحن ذاهبون ؟ . . . من ذا الذى أمر بنا فإذا نحن على الأرض أحياء ؟ أهو الزمان أم الطبيعة أم الضرورة أم المصادفة أم عناصر الجو ذلك الذى كان سبباً فى هذا الوجود؟ أيسكون السبب حقاً هو ذلك الشيء الذى يسمى « بالروح الأعلى » !!

أجابت على هذه الأسئلة « أسفار اليوباناشاد » وهى إحدى الكتب المقدسة للهندوس إذ تقول

« إن جوهر النفس ليس هو الجسم ولا العقل ولا الذات الفردية ولكنه الوجود العميق الصامت الذى لا صورة له ، والكامن فى دخيلة أنفسنا . . . واسمه : آمان . »

أما جوهر العالم الواحد الشامل الذى لا هو بالذكر ولا بالأنتى .



أى روح العالم غير المشخص في صفاته والمحتوى لكل شيء والكامن في كل شيء والذي لا تدركه الحواس . . فاسمه « براهما »

وآمان وبراهما ما هما إلا حقيقة الحقيقة . . روح الأرواح . . إن هما إلا إله واحد بعينه، لأن الروح اللافردية وهي القوة الكائنة في الإنسان هي بعبها روح العالم

من هنا يكون آمان وبراهما حقيقة واحدة . . هما أساس العقيدة بالوحدة المثالية . . وحدة الوجود ووحدة الإله . . وهما معاً القوة الروحانية المسيطرة على هذا العالم . .

ومن خلال تلك القوة الروحانية الهائلة . . بدأت قصة جديدة رائعة وكانت القصة الرائعة الجديدة . . هي خلق الأرض

خلق الأرض

ولولا التضحية . . لما كانت هذه الأرض . . ولما كان هذا العالم فمن جسد رجل عظيم خلقت الأرض. وكان هو رجلاً هائلاً ضخماً . . نحى بجسده على مذبح الآلهة ورضيت الآلهة عنه فحوات جسده إلى ذرات صغيرة عادت لتلتئم من جديد وتتحد جزئياً . . ومن هذا الاتحاد تكونت الأرض وكل ما يحيط بها من يابس وماء . .

من أجل ذلك لم تكن الأرض سوى جزء واحد من هذا الكون . . قسم واحد من بين واحد وعشرين قسماً ينقسم إليها هذا الكون ذوالشكل البيضاوي الذي يسمى « بيضة براهما »

أما الأرض التي عاش عليها مانو وأبناؤه من البشر . . فقد قامت في الطبقة السابعة من بيضة براهما . . من فوقها ترتفع ست سماوات، ومن تحته سبع أراض تعيش عليها أرواح الثعابين والحيوانات . . وهي خالية من البشر الذين لا يستطيعون الحياة فيها لأنها مليئة بالسكر والغموض، بكل

ما تحتويه من كنوز مخبأة وثروات ٠٠ أما أسفل هذه الطبقات السبع ٠٠ فتقع سبع طبقات أخرى ، تسمى « نراكا » كل مها تعتبرهم تصلى نيرانها كل المخلوقات التي تعيش في الطبقات السبع الوسطى ، حيث تتعذب لتكفر عن الذنوب التي ارتكبتها ٠٠

هذه الطبقات الواحدة والعشرون وحدات كونية تدور كل مها حول بعضها ثم تدور كلها في فلك معين ٠٠ أما الدورة الرئيسية فهي دورة « الكلبا » أى يوم البراهما الذى ايامر ٤٢٠٠ مليون من السنين ٠٠

ولكن إلى متى يظل العالم يعيش ؟

إن هذا العالم ليس مخلداً ٠٠ فسيجىء يوم يهـار فيه كله بسبب النار والفيضان ٠٠ وعندئذ سيدخل الإله فشنو ويحول دون احتراق العالم وغرقه .. وبدلاً من أن ينتهى العالم إلى الفناء فإنه ينتقل إلى عصره الذهبى وهذا هو أحد الأدوار الخطيرة التى يقوم بها الإله فشنو

وهذا الإله واحد من ثلاثة آلهة يسمون « الثلاثة فى واحد » يسيطرون على الكون هم :

براهما الخالق ٠٠

وفشنو الحافظ .

وشيفا المدمر

أما براهما فسيد جميع الآلهة رغم أنه مهمل فى شعائر العبادة الفعلية وكان له من الشهامة ما أبعدته عن الميل مع الهوى ٠٠ وهو القوة الخالقة فى الطبيعة ٠٠٠

وأما فشنو فهو إله الحب الذى ما أكثر ما يتقلب إنساناً ليتقدم

مألوت الآلهة



بالعون إلى البشر .. وأعظم ما يتجسد فيه فشنو هو شخصية « كرشنا » .. وهو في صورته الكرشنية ، مولود في سجن ، يأتي بكثير من أعاجيب البطولة ومغامرات الغرام ، يشفى الصم والعمى ويعاون المصابين بداء البرص ، ويدود عن الفقراء ويبعث الموتى من القبور . وكان لكرشنا تلميذ محب إلى نفسه هو « أرجونا » .. الذى تبدلت أمامه خلقة فشنو وتقول أسطورة حياته أنه مات مطعوناً بسهم ، وتقول أسطورة أخرى أنه قتل مصلوباً على شجرة ، ثم هبط إلى جهنم ومها إلى السماء ، على أن يعود في اليوم الآخر ليحاسب الناس أحياءهم وأمواتهم .. وهو — مثل الإله شيفا — تتبعه الأثرية الكبرى من سواد الشعب الذى يكرم الآلهة .. والذى يرسم الواحد منهم على جبهته كل صباح بالطين الأحمر علامة الفشنو وهى شوكة ذات أسنان ثلاث . بينما الشيفى المخلص لعقيدته يرسم ثلاثة خطوط أفقية على جبهته برماد من روث البقر أو يلبس « اللنجا » ويربطه إلى ذراعه أو يعلقه حول عنقه . أما أتباعه فيقدسونه على أنه هو الذى خلق الكون كله ، وأنه بعد أن قام من النوم أمر البراهما أن يخلق الأرض ، ثم اتخذ له مكاناً فى « الفيكوتتا » وهى السماء التى كان هو نفسه إلهاً لها وهناك يجلس فشنو على العرش بجانب زوجته والاهتين لاكشمى وسرى إلهتى الحظ السعيد والبركة الطيبة .. وفشنو ينتابه القلق أحياناً بسبب هذا العالم • فهو يهبط بين حين وآخر من عليائه يتفقد شئون البشر

وأما شيفا فعبادته من أقدم وأعرق وأبشع العناصر التى تتألف منها العقيدة الهندوكية وكلمة شيفا لفظ أريد به التخفيف من بشاعة هذا الإله ، ومعناها الحرفى « العطوف » ، مع أنه فى حقيقة الأمر إله القسوة والتدمير قبل كل شئ آخر وهو مجسد لتلك القوة الكونية التى تعمل واحدة

بعد أخرى على تخريب جميع الصور التي تنبى فيها حقيقة الكون .  
وشيفا لا يظهر عادة إلا في ميادين القتال والمعارك الضخمة والمنازعات  
الطاحنة . . وفي كل هذه الميادين تحمل بركته ، وهي دائماً بركة قاتلة . .  
أما تماثيله المنحوتة في الصخر فهي تمثله وهو يضع فوق رأسه عدداً من  
الجماجم وتحيط به أرواح الشر حيث يمارس رقصة العبوس والضراوة . .  
تلك الرقصة التي تنتهى بتحطيم العالم . وهكذا يمكن القول بأنه يمثل  
الدمار ويضع نهاية لكل شيء .

وإلى جانب كل ذلك فإن شيفا يعتبر الدفعة الجارفة نحو التناسل  
الذى يتغلب على موت الفرد باستمرار الجنس وهذه الحيوية الخلاقة  
الناسلة تمثلها الإلهة « شاكتى » زوجة شيفا . . وتسمى في بعض الأوقات  
« كالى » وهي تعتبر أكثر أهمية من لاكشمى زوجة فشنو ويقول  
أتباعها أن قوة الآلهة تحولت لكي تتجسد في جسدها ، فأصبح لها قوة  
منفردة . . وبينما الإله الذكر ليس في حاجة إلى أن يعبد ، إذ أن عبادته  
ليست عملية محبوبة في هذا العالم ، فإن كالى تصبح مصدر القدسية، والعظمة  
لكل المخلوقات. وعندما تكون كالى غاضبة فإنها ترقص في وحشية وترتعش  
فوق شيطان، وتصب نغمتها على المجرمين المذنبين . .

أما عندما تكون كالى راضية فهي في هذه الحالة تبدو سيدة جميلة  
شابة ، تمنح الحب والتسامح والكرم ، ويستطيع المتعبدون التقرب إليها  
بتقديم التضحيات ونحر الذبائح أمام معابدها . وهذه التضحيات كانت في  
أول الأمر سرية غير أنها اكتفت بعدئذ بضحايا الماعز. والإلهة كالى عند  
بعض الناس شيخ أسود بقم فاغر ولسان متدل ، تزدان بالأفاعى ، وترقص  
على حثة ميتة ، وأقراطها رجال موتى ، وعقدها سلسلة من جماجم ، ووجهها  
وندياها تلتطمحها الدماء . . ومن أيديها الأربعة يدان تحملان سيفاً ورأساً

الديته كالى



مبتوراً ، وأما اليدان الأخريان فمدودتان رحمة وحماية . ذلك أنها أيضاً إلهة الأمومة إلى جانب أنها رمز الدمار والموت . . وفي وسعها أن تبسّم كما أن في مقدورها أن تقتل . ويقال أنها هي وزوجها اتخذا أبشع صورة ممكنة لكي يلقيا الرعب في نفوس الرعايد فيحتشموا ، أو قد تكون هذه البشاعة كلها أريد بها أن تلقى الرعب في نفوس العباد فيحدودوا بالعباء للكهنة ! . .

**عبادة الفيلة** هذه هي الآلهة الرئيسية ، وإن كان هناك أيضاً بضعة آلاف من الآلهة الصغيرة . . هناك مثلاً إله آخر هو ابن شيفا واسمه جانيش هذا الإله هو الفيل الذي تتحسد فيه الطبيعة الحيوانية للإنسان ، وتتخذ صورته في الوقت نفسه طلسماً يقي حامله من الحظ السيء . .

**والفرقة**  
**والأفاعى**

وإلى جانب هؤلاء الآلهة هناك الفرقة والأفاعى . . وهي مصادر الرعب التي ترمز لطبيعة الآلهة . . ولعل أخطر هذه الأفاعى المقدسة أفعى تسمى « ناجا » لها عند الهندوس منزلة خاصة ، فعضة واحدة منها تؤدى إلى موت سريع . . ولهذا فهم يقيمون لها حفلاً دينياً كل عام تقدم لها فيها هي ورملائها من الأفاعى قرابين من اللبن والمور توضع عند مداخل جحورها

وأكبر مراكز عبادة الأفاعى في شرق ميسور فهناك في معابد هذا الإقليم تسكن جموع راخرة من الأفاعى حيث يقوم الكهنة على إطعامها والاهتمام بها

وإذا كانت القردة والأفاعى لها هذه القدسية عند الهندوس فهناك من الحيوانات الأخرى ما يتمتع هو الآخر بمثل هذه القدسية مثل التماسيح النمر والطواويس والبيغاوات بل والفيران أيضاً . . فالهندوسى لا يمرى

فارقا بين الحيوان والإنسان .. لأن لكل منهما روح .. والأرواح  
تمضى منتقلة دائماً بين الحيوان والإنسان .. ولهذا فهي صنوف إلهية  
نسحب خيوطها في شبكة واحدة لا نهاية لها

**تفريس البقرة** والبقرة أكثر الحيوان قدسية عند الهندوسى .. فلها تماثيل فى كل  
معبد ومبزل وميدان .. وهى تتمتع بجرية مطلقة فى ارتياد الطرقات كيف  
شاءت .. ولا يجوز للهندوسى تحت أى ظرف من الظروف أن يأكل  
لحمها أو يستغل جلدتها فى أى صناعة من الصناعات .. وهى إذا ماتت  
وجب دفنها بجلال مع أعظم طقوس الدين

من كل هذه الألوان تتضح حقيقة الإيمان عند الهندوس ..  
آلهة من كل نوع بعضها يثير الرعب .. وبعضها يقتل ويدمر ..  
ولكنها كلها تؤكد للناس أنها مصادر قوة ضخمة ترمز جيداً إلى القوة  
الكبرى التى تسيطر على هذا العالم الكبير







طوبى للذى يتغلب على ذاته ،  
وطوبى لمن ينتظر السلام ،  
وطوبى للذى وجد الحقيقة  
الحقيقة نبيلة جميلة ،  
لأنها تنقذك من الشرور  
وما من مخلص في العالم يعد لها أو يساويها.  
لنشق بالحقيقة

وإن كنت غير قادر على إدراكها  
فتظن حلاوتها مرارة وتهرب منها  
ثق بالحقيقة لأنها أجمل مما هي  
وما من أحد يستطيع السيطرة عليها .  
إن إدراكها لا يكون إلا بالإيمان  
فآمن بها واحى فيها  
الذات حمى خداعة .

تترامى حلها جميلا ثم يضمحل  
أما الحقيقة فتجلب الصحة والطمأنينة .  
الحقيقة بلسم .. الحقيقة سرمدية ..

ولا خلود إلا فيها  
لأنها هي وحدها تبقى أبدا

## من الخيريأتى الخير ومن الشريأتى الشر

كانت الملكة مايا ترتمش وهي تحكى لزوجها الملك سودهو اذانا  
قصة الحلم الغريب الذى رآته تلك الليلة من لىالى صيف عام ٥٦٨ قبل الميلاد..

فبينما هى مستلقية على الفراش إذ بأربعة من الملائكة فى ثياب بيض  
يتقدمون معها ويحملونها بكل محتويات حجرة نومها ، ويطيرون بها إلى  
إلى أعلى قمة فى جبال الهيمالايا حيث تقوم شجرة باسقة خضراء، ويضعونها  
محت ظلمها . ولا تكاد الملكة تطل حولها حتى تقترب منها أربع  
ملكات يدخلنها الحمام ويلبسها ثياباً جميلة ويعطرها بعطور رائعة  
الرائحة، ثم يحملنها إلى منزل آخر مصنوع كله من الفضة ، وتضعها الملكات  
على فراش آخر مقدس .. وهناك .. يهبط فيل أبيض من فوق جبل  
ذهبي ويتقدم معها ، وفى خرطومه غصن من نبات البشنين . ويدور  
الفيل حول الفراش دورات ثلاثاً ثم يمس جانب الملكة الأيمن ويدخل  
فى رحمها

واضطرب الملك وهو ينصت إلى زوجته .. ولم تكد الملكة تنتهى  
من قصة الحلم حتى أرسل الملك يستدعى أربعة وستين حكيماً من حكماء  
قبيلته « الساكيا » التى تعيش فى سهول نهر الجنجز ، عند سفوح جبال  
الهيمالايا بالهند .. وانطلق الحكماء إلى القصر الملكى فى كابيلا فيستا، حيث  
راحوا يستمعون إلى قصة حلم الملكة .. وقال الحكماء :



لا يشغلن بالك شيء ايها الملك سعيد .. ولكن أبشر  
فالملكة قد حملت بفلام سيصبح ملكا على كل البلاد لو هو استقر في  
بيته أما إذا كانت الثانية وغادر داره هائماً على وجهه في  
الأرض .. فعندئذ سيصبح هو البوذا ، كاشف نقاب الجهل عن وجه  
هذا العالم

ولم تَمْضِ أيام حتى تحقق ما قاله الحكماء .. وأحست الملكة بحقيقة  
الحمل

وكان هناك شيء عجيب ..

فقد كان الجنين يبدو واضحاً وهو جالس القرفصاء في رحم أمه  
مولود بوذا  
وظل على هذه الصورة حتى اقترب موعد الوضع .. وفي ذلك اليوم طلب  
الملكة مايا من الملك أن تسافر إلى أهلها لتضع مولودها هناك ، وإذ هي  
في الطريق فوجئت بالخاض وهي تحت شجرة سال في بستان يسمى  
« لومبيني »

وتحت الشجرة الوارفة الظلال جلست الملكة القرفصاء .. بعد أن  
حجبها الخدم عن الأنظار بستار خاص ، ولما أرادت النهوض مدت يدها  
إلى غصن الشجرة فأنحى من تلقاء نفسه حتى قارب كفها ولم تكذب  
تنهض حتى كان تحتها طفل تلقفته أيدي أربعة من البراهمة في شبكة نسجت  
خيوطها من أسلاك الذهب .

ووقف المولود فجأة ، وتقدم إلى الأمام سبع خطوات ، ثم صاح في  
صوت عذب :

وفي نفس اللحظة.. ظهرت اثنتان وثلاثون علامة في السماء والأرض  
فحدث زلزال شديد ، وانتشر النور في كل مكان ، وسقط مطر خفيف  
على غير ميعاد ، وتفتحت براعم الزهور وأكمام الثمار ، وانتشرت ريح مذكّية  
طيبة عم كل الأرجاء ، واستعاد الأعمى البصر .. واسترد الأصم السمع..  
وعاد الأبكم ينطق ويغنى

وانطلقت أنباء مولد الأمير لتعم كل مملكة « الساكيا »  
ومن كل مكان جاء الأفواج تهنئة الملك . مشاة وعلى ظهور الخيل  
والفيلة إلى القصر حاملين الهدايا لأمرهم الوليد .

ومن بين روار القصر العديدين كان هناك راهد عملاق ، عمّت شهرته  
الآفاق اسمه « أسيتا » .. وكان الزاهد قد شهد من فوق صومعته بجبال  
الهبالايا حفلاً أقامته ملائكة السماء ، عرف أنه بمناسبة مولد بوذا بين  
قبائل الساكيا .. وهبط الزاهد من مكانه وراح يسعى إلى حيث يدلّه النور  
حتى بلغ باب قصر الملك .. وهناك قادوه إلى الوليد الصغير ، فلم يكديراه  
حتى هتف في قوة وفرح

نبوءة أسيتا

— هنيئاً أيها الملك إن هذا المولود لم تجيء بمثله امرأة من قبل..  
ولن تجيء بمثله امرأة بعد

وعاد الزاهد يطل إلى عيني الأمير الصغير ويبكي .. واضطرب الملك  
وراح يسأله عن سر هذا البكاء وأجاب الرجل

— هذا الطفل أيها الملك سيصل إلى درجة التنوير السامية إنه  
سيدخل النيرفانا .. ويهدى العالم إلى طريق الحق والصواب .. على أن  
ما يبكينى إنما هو أسنى على نفسى إذ لن يطول بي العمر حتى أرى مبادئ  
بوذا السامية تنتشر على الأرض فتمحو منها الشقاء .. وتكشف الغم والبلاء .

وكان لابد للملك أن يفرح



وكان لابد للملك أن يأمر بمزيد من القرابين تقدم للآلهة . .  
والمزيد من الإحسان يقدم للفقراء . . وبعضهم من الحفلات تقام في  
القصر لأيام سبعة جديدة . .

\*\*\*

وكبر الصبي

وراح أعمامه يعلمونه كل شيء . . واحد يعلمه كيف يسوس القبيلة ،  
وآخر يعلمه كيف يطلق السهم من القوس أما أبوه . . فقد راح يعلمه  
كيف يسيطر على الجياد الجامحة . .

وكان الأمير — وقد سموه سيدهاتا — يقضى جل وقته بين أبناء  
عمه الذين يقاربونه في السن . . وكان أقرب هؤلاء إليه الأمير ناندا الذي  
لم يكن يستطيع أن يفضل صحبة سواه . . بعكس ما كان يحسه إزاء  
ابن عمه الآخر ديفاداتا . . فقد كان يكره أن يصاحبه ، لثروور قاتل فيه ،  
وغش في اللعب لا مزيد عليه . .

وكان هذا هو ما حدث ذات يوم . . عندما خرج الأمير سيدهاتا إلى  
الغابات مع ابن عمه ديفاداتا . . وكان مع كل منهما قسي وسهام . .

وقال ديفاداتا

— دعنا نرى أيننا نستطيع إصابة الهدف في الصميم

وغرس الغلامان عصا من البوص الأبيض في الأرض أمام شجرة  
داكنة اللون . . وابتعدا عنها عشرين خطوة إلى الوراء . .

وقال سيدهاتا والآن دعنا رى أينما يستطيع أن يفلق هذه  
البوصة فلتين

وصاح ديفاداتا أنا أستطيع

قال سيدهاتا إذن فاطلق سهمك أولاً

وشد ديفاداتا سهمه على قوسه ثم أطلقه ٠٠ ولم يصب السهم العصا،  
بل وقع على مقربة منه

وقال ديفاداتا فى فرحة لقد كدت أصيبتها

غير أن سيدهاتا تذكر قول عمه عندما كان يعلمه الرماية ويقول له  
أنه لا يكفي المرء أن يقترب من النجاح بل عليه أن يصل إلى النجاح ٠٠  
وتحداه ديفاداتا قائلاً: دعنا إذن ننظر أتفعل ما هو خير مما فعلت .

ورفع الأمير الصغير قوسه وجذب سهمه فى منتصف القوس المشدود..  
وحدد نظرتة وأطلق السهم ورن السهم فى الهواء ونفذ من عصا  
البوص فى وسطها تماماً

وتجهم وجه ابن العم الفيور وقال : أستطيع أن أفعل خير أمن هذا..  
بل أنتى أستطيع أن أطلق سهماً يفلق سهمك قسامين  
ورفع قوسه على الفور ٠٠ وبدلاً من أن يصيب سهمه سهم سيدهاتا،  
ارتفع إلى أغصان الشجرة وأصاب جناح حمامة عابرة ٠٠

وسقط الطائر على الأرض وقد أذهلته المفاجأة وجرى سيدهاتا  
ليلتقط الحمامة من الأرض فأبهجه أن يرى أن الإصابة لم تكن شديدة،  
وحنا المتى على الحمامة وراح يدقها ويهدئها بيديه وعندما أحس بأنها  
هدأت تماماً رفعها فى كفه إلى أعلا ثم أطلقها فى الهواء.

وصاح ديفاداتا غاصبا : هذا طارى ولم يكن لك حق إطلاقه ..

إننا طائري وليس طائرک فقد كنت أنا الذى أصبته لا أنت  
ورد سيدھاتا لقد کدت تقتله ولكنى أنقذته ، ولهذا فهو لى  
ولبس لك

وطال نزاع الصبيين حول أيهما صاحب الحق فى الطائر ، وأصر الأمير  
سیدھاتا على أن من قتل مخلوقاً بريئاً يفقد كل حق له فيه .. بينما الذى  
ينقذه من الموت يكون وحده صاحب الحق فى ملكيته والتصرف فيه  
ومضى ديفادانا غاضباً ، وظل عدة أيام بعد ذلك وهو يدكر النزاع ..  
ولم يفر أبداً للأمير سيدھاتا إطلاقه الحمامة المجروحة ..

• •

### ومضت الأيام

تعمير بوزا

و بلغ الأمير سيدھاتا الثانية عشرة من العمر .. وأقيم احتفال كبير فى  
القصر الملكى دعى إليه عدد كبير من الضيوف لأن الأمير فى هذه السن  
كان عليه ، وهو ابن لرجل هندوسى طيب ، أن يضع الخيط المقدس حول  
عنقه ، وهو ما يفعله كل فتى عندما يصل إلى سن التعمير

وأمام الضيوف ، وكما يفعل جميع الغلمان فى مثل سنه أثناء وضعهم  
الخيط المقدس .. أقسم سيدھاتا أن يكون دارساً متحمساً للكتب المقدسة  
طبقاً لعقيدة أبيه .. عقيدة الهندوس .

والذى كان يعتقد الهندوس أنه عندما يضع الغلام الخيط المقدس ،  
ويقسم على الإخلاص لعقيدته ، يصبح مولوداً من جديد ويوصف منذ  
ذلك الوقت بأنه هندوسى مولود مرتين .

وهو ابن ملك ، أرسل به إلى أشهر الكهنة في مملكة ساكيا ، وأكثرهم علماً ، ليتلقى عنهم حقيقة المعرفة .

وفي تلك الأيام لم يكن الأطفال يتعلمون الجغرافيا والتاريخ والجبر والهندسة بل كان الموضوع الوحيد الذي يتعلمونه هو العقيدة

وكانت الكتب التي يدرسوها هي « الفيداس » وهي الكتب المقدسة في عقيدتهم .. وكانت تلك الكتب طويلة صيغت كلها شعراً ، وإلى جانب الفيداس كانت هناك عدة كتب ضخمة تفسر الكتب المقدسة وكان بعض هذه الكتب عسيراً جداً على الفهم

وكان على الأمير سيدهاتا أن يتعلم لغة جديدة قبل أن يبدأ دراسة كل هذه الكتب .. فكل الكتب المقدسة عند الهندوس مكتوبة بلغة غير اللغة التي يتكلمونها .. لغة قديمة جداً اسمها السنسكريتية .

وحالما تعلم الأمير سيدهاتا قراءة اللغة السنسكريتية وفهمها، بدأ الكهنة يعلمونه الكتب المقدسة التي تشرح تعاليم « البراهمية » عقيدة الهندوس .

وكانت كل هذه التعاليم تدور حول العالم وكيف خلقه براهما وكيف نسلت البشرية من مانو أول الكائنات ، والطوائف وتجمد الروح والكارما والتيرفانا ، كما كانت الكتب المقدسة تحمل أيضاً أسماء كل آلهة الهندوس وجميع التراتيل التي يجب أن تترتل في محرابها وتفسيرات هذه التعاليم التي تقول للناس كيف يجب أن يعيشوا الحياة الصالحة للهندوس المتدين .

وظل الأمير سيدهاتا أربعة أعوام مع معلمه يدرس معهم وعندما عاد إلى القصر الملكي وهو في سن السادسة عشرة ، كان قد تعلم من العقيدة الهندوسية ما تعلمه أي رجل في مملكة الساكيا ..

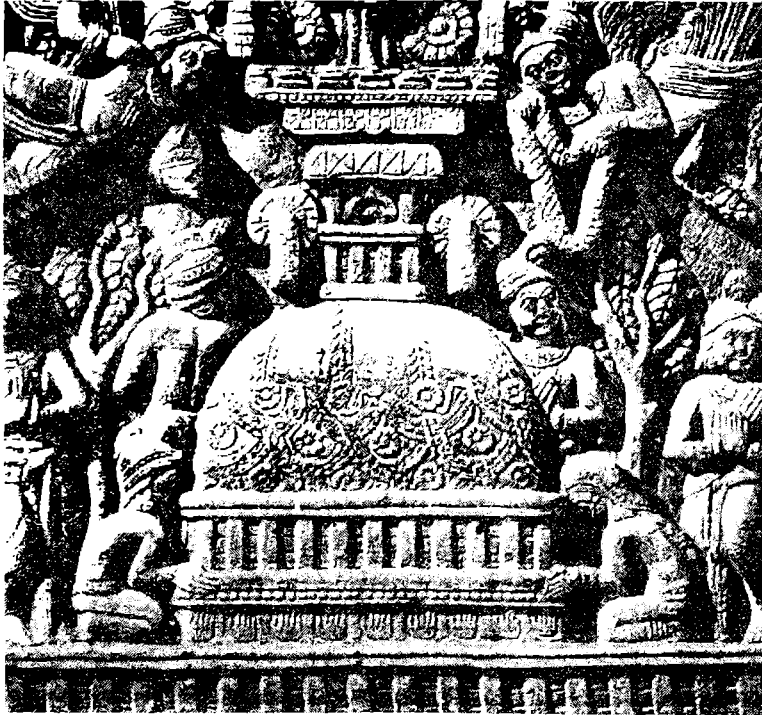
\* \* \*







الزاهد أسيتا . يتنبأ للطفل الوليد  
بمستقبله فإما أن يصير ملكاً يرث  
عرش أبيه أو يحوب الأرض ويصبح  
هو البوذا



نقوش على أحد المعابد البوذية  
تمثل ولادة جاجوتاما بوذا « المستنير »  
وحوله الملائكة يتلقونه من أمه

تمثال ضخيم لبوذا أثناء اعداده  
لادخاله أحد المعابد البوذية  
بعد أن تحول من حكيم الى اله





تمثال بوذا يجلس متربعاً  
على عرش اللوتس وكفاه  
وأصابعه في وضع يبدو فيه وهو  
يلتقي تعاليمه على الناس .

رأس تمثال بوذا كان يقوم  
في سارنات في الهند من  
القرن الخامس قبل الميلاد  
ويوجد الان في المتحف الوطني  
بنيودلهي



فى نفس اليوم الذى ولد فيه سيدھاتا . . ولدت أيضاً المرأة التى  
سيتزوجها ، كما ولد فىلہ وحصانہ وسائق عربتہ . . ونبئت الشجرة التى  
تكشفت له وهو تحتها . . أسرار الحياة..

ومنذ ذلك اليوم عاش الأمير حياة مترفة فى قصر أبيہ وصفها هو **طفولة صرفه**  
نفسه فى بعض كتبه المقدسة حين قال : « لقد كنت مترفاً أيها النساك  
مترفاً كل الترف .. لقد حفرت فى قصر أبى البرك المغطاة بالبشنيين . .  
غطيت واحدة منها بالبشنيين الأزرق ، والثانية بالبشنيين الأحمر ، والثالثة  
بالبشنيين الأبيض وكلها حفرت لمتعتى وإسعادى ولم أكن أستعمل  
سوى خشب الصندل من إنتاج بنارس وكانت ملابسى من القماش  
المصنوع فيها .. وكذا قماش أقمصتى ومعاطفى ، وكانت تظللنى على الدوام  
مظلة بيضاء حتى لا أتعرض لبرودة الجوى أو حرارة الشمس ، بل ولا للغيبار  
أو الأعشاب أو الندى وكانت لى قصور ثلاثة : واحد منها لفصل الشتاء  
والثانى لفصل الصيف ، والثالث للفصل المطير .. وكنت أفضى فى القصر  
المخصص للفصل المطير أربعة أشهر تحف بى فيها القيان والجوارى .. فلا  
أغادره حتى تآنى شهور الصيف »

والحق أن خوف الملك من إحدى النبوءتين اللتين تنبأ بهما العرافون  
عند مولد الأمير ، كان هو السبب لتلك المبالغة فى الترف التى أرادها  
الملك لولده ، فقد قال العرافون الحكماء أن سيدھاتا إما أن يستقر فى بيت  
أبيہ وعندئذ يصير ملكاً على البلاد.. وإما أن يقادر داره ويهيم على وجهه  
فى الأرض ليصبح هو البودا ولم يكن الأب ليرضى لولده أن يشقى  
ويجوع وهو يهيم بعيداً عن الدار بل كان يتمنى أن يرثه ولده ويجلس  
بعده على العرش من أجل ذلك أبى ألا أن يبعد عن ولده وجه الحياة  
العابس وصورها الحزينة، حتى لا يسوقه مرآها إلى الهواجس التى تدفعه إلى

العزلة، وتجه يتفاد إلى المصير الذي يجعله يهيم في أحراش الغابات وبين شعاب الجبال وهكذا عمل الملك على أن يمهد لولده عيشة الأمراء المنعمين المدللين وحال بينه وبين معرفة أى شىء من مظاهر البؤس والفقر والألم المنتشرة خارج أسوار القصور، خاصة بعد أن قال له العارفون أن ولده لا بد بالغ مصيره المحتوم إذا رأى على التوالى كهلاً .. فريضاً .. فميتاً .. فزاهداً

وقرر الأب أن يشغل ولده بحياة روحية رائعة، ويحيطه بمئات الحسان ليحب الحياة إليه، وليبعده عن النهاية التي لا يرضاها له .

ووقع اختيار الأمير على الأميرة يوسودهارا ابنة عمه ملك كولى لتكون زوجته وكانت هي نفسها الفتاة التي ولدت معه في نفس يوم مولده، وقد أصبحت وهي في السادسة عشرة رائعة الحسن بالغة الجمال

وخلال عشر سنوات عاش الأمير و زوجته حياة جديدة سعيدة في قصر رائع آية في الجمال والأبهة وكان الملك قد قصد أن يدخل في قلب الأمير كل ألوان البهجة والسرور حتى يبعد عنه صور الأحزان والآلام والتعاسة والشقاء .. على أن الأمير كان تواقاً لأن يرى العالم حوله فسأل أباه يوماً أن يأذن له بالخروج بعض الوقت في جولات قصيرة داخل المدينة حتى لا يكون كمثل الفيل المقيد بسلاسل طويلة على أرض وعرة، وسمح الأب لولده بالخروج في صحبة حارسه « تشاناه » الذي كان يعلم جيداً أنه لا يملك أن يحيب الأمير على أى سؤال يمكن أن يقرب له صور التعاسة



ومضى الأمير بعزته في طرقات المدينة

وإذ هو في الطريق، وقع بصره على كهل ينحط على جانبه،



وقد رسم الحزن والجهد على وجهه أثر الشقاء وبلايا الأيام ، وانحنى  
منه الظهر انحناء القوس ، وارتعدت يداها كأنهما سعف النخيل في يوم  
عاصف الريح وأطل الأمير إلى حارسه يسأله :

« ما خطب هذا الرجل ؟ وما بال رأسه قد اشتعل شيباً وتجمعت  
تقاسيم وجهه وغارت عيناه وانحطت قواه حتى لا يكاد يقوى على  
النهوض »

وارتبك أشاناه ، ولكنه عجز عن الكذب على أميره ، فقال له :

« إنها علامات الشيخوخة ، على أنه كان في مطلع شبابه حسن القوام  
قوى البنية سليم النظر ، أما الآن فقد أنهكته هموم الحياة وذهبت السنون  
بجماله وشبابه »

وشعر الأمير بانقباض رهيب يأخذ بمخناقه . غير أنه استمر في  
طريقه حتى أطل من جديد فاذا بمريض ملقى على الطريق يتوجع ويئن  
وسأل الأمير حارسه

« وما بال هذا الرجل . . هل هي الشيخوخة أيضاً ؟ ! »

وأجاب الفتى « كلا ولكنه المرض . . ذلك الذي جعل عناصر  
جسمه الأربعة يختل نظامها . وكل الناس عرضة لذلك . لا فرق بين  
غنى وفقير ، حكيم وجاهل لأنه يستطيع أب يصيب كل حي على  
السواء »

ووجم سيدهاتنا ، غير أن وجومه ازداد حين التقيا مرة أخرى في  
الطريق بأربعة أشخاص يحملون جثة ومن ورائهم موكب جنازى . .  
وأجاب الحارس على سؤال أميره :

« هذا رجل ميت .. حملوا جثته إلى حيث يحرقونها .. وهذه السيدة التي تسير وراءه هي أرملة وأطفاله سيكون فراقه .. وذلك هو مصير كل إنسان .. فكل حى مصيره إلى الفناء .. وكل من بدأ الحياة عليه أن يهبها إذ لا مفر من الموت »

وعندما عاد الأمير إلى القصر ذلك اليوم كانت زوجته قد أعدت مهرجاناً فاخراً في قاعة التسلية حيث كانت كثيرات من الفتيات المدربات سيرقصن ويغنين ويعزفن على آلات الموسيقى .. ولكن الأمير كان حزيناً إلى درجة حالت دون استطاعته حضور الحفل .. ومضى إلى غرفته وقد ملأت المشاهد التي رآها رأسه . فقد عاش قرابة ثلاثين عاماً في القصور ودرس الكثير من كتب المعرفة . . ولكنه ما كان يعرف سوى القليل عن الحياة والناس . . لقد قضى عمره في التسلية والصيد في البر والبحر والاستمتاع بالحفلات يوماً بعد يوم ، ولكنه الآن رأى بعينه ما هو المرض وما هي الشيخوخة وما هو الموت .

وطال به التفكير . وازدادت به الشقوة .

للبحث عن الحقيقة  
لا بد أن بالحياة عيباً حتى يكون فيها المرض والشيخوخة والموت . .  
وتساءل ، من أين يأتي الفناء ؟ لقد درس عدة كتب مقدسة ولكنه لم يجد فيها تفسيراً لهذا السر . . وعاد يتساءل من جديد : لماذا لا يكون كل أولئك الناس في مملكته سعداء مثله هو وأسرته !؟

وعندما فكر في جميع الناس في بلاده بدأ يتبين كيف أن حياة الفقراء لا بد أن تكون قاسية تعسة . وانتبه إلى أن أغلب الفقراء الغارقين في الفقر ينتمون إلى الطائفة المنبوذة . وأن أشد الناس فقراً يعتبرون غاية في الضعة إلى حد عدم السماح لهم بدخول المعبد أو قراءة





كتب الفيداس المقدسة أو الاقتراب ممن ينتمون إلى الطوائف الأعلى . .  
وبدأ الامير سيدهاتا يتبين للمرة الأولى في حياته كيف كانت حياة هؤلاء  
المسبوذين حافلة بالعناء

وتساءل : لماذا قسم براهما الخالق ، الناس إلى مثل هذا العدد الكبير  
من الطوائف !؟ إن ذلك ليبدو ظلماً . وأنه ليجعله يحس بأن كل  
ما تعلمه في الكتب المقدمة والتراتيل الدينية غريباً باطلاً

وإذ هو جالس في غرفته يفكر ملاً سمعه صوت موسيقى وغناء  
يأتي من قاعة التسلية وراذ ذلك من شعور الامير بالشقاء . وبداله  
قسوة أن يكون لدى رجل واحد كل هذا الثراء وكل هذا النعيم ، بينما  
هناك آلاف المنكودين الذين يعانون المرض والفقر والشقاء

### وجاء الصباح

وخرج الأمير مع « تشاناه » من جديد . ولكنه في هذه المرة لم  
يذهب إلى الغابات للصيد ، ولكنه انطلق إلى السوق حيث يتجمع الناس . .  
وهناك . رأى الامير بين التجار راهباً يرتدى ثوباً أصفر خشفاً  
يسأل الناس طعاماً . ورغم أن الراهب كان يبدو عجوزاً رث الثياب  
وهو يلتمس من الناس الطعام ، إلا أن وجهه كان هادئاً ينطق بالسعادة

وكان هذا الراهب واحداً من آلاف الناس في الهند . هجروا  
عائلاتهم وبيوتهم وخرجوا إلى الجبال ينفردون بأنفسهم حيث يمكن أن  
يفكروا في عقيدتهم دون أن يشغلهم شاغل . وكانوا يأتون من وقت  
لآخر إلى المدن يستحلون الطعام

وفكر الأمير سيدهاتا . . « لو أني عشت كما يعيش واحد من

هؤلاء الرهبان . . وقضيت كل وقتي في التفكير . . أليس من المحتمل أن أصل إلى حقيقة مصدر هذه الآلام ؟ وأن أدرك كيف يجب أن يحيا الناس لكي تكون حياتهم صالحة ؟

وإذا كان الأمر كذلك . . فما الذي يعمانى أنتظار . . ولماذا أظل شقياً في انتظار الوصول إلى الحقيقة ؟»

وفي تلك اللحظة . قرر الأمير أن يهجر قصره وعائلته وثرأه . . وأن يخرج إلى الغابات . وأن يحيا كواحد من هؤلاء الرهبان الفقراء . .

\* \* \*

عندما أعان الأمير سيدهاتا أنه سيهجر بيته ويصبح راهبا متسولا كان هذا الإعلان صدمة عنيفة لأبيه فقد كان الملك سودهادانا يأمل أن يكون ولده وريث عرشه في بلاد الساكيا من أجل ذلك حاول بكل جهده أن يثنيه عن عزمه ولكن سيدهاتا كان قد أخذ قراره الذي لا رجعة فيه .

الراهب  
المتسول

وفي ذلك اليوم وضعت الأميرة يوسودهارا غلاماً

وحدث الملك نفسه وهو يقول : « الآن لن يبرح ابني بيته . . فإن حبه لولده سيقوى رابطته بالبيت وسيحول دون أن يصبح راهباً متسولا » ولكن الملك سودهادانا كان مخطئاً . .

فقد كانت ولادة الطفل دافعاً جديداً للأمير على أن يسرع بالهروب من البيت قبل أن يشتد به الحب لولده ويمنعه من الوصول إلى أصل الحقيقة وحكمة الحياة .

وفي نفس الليلة ، دعا الأمير إليه صاحبه « تشانا » وأمره بأن يعد خير جياده لرحلة طويلة شاقة . .

وسأله تشاناه وقد أدهشه أن يبدأ سيده رحلته من بعد منتصف الليل:

« تقول الآن للفور؟ »

وأجاب سيدهاتا

« نعم للفور . وأريدك أن تصحبنى »

وعندما خرج تشاناه لينفذ أوامر سيده دخل الأمير غرفة الأميرة

يوسودهارا . وراها وقتئذ نائمة وكفها على رأس الطفل النائم بجوارها  
ونظر الأمير إليهما في حب كبير ولكنه لم يوقظهما ، فقد كان يخشى أن  
يضعف قلبه أمام توسلات زوجته و بكاء طفله .

وبارح الأمير القصر مع تشاناه وانطلقا معاً نحو مملكة موجداه..  
وعندما قطعاً مسافة طويلة من كايلافيستا توقفا وترجلا عن جواديهما.  
وحلق سيدهاتا شعر رأسه ولحيته بمساعدة تشاناه

وأطل تشاناه إلى سيده وهو يرتعش لقد بداله تماماً كواحد من

الزهبان المتسولين

وبكى

وقال له الأمير

--والآن يا تشاناه إن عليك أن تعود إلى القصر أما أنا فسأبدأ  
رحلتي من هنا أسأل الناس طعامي حتى أستطيع الوصول إلى حقيقة الحياة ..

وقال الفتى سمعا وطاعة يا مولاي الأمير

وهو الأمير رأسه وهو يقول

--لم أعد أميرك يا تشاناه فاست أريد أن أكون ذات يوم حاكماً  
على الناس .. أريد أن أكون كواحد من كل الناس العاديين حتى

أستطيع أن أفهم حياتهم وأكتشف كيف يجب أن يعيشوا لتكون  
حياتهم صالحة سعيدة .

وقال تشاناه باكيا سمعا وطاعة يا مولاي الأمير

وعاد تشاناه ببطء نحو القصر في كابيلافستا . ومضى سيدهاتا  
ماشيا على قدميه في الطريق المغطى بالتراب ..

وفي الطريق قابل شحاذا

وقال الأمير للشحاذا تعال نتبادل ثيابنا

وأعطى الأمير ثيابه الجميلة للشحاذا وارتندى هو ثيابه ..

ومشى الأمير من جديد .. متسولا .. يبحث عن حكمة العالم التي  
قد تفسر له كل الحياة

وظل الناس يذكرون تلك الليلة التي بارح فيها الأمير سيدهاتا جاوتاما  
بينه ليصبح راهبا متسولا وهو في سن التاسعة والعشرين .. على أنها  
ليلة النازل الكبير ..

\* \* \*

أحد سيدهاتا يضرب في الأرض سبع سنوات ، ينتقل من مكان  
إلى آخر باحثا عن الحكمة .. وكان صوته رقيقاً وحديثه بسيطا حكيميا ..  
وأصبح جميع الناس الذين قابلهم أصدقاء له

كلمة العالم

وذات مرة إذ هو جالس في خميلة يتكلم مع رهبان آخرين .  
دخل عليهم بميسارا ملك موجداه وأنصت إليه وعندما انتهى سيدهاتا  
من حديثه قال له الملك

« إن كلمتك مليئة بالحكمة أيها الراهب ألا تأتي معي إلى القصر  
لتصبح كبيراً للمستشارين » .

وأجاب سيدهاتا



« لو أن ما أبحث عنه هو المجد والثراء .. لأصبحت ملكا على مملكة في حوض مهر الجنحز .. ولكن بحثى هو عن أشياء لا يمكن للمجد أو الثراء أن يشتريها .. ذلك أنى أبحث عن المعرفة الحقيقية للحياة  
وقال الملك « إذن عدى أنك عندما تجد تلك الحكمة ستجد طريقك إلى وتعلمنى إياها »

ووعده سيدهاتا ثم ترك الخميعة ، ومضى يواصل تجواله حتى يبلغ مكان المعلم العظيم « آلارا »

وقال سيدهاتا لآلارا « علمنى حكمة العالم

وأجاب آلارا « أدرس الفيداس .. وفيها ستجد حكمة العالم

ومضى سيدهاتا يضرب فى الأرض حتى جاء إلى المعلم العظيم « أوداكا » وطلب إليه هو الآخر أن يعلمه حكمة العالم . وأجاب أوداكا « أدرس الفيداس ففيها جميع الحكمة الكامنة »

ولكن سيدهاتا كان قد قضى عدة أعوام يدرس الكتب المقدسة فلم يجد فيها ما يفسر السبب الذى جعل براهما يترك الناس يعانون المرض والشيخوخة والموت .

وعندما بارح سيدهاتا المعلم أوداكا التقى خمسة رهبان آخرين كانوا يتجولون بحثا عن الحكمة .

وقال الكهنة الخمسة « مكتوب الكى نحصل على الحكمة يجب أن نظهر نفوسنا .. ولنظهر نفوسنا يجب أن نعذب أجسامنا وأن نجوع .. فبتعذيب الجسد ونجوعه تتطهر النفس .. هذه هى تعاليم براهما »

وقال سيدهاتا « إذا كانت هذه هى الطريق لكسب الحكمة  
فسأحاول اتباعها »

ومضى هو والكهنة الخمسة معه إلى داخل غابة .. وهناك ظلوا أياما  
يجوعون معاً حتى اضمحلت أجسامهم وأصبحت كالهياكل العظمية، وضعفت  
قواهم حتى ما عادوا يستطيعون حركة على الإطلاق

و ذات يوم انهار سيدهاتا من أثر الجوع حتى ظن أصدقائه أنه قد  
مات .. ولكنه انتعش فجأة ، وحالما استعاد قدرته على الكلام قال لهم

« أيها الإخوان ، منذ هذه اللحظة سأكف عن تجويع نفسى »

وعندما سمع الرهبان الآخرون هذا القول قال بعضهم لبعض

« من المؤكد أن سيدهاتا قد تخلى عن الحياة الصالحة لرجل الدين

الحق »

وتركوه ومضوا

وأخذ سيدهاتا يأكل ويشرب ، وراح يحاول استعادة قواه التى  
خارت وكلا ازداد قوة رادت أفكاره وضوحا ، ورأى سيدهاتا  
« أن تلك التعاليم التى تأمر الناس بتجويع أنفسهم ليحيوا حياة صالحة  
ويكسبوا الحكمة عن ذلك الطريق . لا بد أنها بعيدة عن الصواب .  
لأنى كلما ازددت قوة زاد وضوح تفكيرى فى العالم وفى الدين »

من أجل  
مباة صالحة

ولكنه لم يعد يعرف بعد من أين يأتى الهناء وكيف يجب أن يحيى

الناس الحياة الصالحة

وأخذ يتجول فى الغابات والمدن يوماً بعد يوم وأسبوعاً بعد أسبوعاً

وشهراً بعد شهر يعيش على التوت البرى والفاكهة التى يعثر عليها  
والأرز الذى يقدمه له أهل المدن ..

وكان أحيانا يساوره شعور بالتعب من طريقه فى الحياة .. واشتاق  
إلى رؤية زوجته وولده الصغير وغالبا ما عقد العزم على أن يهجر حياته  
كمتسول ويعود إلى القصر والسكنه كان يعرف أنه لن يسعد ثانية فى  
القصر حتى يتعلم كيف يمكن أن يكون الناس الآخرون أيضاً سعداء ..  
وجلس ذات مرة تحت شجرة يئن ..

وقال لنفسه : « هنا سأجلس وأفكر فى كل ما تعلمت . وفى كل  
ما رأيت فى حياتى ومن كل هذا سأكسب الحكمة »

قال ذلك لأنه فى ذلك الوقت بالذات كان قد تبين له الحكمة  
والفلسفة اللتين كان يبحث عنهما لم يكونا خارج نفسه ، ولم يكونا سراً  
غامضاً كبيراً محبوباً فى مكان ما عند طرف قوس قزح .. وتبين أنه لن  
يستطيع الحصول على تلك الحكمة بدراسة الفيداس ولا بتجويج نفسه  
ولا بالجلوس على المسامير والحجارة الخشنة والزجاج المكسور كما يفعل  
الآخرون من الرهبان .. بل أصبح الآن يعتقد أن الحقيقة والحكمة اللتين  
يبحث عنهما المرء يمكن أن يجدهما فى أعماق نفسه . ورأى أن الحكمة  
والمعرفة اللتين يبحث عنهما الإنسان هما فى روحه وفيها يجب أن يبحث  
عنهما .. وعندئذ أقسم سيدهاتا فليحف جلدى وتضمر عضلاتى ويهن  
العظم منى كما يشاء ، ولكنى سوف لا أرحم مكابى هذا قبل أن تتكشف  
لى الحقيقة وأحيط بأسرار الحياة »

وظل سيد هاتا جالسا تحت الشجرة ساعات وساعات يتأمل ويفكر  
فى جميع تعاليم دينه وجميع تحاربه فى الحياة ، غير أن القسم الذى أقسمه

بعث الحزن والضيق في نفس «مارا» روح الشر وإله الرغائب الخمس وعدو الحقيقة.. فجاء بناته الثلاث المجرمات وضيفه الشيطان الرجيم وقصد إلى المكان الذي جلس فيه الرجل الصالح ولكن هذا لم يلتفت إليه ولم يآبه لخداعه ..

وأحدث مارا عاصفة هوجاء أظلم لها الجو وطفت مياه البحار وزمجت أمواج المحيطات ولكن سيدهاتا ظل في مكانه تحت ظلال شجرة الحكمة والمعرفة مطمئنا لا يخاف قط وهو يعلم أن شيئاً لن يستطيع إسقاطه من اجتياز التجربة . وراحت بنات مارا يحاولن إغراءه إلا أنهن فشلن ولم تقوين عليه .. وراح مارا يجرب فيه كل أرواح الشر التي تجمعت في محاولة لاستدراجه إلى العالم وشهواته ، غير أن الرجل الصالح ظل في مكانه ثابتاً صليداً حتى لم يحد مارا آخر الأمر إلا أن يهرب بشياطينه وبناته من أمام الحكيم العظيم

واستمر سيدهاتا منقطعاً إلى حياة التأمل والتفكير والبحث عن الحقيقة .  
وفجأة تألق وجهه ابتهاجا وهو يقول

« أخيراً وجدت مفتاح الحكمة .. أنه أول قانون للحياة .. من الخير يجب أن يأتي الخير .. ومن الشر يجب أن يأتي الشر » .

وتعجب سيدهاتا كيف لم يسبق له أن فكر في ذلك من قبل فقد ظل طول حياته يعرف قانون الحياة وهو لا يدري .. وقد كان هذا القانون من أهم تعاليم البراهمة عن طريق قانون الأعمال ولكنه الآن يراه على ضوء جديد . فقد تبين الآن فيه بداية حكمة الحياة وحقيقتها مما ظل يبحث عنه منذ أن بارح بيته ومملكة أبيه  
وظل سيدهاتا طول ليلته جالسا هناك يفكر .. ووجد أنه تأخاذ

## قانون الحياة





القانون الأول للحياة مفتاحا للحكمة .. يستطيع أن يجيب على جميع  
الأسئلة التي أزعجته منذ أن أصبح راهبا ..

وفي الصباح تبين سيدهاتا أنه أوشك على مهاية بحثه الطويل عن  
الحكمة .. وأنه الآن أصبح البوذا .. المستنير  
وهكذا كان ..

### البوذا المستنير

وأصبحت تلك الليلة التي بلغ فيها الأمير سيدهاتا جاوتاما من مملكة  
الساكيا مرتبة « البوذا » أي « المستنير » .. أصبحت تلك الليلة تسمى  
عند أتباعه « الليلة المقدسة » .. أما الشجرة التي جلس تحته طوال تلك  
الليلة فأصبحت تسمى شجرة « بو » أي شجرة الحكمة

\* \* \*

ظل بوذا بعد الليلة المقدسة جالسا سبعة أيام أحر تحت شجرة بو ،  
يفكر في القانون الأول للحياة . وعندما أحس أن كل أفكاره قد  
أصبحت وانحمة أمام عينيه بحيث يصبح مستعداً للرد على أى سؤال  
قرر أن يخرج إلى العالم .. ويلتقى بالناس ..

وفي أول الطريق عند بنارس التقى من جديد بالرهبان الخمسة الذين  
هجروه من قبل عندما وجدوه يأكل ويشرب .. بدل أن يموت ..  
وعندما رآه الرهبان قال بعضهم للبعض

— هاهو سيدهاتا الذى لم يستطع أن يحيا حياة الراهب الصالح

دعونا نتجاهله.

ولكن بوذا اقترب منهم .. فحيوه .. وقدموا له مقعدا

وسأله الرهبان

— هل وجدت الحكمة التى تنشدها ؟

وأجاب بوذا . نعم وجدتها .

وسأله الرهبان ما هي حكمة العالم؟

وأجاب بوذا: من الخير يحب أن يأتي الخير .. ومن الشر لا بد أن يأتي الشر

وأطل الرهبان بعضهم إلى بعض .. وقالوا له: ولكن هذا ليس جديدا .. فهو جزء مما تعلمناه في قانون الأعمال .

قال بوذا هذا حق .. ولكن أحدا لم يعمل به .. وإذا كنتم مقتنعين معي بأن هذا القانون صحيح .. فأذن كل القرايين التي تقدمها لآلهتنا العديدة وكل صلواتنا لها حق وهراء ..

وسأله الرهبان كيف؟

قال بوذا: أن الماء يتدفق دائما من فوق التل ، والنار ساخنة دائما ، ومهما قدمنا من الصلوات لجميع آلهة الهند فهي لن تستطيع أن تجعل الماء يصعد التل .. ولن تملك أن تجعل النار باردة . ذلك لأن في الحياة قوانين تجعل هذه الأشياء كائنة على ما هي عليه فإيتم حدوثه لا يمكن إلغاء حدوثه .. ولو قدمنا القرايين لكل أنواع الآلهة .

وأطل الرهبان بعضهم إلى بعض وهم يهزون رؤوسهم ويقولون

— إنه قول صحيح بغير شك ..

قال بوذا إذن فلا سلطان لكل هذه الأصنام على تغيير شيء في هذا العالم .. فلماذا نصلي لها ونعبدها؟ وإذا كان العمل الصالح يأتي بنتائج طيبة ، وإذا كان الشر يأتي بالشر دائما فهل تستطيع هذه الأصنام كلها أن تغير هذه النتائج؟

وهز الرهبان رؤوسهم وقالوا يبدو أن هذا القول صحيح

و وثيقة



واستمر بوذا إذا كان هذا صحيحا .. فعبادة الأصنام خطأ وحق ..  
وإذا كانت كتب الفيداس تأمر الناس بالصلاة وتقديم القرابين وعبادة  
الأصنام .. فهي ليست مقدسة لأن الكتب المقدسة لا تعلم الناس ما ليس  
حقا وما هو شر

ونظر الرهبان إلى بوذا في دهشة .. فقد كان هذه أول مرة يجرؤ  
فيها شخص في الهند على أن يقول أن كتب الفيداس ليست مقدسة .  
وعاد بوذا تكلم أن الفيداس تعلمنا أن نؤمن بأن براهما خلق  
الناس طوائف .. ولكن هذا ليس صحيحا طبقا للقانون الأول للحياة  
فالناس لا ينقسمون إلا إلى فريق صالح وفريق شرير .. فالصالحون صالحون  
والشريريون شريريون .. ولا تأثير للأسرة التي يولدون فيها  
وسأل الرهبان في عجب إذن أنت لا تصدق أن براهما قسم الناس  
إلى طوائف!؟

وأجاب بوذا لا أصدق أن براهما خلق شيئا .. ولا أنه خلق هذا  
العالم .. فالعالم سبقي إلى الأبد ولن ينتهي .. وكل ما ليست له نهاية  
ليست له بداية ..

وصمت الرهبان برهة وهم يفكرون فيما قال بوذا .. فقد كان أمرا  
يختلف اختلافا بينا عن كل التعاليم التي درسوها وآمنوا بها من قبل

ونجأة وجه بوذا خطابه إلى الرهبان هناك طريقان أيها الرهبان  
يجب الابتعاد عهما .. أحدهما حياة المتعة وهي حياة أنانية دنيئة ، والآخر  
حياة تعذيب النفس وهي الأخرى غير جدية بأن يحيا المرء .. فلا تسلكوا  
أحد هذين الطريقين لأنهما لا يؤديان إلى الحياة الصالحة ..

## الطريق الوسط

وسأله الرهبان إذن ما هو الطريق الذي يجب على المرء أن يسلكه؟

قال بوذا اتبعوا الطريق الوسط

قال الرهبان وكيف يستطيع المرء أن يحدد الطريق الوسط؟

أجاب بوذا باتباع الطريق ذى الثمانى شعب التى تعلم القواعد الثمانى

للحياة وهى

\* الإيمان بالحق .. وهو الإيمان بأن الحقيقة هى الهادى للانسان .

\* القرار بالحق .. بأن يكون المرء هادئاً دائماً لا يفعل أذى بأى مخلوق.

\* الكلام الحق .. بالبعد عن الكذب والنميمة وعدم استخدام

اللفظ الخشن

\* السلوك الحق .. بعدم السرقة والقتل وفعل شئء يأسف له المرء

فما بعد أو ينجل منه .

\* العمل الحق .. بالبعد عن العمل السيئ مثل التزييف وتناول

السلع المسروقة وعدم اغتصاب المرء لما ليس له

\* الجهد الحق .. بالسعى دائماً إلى كل ما هو خير والابتعاد عما هو شر.

\* التأمل الحق .. بالهدوء دائماً وعدم الاستسلام للفرح أو الحزن

\* التركيز الحق .. وهذا لا يكون إلا باتباع القواعد السابقة وبلوغ

المرء مرحلة السلام الكامل

وعندما انتهى بوذا من تفسيره قال الرهبان بعضهم لبعض

« لا شك أن هذه هى الحكمة ومن المؤكد أن سيدهاتا جوتاما

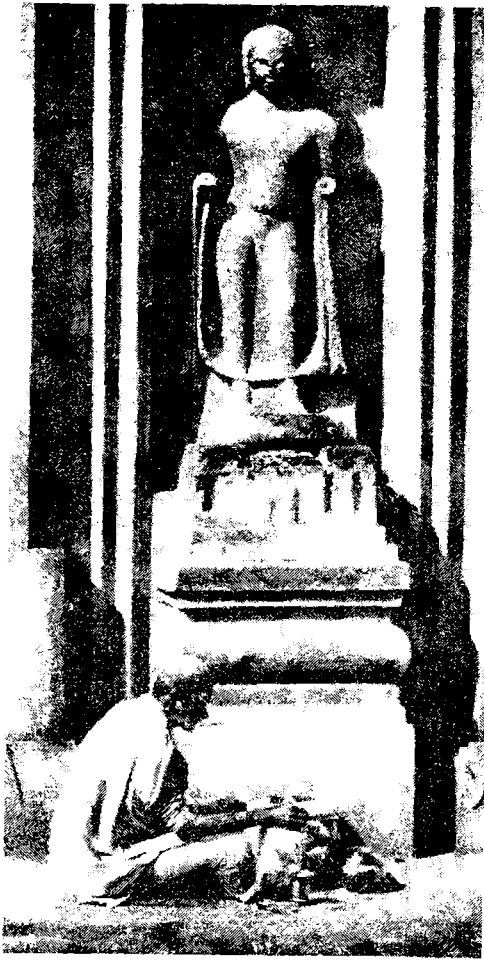
قد أصبح المستنير .. أو البوذا .. لأنه حرك عجلة القانون الحق للحياة ..

ذلك القانون الذى يعلم البشرية أن العالم تحكمه العدالة .. »



عناك بوذا وهو في شبابه ..  
في أحد المعابد البوذية  
حيث تقدم له القرابين بعد  
أن صار البوذيين يعتبرونه  
لهما يصلون له ويتمجدون

أحد الكهنة البوذيين يقدم  
القربان في الصباح إلى بوذا  
بمد أن تحول إلى إله معبود



الإله شيفا وزوجه الإلهة  
« شاكتي » وعبادتهما من  
أقدم وأعمق وأبشع العناصر  
التي تتألف منها العقيدة الهندوكية  
تمثال في متحف الفن

بنانجور»



أتباع شيفا يصلون  
أمام تمثاله باعتباره اله  
الآله العطوف رغم في  
حقيقة الامر اله القسوة  
والتدمير ..



تمثال زحل رمز الطالع  
الحسن وقد اعتقد الهندوس ان  
الكواكب السيارة سبعة هي رافي  
« الشمس وشاندرا القمر  
ومانجالا «مارس» وبودا «عطارد»،  
وبراهمباتي جوبيتر وسوكرا  
« فينوس وساني زحل  
وراهو رأس التنين » ، وكيكو  
« لایل التنين » ..





وانحنى الرهبان لبوذا .. وأقسموا أن يتبعوه .. وأن يحافظوا على  
وصاياه وأن ينشروها في جميع الأنحاء  
وكانت هذه هي أول تعاليم البوذية ..  
وانطلق بوذا وانطلق رهبانه

ولم يمض وقت طويل حتى كان لبوذا آلاف من الأتباع .. ومصت  
شهرته متنقلة من مملكة إلى مملكة .. حتى بلغت بلاد الساكيا

• •

هل كان حقاً ذلك الذى تحدث به أتباع بوذا من أنه عاش قبل أن  
يصبح المستنير خمسمائة وثلاثين نوعاً من الحياة .. فعاش إلهاً اثنتين  
وأربعين مرة ، وملكاً خمسا وثمانين مرة ، وأميراً أربعاً وعشرين مرة ،  
وعالماً اثنتين وعشرين مرة ، كما عاش لصاً مرتين ، وعبداً مرة واحدة ،  
ومقامراً مرة واحدة ، تماماً كما عاش عدة مرات في أجساد أسد فزال  
فجواد ففسر فثور فثعبان فضفدعة ؟ وهل صحيح أن بوديستا — وهو  
اسم بوذا قبل أن يصبح المستنير — كان مختلفاً عن كل الملوك والعبيد  
والحيوانات الأخرى التى عاش حياتها وهو يمر بكل تلك الصور  
فكان دائماً أكثر الجميع حكمة .. ؟

لقد آمن كل أتباع بوذا بهذه الحقيقة .. وراحوا يتحدثون عن قصة  
بارزة حدثت في حياة بوديستا .. قبل أن يصبح المستنير  
في ذلك الوقت .. كان بوديستا يعيش في صورة طائر

وفي أعماق الغابة ، كان لذلك الطائر بوديستا .. سلطان على كل  
أسراب الطيور التى تعيش على مقربة من شجرة عالية ذات فروع تمتد  
إلى كل اتجاه بحيث لا يشلها البصر كل .. ودات صباح فوجئت الطيور

جميعاً بأكوام من التراب والغبار تنساقط من فروع الشجرة .. التي كانت  
فروعها كلها تتحرك وتحتك بعضها ببعض الآخر .. وأخذ الدخان  
يتصاعد عالياً .. وبدأ الرعب والفرع يسيطان على كل الطيور .. وتأمل  
بوديستا الموقف ملياً .. وبدأ يفكر

« لا شك أن الفروع إذا استمرت في احتكاكها كل منها بالآخر  
فلا بد أن يؤدي الاحتكاك إلى وجود شرر .. وإذا وجد الشرر فسيتطاير  
وتشتعل النيران فتحرق الأوراق الجافة المتساقطة .. وإذا اشتعلت النيران  
في الأوراق فسرعان ما تحترق الشجرة العظيمة نفسها .. وإذن فعلينا إذا  
أردنا الحياة أن نبتعد من هنا .. وأن نرحل على الفور إلى مكان آخر.

وراح الطائر .. بوديستا يفرد لتسمعه بقية الطيور

« إن الشجرة بنت الأرض ..

وهي التي نعتمد عليها نحن أبناء الهواء ..

هذه الشجرة نفسها بدأت تشتعل بالنار

فأهرب أيها الطيور بعيداً في السموات ..

فوطننا هو نفسه .

بدأ يسبب لنا الأخطار والموت »

وأنصت الطيور إلى صوت بوديستا .. وكان بعضها من الحكمة  
حيث استمعوا للنصيحة ، وطاروا معه بعيداً في الهواء .. أما الآخرون  
الذين لم يسمعوا العظة ولا اهتموا لها فقد كانوا من الحق بحيث بقوا  
في مكانهم وراحوا يقولون

« إن بوديستا يرى التماسيح دائماً في قطره الماء .. »



ولم تمض لحظات .. حتى اشتعلت النيران بالفعل بنفس الطريقة  
التي تنبأ بها بوديستا . واحتترقت الشجرة عن آخرها وتصادم معها اللهب  
والدخان .. وعميت عيون الطيور التي ظلت هناك .. فعجزت عن الهرب.  
وسقطت في أعماق اللهب

وكانت هذه القصة في الواقع .. بمض ما يحدث على وجه الأرض ..  
وبمثل هذه الألوان من الحكمة كان كل الناس في مملكة «الساكيا»  
حيث قصر أبيه الملك يتحدثون عن بوذا المستنير .. ابن الملك الذي  
عاش حياة الفقراء من أجل أن يصل إلى حكمة الحياة .  
وانطلق الرسل من مملكة الساكيا يبحثون عن بوذا ..

وبينما بوذا جالس يعظ الناس ذات يوم إذ وصل رُسل قادمون من  
مملكة أبيه .. ليقولوا له أن الملك سودهودانا يطلب منه السفر إلى الساكيا  
لزيارته ورؤية أفراد أسرته ..

ومضى بوذا مع رسل الملك ومن خلفه آلاف من المعجبين .. وانطلق  
إلى القصر الذي هرب منه ذات ليلة مظلمة منذ أكثر من ثمانية أعوام  
ليبحث عن الحكمة ..

وحالما وصل إلى القصر أخذ بوذا يعظ أسرته ويفسر تعاليمه .

وقالت الملكة باجاباتي إن البراهمية وهي عقيدة بلادنا لا تسمح  
للنساء بالاشتراك في الأعمال الدينية .. ولكنك تقول أن تعاليمك هي  
لجميع الطبقات ولجميع الطوائف .. فهل هي للنساء كما للرجال ؟  
قال بوذا : إنها كما تقولين .

فالت الملكة إذن يجب أن تكون هناك أخوات راهبات كما

يوجد رهبان ..

## ووافقها بوذا

ومنذ ذلك اليوم نظم بوذا قواعد للراهبات .. وأقامت الملكة  
باجاباتي أول منظمة للأخوات الراهبات البوذيات .. وكانت الأميرة  
يوسودهارا زوجة بوذا أول امرأة تلتحق بالرهبة .

وانتشرت تعاليم بوذا في جميع أنحاء مملكة أبيه واعتنقها أهل  
الملكة ، وأطلقوا على بوذا اسم « حكيم الساكيا » .

وعندما بلغت شهرة بوذا الآفاق .. انضم ابن عمه وغريمه السابق  
ديفاداتا إلى العقيدة البوذية ..

غير أن ديفاداتا الذي تظاهر بالصلاح كان في الواقع شديد الغيرة  
من الشهرة التي بلغها بوذا .. فراح يتآمر صده ، وحاول خيانته مع الملوك  
الذين كان بوذا محبوب ممالكهم ولكن مؤامرات ابن العم لقتل  
غريمه باءت بالفشل وانكشف أمره أمام بوذا وأتباعه . وحل  
عليه العار والحزى والخسران ..

الوصايا الخمس      وحيثما حل بوذا كان الناس ينطلقون إليه زرافات يستمعون إلى  
عظاته ..

وجاءته امرأة ذات يوم باكية وقالت له

— أيها المستنير لقد مات إبني الوحيد . وذهبت إلى كل  
مكان أسأل « هل هناك من طريق لإعادة إبني إلى الحياة » فكان الناس  
يقولون « إذهبي إلى المستنير فقد يستطيع معاوتك » فهل تستطيع أيها  
السيد أن ترد إبني إلى الحياة ؟

ونظر بوذا إليها في عطف ثم قال :



— إذا جئتي ببذر خردل من بيت لم يمّت فيه والدان أو طفل  
أو أقارب أو خادم .. فسأردك حياة ولدك .

وزهب المرأة تبحث عن بذر خردل من بيت ينطبق عليه وصف  
بوذا . وقضت شهوراً طويلاً تنتقل من بيت إلى آخر وهي تبحث  
ثم عادت إلى بوذا آخر الأمر فقال لها

— هل جئت يا ابنتي ببذر الخردل الذي طلبته ؟

فقالت المرأة

— كلا .. وقد قال لي الناس أن الأحياء قليلون والموتى كثيرون .

قال بوذا

— هذه هي الحياة يا ابنتي .. كلها آلام .. والطريق الصحيح إلى  
الحياة الصالحة هي الوصايا الخمس للاستقامة .. لا تقتل كائناً حياً .  
لا تسرق . تأخذ ما لم يعط لك .. لا تقل كذباً قط .. لا تقم على  
دنس . لا تسكر أو تخدر نفسك في أى وقت

وآمنت المرأة بتعاليم بوذا وأصبحت واحدة من الأخوات  
الراهبات المؤمنات بحكمة المستنير . وعقيدته من أجل الحياة الصالحة  
لكل الناس

واستمر بوذا يواصل نشر تعاليمه في الناس .

**عقيدة عالمية**

وفي خلال تجواله الجديد التقى بالملك ميسارا ملك موجاده وقال له  
الملك « إذا أحسن فهمك فأنت لا تبشر بعقيدة جديدة . . ولكنك  
تضع تغييرات كبيرة في العقيدة القديمة . وهي البراهمية . . وتجعل منها  
عقيدة عالمية . . »

ركان هذا هو بالفعل ما يتحدث به الناس فالبراهمية كانت عقيدة قومية هي عقيدة الهندوس ولا أحد سواهم قط بل إن كل العقائد الأخرى التي كانت قائمة في العالم أيام بوذا، كانت هي الأخرى عقائد قومية فحسب لا تسمح حتى للشعوب الأخرى باعتمادها ومن هنا كانت الهندوكية، أي البراهمية، قاصرة على من يولدون هندوكيين أما الذي لا يولد هندوكيا فهو لن يدخل في عقيدة البراهمية حتى ولو آمن بكل ما يؤمن به الهندوكيون، ولو عبد كل الآلهة التي يعبدون

ثم جاء بوذا . وعندما تحدث عن عقيدته قال إن كل إنسان يستطيع أن يلتحق بسلك الرهينة دون اعتبار قط للجنس أو اللون أو الأمة التي يتبعها . ما دام المؤمن يرغب في اتباع الطريق ذي الثماني شعب . وهكذا صارت البوذية عقيدة تستطيع أن تجد أتباعا بين جميع شعوب العالم . ومضى بوذا ورهبانه أعواماً عديدة يطوفون كل أنحاء العلم يعلمون الناس الطريق ذا الثماني شعب . ويساعدون الفقراء كلما استطاعوا . . ويقولون للجميع من الخير يجب أن يأتي الخير ومن الشر لا بد أن يأتي الشر

وراح بوذا يقول لأتباعه من الرهبان « مبارك كل من كانت فيه الحقيقة والاستقامة . اذهبوا وعلّموا كل واحد في كل مكان كيف يجب أن يحيا الإنسان حياة صالحة »

ومضت الأيام تسير .

**وفاة بوذا**

وبلغ بوذا الثمانين . ومرض فجأة . وعرف أن النهاية قد دنت . وأخذ رهبانه يبكون ويقولون :



— إن سيدنا ستركنا .

والتفت إليهم بوذا وهو يقول :

— عندما أموت ولا أصبح بينكم .. فلا تظنوا أن بوذا قد ترككم  
أو أنه لم يعد موجوداً بينكم . فليدركم كلمتي وتعاليمي من أجل الحقيقة ..  
وليكن دليلكم تلك التعاليم التي علمتكم ..  
وبعد أن قال، ذلك .. مات .. وكان ذلك عام ٤٧٠ قبل الميلاد ..  
أي منذ أكثر من ٢٤ سنة مضت ..

\* \* \*

### عقبة حب

مضى بوذا .. ولكن تعاليمه ظلت تجذب الآلاف والملايين من الأتباع ..  
كلهم يؤمنون بحكمة الرجل الذي قال: « على الإنسان أن يتغلب على غضبه  
بالشفقة ، وأن يزيل الشر بالخير . إن النصر يولد المقت لأن المهزوم في  
شقاء . وإن الكراهية يستحيل عليها في هذه الدنيا أن تزول بكراهية  
مثلها .. إنما تزول الكراهية بالحب »

ومن أجل ذلك الحب .. عاش الملايين من أتباع بوذا يحبون بعضهم  
بعضاً كما يحبون كل من يتحدثون إليهم بعبارة جميلة تقول : « السلام على  
جميع الكائنات » ذلك أن العقيدة التي تعلموها كانت تقول أنه لا يجوز  
لهم أن يقتلوا كائناً حياً ، ولا أن يأخذوا شيئاً لم يعطوه ، وأن عليهم أن  
يحتنبوا الكذب والنميمة ، وأن يصلحوا ما بين الناس من خصومة  
ويشجعوهم على الوفاق ، وأنه حم عليهم أن يظهروا الرحمة دائماً بالناس  
جميعاً والحيوان معاً .. وأن يتجنبوا كل لذائذ الحس والجسد ، فيتجنبوا  
الموسيقى والرقص والملاهي والألعاب وأسباب الترف واللغو في الحديث

والنقاش والتنبؤ بالغيب ، على أن يصونوا عهدهم وأن يجانبوا النساء  
ويعيشوا في طهر كامل حتى الموت ..

ألوهية بوذا ومضت عشرات ومئات من السنين .

وخلال السنوات الطويلة التي راحت تمر .. بدأ الأتباع ينسون أن  
فكرة بوذا عن الدين كانت خلقية خالصة .. وأن كل ما كان يعنيه هو  
سلوك الناس .. أما الطقوس وشعائر العبادة وما وراء الطبيعة واللاهوت  
فكلها عنده لا تستحق النظر

نسى الأتباع كل هذا وراحوا يؤلهون بوذا نفسه .. وبدأت  
القصص في كتبهم المقدسة تتحدث عن الإله بوذا .. وتصف كيف تقدم  
له القرابين .. وبعد أن كان بوذا يعظ ضد الأصنام .. أقام له أتباعه التماثيل  
في كل معبد وجعلوا منه هو نفسه إلهاً معبوداً ..

واستمرت السنون تَمْضى .. والخلافات تستفحل بين الأتباع الذين  
حولوا البوذية إلى دين كامل .. وراحوا يختلفون في تفسير التعاليم

وأصبح للبوذية كهنة .. ولكن الكثيرين منهم لم يفهموا ماذا علم  
بوذا وعندما لا يستطيع الكهنة فهم التعاليم الكبرى لأساتذتهم  
يحاولون تفسيرها بطرقهم الخاصة . وعندئذ يقولون إن تفسيراتهم هي  
وحدها الصحيحة وما عداها باطل وغالباً ما تتناقض تفسيراتهم مع  
ما علمه أساتذتهم .

وكان هذا هو ما حدث بالفعل ..

فقد آسعت شقة الخلافات حول ما الذي كان يقصده بوذا وما الذي  
لم يكن يعنيه . وبدأت هذه الخلافات تتيح الفرصة لكثير من تعاليم



الديانات الأخرى التي تعيش في الهند مثل الفيدية والبراهمية تتسرب إلى البوذية بالرغم من حرص المخلصين من التلاميذ على مقاومة تأثير عقيدتهم بغيرها من الديانات

وانقسم الأنباع قسمين واتصح انقسامهم في مؤتمر عقده انقسام البوذيين في مدينة فيسالي محتوا فيه النقطة العشر التي اختلفوا عليها وكانت هذه النقطة هي

\* هل مسموح لأنباع العقيدة أن يحفظوا الملح في إناء من دون بقية المأكولات؟

\* هل مسموح للبوذي أن يتناول وجبته اليومية عندما يكون عرض ظل الشمس حوالى أصبعين أى بعد الظهيرة مدة قصيرة؟

\* هل يجوز للمؤمن أن يتناول أكثر من وجبة واحدة من الطعام في اليوم؟

\* هل يجوز عقد اجتماعات دورية متعددة داخل منطقة واحدة؟

\* هل يجوز عقد اجتماعات لتقرير أمر يخص الجماعة دون استكمال عدد الأعضاء؟

\* هل يجوز للطالب أو المرشد أن يحاكي مرشده في عاداته وسلوكه ويقلده في مختلف أفعاله معتقداً أن هذه المحاكاة ممكن أن تجعله مختصر عدد الولادات المستقبلية وتقرنه من بلوغ النيرفانا؟

\* هل يكون آتماً من تناول اللبن الأحذ في التمر دون أن يخض؟

\* هل يجوز شرب السوائل الأحدة في التمر

\* هل نأثم من يجلس على قطعة من القماش المزركش أو المذهب ؟

\* هل يجوز للمؤمن امتلاك الذهب والفضة ؟

وشجعت الديانات الأخرى هذه الانقسامات وأخذت تدس تعاليمها

في ثنايا البوذية حتى تضارب فيها الآراء .

وبدأت البوذية تفقد أتباعها شيئاً فشيئاً

و بعد مضي ألف ومائتي سنة كانت الديانات الأخرى قد عملت على

القضاء على البوذية في الهند بأن صهرت التعاليم البوذية في بوتقة الهندوسية

وجعلت من بودا واحداً من آلهة الهندوس وأقبل الناس على الهندوسية

لأنها دين الدولة الرسمي التي في يدها مقاليد السلطان والقوة ، ولأنها تؤمن

بإله يعبد وتعتقد بوجود روح الإنسان ولم يكد القرن السابع الميلادي

يهل حتى كان الكهنة الهندوس لا يسمحون بأن يكون للبوذية أى نوع

من النفوذ في البلاد .

ولم يعد يوجد في الهند من أتباع بودا سوى عدد قليل يعيش في بلاد

ماوراء الهمالايا

على أن تعاليم بودا وإن كانت قد فقدت سلطانها في الهند إلا أنها ذهب

شرقاً إلى نيبال وتركستان الشرقية والصين واليابان وجنوباً إلى بورما وسيام

وسيلان . . وإن كانت في ذهابها إلى كل من هذه البلدان قد اتخذت ألوانا

مختلفة من المذاهب التي انقسمت إليها البوذية

وكانت هذه الألوان غاية في الاختلاف

فأتباع البوذية في جنوب الهند وجزيرة سيلان استمسكوا حيناً

بمذهب صاحب العقيدة في بساطته وبعائنه . فعبدوا بودا باعتباره معلماً



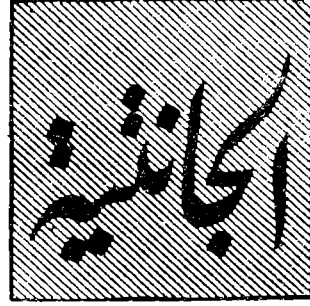
عظيما وليس إلها وكان كتابهم المقدس هو الذى يبسط العقيدة فى صورها القديمة

والبوذية التى سادت فى التبت ومنغوليا والصين واليابان إلى جانب ما بقى منها فى الأرجاء الشمالية للهند أعلنت ألوهية بوذا . وأحاطته بالملائكة والقديسين ، واصطنعت نقشف « اليوجا » ، أعلنت تعاليم أقرب إلى نفوس الناس من الصورة السوداء المتشائمة المترنمة القديمة وصور ذلك القسم البوذية حنة فيها بودون كثيرون وهذه الجنة وجهم التى تقابلها كانت ثوابا أو عقابا لما يأتية النساء على الأرض حير أو شر وازدهرت فى هذه البوذية الجدية قدسية الباقية من السلف واستخدام الماء المقدس والشموع والسنجور والمسبحة والثياب الكهنوتية والرهبان والراهبات وقص الشعر والصيام أياما معينة وتدشين القديسين والتطهير والصلاة والدعاء المولى .

وهكذا أصبح لبودا فى جميع أنحاء آسيا معابد بناها أتباعه ووضعوا له فى كل معبد تمثالا وأصبح الأتباع يأتون إلى هذه التماثيل بالأزهار يصومها عند قدحى التمثال ومحرقون الخور أمامه ويكرمون ذكراه

ومض أعوام تزيد على ألفين وربعمائة سنة منذ مات بودا

وبرغم كل تلك الأعوام فلا تزال تعاليمه حية فى قلوب بضعة ملايين من الرجال والنساء كلهم يؤمنون رغم اختلافهم بالطريق ذى الشعب الثمانى التى يجب على الناس أن يتخذوها من أجل الحياة الصالحة . . وبأن لافرق بين شخص وآخر إلا بالجهد الصالح الذى يبذله فى سبيل بلوغ النيرفانا تماما كما يؤمنون بأنه من الخير يجب أن يأتى الخير ومن الشر لا بد أن يأتى الشر . .



في داخل نفوسكم الخلاص  
فليس بالصلاة ولا بالقرايين  
ولا بعبادة الأصنام والأوثان .  
يمكن للمرء أن يجد الغمران  
أو يصل إلى طريق الحياة الصالحة  
ولكن بالعمل الطيب ،  
يمكن أن تبلغ النيرفانا  
لا تقتل الحيوان لتتخذ منه طعاما ،  
ولا تصد برأ أو محرأ ،  
ولا تقتل أدنى المخلوقات في أى وقت  
لا تقتل البعوضة التي تعضك ،  
ولا الذلة التي تلمسك  
لا تذهب إلى الحرب ،  
ولا تقاتل من يهاجمك  
ولا تدرس دودة على الطريق  
فخى الدودة لها روح .

« ماهافيرا »

# نعمة الحياة .. أن تجوع لتموت

الصمت .. هو أقدس المقدسات عند الهندوس ، أشد قدسية من الموت نفسه .. الموت الذى لا يكون مقدسا بحق إلا إذا تم عن طريق الجوع الكامل . وهو غاية التدين والإخلاص لآلهة السماء .

وكان الصمت .. والموت المقدس .. هما كل ما يتحدث عنه الناس فى فيسالى .. عاصمة مملكة موجادة بشمالى الهند .. فى ذلك الوقت من عام ٥٧٢ قبل الميلاد ..

فذات يوم استيقظ الناس على نبأ موت الملك سرياما وملكته تريسالا . بعد أن قررا أن ينعما بالموت المقدس .. عن طريق الجوع ولم يحزن الناس كما كان المفروض أن يحدث ، بل إن الفرحة كانت تغمر الجميع وهم يتمنون على الآلهة أن تتاح لهم الفرصة لميتوا ذلك الموت المقدس كما مات الملكان الحبيبان .

غير أن واحداً من بين الجميع كان يبكى .. وكان هو الفتى فيرادامانا .. الابن الثانى للملك الراحل .. والشقيق الأصغر للملك الجديد .

واستلقى الفتى على صدر أخيه والحزن يكاد يقتله وقال له

— أخى .. إن الحزن ليعصف بى لفقد أبويننا .. وإنى لأجد رغبة

تقهرنى تريدنى أن أقسم على أن أظل اثنى عشر عاما مهملًا جسدى لأعانى كل ما يمكن أن يحل بى من المصائب التى تنزلها بى قوى السماء أو الشر أو الحيوان

وراح الملك يهدىء أخاه ويقول له :

— يا فيرا أ يكون من المعقول أن تتركنى وحدى على هذا العرش  
والبلاد كاترى .. وموت أبوينا العزيزين لا يزال ماثلا فى أذهان الجميع ؟ ..  
ألا ترى أن تركك إياى فى مثل هذا الموقف يزيد أحرزى وآلامى

ولم يكن بد من أن يرضخ الأمير فيرادا مانا لرجاء أخيه .. واضطر  
أن يعده بالبقاء معه لعامين فحسب على أن يترك القصر . . . وفيسالى  
كلها بعد انقضائهما لينفذ القسم الذى قرر أن يقسمه ..  
وكان هذا هو الذى حدث بالفعل ..

القسم

فلم يكده يمضى عامان حتى انطلق الأمير فيرادا مانا مودعا قصر أخيه ..  
وما كاد يفادر باب القصر حتى التقى فى إحدى ضواحي المدينة . . بواحد  
من آلاف الرهبان المتسولين الذين يملأون الشوارع والطرق . . فبذل  
معه ثيابه .. ثم أقسم وهو فى ثياب الرهبان قسما آخر  
« من اليوم . . ولمدة اثنى عشر عاما .. أقسم أن أصوم عن الكلام ..  
وألا أنطق كلمة واحدة خلالها ما حييت »

وبدأ فيرا تجوله فى البلاد .. كواحد من آلاف الرهبان فى الهند .  
مضى الراهب المتسول الجديد فى طريقه صامتا يستعرض أيام حياته ..  
وما سبقها من تنبؤات

وفى مثل هذه اللحظات التى يفكر خلالها فى ماضيه ، كان فيرا يتذكر  
تلك الأحلام التى رآتها أمه قبيل مولده . وهذه النبوءة التى تنبأها العرافون .  
قبل ذلك الوقت بثلاثين عاما . . بينما أمه الملكة تريسال تترقد فى  
القصر ، إذ بها ترى عدة أحلام تتابع كل منها وراء الآخر . حتى بلغت  
الأحلام فى تلك الليلة خمسة عشر حلما . وكان مارأته فى خلال أحلامها





أشياء غريبة لم تفكر فيها من قبل قط .. فقد رأت في حلمها الأول فيلا أبيض كما رأت في الثاني ثوراً أبيض .. وفي الثالث أسداً أبيض يستلقي على الأرض وفي الرابع رأت الإلهة سرى ربة الثراء

وتتابعت بعد ذلك الرؤى .. فقد استنشقت عبير زهور ماندر المقدسة .. ثم رأت البدر كاملاً يرسل أشعته الفضية لتفمر كل وجه في العالم .. شهدت الشمس ساطعة مضيئة ولكن في لون قرمزي .. وبعدها رأيت سمكتين هما رمز السعادة ثم جرتين مليئتين بالماء المقدس .. ثم بحيرة مليئة بزهور اللوتس .. يليها محيط مليء باللبن .. ووجدت تريسالا نفسها في الحلم الثاني عشر تعيش في قصر سماوي ومن حولها ملكات الموسيقى وعندما جاء الحلم الثالث عشر رأت زهرية ضخمة مليئة بالأحجار الكريمة يبلغ حجمها مثل الجبل .. وملأت عينيها بعدها شعلة مضيئة رائعة تبهر البصر .. ثم كان الحلم الأخير .. حيث وجدت تريسالا نفسها وأمامها عرش رائع مرصع بالماس والياقوت .. ومن فوقه جلس ملك لم تستطع أن تبصره جيداً .. ولكنه كان يحكم من فوق العرش كل مكان في العالم الأرضي .

وفزعت الملكة تريسالا من كل ما رآته في أحلامها وانطلقت إلى الملك الذي دعا الحكام إلى القصر حيث أعلنوا جميعاً أن كل هذه العلامات تنبئ بمولد واحد من اثنين .. إما حاكم وإما قديس

المزبد

وفرح الملك ولكنه لم يفعل عندما جاء المولود كما فعل أبو بوذا من قبل عندما حرم ولده من مغادرة القصر حتى لا يرى مآسى الحياة .. بل أن ملك موجادة قرر أب يدع ولده وشأنه وألا يتدخل في المصير الذي كتب له

وفي اليوم الثاني عشر لمولد الطفل ، وعند تكميده .. أطلق الملك عليه اسم

فيرادامانا . ومعناه « المزيد » فقد زادت مند يوم مولده ثروة عائلته  
سواء في الذهب أو الفضة أو القميح أو الجواهر أو الياقوت ..

ومضت السنوات تتابع والطفل يكبر ويتعلم ويتدرب على أيدي  
معلمين مهرة .. يعلمه أحدهم استخدام القوس والسهم ويعلمه آخر  
كيف يسيطر على الجياد الجامحة .. بينما يعلمه ثالث الطريقة التي يستطيع  
بها أن يسوس الفيلة ..

## ماهافيرا

وذات يوم كان الأمير فيرادامانا يلعب في حدائق القصر مع أبناء  
وزراء أبيه ، وكان مستغرقاً في اللعب مع رفاقه إلى حد أنهم لم يسموا ذلك  
الصوت الهائل الذي راح يندفع نحوهم آتياً عبر الحديقة . وعندما اقترب  
الصوت تطلعا جميعاً إليه . فرأوا فيلاً هائلاً يتقدم نحوهم وهو يهز  
خرطوميه في جنون .. وأسرع الأولاد يتفرقون فرعين في كل اتجاه ..  
عدا الأمير الصغير .. فقد ثبت في مكانه ساكن الحركة .. حتى  
إذا ما اندفع الفيل نحوه وكاد يدوسه بأقدامه .. انقض الأمير فجأة وأمسك  
بخرطوم الفيل بطريقة غريبة كان قد تعلمها من مدرب حيوانات القصر ،  
ثم ارتقى رأس الفيل .. وراح يهدئه في بساطة حتى هدأ ، ثم راح يقوده  
عائداً به إلى حظيرته حيث أسرع السائسون بالسلاسل ليقيدوا الفيل

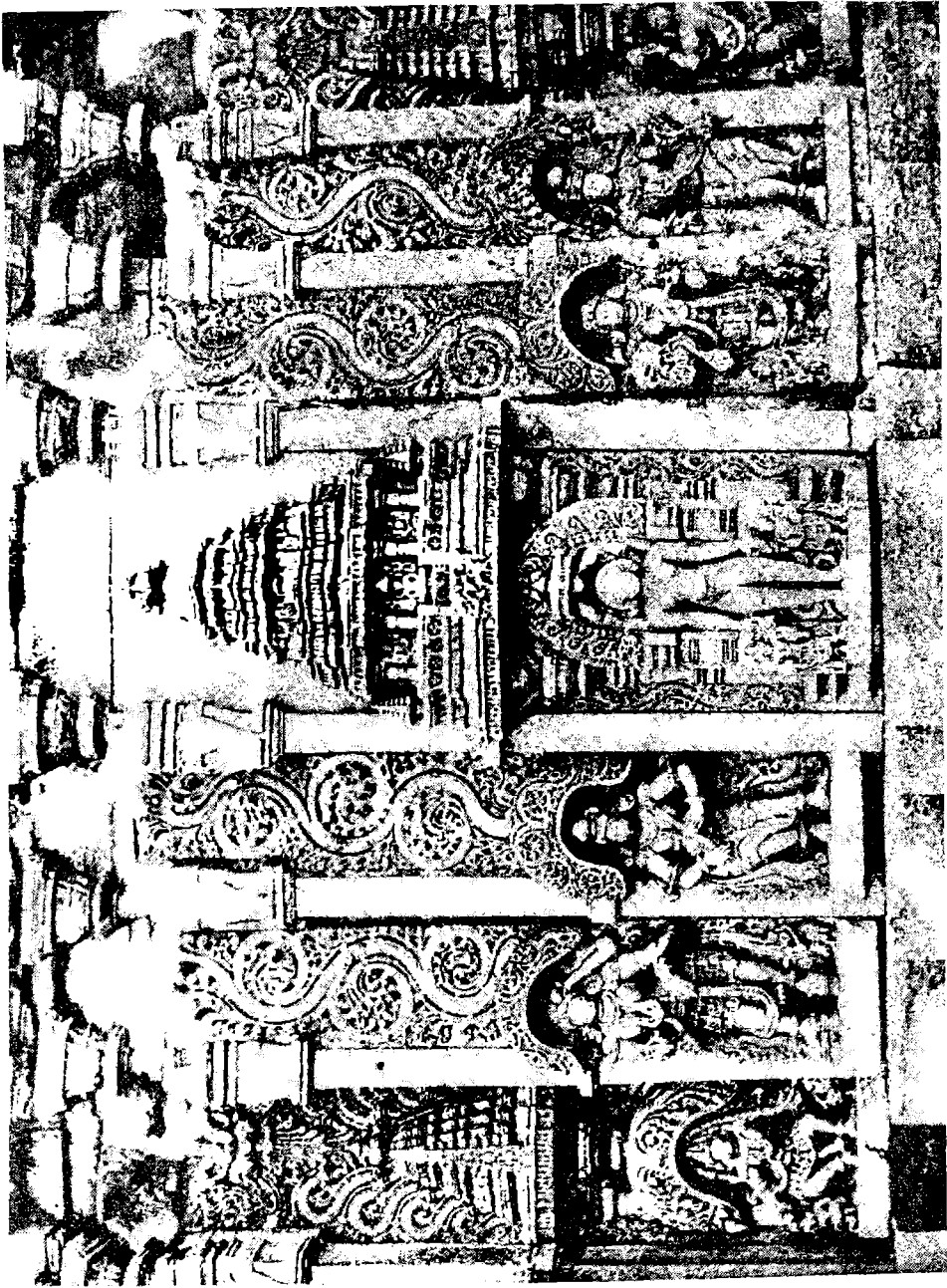
ولم يذكر الأمير شيئاً لأبويه عما حدث . ولكن مدربي  
الحيوانات أسرعوا إلى القصر ليقصوا قصة شجاعة الأمير . ومن داخل  
القصر انطلق النبا ليتحدث الناس بعد عن قدرة الأمير وشجاعته الفائقة ..

وفي ذلك اليوم أطلق الناس على الأمير اسم — ماهافيرا — أي

البطل العظيم



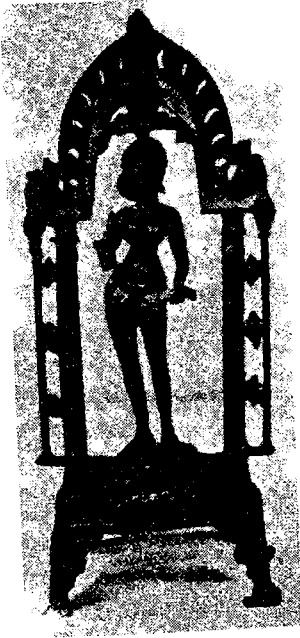




مدخل أحمد العابد الجائقة الفحة وقد حفرت الجائل على أوجهته المذوعسة من الرخام. وهو في مدينة ميسور.



الملكة تريسالا أم ماهافيرا  
وترى وهي تنزىن وحولها  
وصيفاتها يقدمن لها الفاكية  
والأزهار بعد مولد طفلها الصغير



تمثال من البرونز  
لإحدى ربوات الجاننية

تمثال منحوت في الصخر  
للقديس الجيني جونا مشفارا  
بمسور



ملك الناجا من  
أتباع ماهافيرا  
القاتح في الرداء  
الديني الرسمي



لوحة لماهافيرا القاتح مرسومة على القماش





بلغ الأمير ماهافيرا الثانية عشرة ، ووضع الخيط المقدس وأقسم على الاستمساك بعقيدة آباؤه . ثم أرسل به إلى الكهنة لعدة أعوام ليدرس على أيديهم أسرار العقيدة الهندوكية .

وبقدر ما أحب الأمير دراسته بقدر ما كره معاليه . فقد وجد هؤلاء المعلمين من الكهنة والبراهمة يظنون أنفسهم خير الناس في العالم حتى أنهم يفضلون الملوك وأحسن أن أغلهم تافهون . ولكنهم مع هذا لم يعترفوا بأفضلية أحد عليهم على الإطلاق .

على أن الأمير عندما شب وبلغ التاسعة عشرة ، نسي كراهيته للكهنة والبراهمة .. فقد امتلأ قلبه بحب كبير .. وراح يهيم بالأميرة الحسنة يوسادها ، حتى تزوج منها . واستقرا في القصر الملكي مع بقية أفراد أسرة أبيه . وعاش الأمير وأسرته ما يقرب من عشرة أعوام ، ينعمون بالسعادة في داخل القصر الملكي بفيسالي عاصمة مملكة موجادة

### القسم الأعظم

ثم بلغ الأمير الثامنة والعشرين . وفي ذلك العام ماتت أمه وأبوه موهما المقدس ، ليتركاه مهياً للحزن الذي جعله يقسم ذلك القسم العظيم بإهمال جسده إثني عشر عاما والصمت المطلق مابقي حياً خلالها ..

وانطلق ماهافيرا في صمته يخرق المدن والقرى وفي يده وعاء يمدده للرحماء من الناس ليضعوا فيه بعض الطعام فإذا صادفته غابة وضع الوعاء جانباً ، وراح يأكل من الفاكهة البرية والتوت ..

ومضت الأيام مماهافيرا وهو يقضى كل وقته في الغابات وعلى الجبال .. جالساً وحيداً يفكر في تعاليم عقيدته .

وخلال الأعوام الإثني عشر لم ينطق ماهافيرا كلمة واحدة .. ولكنه وإن ظل صامتاً عن الكلام طوال تلك السنوات ، إلا أنه ظل خلالها

يفكر ويطيل التفكير في عقيدة الراهمة . ومع كل تعمق في التفكير كان  
ماهافيرا يتبين أن الكثير من تعاليم العقيدة بعيد عن الصواب . . . وأنها  
في حاجة إلى التحسين والإصلاح .

وذات يوم . . . التقى ماهافيرا راع يرعى غنمه في الوادي الفسيح  
خارج القرية

وقال الراعي لماهافيرا إذا رعى غنمي حتى أذهب إلى القرية  
وأعود ببعض الطعام فأني أعطيك بعضه لتأكله  
وأوما ماهافيرا رأسه موافقاً . . . ومضى الراعي

ولم تمض لحظات حتى تسلل ذئب من الغابة . . . وقبل أن ينتبه إليه  
الراهب كان الذئب قد اختطف حملاً ومضى به مسرعاً يختفي بين الأشجار  
وعندما عاد الراعي ووجد أن أحد حملاته قد اختفى جن جنونه وراح يطلب  
من ماهافيرا تفسيراً لما حدث . . . ولكن ماهافيرا ظل صامتاً . . . وصاح  
الراعي « ألا تريد أن تقول لي ماذا حدث للحمل؟ تكلم أيها اللص » .

ورفع الراعي عصاه وانهاهال بها على رأس الراهب . . .  
وكان في استطاعة ماهافيرا أن يفسر للراعي سر اختفاء الحمل؟ ولكنه  
لم يشأ أن ينهك قسمه على الصمت . وكان أقوى بنياناً من الراعي حتى  
ليستطيع أن يدافع عن نفسه ويكيل له بقدر ما كاله . . . ولكنه كان  
قد أقسم ألا يحى نفسه من أي شر أو عدوان ، يحل به . . .

واستمرأ الراعي سكوت الراهب فراح يضربه حتى بدأ الدم يبرز  
من كل مكان في جسده . وعندئذ توقف الراعي فجأة عن الضرب ، ونظر  
إلى الراهب الدامى نظرة كلها الخوف والرهبة . . . وقال بصوت مرتعش  
« إنك أول رجل ألقاه يأبى أن يحى نفسه أو يهرب لا بد أنك



رجل مقدس » . . .

ولم يحب ماهافيرا ، بل جمع نفسه ومهص وانطلق لشأنه  
وجرى الراعى خلفه وراح يلتمس منه الغفران . وأوما ماهافيرا رأسه  
دلالة على الصفح .. ثم مضى

وراح الراعى يرقب الراهب وهو يختفي على التل وتتم قائلاً  
« لقد علمى هذا الراهب درساً عظيماً .. هو أن الصمت أقوى من  
الكلام

أما ماهافيرا فقد مضى فى تجواله مفكراً يقول فى أعماقه  
« لقد علمى هذا الحادث درساً عظيماً هو أن التواضع خير من  
الكبرياء ، والسلام أقوى من الغضب ..

\* \* \*

ومضت الأعوام ولكن ماهافيرا عندها انتهت أعوام الصوم لم يعد  
إلى بيته أو إلى أسرته . بل قرأ أن يظل راهباً يمضى فى طول البلاد  
وعرضها ينشر آراءه التى طلع بها خلال أعوام التفكير الطويلة الصامتة  
وراح ينتقل من مكان إلى آخر يعظ كل من يقبل الإنصات إليه  
وكان الكثير من آرائه غير غريب على الناس إذ كان جزءاً من  
عقيدتهم بالفعل .. وكان البراهمة أو المصلحون الآخرون قبل ماهافيرا قد  
بشروا به من قبل ..

ولكن بعض آراء ماهافيرا كانت جديدة جداً  
وقال الناس بعضهم لبعض « إن ماهافيرا متحدث عظيم إنه  
يقول الحق »

وأصبح كثيرون من الناس أتباعاً لماهافيرا .. وراحوا يمسون خلفه  
وينظمون أخوة وأخوات فى الرهينة ..

وكانت تفاسير ماهافيرا تقول :

« حياة الإنسان كلها عناء .. فالميلاد عناء ، والمرض عناء ، والموت

عناء ، والسعى إلى ما يريد المرء عناء »

وسأل البعض ماهافيرا « ومن أين يأتي عناء العالم ؟ »

وأجاب ماهافيرا : « يأتي عناء العالم من الرغبة .. فالناس يعانون -

وهم تعساء ، لأنهم يريدون عدداً كبيراً جداً من الأشياء .. ومهما حصل

المرء على الكثير من الطعام أو الثراء أو الشهرة فإنه يطلب المزيد دائماً ..

فالرغبة إذن هي سبب كل عناء »

قال الناس « وكيف تقضى على العناء ؟ »

أجاب ماهافيرا : « بالتخلي عن جميع الرغبات .. فعندما يتخلى الإنسان

عن جميع الرغبات يستطيع أن يعد نفسه لأعظم سعادة روحية .. وهي

النيرفانا »

وأراد الناس أن يعرفوا : « ما هو الطريق إلى النيرفانا ؟ »

وقال ماهافيرا : « الطريق إلى النيرفانا هو طريق جواهر النفس الثلاث ،

وهي الاعتقاد الصحيح والمعرفة الحقيقية والسلوك السليم .. والسلوك السليم

يأتي أولاً .. وهو باتباع الوصايا الخمس للنفس

\* لا تقتل أى كائن حى أو تؤذ به بالكلام أو التفكير أو العمل .

\* لا تسرق .

\* لا تكذب .

\* لا تلمح حياة الفجور أو تحذر نفسك .

\* لا ترغب فى شىء على الإطلاق ..

الطريق إلى

النيرفانا





وقال ماهافيرا أنه لا يؤمن بالطوائف .. ولا بالأصنام وعبادتها ..  
وأنه يؤمن بأن الصلاة لا قيمة لها ولا تفيد أحداً قط ..

وسأل الناس ماهافيرا

« إذا لم تكن تؤمن بقدسية الطوائف ، وإذا لم تؤمن بأن براهما خلق العالم ، وبأن عبادة الأصنام أو تقديم القرابين للآلهة والصلاة لها يمكن أن تفيد الإنسان .. فأين إذن يمكن للمرء أن ينشد الغفران عن آثامه حتى يمكن أن يدخل النيرفانا ؟ »

أجاب ماهافيرا

« لا بالصلاة ولا بالقرابين ولا بعبادة الأصنام يمكن أن تجدوا الغفران والطريق إلى الحياة الصالحة .. ولكن بالعمل الطيب يمكن أن تبلغوا النيرفانا .. في داخل نفوسكم الخلاص »

\* \* \*

بين بوذا  
وماهافيرا

إن قصة حياة ماهافيرا لا تختلف في كثير عن قصة حياة بوذا .. فقد كان كلاهما أميراً هندوكياً ، وكان كلاهما في صباه غاية في الشجاعة ، وكلاهما درس عقيدته محاس ، وكلاهما تزوج وكان سعيداً في زواجه ، وكلاهما هجر بيته ليصبح راهباً متسولاً ، وكلاهما وجد عدة عيوب في تعاليم عقيدته ، وكلاهما عاد بعد عدة أيام من التفكير ليشر بتعاليم جديدة لشعبه الكبير

وتكاد تعاليمهما تتشابه إلى حد أنها تبدو لأول وهلة تعاليم رجل واحد.

ومع ذلك فقد أقاما عقيدتين مختلفتين كل الاختلاف . فبرغم أن الرجلين كانا يتبعان طريق البرهمية بما فيها الكارما والتجسد والنيرفانا ..

إلا أنهما عندما يصلان إلى قدسية الطوائف ، والخلاص بالصلاة وتقديم  
القرابين ، والحديث عن الحقيقة المطلقة في كتاب الفيدياس البرهمن المقدس ..  
عندئذ ينأى كل من بوذا وماهافيرا بجانبه بعيداً عن البرهمنية ..

وبرغم أن كلا من الرجلين كان يعتقد أن على المرء أن يعتمد على  
معمونة الآلهة ، ويميش طبقاً للاعتقاد الصحيح والمعرفة الحقيقية .. إلا أن  
ماهافيرا أو بوذا لا يكادان يبداً في تقرير ما هو السلوك الحق للرجل  
الصالح حتى يترك كل مهما الآخر ويبدو الاختلاف بينهما واضحاً كبيراً ..  
فبوذا يمضي قدماً في الطريق الوسط .. طريق الاعتدال الذي يؤمن  
بأن التطرف شر ..

أما ماهافيرا فيمضي في طريق تعذيب النفس المسمى بالنسك .. وهو  
يؤمن بأن التجويع وتعذيب النفس يساعدان الإنسان على الوصول إلى  
الحياة الصالحة ..

وثمة شيء آخر يختلف فيه الحكماء العظامان اختلافاً خطيراً يفرق  
تماماً بين كل من العقيدتين . هو أن ماهافيرا — برغم اعتقاده مثل  
بوذا بأن لكل الأحياء روحاً — إلا أنه قال أيضاً أنه حتى الأشجار والماء  
والنار والخضر لها هي الأخرى أرواح وليس كل هذا فحسب . بل  
أن ماهافيرا قال أيضاً إنه إذا عاش الإنسان حياة غير صالحة .. فإنه لا يولد  
بعد وفاته من جديد في جسم خنزير أو ثعبان أو ضفدعة فحسب . بل قد  
يولد ثانية فيجد نفسه جزرة أو بصلة أو حتى بنجرة ..

ولم يكن هذا وحده هو أسوأ ما هناك

فقد قال ماهافيرا إن هناك في الأعماق تحت سطح الأرض .. جحيماً من  
سبع طباق ، كل طابق منها دون الآخر وأشد هولاً .. وكلما كانت الروح  
أشد شراً وجدت نفسها ملقاة في أسفل درك في الجحيم ..

الجنة والنار



ويبدو أن ماهافيرا كان يؤمن بأن لأرواح الأحياء وزنا .. فعندما  
تخطيء الروح تصبح ثقيلة وتفوص إلى أسفل .. فإذا كانت خطيئتها  
بالغة الضخامة — ظلت أفوص وتفوص حتى تصل إلى الجحيم  
السابع الرهيب ..

أما الروح الصالحة النقية فترتفع وترتفع إلى إحدى الجنات الست  
والعشرين التي ترتفع كل منها فوق الأخرى . وعندما تصبح الروح غاية  
من الصلاح وغاية في النقاء ، تظل تزداد خفة حتى تصل إلى الجنة  
السادسة والعشرين وعندئذ تدخل النيرفانا

على أن ماهافيرا كره الأصنام كما فعل بوذا من قبل ولهذا فقد  
ظل يجوب أنحاء الهند ثلاثين عاما يبشر صد عبادة الأصنام وصد الطائفية  
ويشرح معتقداته في الجنة والنار ونظم خلال ذلك طائفة من  
رجاله في سلك رهبان عزاب وطائفة أخرى من النساء في سلك  
الراهبات العانسات ..

وعندما بلغ السبعين عن عمره جاء ماهافيرا إلى مكان يدعى  
— بافا — وهنا كان المرض الثقيل قد حل به .. وأحس أنه لن يستطيع  
المضى بعد ..

وعندما حدث هذا .. دعا ماهافيرا إليه أتباعه وألقى عظته الأخيرة ..  
وقال أحد الأتباع

« ما هي أهم تعاليمك الأولى بالاتباع ؟ »

أجاب ماهافيرا :

أدى الخلوقات في أى وقت ، ولا تقتل البعوضة التى تعضك أو النملة التى  
تلسك . . ولا تذهب إلى الحرب ولا تقاىل من يهاجمك ، ولا تدس  
دودة على الطريق . . فحتى الدودة لها روح «

وفى الصباح التالى مات ماهافيرا . .

ثم حرق جثمانه فى — بافا — . . بإقليم بهار بالهند حيث  
لا تزال حتى اليوم هى الكعبة المقدسة لأتباعه . . الجينيين .

\* \* \*

## ساعات الموت

عندما زقد ماهافيرا على فراش الموت اجتمع حوله كل ملوك هذا  
العالم وحكامه وراح ماهافيرا طوال أيام ستة يتحدث إلى الملوك والحكام  
ويلقى فيهم عظاته . . واستمر على ذلك الحال حتى كانت الليلة السابعة  
لاحتضاره . . وفى تلك الليلة . . تحرك ماهافيرا فى بضع شديد . . وهض  
ليصعد على عرش من ماس كان يتوسط قاعة رائعة بالغة الفخامة . . تشع  
جوانبها كلها بأضواء متألقة غريبة لا يبدو لها مصدر قط وجلس  
ماهافيرا على العرش ثم عاد يتكلم من جديد

واستمر ماهافيرا يلقى عظاته فى الملوك والحكام . . حتى بدأ الفجر  
يقرب . . وفى تلك اللحظة غشى النوم أبصار كل من فى القاعة . . بينما  
ودع ماهافيرا الحياة واختفى دون أن يراه أحد قط

ومض لحظات . . ثم فتح الجميع عيونهم من جديد وكأنهم يستيقظون  
من سبات عميق . . وعندما أطلوا حولهم لم يروا شيئاً على الإطلاق  
فقد كانت القاعة كلها غارقة فى ظلام رهيب تماماً كما أحاطت الظلمة بكل  
أنحاء العالم الفسيح

ومر: أجل أن يرى الحكام والملوك بعضهم بعضاً . . أمروا بإشعال  
للشاعل فى كل مكان . . وظلت المشاعل منذ ذلك اليوم الذى اختفى فيه

ماهافيرا هي الوسيلة الوحيدة للناس عندما يجيء الليل ويسيطر الظلام  
على كل أنحاء الكون  
ومضى ماهافيرا ..

غير أنه عندما مضى كان عدد رهبانه يتجاوز أربعة عشر ألفاً من أبناء  
الهند .. وتابع الرهبان أداء المهمة التي بدأها أستاذهم .. وراحوا يتنقلون  
من مكان إلى آخر يعلمون الناس حكمة الجانتيه ، بعد أن جمعوها في كتب  
سميت « أجاماس » ومعناها « الوصايا » أصبحت هي الكتب المقدسة  
عند جميع الأتباع ..

\* \* \*

### مؤسس الجانتيه

يقول الجانتيون أن ماهافيرا لم يكون وحده هو مؤسس عقيدتهم  
بل لقد آمنوا بأن هذه العقيدة أسسها في الحقيقة أربعة وعشرون « جينا »  
أى أربعة وعشرون فاتحاً ظهروا على فترات دورية ليبدشروا الناس  
ويهدوا شعب الهند إلى الطريق المستقيم  
وأول فاتح عندهم هو الإله « أديناث » الذى ظهر قبل ذلك بأكثر  
من بليون مليون سنة وآخر فاتح عندهم هو ماهافيرا الذى توفى حوالى  
سنة ٤٨٠ قبل الميلاد

وبدأ كهنة الجانتيه يبشرون بعقيدتهم للعالم بهذا الاعتقاد وهو  
أن هذه العقيدة يرجع تاريخها إلى بلايين ملايين من السنين وقالوا للناس  
أن دينهم أزلى لا بداية له ولا نهاية لوجوده ولم يكن لمؤسسه فضل إلا  
أنهم رفعوا عنه الحجب وأطلعوا أتباعهم على أسراره . قال الرهبان :  
« عندما علم ماهافيرا لم يفهمه البشر وحدهم فحسب بل فهمته  
المخلوقات التى تزحف ، والطيور التى تطير ، وأرواح الخضر والأشجار  
فهمته كلها لأنه كان يُعلم عقيدة تقول أن لكل شئ روحا . . . وهى  
نعمة لجميع المخلوقات على وجه الأرض . »

وتساءل بعض الناس وما هي الطريق المؤدية إلى الخلاص  
والنجاهة؟»

لمربي الخيول

أجاب الرهبان « طريق الخلاص توبة تقيفية وامتناع عن إيداء  
أى كائن مهما كانت ضالته ونبذ للاستمتاع بكل لذة خارجية  
لأن اللذة الحسية خطيئة دائماً

وسأل البعض « وما هو المثل الأعلى للحيني

أجاب الرهبان « ألا يابه للذة أو ألم »

وقال الناس « كيف استطيع أن تنفادي إيداء كل الكائنات  
مهما بلغ قدرها من الصالحة  
قال الرهبان

— لا تزرع — لألك عندما تزرع تمزى التربة وسحق الديدان .

— لا تأكل العسل لأنه حياة النحل

— عليك بتصفية الماء قبل به حتى لا تقتل ما عسى أن يكون  
كامناً فيه من كائنات

محرم عليك أن تغلى الماء مخافة قتل الحشرات التي لا تقع  
عليها العين

— لا تقطع الأشجار أو تقم بأى عمل يتطلب استخدام المواقد حتى  
لا تحرق الذباب والبعوض .

— عليك أن تغطى فكك بشبه كمامة حتى لا تستنشق مع الهواء أحياء  
عالقة فيه فتقتلها بنفسك .

— عليك أن تكس الأرض أمالك وأنت تمشى خوفاً من أن  
ندوس بقدمك الحافية كائناً حياً فترديه .



— لا يجوز لك أن تأكل لحم الحيوان أو تذبحه أو تضحى به .  
— إذا كنت جانتياً مخلصاً فعليك أن تقيم المستشفيات والمصحات  
للحيوانات التي هربت أو أصابها أذى .

وآمن الناس بكل ذلك . واستطاع الأتباع أب سيطروا على  
أنفسهم ويرغموها على اتباع الطريق الجانبي للحياة . . وعرفوا أن عليهم  
فوق ذلك أن يتبعوا وسائل أخرى تقرهم من النجاة والخلاص . . هي  
أن يعموا الشهوات ويتجنبوا الشعور بالآلام أو المضايقات  
وقال لهم الرهبان

الآلم يحسه الناس في اثنتين وعشرين حالة يجب اجتنابها . منها  
الشعور بالجوع أو العطش ، والشعور بالبرودة أو الحرارة ، والشعور بضيق  
الصدر من لدغة بعوضة أو نملة ، والشعور بالحزى أو الحجل عند العرى ،  
وعدم الهدوء عند رؤية امرأة جميلة ، والأسف لعدم وجود فراش ينام عليه  
المرء إذ محرم أن ينام الإنسان على فراش ، والشعور بالغضب أو عدم  
الرضا بالحال ، والتسالم من المرض ، والتوجع من جروح القدم إذا مشى  
الإنسان على الشوك والمسامير

فمن أجل الفور سعادة الحياتين على الجيني أن يتحلى بصفات تنصح **طهارة الروح**  
في المبادئ السبعة الرئيسية لطهارة الروح  
المبدأ الأول هو أخذ العهود والمواثيق ، وهو ذو أثر بالغ في اقتلاع  
الأخلاق السيئة والتمسك بالزهد والتقى  
والمبدأ الثاني في المحافظة على الورع ومجنب الأذى والضرر لأى كائن  
سهما كان حقيراً ضئيلاً  
والمبدأ الثالث في التقليل من الحركات البدنية ، وفي الكلام والتفكير

في الأمور الدنيوية والجسمانية خوفاً من ضياع الأوقات النفيسة والأنفاس  
الجمينة في الأمور الثانوية وسفاسف الحياة وتوافها

والمبدأ الرابع في التحلي بعشر خصال هي أمهات الفضائل وهي العفو  
والصدق والاستقامة والتواضع والنظافة وضبط النفس والتعشف الظاهري  
والباطني والتزهد والإيثار والاعتزال عن النساء

والمبدأ الخامس في التفكير في الحقائق الأساسية عن الكون والنفس.  
والمبدأ السادس في السيطرة على متاعب الحياة وهمومها وعدم  
الاهتمام بها

والمبدأ السابع في القناعة الكاملة والطمأنينة والخلق الحسن والطهارة  
الظاهرية والباطنية .

وكل هذه المبادئ قررها ماهافيرا قبل أن يموت . . وقال لأتباعه  
ومريديه

« إذا التزم الجيني هذه الرياضات النفسية في دقة وصرامة اثني عشر  
عاما يسمح له بنعمة الانتحار والاستمتاع بسعادة الموت جوعا ..! »  
وهذا هو في الواقع ما يؤكده جميع الأتباع حتى اليوم .

فالجاننية تجيز الانتحار ولا تقيم في سبيله العقبات ، وخاصة إذا تم عن  
طريق الجوع . . فإن ذلك أبلغ انتصار تظفر به الروح على إرادة الحياة  
العمياء . . ولأن في موت الإنسان انقطاعاً لأعماله التي في كل منها مظنة  
إلحاق الضرر بكائن من الكائنات المزودة بالأرواح واحتمال سوء التأثير  
في طريقة تناسخ روحه فالموت جوعاً منزلة سامية تدل على أن الجانتي قد  
وصل إلى أسنى درجات الزهد والتعشف وتؤدي إلى تحرير روحه تحريراً  
تاماً ، وإنقاذه من هذه الحياة وعدم اضطراره إلى أن يميا فيها في المستقبل  
مرة أخرى .

الانتحار نعمة





ولا توضح الجينية هذا الإنقاذ بشكل سهل ، فكل ما يمكن فهمه من ذلك أن الأرواح الجزئية لا تتصل بالأرواح الكلية ولا تندمج فيها ، ولكنها ترحل إلى عالم الخلود في مكان يشبه الجزيرة . وهذا المعنى يتضح بعض الشيء من عقيدة الجينيين الثنائية في العالم . . . وهي تقول أن العالم كله يتكون من كائنين أو عنصرين هما « جيفا » أى الشعور ، و « أجيفا » وهو اللاشعور فجيفا هو الروح وله من الذكاء والهدوء والإيمان حظ كبير لا حد له ، ومع ذلك فهو يفقد هذه الصفات إذا اتصل بالمادة حيث يحد نشاطه . ويختلف الجيفا الذى يحل بالإنسان في حجمه باختلاف أجسام الناس التى تحتلها في الحجم . . . أى أنه يساير الجسم ، فيكمش في الجسم الصغير ويكبر في الجسم الكبير . أما العنصر الثانى وهو « الأجيفا » فهو مادة في صور مختلفة منها الزمان والمكان . . . فهذان ماديان ومن صفات المادة الحركة والسكون . وبذلك تكون عناصر السكون على وجه التفصيل ستة . . . هى الروح والمادة والزمان والمكان والحركة والسكون

### الوآلة والشياطين

وللايمان بالآلهة والشياطين قصة في حياة الجينيين .

فبرغم أن الجينيين لا يؤمنون بكائن أسمى في السماء ، ولا حتى بحقيقة خلود العالم إلا أنهم يؤمنون بكل الآلهة ، والحكماء ، وأنصاف الآلهة والشياطين والجن المعروفة في البرهمية ، أما الآلهة فمختلفون عن البشر ، ولكنها ليست قادرة على كل شيء ولا بالغة الفضيلة . . . فللآلهة سقطاتهم الدنيوية ، وبرغم أنهم يتمتعون بقوى معينة ، تزيد عما يتمتع به البشر عادة ، إلا أنهم ليسوا أكثر قيمة بشكل قاطع عنهم

فالإله مثلا لا يستطيع أن ينال الخلاص أو النجاة إذا لم يمر بمرحلة الولادة البشرية فالخلاص لا يتمتع به إلا البشر وإن كان بعض الآلهة يستحقون في بعض الأوقات التقديس كما يستحق قليل منهم أن يعبدوا — بغير شك — حسب العقيدة الهندوكية .

وإذا كانت الجينية لا تهتم بضرورة الوصول إلى الخلاص إلا أنها لا تجد حاجة إلى اليأس التام .. فالشيطان لا يستحق العنة دائماً لأن الشياطين تعمل أيضاً من أجل الوصول إلى النجاة .. كما ينتظرها ما ينتظر البشر من الجنة إلى الجحيم

فالعالم في نظر الجينيين ينقسم إلى ثلاثة أقسام . الطبقة العليا.. والطبقة الوسطى والطبقة السفلى .. ويمثل الجينيون العالم كما يتمثلون جسم الإنسان .. فوسط الإنسان يمثل الطبقة الوسطى . والأقدام تمثل الطبقة السفلى .. أما الجذع فيمثل الطبقة العليا

طبقات الجحيم

فأما أسفل الطبقات فتتنقسم إلى سبعة أقسام كل منها جهنم من نوع مختلف من الآخرين.. وأدى هذه الأقسام هي أكثرها ظلاماً.. وهي التي تقع إلى يمين آدم.. ولكن الجحيم الأعلى.. وهو أول الطبقات فيسمى الجوهرة.. والثاني يدعى يليه يسمى السكر . والثالث يسمى الرمل والرابع هو الطين .. والخامس الدخان .. والسادس الظلام .. والسابع هو الظلام الأعظم . وهذه الطبقات .. من الجحيم جميعاً مكونة من غرف الرعب .. وأدى الآلهة هم الذين ينشغلون دائماً في تعذيب الأرواح الشريرة في هذه الحجرات:

وألهة الرعب الذين يعيشون في الجحيم لتعذيب ضحاياهم يضمهم خمسة عشر نوعاً .. النوع الأول ويسمى « أمبا » مهمته تحطيم أعصاب ضحاياهم .. والنوع الثاني « أسباراسا » مهمته سلق لحم الضحايا عن العظام .. والثالث وهو « الساما » مهمته هي الضرب .. و « السابلا » لتمزيق اللحم وتقطيعه .. و « الرودرا » تتولى التعذيب بواسطة الرماح .. و « الماهدورار » لقرم اللحم .. و « الكالا » لشي الضحايا و « الماهالا كالا » لتمزيقهم بالكلايب .. و « الانبالا » هم حملة السيوف ليقوموا بتقطيع الضحايا بسيوفهم ..



و « الدهانو » حملة السهام لأصطياد الضحايا بسهامهم .. و « السكومبها » يعذبونهم بمساحيق حامية .. « والغالو » يفرسون الضحايا في الرمال المحرقة .. و « الفيتاراني » يقذفونهم بقوة وسط الصخور .. و « السكاراسفارا » ترغم الأرواح على الجلوس فوق الخوازيق .. و « الماهاجوث » لحبسهم في الجحور المظلمة الرهيبة ..

وفي نفس مستوى الجحيم ولكن في الجانب الآخر .. أى على يسار القدم الهائل .. توجد الباتالا أى الجنة وسكانها خليط من الآلهة الصغار والشياطين .. وينقسم الآلهة الصغار إلى عشرة أنواع .. أما الشياطين فتقسم إلى مجموعتين رئيسيتين كل منها تنقسم أقساما أخرى عديدة ..

طبقات الأرض

هذا هو ما يملأ الطبقة السفلى من الجسد الأعظم .. أما الطبقة الوسطى فهي المساحة الأرضية الضخمة التى نعيش عليها .. وتنقسم هذه الأرض إلى ثمانى قارات .. كل منها يفصل عن الآخر بواسطة محيط هائل من الماء .. وفي وسط هذه الأرض يقع جبل ميرو القدس .. حيث يمكن عن طريق صعوده وحده الوصول إلى الخلاص

أما الطبقة العليا فتقسم قسمين .. الكالبا .. والكباشينا وكل منهما ينقسم إلى ستة عشر قسا أو سماء .. وهذه الطبقة تقع فوق الطبقة الوسطى تماما ..

وفوق هذه الطبقة تعيش أحسن طبقات الآلهة .. وإن كان هؤلاء الآلهة ليسوا تماما بقوة واحدة متشابهة .. بل لقد انقسموا بشكل واسع إلى آلهة أرضية وسماوية .. وهذه الآلهة تأكل كالبشر .. وتشرب مثلهم، وتعنى وكما فى العقيدة الهندوكية فإن أندرا هو كبير الآلهة

أما الطبقة الأخرى فتعيش فيها بقية الأرواح الخيرة وعلى رأسها مبشرو الجانقية الأربعة والعشرون !

ومع كل ذلك فقد لقيت الجائنية صعوبة كبيرة في الانتشار الكبير السريع .. خاصة بسبب تقشفها الشديد وعنايتها بالاهتمام بكل الأرواح مهما بلغت ضآلتها ..

وقد تساءل عدد كبير من الناس ما الذى كان يمكن أن يحدث لو أن كل أهل الأرض أصبحوا جائنين؟ والجواب يقول: لو حدث هذا لما استطاع أحد أن يزرع الفاكهة والخضر. ولما استطاع أحد أن يصنع خبزاً لياً كله . ولما استطاع الناس أن يصنعوا ثيابهم أو يدفنوا بيومهم أو ينتقلوا إلى أى مكان ، ويفعلوا شيئاً على الإطلاق. وما كان يمضى وقت حتى يموت الجميع من جوع أو عطش أو برد شديد. وإذا كان أهل هذه العقيدة قد كتبوا فى كتبهم المقدسة أن عقيدتهم قصد بها « أن تكون نعمى لجميع مخلوقات العالم . » فإنها لم تتجاوز حدود الهند ولم تستطع أن تصبح عقيدة عامة .. وإن كانت قد اكتسبت فى الهند عدة آلاف من الأتباع

ذلك أن هذا التطرف فى الزهد قد حال دون إقبال الناس عليها حتى فى الهند . فمنذ ظهور الجائنية والجائتيون صفوة مختارة ، وعلى الرغم من أنهم صاروا عديدي النفر أقوياء فى القرن السابع ، إلا أنهم كانوا عندئذ فى أوج حياتهم التى سلكت طريقها فى هدوء

**انقسام الجائنية** ولكن حدث فى عام ٧٩ ميلادية أن انشق الجائتيون فريقين تفصلهما هوة سحيقة من اختلاف الرأى على موضوع العرى . ومنذ ذلك الحين أصبح الجائنتى إما منتسباً إلى طائفة «شوتيا مبارا» أى طائفة ذوى الأردية البيض ، وإما أن يكون منتسباً إلى طائفة «ديجمبارا» أى المتزمليين بالسما ذوى الأجساد العارية

على أن الطائفتين أصبحتا تلبسان اليوم الثياب العادية كما يقضى

المكان والزمان .. وإن كان قديسوم وخدم الذين لا يزالون يجوبون  
الطرق عراة الأجسام

ويبلغ عدد أتباع الطائفتين الآن مليوناً وثلاثمائة ألف نسمة من سكان  
الهند البالغ عددهم ثلاثمائة وثمانين مليون نسمة وهؤلاء الأتباع يعيشون  
على الأغلب في أعالي الهند على طول نهر الجنجرز وفي كلكتا.

هكذا عاش الجائتيون إذن حياة تقشف كاملة وإذا كانوا في أول الأمر  
لم يعرفوا المعابد لأن معلمهم لم يكن يؤمن بالصلاة أو الآلهة إلا أنهم  
مضى الزمن بنوا عدة معابد ووضعوا فيها تماثيل حجرية لماهافيرا ، وغيره  
من المبشرين الثلاثة والعشرين الذين يؤمنون بأنهم سبقوا ماهافيرا في العقيدة  
وعلموها للبشر

وإذا كانت هذه التماثيل لم تعتبر مقدسة في أول الأمر بصفها آلهة .

إلا أن الناس أخذوا أخيراً يعبدون هذه التماثيل

ومنذ حوالي خمسمائة عام خرج جماعة من الرهبان على هذه العقيدة  
وكونوا مذهباً جديداً لا توجد في معابده صور ولا تماثيل .

ولكن الجميع مع ذلك — ورغم قلة عددهم — صار لهم نفوذ عظيم  
في الهند . فع أنهم ابتعدوا عن الاشتغال بالزراعة خوفاً من إلحاق الضرر  
بالكائنات الحية ، كما ابتعدوا عن أن يصبحوا جنوداً أو معلمين أو صناعاً ..  
فقد شقوا طريقهم في الحياة بتناول أعمال أخرى كالأعمال التجارية وبخاصة  
إقراض النقود وأعمال المصارف ، إذ يقل فيها احتمال الإعتداء على الأحياء  
إلى أقصى حد . وكان اشتغالهم بهذه الأعمال سبباً في رأيهم الكبير  
واحتلالهم منزلة رفيعة بين أبناء جنسهم الكبير

على أن الثراء الذي وصلوا إليه لا يضيع عبثاً . فقد كان لهم الفضل

في النهوض بفن المعمار إذ محب أثر يؤمهم صرف الأموال على بناء المعابد  
لأبناء عقيدتهم .. حتى أصبح في الهند الآن ما يقرب من أربعين ألف  
معبد بعضها غاية في الروعة والجمال ، ويعتبر معبدهم فوق جبل « أبو »  
من عجائب الهند السبع

وهم لا يكتفون ببناء المعابد والصرف عليها بل يخصصون البيوت  
القديمة للأبقار ويجعلون منها مستشفيات للحيوانات المريضة .. كما يجعلون  
من بعض غرفها عناء للطيور المصابة والحشرات التي تحتاج إلى اهتمام .  
وإذا كانت هذه العقيدة عجيبة لمن هم خارج الهند ، إلا أن الذين  
يعيشون بين أتباعها يجدونهم قوما غاية في الرحمة والعطف والنقاء

فالإيمان بعقيدتهم عميق صارخ .. وكيف تصرفاتهم في كل ما يفعلونه ..  
حتى أن الجيني يصع في أول واجبات كل يوم أن يحسن ولكن دون أن  
يفكر في أن ما يفعله إحسان .. وإنما هو واجب إءطاء المحتاج كل ما يمكن  
أن يعطيه إياه .. وعندما يذهب الجيني إلى المعابد ، حيث يصلي أمام  
تماثيل سادته الأربعة والعشرين ، فإنه يدعو بالسلام والإبتهاج لجميع المخلوقات  
قبل أن يطلب أى فضل لنفسه وليس ما يطلبه لنفسه الثراء أو المجد ،  
بل هبة النيرفانا . وغالبا ما يبدأون صلاتهم قائلين

إلى السيد جيتاندر اشري شانتى

المعبود من جميع العالم

واهب السلام والبهجة ..

أحنى رأسى المتواضع الحقير

لكى يمنح السلام الدائم

لجميع الكائنات على الأرض .

وكل ما أتمناه أن أحصل بفصله على أسمى هبة في الوجود

وهى النيرفانا . . آمين .



عزلة الكلب ، وتأهل الكوكبي ..  
تيل الحمار ، واستجهام الضفدعة  
كيف تكون أحسن إلا  
إذا طنحت جسمك بما  
عليك أن تركز في الله وحده ،  
أما عن بقية ما تصنع  
فالحمار يستطيع الترميم في الويل كما تفعل  
أيمكن لتلطيف الجسد بما إلا  
أن يذهب برائحة وعاء الحمر ؟  
أيمكن لحبل تلقه حول عنقك ،  
أن يجعل منك إنساناً ؟  
لماذا نرى واجبا  
أن نسيء إلى طبقة المنبوذين ؟  
أليس المنبوذ مثلنا في لحمه ودمه ؟  
ومن أي طبقة عسى أن يكون الإله ،  
الذي يحل جسد منبوذ ؟  
إن من يقول « إنى لا أعلم شيئاً ،  
هو أبلغ الناس وأكثرهم حكمة .  
» فبمانا الشاعر

# على رأس شيفا .. فأر يقرض الأرز!

إذا كان بوذا وماهافيرا قد أقاما عقيدتين جديدتين ، إلا أنهما مجحا  
بغير شك في المهمة التي بدأها . وهي إصلاح وتحسين الهندوكية عقيدة الهندوس .  
وعندما رأى البراهمة كيف أصبح الكثيرون من الناس أتباعاً لبوذا وماهافيرا ،  
حسوا أن يهجر جميع المؤمنين بالهندوكية عقيدتهم القديمة إلى العقائد الجديدة ..  
فعمل الكهنة على إبقاء الهندوس محافظين على الهندوكية بأن قلوا بعض  
تعاليم البوذية والجائتيه وضموها إلى عقيدتهم البرهمية ..

ولكن حدث منذ ثمانمائة عام أن وصل الإسلام إلى الهند وكان  
الفاخون العرب يؤمنون بأن دينهم للنشر كافة .. وثار بالهندوس الرعب  
وحاولوا طرد العرب المسلمين ولكن هؤلاء استقروا ونشروا دينهم . ولم  
ينقص وقت طويل حتى أصبح للإسلام عدد كبير جداً من الأتباع والأنصار ..  
وبدلاً من أن يبسر المصلحون الهندوكيون صد عبادة الأصنام ، بدأوا  
يدرسون الإسلام ، ووجدوا فيه اعتقاداً محبوبه كثيراً وهو الاعتقاد بوجود  
إله واحد . وأرصى هذا الاعتقاد المصلحين الهندوكيين واسمهواهم ، وحاولوا  
أن يدحلو التوحيد في عقيدتهم القديمة البرهمية . ومن هنا ظهرت  
المذاهب الجديدة التي حرج منها المصلحون أمثال « كبير » و « ناناك »  
و « ديانتدا »

\* \* \*

وقفت الأم حائرة لا تدري ما تصنع بالوليد الصغير بين يديها فما  
تصورت من قبل قط أن سيأتي يوم تواجه فيه الحياة بغير مال ولا زوج ..  
عدا ذلك الغلام اللطيف الذي فقد أباه قبل ذلك بأيام .. على أن حيرة  
الأرملة الشابة لم تكن لتدوم طويلاً .. فما أسرع ما انحنت لتضعه في .

عقيدة كبير





سلة وتضع السلة فوق سطح ماء تلك البركة الصغيرة التي يعمر وجهها زهور اللوتس البيضاء .. ثم تمضي وكأن شيئاً لم يكن بين يديها قط ..

ومصت الساعات والسلة تروح وتجيء قرب الشاطئ لا يدرى بها أحد حتى انتصف النهار أو كاد وعندئذ مر بجوار البركة نساج مسلم اسمه «نيرو» ومعها زوجته المسماة «نيا». وسمع الزوجان تلك الصرخات الرقيقة التي تصدر من داخل السلة .. وامتلاً قلباهما عطفاً على الصغير الذي يسبح بسلة في الماء غير مدرك لشيء .. وأطل كل مهتما إلى الآخر وكأنه يخشى أن يصارح صاحبه بما يريد . غير أن الرجل فهم ترحيب زوجته التي لم تنجب أطفالاً من قبل .. فألقى بنفسه في ماء البركة ثم راح يسبح حتى بلغ السلة الصغيرة فسحبها .. ثم انطلق بها نحو الشاطئ . ولم تكد السلة تفتح حتى فوجيء الزوجان بطفل صغير كبد الدر يرضع إصبغه . وأطلت الزوجة إلى رجلها وهي تقول

— ماذا نحن فاعلان به يا نيرو؟

أجاب نيرو سنأخذه إلى بيتنا.

واحتجت نيا قائلة :

— كيف نستطيع أن نفعل ذلك؟ وما الذي يمكن أن نقوله عندما نذهب إلى البيت ويأتي الجيران إلينا ليسألونا « من هي أم هذا الطفل الجميل الذي تشبه عيناه زهرة اللوتس؟» بماذا تجيب على هذا السؤال ..؟  
قال نيرو

ليكن هذا صحيحاً .. ولكن كيف رضى لأنفسنا أن نترك مثل هذا الطفل هباً للجوع وشبح الموت إننا إذا تركناه هنا فسيموت .. وهكذا كان .. واصطحبت نيا وزوجها، الطفل الصغير إلى بيتها

وسمياه « كبير » .. وقاما بتربيته كأحسن ما يربي الإبن

ومض بضع سنين . وأرسل النساج « طفلهما » إلى أفضل المعلمين .  
في بنارس . وأحب كبير دراسته .. حتى إذا ما بلغ السادسة عشرة كان  
قد تعلم الكثير من أصول الإسلام والبرهمية .. ولكن أهم ما أثار اهتمامه  
كانت تعاليم شاعر اسمه « راماناند »

وكان راماناند يبشر بأنه ليس هناك سوى إله واحد ، وأن هذه  
الحقيقة هي أكبر صديق للبشر ، وأن الحياة البسيطة هي الطريق إلى النيرفانا  
ودرس كبير تعاليم راماناند وكتب عنها أشعاراً كثيرة ، في نفس  
الوقت الذي كان أبوه لا يزال يعمل كيف يصبح نساجاً ويمهد له الزواج  
من فتاة كان قد أحبها وهما لا يزالان صغيرين بعد ..

وأصبح كبير نساجا بارعا ، وعالما حاذقا ، وأبا صالحاً أيضاً ولم ينس  
وهو في غمرة عمله اليومي أن ينظم أشعاراً يضمها أفكاره وآراءه فيما يجب  
أن يؤمن به الناس ويصنعوه من أجل حياة أفضل ..

وملأت شهرة كبير جميع الآفاق كشاعر عظيم ولكنه ظل  
يعمل نساجا بسيطاً يكسب قوته بمنسجه

وذات يوم ذهب كبير إلى مهر الجنجر حيث يستحم آلاف  
الهندوكيين من أجل أن يفسلوا الآثام ويتطهروا من الرذائل وعلى  
شاطئ النهر وقف يتأمل الآثمين .. وهم يتطهرون . واقترب منه كاهنان  
رهميان وراحا يتحدثان معه عن تعاليم راماناندا وفكرته في الإله  
الواحد .. وقال أحد الكاهنين :

« لقد وجدنا آباءنا وأجدادنا منذ أجيال طويلة يعبدون عدة آلهة ..

فكيف يمكن أن تتصور وجود إله واحد فحسب .. ؟ »



وأجاب كبير وهو يتسم « إذا غابت الشمس تلاًأت النجوم ».

وسأله الكاهنان « ما الذى تعنيه بذلك ؟ »

قال كبير « أعى أنه طالما أن الناس يجهلون المعرفة الحققة لإله واحد. فهم يحدون أنفسهم مرغين على عبادة عدة آلهة صغيرة . فإذا كنتم تعبدون بضعة آلهة من الحجارة ، فكل الحجارة جاءت من الجبل ولهذا سأعبد الجبل »

قال الكهنة وكيف نستطيع أن نطمئن فى آلهة أجدادنا ؟ »

أجاب كبير : « إن حجازة الطاحون التى يطحن بها الناس غلاتهم لخير من كل معبودات أجدادنا المصنوعة من حجر »

وطال الجدل والنقاش ، وظمىء خلاله أحد الكاهنين ، فتناول كبير فنحانه وأغطسه فى النهر وقدمه للكاهن ليشر به . غير أن الكاهن أى أن يمد يده إلى الفنجان . لأن كبير كان من طائفة أدنى من طائفته . وبراھمة الهند يعتقدون أنه محرم على من كان من طائفة عليا أن يأكل أو يشرب من وعاء لسه أحد أفراد الطبقة السفلى

وسأله كبير « إذا كان ماء مهر الجنجزل لا يستطيع أن يطهر فنجانى فكيف أصدق أنه يستطيع تطهير آثامكم؟ إنكم تظنون أيها الراهمة أن لسمكم الآخرين يصيبكم بالقذارة .. لهذا فأنتم مغرورون متكبرون . ولن تجديكم كمرىاؤكم أبداً .. »

واستدار كبير . وانطلق بعيداً عن البرهيين . . وقد وضع فى رأسه أن يبذل كل ما يستطيع ليؤكد للناس جميعاً أنهم أخوة . لا فرق بين برهسى وكاهن وتاجر ومنبوذ . .

وعلى أساس هذه الدعوة الجديدة .. أحاط الناس بكبير وأصبح له عدد كبير من المريدين والأتباع . وذاع صيته وانتشرت أسفاره التي نظمها حاملة عقيدته الكاملة ولكنه برغم ذلك كله ظل يكسب قوته من عمله كنساج .. وظل يقول للناس أنه حتى الرهبان والكهنة عليهم أن يعملوا لكسب القوت ، لا أن ينتظروا ويتسولوا حتى يعولهم الآخرون .. وعرف الناس حقيقة العقيدة التي يبسر بها كبير لقد كان أساس ما يدعو له هو أن يتخلى الناس عن الزهو والكبرياء .. وأن يبنذوا نظام الطائفية وأن يهجرُوا الأصنام وعبادتها وأن يؤمنوا بإله واحد لا شريك له

ومصت السنون ومات كبير فجأة وهو في ماجهار .. وقد بلغ التاسعة والسبعين .

وعندما مات . قال البراهمة إنه مهم لأنه ولد برهميا .. بينما قال المسلمون إنه مهم لأنه نشأ نشأة إسلامية .. وعندما خلعوا الفطاء عن جسده قبل الدفن — كما تقول الأسطورة — وجدوه مغطى بأكليل من الزهور

والحق لقد ترك كبير وراءه أكليلا من الزهور .. هي تعاليمه ووصاياه التي ضمها أشعاره . .

وجمع مريدوه حكمه وأشعاره في كتاب سموه « بيجاك » وسموا أنفسهم ، أتباع طريقة كبير ويبلغ عددهم الآن مليوناً من الهندود .

\* \* \*

منذ أربعائة وثمانين عاما وعندما كان كبير لا يزال في الثلاثين أنجب هندوكي نبيل وروجه الصالحة في مدينة تالوندي بإقليم لاهور بالهند . . ولداً اسمه ناناك . .

عقيدة السيخ

وكأحدث مع كبير من قبل اهتم نانك بدراسة الدين . . ولكنه  
كان يكره أن يقوم بأى عمل . . حتى أن أباه عجز عن أن يجعله يعمل  
من أجل أن يكسب القوت . . وقالت أمه لأبيه لعله إذا تزوج وأصبحت  
له أسره يعولها ، مجد نفسه مرغماً على العمل «

واقتمع أبوه بالفعل فزوجه . ولكن الفتى ظل كارها للعمل  
يرغم أن أباه وجد له عملاً كوظف حكومى فإن الفتى بدلا من  
يذهب إلى عمله كل صباح كان ينطلق إلى التابات أحلام  
ويفكر فى عقيدة شعبه ، ويقر معاررا: كبير

يوم بينما هو فى صاد نانك من ليد-حل بيته  
أنه قد أصبح الجورو

وسأله زوجته « ولكن ما هو الجورو

قال لها نانك « الجورو هو معلم العقيدة الجديدة »

وسأله أبوه « وما هى هذه العقيدة الجديدة التى تعلمها ؟ »

أجاب نانك : « لس هناك هندوكية ولا إسلام »

وقال أم نانك كيف تستطيع أن تقول مثل هذا القول ؟ ألا

ترى أن فى بلادنا ملايين من الهندوكيين وملايين من المسلمين ؟ »

أجاب نانك فى ضيق : « إن ما أقصده هو أن تعاليم الرهمية خطأ

وأن تعاليم الإسلام خطأ أيضاً »

وسأله أبوه : « فمن هو صاحب التعاليم التى هى على صواب ؟ »

وبدأ نانك يشرح تعاليمه الخاصة بالإله الواحد :ه لا توجد هناك

طوائف . . وبأنه من الإثم أن يعبد الناس الأصنام

وقال أبوه « لست أرى فارقا بين تعاليمك وتعاليم كبير »

أجاب ناناك « إن كبير يعلم الناس أن عليهم ألا يأكلوا اللحم  
ولكنى أعلم أنه من الممكن أن يأكله الناس بشرط أن يذبح الحيوان الذى  
يؤكل لحمه بضربة واحدة من سيف سم إبنى أعلم أيضاً أنه لكى يبعد  
الناس الإله الواحد الحق لابد لهم من إمام هو الجورو وأنا أول جورو  
فى عقيدتى الجديدة . وسأخرج فى البلاد وأسر بها بين الناس »

وانطلق ناناك بالفعل —ومعه تابعه موردانا — لتحول فى جميع الأنحاء.  
وكما دخل سوقا أو التقي بجماعة كبيرة من الناس فى أى مكان ، وقف  
ناناك وانطلق موردانا يغنى ويرتل، حتى إذا أحاط الناس هما مهص ناناك  
يتحدث إليهم ويبشر بعقيدته التى تقوم على التوحيد والمساواة كالمسلمين  
كما تقول بالتناسخ كالهندوس

وراح ناناك بحوب بلاد الهند من سيلان فى أقصى الجنوب إلى  
كشمير فى أقصى الشمال وبلاد العرب فى الغرب  
وفى السبعين مات

وخلفه فى إمامة العقيدة « انجاد » الذى أصبح الجورو الثانى  
ولما مات انجاد خلفه ثالث معلما لأتباع ناناك

وجمع الجورو الخامس — وهو الجورو أرجان — أقوال ناناك وعظاته  
وأشعار راماناند وكبير فى كتاب واحد سماه « صاحب المواهب » أصبح  
هو الكتاب المقدس لأتباع ناناك الذين سمو أنفسهم بالشيخ  
أى المريدين

وحاول جورو أرجان أن ينشر العقيدة التى بشر بها ناناك ولكن  
رعماء العقائد الأخرى لم يجذبوا تعاليم الشيخ واعتصوا على عمل  
أرجان التشيرى • •



وراحت زعامة الشيخ تنتقل من واحد إلى آخر حتى تولاهما كروكتبدر  
سنج ، الذى صرفه همه الدينى إلى تدريب أتباعه عسكريا ، ومكث بهم  
عشرين سنة فى جبال الهميلايا ليتعودوا حياة الحشونة والحروب ثم  
نزل بهم إلى البنجاب لتدور بينه وبين حاكمها المسلم حروب طويلة امتدت  
اثنى عشر عاما وهلك فيها آلاف من رهرة أتباعه الشيخ وبعد فترة  
من الهدوء عاد القتال من جديد حيث دارت معركة رهيبة عند حصن  
«لوكره» انهزم فيها الشيخ وخسدت ثورهم ، وأنزل بهم الحاكم انتقاما  
رهيبا كان هو السبب فى ازدياد العداة وتمكنه فى قلوب الشيخ المساميين .  
ولا يزال الشيخ حتى الآن — ويبلغ عددهم عشرة ملايين —  
فخورين بتاريخهم كمقاتلين . ومن السهل تمييزهم عن الهندوكيين بحمسة  
أشياء يعتبرونها من شعائر عقيدتهم

\* الشعر الطويل إذ أنهم يطلقون شعورهم ولا يعتدون على أية شعرة  
فى جسمهم ، حتى أنهم يلقون شعر رؤسهم تحم عمامة يتميزون بها حتى  
الأطفال فى المدارس

\* المشط الخشبي الطويل فى شعرهم

\* السوار المعدنى الخفيف حول المعصم على أساس أنه يذكرهم بالله .

\* الخنجر القصير ذو الحدين الذى يحملونه دائما

\* السراويل البيضاء القصيرة تحم الملابس بخلاف عامة أهل الهند

الذين لا يلبسوها ويكتفون بابس السراويل الطويلة البيضاء

والشيخى عادة يمشط شعره مرتين كل يوم ، ويستحم كثيرا ويقرأ

كتابه المقدس يوميا ، كما أنه يحرم الدخان على نفسه ، بل ويضيق برأخته

ويترك مكانه إذا دخن أحد بجواره ..

والمدينة المقدسة للشيخ هي « امرتسار » حيث أقيم فيها معبد اسمه  
« المعبد الذهبي في بركة الخلود » وهو من أجل معابد الهند ومن أروع  
المباني في العالم . ويأتي الشيخ إلى هذا المعبد لتقديم الصلوات « لصاحب  
المواهب » المقدس وكتابه الموضوع في تقديس فوق المذبح الكبير

\* \* \*

ظهر بعد ذلك عدة معاصرون آخرون في الهند أهمهم رحل وولد  
منذ مائة وعشرين عاماً فقط هو ابن هندوكي من أعلى الطوائف واسمه  
« ديانندا »

عقيد الزهور

وعندما بلغ ديانندا سن التكليف ووضع الخيط المقدس، أرسل إلى خيرة  
المعلمين الذين يدرسون أصول اللغة والدين طوال ستة أعوام،  
عاد بعدها إلى بيته ليفجر أبوه ما حصل عليه ولده من العلم والمعرفة  
وفي ذلك العام أراد له أبوه أن يصوم صيام « شيفاراتي » ولم يكن  
الطفل يجهد أصول هذا الصيام فهو يعلم أن جميع الهندوكيين ممن  
يعبدون الاله شيفا يصومون صيام شيفاراتي

وانطلق ديانندا وأبوه ليلة الصوم الأولى إلى المعبد ووضعوا الأرز  
والزهور فوق تمثال شيفا ثم جلسا بين المتعبدين الآخرين للاشتراك في  
الترتيل

وارتفع صوت المرتلين في قوه ووضوح سم تتابع أصوات أخرى  
بعد ساعات تردد ألحانا من « الفيداس المقدس »

واقترب الليل من منتصفه ، وبدأ التعب يسيطر على بعض المتعبدين،  
وغلب النعاس البعض الآخر اح الجميع يتشاءون وأصبحوا يحدون  
صعوبة كبيرة في الإبقاء على عيونهم مفتوحة ومحول الترتيل هممة  
كنسمة تهب ليلاً بين شجيرات صغيرة .





ولاحظ ديانندا رأس أحد المتعبدين وهو يهوى على صدره من أثر  
النعاس ونام متعبد آخر بجواره ، وتبعه ثالث ورابع وتلف ديانندا  
حواليه فرأى الكثيرين وقد راحوا في سبات عميق.. حتى أبوه كان قد نام  
هو الآخر.. ولم يعد هناك سوى هممة خفيفة أقرب ما تكون إلى السكون.  
ونجأة سمع ديانندا صوت قرص يشبه قرص الفأر

والتفت الفتى بسرعة إلى مصدر الصوت ، واتسعت عيناه دهشة  
فهناك ، فوق رأس الإله شيفا نفسه جلس فأر صغير يقرض الأرز  
الذي كان المتعبدون قد قدموه قرباناً للإله

قال ديانندا إذا كان شيفا إلهاً حقاً أليس في قدرته حتى أن  
يطرد فأراً عن رأسه ؟ »

وأجاب أبوه وهو ينتفض « لا تسأل مثل هذه الأسئلة فالكافر  
فقط هو الذي يسأل »

ولكن ديانندا لم يقتنع بهذا الجواب فقد أثبت الفأر الصغير له  
أن شيفا لم يكن أكثر من ححر لا قدرة له على أى عمل على الإطلاق  
وهس ديانندا وهو يهصص « أبداً لن أعبد هذه الأصنام  
بعد الآن . »

وعاد إلى البيت وأفطر سم نام  
ومنذ ذلك اليوم بدأ ديانندا دراسة العقائد المختلفة الأخرى ليجت  
فيها عن حقيقة ما يؤمن به الناس .

وقالت أمه إذا تزوج ديانندا وأصبح له أسرة يعولها ، فلن مجد  
وقتا لدراسة كتب العقائد الأخرى

ووافق أبوه . واختاروا له عروساً جميلة . ولكن ديانندا لم يوافق على  
الزواج ، وظل يؤجله أسبوعاً بعد أسبوع وشهراً بعد شهر .

غير أن أباه أكرهه آخر الأمر على تحديد تاريخ الزواج ، وأعدت له  
معدات الزفاف

ولكن حدث قبل الموعد المحدد للزواج بأيام أن اختفى ديانندا ،  
ولم يره أحد من أهله قط

وهناك بعيداً كان ديانندا ينطلق في رداء راهب متسول  
باحثاً عن معلم يمكن أن يهديه إلى حقيقة الدين . وأخذ ديانندا يحب  
أنحاء الهند لعدة أعوام يدرس مع علماء عديدين ، ولكن لم يجد في تعاليم  
واحد منهم ما يرضيه . ولم يجد بدأً آخر الأمر أن يذهب إلى شاطئ سهر  
الجنجزل يدرس مع الرجال المقدسين المتجمعين حول أقدس الأنهار  
فهو يعلم أن أحداً منهم لن يستطيع أن يكذب لأن من يضع في يده  
بضع قطرات من ماء النهر لا يمكن أن يكذب قط

ومضى ديانندا إلى شاطئ الجنجزل . ووجد بين المعلمين الدينيين رجالا  
يكبره الأصنام مثله . فارتاح إليه وقرر أن يدرس معه الحقيقة  
وقال المعلم لديانندا : « هل سمعت بجماعة الن ؟ »

أجاب ديانندا : « نعم . هي تلك الجمعية التي نظمها الراجا راموهان  
روى في نفس السنة التي ولدت فيها »

قال المعلم « هذا صحيح . . ففي السنة التي ولدت فيها لم يكن راموهان  
راضياً عن جميع تعاليم البرهمية ولقد كان عالماً عظيماً درس اللغة العربية  
والفارسية والسانسكريتيّة والعبرية ، كما درس الإنجيل المقدس لدى المبشرين  
المسيحيين الذين جاءوا إلى بلادنا لنشر عقيدتهم . ووجد في ذلك الكتاب بعض  
التعاليم التي رضى عنها كثيراً وحاول أن يدمج هذه التعاليم في عقيدتنا » .

وقال ديانندا : « اذن يجب أن أدرس إنجيل المسيحيين »

وظل عامين يدرس إنجيل المسيحيين وتعاليم راجا راموهان واقتنع بعد دراسة العامين بأنه يجب على المرء ألا يؤمن بآلهة متعددة بل باله واحد فحسب . وأنه ليست هناك طوائف بالميلاد ، بل أن هناك من يولدون أكثر شقاء من الآخرين . كما آمن أيضاً بأن من يندم ويتوب فإن الله يغفر له خطاياهم ، ولكنه إلى جانب ذلك كله ظل مؤمناً بنظرية التجسد والنيرفانا كما بشرت بهما البرهمية عقيدة الهندوس .

وانطلق ديانندا بعد أن اتضح في ذهنه كل هذه الآراء — انطلق في جميع أنحاء البلاد يعلم وينظم من تبعوه في طائفة سماها « آرياساماج » ومعناها « جمعية النبلاء » . ورغم أن ديانندا لم يعس بعد ذلك سوى ثمانية أعوام إلا أن أتباعه حملوا الرسالة من بعده وانتشر أمر جمعيتهم في جميع أنحاء الهند حتى بلغ عدد أتباعها اليوم ما يقرب من سبعين مليوناً من الرجال والنساء

\* \* \*

هكذا أصبح في الهند الآن عدة عقائد وعدة طوائف دينية . هناك **أرهمه الديانات** ، من اليهود وكثير من المسيحيين . وهناك ملايين من المسلمين ، وبوذيون وجانتيون وسيخ واتباع كبير ، وهناك أيضاً أعضاء جمعية النبلاء وطائفة البرهمية . كما أن هناك في المناطق الجبلية عبدة الأشجار والأنهار والأرواح وقليلاً من أتباع زرادشت

ولكن أكبر عدد من الهندوكيين الآن — أى ما يزيد على ٢٥٠ مليوناً — لا يزالون يدينون بعقيدتهم القديمة البرهمية بأشكالها المتعددة ولا يزالون يؤمنون بقدسية الطوائف وبعد أن كانوا يؤمنون بأن عدد هذه الطوائف لا يتجاوز الأربعة أصبح عددها الآن ١٩ ألف طائفة . أما الآلهة فبعد أن كانوا في الزمن القديم يعبدون ٣٣ إلهة فقط هي آلهة الطبيعة ، أصبح لديهم عدة مئات من الآلهة . حتى أن بعضهم لا يزال يؤمن حتى اليوم بعبادة الثعابين . . كما أن بعضهم

يؤمن بالهة وأصنام متعددة الرؤوس متعددة الأقدام متعددة الأيدي  
ومعبودات أخرى لها رأس الفيل أو رأس النسر كما أن هناك كثيرين  
يعبدون الأبقار والثيران كما يعبد آخرون القرده

على أن الصورة الأخيرة للهندوكية لم تعد تشبه كثيراً تلك التي كانت  
تعيش في الماضي فما أكثر الطقوس القديمة التي اختفت بل إن  
الواقع أنها اختفت كلها فيما عدا طقوس الزواج والوفاء أما علاقة الإنسان  
الهندوكي بالحيوانات فقد اختفت كثيراً عن ذى قبل ٠٠ وإن كان  
لا يزال هناك عدد من العائلات الهندوكية تقدر الأبقار إلى الآن ٠٠  
حتى أن آلافاً بل ملايين من الأبقار المقدسة لا تزال تسير في شوارع المدن  
الرئيسية تأكل كما تشاء دون أن يتعرض لها أحد. كما أنه من بين الأشياء  
الأخرى التي لا تزال باقية أن الحجاج الهندوس لا يزالون يذهبون بالآلاف  
كل عام إلى النهر المقدس ٠٠ الجنجزي ٠٠ ليتطهروا من الذنوب والآثام  
وبرغم ذلك فالروح الجديدة التي بدأت تظهر في الهند خلال الأعوام  
المائة الماضية تؤكد أن الهندوكية الحديثة تختلف كثيراً عن القديمة ٠٠  
فكثير من المظاهر التقليدية بدأت تحبو وتلاشى ٠٠ كما أن المنبوذين  
الذين لم يكونوا يجرءون على لمس أحد ولم يكن أحد يجرؤ على لمسهم ، فقد  
أصبحوا يتمتعون بكثير من الأدمية .

وقد كان غاندى من أحسن المعلمين الذين أثروا في الثقافة والعقيدة  
الهندوكية فقد كان يؤمن بأنه لكي تحصل على حقلك يجب أن تلجأ إلى  
الوسائل السلمية وأن تبعد عن العنف .. وتلك هي أساس نظريته التي آمن  
بها بعد أن تعمق في أغوار كل معتقدات بلاده ثم خرج منها بتعاليمه الجديدة  
التي أصبحت ترضى الجميع وتلائم بين كل الاتجاهات وخلق عقيدة جديدة  
في الهند تقوم على المفهوم الإنساني واحترام حقوق الإنسان .



تقير هندي يمارس  
عملية التعذيب النفسى  
فيقف رافعاً ذراعه  
بهذا الشكل فلا  
يخفضه أبداً



رقصة مقدسة  
لإرضاء آلهة  
الخير في بنارس .

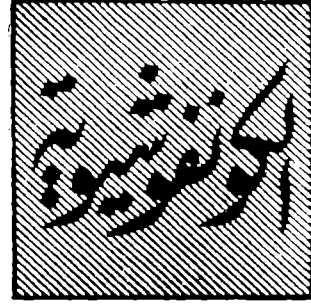


تمثال من الخشب للإلهة كوان - بن

## القسم الثالث

# عقائد الصين واليابان

- إذا عرفت شيئاً
- فتمسك بأنك تعرفه
- وإذا لم تعرفه فأقر بأنك لا تعرفه .
- إن ذلك في حد ذاته معرفة .
- إذا كنت عاجزاً عن خدمة الناس ،
- فكيف تستطيع أن تخدم أرواحهم ؟
- إذا كنت لا تعرف الحياة ،
- فكيف يتسنى لك
- أن تعرف شيئاً عن الموت ؟
- إذا حرصت على أداء واجبك
- و بعدت كل البعد عن الكائنات الروحية ،
- مع احترامك إياها ،
- أمكن أن تسمى هذه حكمة .
- استعمل الصالحين المستقيمين ،
- وانبذ المعوجين . . .
- وبهذه الطريقة يستقيم المعوج
- « كوتشوشوس »



# من الخيراتى الخير ومن الشريراتى الشر

يعتقد الصينيون أنه قبل خلق العالم ، لم يكن هناك شى لا شىء  
على الإطلاق . .

واستمر ذلك وقتاً طويلاً ثم ظهر شىء . . ومن هذا الشىء  
خلق « بان كو »

ولم يذكر لنا تاريخ الصين كم عاش «بان كو» ولكن قيل أنه كان  
غاية فى القوة ، له رأس تنين ، وجسد أفعى ، وأنه استطاع أن يشكل العالم  
حوالى عام ٢٢٢٩.٠٠٠ قبل الميلاد ، بعد أن ظل يكدح فى عمله هذا  
ثمانية عشر ألف عام . وعندما مات بجمعت أنفاسه فصارت ريحاً وسحباً ،  
وأصحت أناته الأخيرة الرعد ، وأصبح الدم فى عروقه الأنهار ، وعرقه  
الأمطار ، وعظامه الصخور ، وأسنانه المعادن ، وشعره الغابات والأشجار ،  
ولحمه الأرض ، ورأسه الجبال . . وأصبح عينه اليسرى الشمس ،  
وعينه اليمنى القمر . أما الحشرات التى كانت تعلق بجسمه فأصبحت  
آدميين

## انقاذ العالم

وهكذا تمت قصة الخلق ثم تعاقب على الأرض ملوك سماويون  
حكم كل منهم أكثر من مائة عام جاهدوا أشد الجهاد ليجعلوا من  
« قتل » بان كو خلائق متحضرين ، بعد أن كانوا كالوحوش الصارية  
يلبسون الجلود ، ويقتاتون باللحم النيء ، ويعرفون أمهاتهم ولكن لا يعرفون  
لهم آباء

ومن بين هؤلاء الملوك السماويين «فوشى» الذى عاش حوالى عام ٢٨٣٨  
قبل الميلاد يعتبر فى بعض قصص الصينيين هو خالق البشر — قتل  
بان كو — ومعلمهم الأول .





وكانت لفوشى أخت سماوية هي نوكواشى .. لها جسم ثعبان ورأس آدمى .. يعتبرها الصينيون منقذة هذا العالم .. فقد حدث أن « رب العقاب » السمى هومج كنتج قد بالغ في القسوة والطمع حتى دخل في صراع دموى مع رب الغابات حيث تغلب عليه .. ثم استمر في عدوانه حتى اصطدم بشوشنج أحد مساعدى هوانج تى الذى أصبح فيما بعد إله النار وفى هذه المعركة الجديدة هزم رب العقاب .. فثار غضبه ، وضرب الجبل برأسه فانشق .. ولم يكذب يهار حتى تساقطت أعمدة السماء وانهدمت أركان العالم

وهنا مهضت نوكوا فأذابت أحجار خمسة من ألواب قوس قزح ، وأعدت إصلاح أعمدة السماء ، وقطعت أقدام السلاحف لتلصق بصمغها أركان الأرض .. وجمعت رماد الهدم وكدسته لتوقف به فيض الماء

وعادت الحياة من جديد على ظهر الأرض ..  
\* \* \*

والحق .. لقد كان الصينيون الذين عاشوا منذ عدة آلاف من عبادة الطبيعة السنين عبدة للطبيعة تماماً كأغلب الشعوب القديمة . وأهم عناصر تلك العبادة الخوف من خوارق الطبيعة ، وعبادة الأرواح الكامنة في جميع الأنحاء ، وتقديس ما على الأرض من صور رهيبة وما لديها من قدره على الإنتاج والتوالد ، وخشية السماء وعبادتها وإجلال ما فيها من شمس منعشة وأمطار مخصصة بل لقد كان الصينيون يعدون الشمس والمطر من عناصر الوئام والارتباط بين ما فوق الأرض من حياة وما في السماء من قوى خفية قادرة ومن هنا عبدوا الريح والرعد والأشجار والجبال والأفاعى وآمنوا بأن لكل من هذه المقدسات روحا يجب أن تعبد وأصبحت أعظم أعيادهم هي الأعياد التى تقام لمعجزة « الغمام » .. حيث

يحتفل الشبان والفتيات بأيام الربيع فيرقصون ويتضاجعون في الحقول وفي  
الغلاء ، ليضربوا المثل لأهمهم الأرض في الإخصاب والإنتاج

وكان الصينيون يحملون الحقائق الواقعية المادية مخوارق الطبيعة  
فكانوا يخشون أن آلافا من الأرواح الطيبة والخبيثة ترفرف من حولهم  
في الهواء المحيط بهم ، وفوق الأرض التي تحت أقدامهم . وكانوا يحرصون  
على أن يردوا عداوة هذه القوى الخفية ، وأن يستعينوا عليها بالأدعية  
والرق السحرية . فراحوا يستأجرون المتنبئين ليكشفوا لهم عن المستقبل  
باستخدام أصناف السلاحف وتأمل حركات النجوم ، كما استأجروا  
الصحرة ليوجهوا منازلهم نحو الريح والماء ، وتعاملوا مع العرافين ليستزلوا  
لهم نور الشمس وماء المطر بل لقد بلغ بهم الأمر حد أنهم كانوا يعرضون  
للموت من يولدون من الأطفال في أيام النحس ، أما البنات ، فكن إذا  
توقدن حماساً وغيره يقتلن أنفسهن ليجلبن الخير أو الشر لآبائهن

شانج تي

والله الأعظم

على أنه رغم ذلك كله آمن أهل الصين القدماء بوجود حاكم أعلى  
واحد فوق كل الأرواح وفوق كل الناس . . اسمه شانج تي . . هو القوة  
العليا المسيطرة على العالم . . وقالوا أنه عادل لدرجة أنه مهما صلى له الأشقياء  
فلن يقبل العفو عنهم أبداً

ولكن شانج تي — مع كل ذلك — لم يكن الإله الأعلى والأعظم  
في اعتقاد الصينيين . . فالإله الأعلى . سيد كل الآلهة . . إله اسمه تيان . .  
هو السماء

وكانت الطريقة التي عرف بها الصينيون تيان إله الآلهة غاية في  
البساطة . والتسلسل المنطقي

فالمطر الذي تشتد حاجتهم إليه لرى حقول الأرز . . يزل من السماء



والسحب التي تحمل المطر الذي تشتد حاجتهم إليه تأتي هي  
الأخرى من السماء

والرياح التي تدفع السحب التي تحمل المطر الذي تشتد حاجتهم إليه  
هب أيضاً من السماء

والرعد والبرق اللذان يفتحان السحب التي تدفعها الرياح ليتساقط  
المطر موجودان في السماء

وحتى قوس قزح الذي يظهر بعد سقوط المطر والذي يستطيع الجميع  
أن يروه دون أن يلمسوه يبدو هو الآخر في السماء

إذن فمن المؤكد أن تيان رب الأرباب موجود هو الآخر في السماء...

وما دام الأمر واضحاً بهذا الشكل فلماذا لا يعبد الناس ذلك الرب

الأعلى الذي يعيش في السماء وهو غاية في العدل ، إلى جانب عبادتهم لأرواح  
الشمس والقمر والمطر والنار والرعد والجبال والأنهار ؟

ولكن هل اكتفى الصينيون القدماء بكل هذه العبادات ؟ **عبادة الأوسوف**

بل .. لقد عبدوا أرواح أسلافهم أيضاً

فإذ مات رجل عبد أبناؤه روحه كما عبده أحفاده وحتى أبناء

أحفاده وأحفاد أحفاده عليهم أن يعبدوا ذكراه .

ولم يكف الناس بعبادة أرواح آبائهم وأرواح أجدادهم وأرواح أبناء

أجدادهم وأرواح أجداد أجدادهم فحسب .. بل عبدوا كذلك أرواح كبار

الحكام والأبطال الوطنيين .. وعبدوا بصفة خاصة أباطرهم الذين كانوا

يعتبرون دائماً مقدسين ..

على أن واحداً من أكبر الحكماء ظهر بد ذلك ليكون أعظم هؤلاء  
القديسين .

وكان ذلك منذ ألفين وخمسة مائة سنة عندما كان يعيش في إقليم لو  
منطقة تشو على مقربة من هر هوانجها . رجل اسمه تشوليانج هيه  
من أسرة جويج .

وكان تشوليانج هيه من سلالة ملكية . وكانت له القيادة على منطقة تشو  
بالقرب من النهر الأصفر غير بعيد من البحر الأصفر

وتحدث الناس عن القائد تشوليانج هيه . وكان من بين ما تحدثوا به  
عنه ما حدث عندما كان يتولى القيادة وحاصر بجيشه قلعة أخذ أعدائه  
فقد حدث أن ترك تشو مدخل القلعة مفتوحاً ، واندفع الكثيرون من رجاله  
في ذلك المدخل . وعندما أصبحوا داخل القلعة لجأ العدو على الفور إلى  
إنزال الأبواب ليحصر جنود شو داخل القلعة وعندئذ اندفع البطل  
تشوليانج نحو الأبواب الضخمة الهائلة ودفعا بيديه وظل يرفعها حتى مر  
جميع رجاله عائدين ناجين من الفخ الرهيب .

وكان مثل هذا الرجل القوي يصبح في العادة محل إعجاب عظيم في  
الصين في تلك الأيام ، فقد كانت الإمبراطورية الصينية وقتئذ مقسمة إلى  
ولايات صغيرة محكم كلا منها أميراً أو شريف . وكان كل مهم لا يرضى  
إلا مصالحه الخاصة وكانت تلك الأيام سيئة في تاريخ الصين وكان  
كل رجل قوى شجاع يستطيع أن يساعد أميره ، ينال التقدير والإعجاب  
ويشدد الطلب عليه . . .

من أجل هذا كان تشوليانج هيه يستطيع أن يكون رجلاً سعيداً جداً . .  
واسكنه لم يكن كذلك .

فقد كان تشو متزوجاً وله تسع بنات ٠٠ والبنات عندما يكبرن يتزوجن ويعبدن أسلاف أزواجهن كما تقضى التقاليد وكان تشو يريد - كما يريد كل فرد من أبناء شعبه - أن يكون له ولد يعبد روحه بعد مماته ولهذا لم يكن تشوليانج هيه سعيداً قط . ولكنه عندما بلغ السبعين من العمر أهدته زوجته الجديدة الصغيرة « تشينج تساي » ولداً سماه تشيمو . وكان ذلك في عام ٥٥١ قبل الميلاد

وعندما بلغ تشيمو الثالثة من العمر ، مات أبوه تشوليانج هيه

وأصبح تشيمو يتيماً وهو في سن الثالثة ٠٠ يعيش في إقليم تشو بولاية لوو .

التي تسمى الآن شاتونج بجوار البحر الأصفر المقدس

رغم أن شوليانج هيه كان حاكماً لإقليم تشو إلا أنه عندما مات  
 ترك زوجته صحية لفقر مدقع ومع ذلك فقد استطاعت الأرملة أن تدر  
 أمر تعليم ابها الوحيد تعليماً طيباً . وعندما أثنى معلمه على اهتمامه بالدراسة  
 وفهمه للأشياء التي كان الكبار أنفسهم يجدون صعوبة في فهمها امتلأت  
 نفسها بسعادة وفرحة

واستمر تشيمو كونج يواصل دراسته . ويواصل معها نموه العقلي  
 وحكته التي راحت تتزايد وتشتهر في جميع أنحاء الإقليم الذي يعيش فيه ،  
 حتى بدأ الناس يتوافدون من كل مكان ليتبادلوا معه الحديث وينصتوا  
 إلى ما يقول

وإذ بلغ التاسعة عشرة تزوج وأنشأ بيتاً في نفس الوقت الذي  
 منح فيه وظيفة أمين مخازن الحبوب

وبالرغم من أنه كان صغيراً جداً عندما أسندت إليه تلك الوظيفة . .

أمين مخازن  
 الحبوب

إلا أنه أدخل عليها الكثير من التحسينات ، إلى حد أن رقاها حاكم المقاطعة إلى وظيفة المشرف العام على الحقول .

وكان المنصب الجديد بالغ الأهمية بالنسبة لشاب في العشرين ومع ذلك فقد تمنى أن يتخلى عنها لكي يكرس كل نفسه وجهده لدراسة الشعر والموسيقى . غير أنه عجز عن تحقيق الأمنية لأن زوجته وضعت في ذلك الوقت مولوداً جعله يقرر الاحتفاظ بمركزه ليعول الأسرة التي بدأت تنمو وتكبر ..

ولكن كل ذلك لم يشغله عن الاهتمام بالأمنية التي أراها .. فبرغم الواجبات اليومية الكثيرة للمشرف على الحقول التي كانت تشغل كل وقته ، إلا أنه كان يقضى جزءاً كبيراً من وقت الفراغ الذي يبقى له ، في دراسة التاريخ والموسيقى والشعر . وزادت معرفته يوماً بعد يوم ، وذاع صيته في طول تشو وعرضها

وعندئذ قرر الاشتغال بالتعليم .

العلم

وعندما قرر ذلك لم يجد سوى بيته ليكون المدرسة التي يلتقي فيها الدروس على مريديه .. وليكون يعد ذلك ملتقى لأهل العلم في كل المنطقة ، وأصبح البيت لا يخلو أي أمسية من أناس من مختلف الأعمار يأتون إلى كونه يستفسرونه ويسألونه ويتلقون منه الصواب في كل الأمور . وما كان أكثر سعادته وهو يحس أنه يعلم ما يعرفه لأولئك الذين في حاجة إلى العلم .. ولو كان ذلك بغير مقابل ولو كان ما يدفعه التلاميذ غاية في الضالة والقلة مهما كان عددهم .



وكان الكثيرون من الناس الذين يأتون إلى بيت المشرف الشاب



يسمونه كونج - فو - تشى أى كونج الفيلسوف . ومن هنا بدأ  
تحريف الاسم ليطلق عليه الناس بعد ذلك كونفوشيوس  
وسارت الأمور سيرها الطيب مع الحكيم كونفوشيوس حتى بلغ  
ثلاثة والعشرين . ثم حدثت المفاجأة .  
نقد ماتت أمه تشينج تساي .

وكان موتها سبباً في كثير من التغيرات التي طرأت على حياته منذ  
ذئذ اليوم

وكانت أول هذه التغيرات ان استقال كونفوشيوس من منصبه  
كشرف على الحقول .

ومنذ تمت استقالته لم يصنع شيئاً سوى أن يندب أمه وبلغ  
به الحزن حد أن أهمل زوجته إهمالاً كاملاً .. أدى بعد ذلك  
إلى الانفصال

وهنا بدأ كونفوشيوس يتطور من جديد .. وراح يكرس كل  
وقته لدراسة تاريخ شعبه وشعر ذلك الشعب وفلسفته ولكنه لم يكن  
ينسى في كل تلك الأوقات أمه الراحلة .. بل راح يقضى الشهور الطويلة  
إلى جانب قبرها يتأمل الحياة كما يتأمل الموت

وعندما انتهت أيام الخداد التي كتبها على نفسه وحددها بثلاث سنوات  
لم يعد إلى وظيفته الحكومية بل مضى في دراسته وبدأ يعلم التلاميذ هذه  
المرّة كوسيلة لكسب العيش

وانتشرت شهرة كونفوشيوس كعالم عظيم ، إلى حد أن التلاميذ  
أصبحوا يجيئون إليه من جميع أنحاء إقليم - لو - ومن الأقاليم البعيدة عنه .

وأخذ عدد سيده ينمو ويزداد يوماً بعد يوم، حتى إذا بلغ الرابعة والثلاثين من عمره أصبح له أكثر من ثلاثة آلاف تلميذ ومريد .

في ذلك الوقت مرض رئيس وزراء إقليم «لو» مرضاً شديداً .. وعرف أنه قد قارب الوفاة . واستدعى أكبر أبنائه إليه وقال له

« يا بني لقد كان حظي من التعليم في أيام شبابه ضئيلاً .. وظلت طول حياتي آسفاً لهذه الحقيقة .. وأنا أريد منك أن تجتهد في الدرس والتحصيل وتصبح متعلماً تعليماً كافياً على يد خير المعلمين »

وأجاباه ولده : « سماعاً وطاعة يا أبي »

قال الأب : « لقد سمعت بمعلم اسمه كونفوشيوس لا نظير لحكته في بلادنا اذهب إليه يا بني وتعلم على يديه »

ووعده ولده ..

وعندمات الأب بر الابن بوعده، وانطلق ليتعلم على يدي كونفوشيوس . وعن طريق ابن رئيس الوزراء أصبح أمير « لو » صديقاً للحكيم مما زاد في انتشار سمعته وشهرته في جميع الأنحاء ..

وحدث أن نشبت حرب أهلية في إقليم « لو » . واضطر الأمير إلى الهرب من وطنه لينجو بحياته . واضطر كونفوشيوس للهرب هو الآخر إلى إقليم « نسي » المجاور . غير أن الحكيم ضاق بالعيش خارج وطنه فلم تكد الحرب تنتهي حتى عاد إلى « لو » وواصل تعليمه .

في ذلك الوقت كان « لي » ابن كونفوشيوس قد كبر .. ولكنه جاء مخيباً لآمال أبيه

فذات يوم جاء الابن إلى أبيه وهو وحده بالبهو فأطل إليه الأب وقال

: « هل تدرس الشعر يالي ؟ » ..



أجاب الفتى فى حبل « كلا »

وقال أبوه فى حزم: « إن الذى لا يدرس الشعر إنما يكون كمن يدير وجهه للحائط ٠٠ فهل الذى يدير وجهه للحائط يرى شيئاً جميلاً ؟ »

عندئذ أشاح كوفوشىوس بوجهه حزيناً أسفاً

غير أن أمه إذا كان قد خاب فى ولده إلا أن عزاءه كان فى  
الإميد الذين أحبهم حباً كبيراً وتنبأ لهم مستقبل عظيم

ومصت السنوات

الحكيم

وعندما بلغ كوفوشىوس الثانية والخمسين كان قد قام بدور كبير  
حد فى تعليم أبناء الصين

ولكنه عندما كان يقوم بدور المعلم لم يكن يفعل ذلك كواحد  
من الأنبياء أو القديسين ، الذين تتجلى لهم الرؤى أو مهتف بهم الهواتف  
السماوية، لتأمرهم بدعوة الناس إلى الحق وسلوك الطريق المستقيم بل كان  
حكماً من الحكماء، اطلع على كتب الأولين واستخلص ما فيها ، وأراد أن  
يقدم للناس حلاصة سهلة مفهومة لما تحويه هذه الكتب وما استطاع  
محكمته وتأملاته أن يخرج به من الحياة

وكان تعليم كوفوشىوس كتعليم سقراط شفهاً لا يلحاً فيه إلى  
الكتابة وجر عاداته على التنقل من مكان إلى مكان ، وفى صحبته نفر من  
التلاميذ والمريدين، يستوحون آراءه . ومن هنا كانت الحوادث التى تصادفهم  
عرصاً فى الطريق هى التى توحى بموضوع الحديث

من بين ذلك ما حدث عندما التقى كوفوشىوس فى طريقه بامرأة  
تصرخ وتستغيث فلما سأها عن سبب نكأها وعويلها فى هذه الصحراء  
الجرداء أجابته :

— إن مراً مفترساً قتل والد زوجي في هذا المكان . كما افترس نفس  
النمر زوجي ثم تبعه بولدى الصغير  
وسألها كونفوشيوس لماذا تبقيين في هذا المكان القفر عما فيه  
من ممر؟

أجابت المرأة : لأنه لا يوجد هنا حاكم ظالم

وعندما سمع كونفوشيوس تلك الإجابة استدار نحو تلاميذه وقال  
لهم « اكتبوا عندكم أيها التلاميذ .. إن الحاكم الظالم أخطر على الناس  
من النمر المفترس »

وكان كونفوشيوس يشهد عقول تلاميذه بأن يعرض بأخطائهم في  
رفق ويطلب إليهم شدة اليقظة والانتباه . وكان يقول  
« إذالم يكن من عادة المرء أن يسأل نفسه : ماذا أرى في هذا  
الشيء ؟ فأبى لا أستطيع أن أفعل له شيئاً »  
وقال لتلاميذه ذات يوم

« ما أشقى الرجل الذي عملاً بطنه بالطعام طوال اليوم ، دون أن  
يجهد عقله في شيء .. لا يتواضع في شبابه التواضع الخليق بالأحداث ،  
ولا يفعل في رجولته شيئاً خليقاً بأن يأخذ عنه غيره ، ثم يعيش إلى أرذل  
العمر إن هذا الإنسان وباء »

على أن كونفوشيوس جهد أن يستبعد من رايحه الدراسية الموضوعات  
المتصلة بتمجيد البطولة الجسمانية ، والأعاجيب والثورات وخوارق الطبيعة ،  
كما كان يتحاشى الدخول في مناقشات تتصل بالكائنات غير المنظورة .  
وكان شديد العطف على الحيوان ، حتى أنه كان لا يتخذ إلا الملابس



المصنوعة من الكتان على الرغم من انتشار الأقمشة الحريرية . وعندما سأله أحد تلاميذه في ذلك قال « أنا لا استبيح لنفسي أن أقتل دودة القز لأستولى على نسيجها وأصنع منه ردأى »

وسأله تلاميذه « لماذا لا تشرب اللبن؟ »

فأجاب « لأن اللبن من حق الرضيع من البهائم والسائمة »

وقال لتلاميذه ذات يوم « أنا أنخر بآنى لم أستعمل قط شبكة لصيد السمك ، ولم أرم طائراً بسهم إلا إذا كان هذا الطائر مخلقاً في الفضاء، حتى تكون لديه فرصة الهرب أو النجاة »

وكان كونفوشيوس معلماً من الطراز الأول يعتقد أن التنأى عن تلاميذه وعدم الاختلاط بهم ضروريان لنجاح التعليم . وكان شديد المراعاة للمراسم . وكانت قواعد الآداب والجمالة طعامه وشرابه وكان يبذل ما في وسعه للحد من قوة الفرائز والشهوات وكبح جماحها بعقيدته المتزمتة الصارمة وقال مرة : « قد أكون في الأدب مساوياً لغيرى من الناس . . . ولكن خلق الرجل الأسمى الذى لا يختلف قوله عن فعله هو ما لم أصل إليه بعد . . »

أما تلاميذه فكانوا يقولون عنه « كان المعلم مبرأ من أربعة عيوب . . . كان لا يجادل وفي عقله سابق رأى . . . ولا يتحكم في الناس ويفرض عليهم عقائده . . . ولم تكن عنيداً . . . ولم يكن أنانياً . . . »

\* \* \*

كان كل شىء في مدينة « جوج دو » غارقاً في الفساد والجريمة . . . قاضى النفاذ . . . الناس لا يأمن واحد منهم على بيته ولا امرأته . . . الشر هو صاحب السلطان الأول ، والخيانة هي الطريق الذى يرتاده كل إنسان ، والسرقه هي أساس التعامل بين كل السكان . . .

وكان لابد لعلاج الأمر أن يحدث شيء خارق وأطل كل الناس حولهم فلم يجدوا ما يمكن أن يأتي بالمعجزة ولكن فجأة خطر لأحدهم حاطر لماذا لا نسأل ذلك الحكيم الذي يتحدث عنه الناس ليهدينا إلى المعجزة !؟ وواقفه جمع كبير وانطلقت الجماعة كلها تبحث عن كونفوشيوس

وهناك بعيداً ، التقوا رجل ذى رأس أصلع لا تكاد تنمو عليه شعرة . في وجهه جد ورهبة يزيدهما قبجا شفتان كبيرتان كشفتى الثور، وفم واسع كالبحر . وجهه عريضة فوق عينين واسعتين تبعثان الرعب.. وبدا للجميع رهيباً بقامته الطويلة التى لا تقل عن تسعة أقدام ، وظهروه المقوس الشبيه بظهر سلحفاة ومنظره الكئيب وكأنه الكلب الضال وعرفوا في العملاق الواقف أمامهم الحكيم كونفوشيوس وتقدم أهالى المدينة من الحكيم وقالوا له

« قد سمعنا بحكمتك الغالية يا كونفوشيوس ومدينتنا فى أشد الحاجة إلى وجودك لإنقاذها من فنون الشر التى تجتاحها فهل ترضى أن تحىء معنا لتكون قاضياً للقضاة ؟ »

وكان مركز قاضى القضاة شبيهاً بمركز العمدة

وفكر كونفوشيوس طويلاً قبل أن يرد بالإيجاب وعندما قبل أحاطت به الجماهير ، وانطلق الموكب يدخل المدينة دحول الفأحين

ومصت شهور قليلة

وكان الذى يدخل المدينة بعد ذلك محد عجباً فبعد أن كان الشر هو كل شيء.. اجتاحت المدينة موجة جارفة من السرف والأمانة .. واستحت الخيانة والفساد أن يطلا برأسيهما فاحتفيا ، وأصبح الوفاء والإخلاص شيعة



الرجال وأصبح العفاف ودمائة الخلق شيمة النساء . وجاء الأجنب  
زرافات من الولايات الأخرى ، وأصبح كونفوشيوس معبود الشعب ..

وسمع أمير « لو » بهذا الذي حدث في إحدى مدن ولايته . فأرسل  
وزير الجريمة

يستدعى الرجل الذي اعتبره صاحب المعجزة . . وقال الأمير

— لقد سمعت أنك منذ أصبحت قاضياً لقضاة جونج دو قلب نظامها  
كله رأساً على عقب ..

أجاب الحكيم إن ما سمعته هو النبا الصحيح أيها الأمير

قال الأمير : ولقد قيل لى أنك منذ شغلت هذا المركز أصبح أهل  
مدينتك سعداء مخلصين فكيف وصلت إلى ذلك في مثل هذا الوقت  
القصير ؟

قال الحكيم كنت أ كافيء الصالحين وأعاقب الأشرار ورأى  
الناس أنه من الخير أن يكونوا صالحين فيكافئوا ، عن أن يكونوا أشراراً  
فيعاقبوا وهكذا تحولوا جميعاً إلى قوم صالحين . والصالحون يخلص بعضهم  
لبعض وللحكومة

وسأل الأمير ولكن كيف جعلتهم سعداء ؟

قال كونفوشيوس أخذت الحكماء لتعليمهم والعناية بهم كما  
لو كانوا أطفالا . وإذا كان من الصعب أحياناً أن تجعل الناس يفهمون ،  
فإنه من السهل دائماً أن تجعلهم يتبعون المثل .. وعندما يتبعون مثل الطيب  
الحكيم يصبحون سعداء

وسأل الأمير هل يستطيع المرء أن يحكم إقليمياً كاملاً بنفس الطريقة  
التي حكمت بها مدينتك ؟

أجاب الحكيم بل وامبراطورية كاملة .

وعندئذ ، هز الأمير رأسه .. ثم طلب إلى الحكيم أن يصبح وزير الجرائم  
في كل إقليم « لو »

ولم يكده كونفوشيوس يتولى منصبه حتى أخذ يدرس حال السجون في  
الإقليم ، و نوع الناس الذين يملأون تلك السجون في جميع أنحاء البلاد . . ولم  
يكده يمر وقت ، حتى دعا كونفوشيوس كل القضاة والمحامين وحراس السجون  
وقال للجميع

— لقد درست سجوننا وتبينت أن أغلب المسجونين عندنا من الفقراء  
أو أبناء الفقراء . وتبينت أيضاً أن أغلب هؤلاء المسجونين جهلة أو أبناء  
جهلة . ويبدو لي أن الفقر والجهل يدفعان الناس إلى ارتكاب الجرائم  
والخروج على القوانين . فإذا قضينا على الفقر والجهل لما وقعت في بلادنا  
جريمة

وسأله أحد القضاة : وكيف نقضى على الفقر والجهل ؟

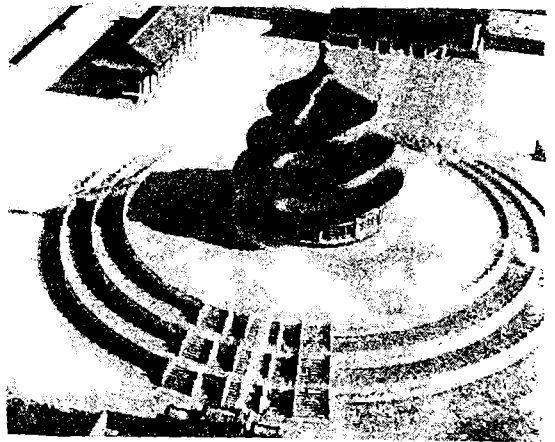
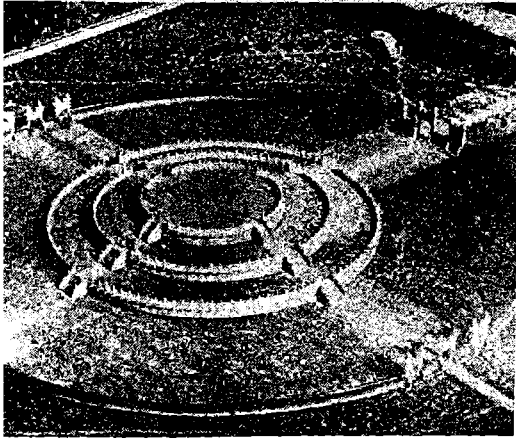
أجاب كونفوشيوس طريق القضاء على الجهل هو طريق التعليم .  
فإذا علمنا جميع الناس في إقليمنا قضينا على الجهل . ونستطيع القضاء  
على الفقر بتعليم الناس الصناعات والحرف بحيث يمكن أن يكسبوا عيشهم  
بشرف .

وسأله قاض آخر وكيف نبدأ هذه التغييرات ؟

أجاب الحكيم أنتم حكامهم . ومن واجبكم أن تكونوا قدوة  
صالحين . فالناس في حاجة إلى حكام يستطيعون أن يتبعوهم . فإذا كان  
الحكام فاسدين أصبح الناس هم الآخرون فاسدين . ولكن إذا كان  
الحكام صالحين فسيحذو الناس حذوهم ويصبحون صالحين . فأول قاعدة  
للمصلاح هي ألا تفعل للآخرين ما لا تحب أن يفعلوه لك .



كونفوشيوس .. حكيم لو



الإلهة نو كواشي  
متقنة الأرض  
التي أقامت أعمدة  
السماء



كونفوشيوس .  
يلقي دروسه على  
تلاميذه واتباعه  
في الحلاء







روح الحسير  
التي غلغى الطريق  
إلى السماء .

الحكيم كوتفوشوس  
في أواخر أيام حياته





الثالوث  
الداوي  
المقدس  
يو - شنج  
وشانج شنج  
وتاي شنج



أقدس القديسين

وما انقضى عامان من حكم كونفوشيوس كوزير للحريمة حتى خلت  
السجون والمحاكم جميعاً في إقليم لو لم يعد للقضاة شيء يفعلونه .  
ولا للحمامين شيء يقومون به . ولا لحراس السجون شيء يؤدونه .  
لأنه لم يعد في إقليم لو شيء اسمه مجرمون

في ذلك الوقت كان الذي يحكم إقليم « لو » أمير شاب اسمه تينج .  
وكان النجاح الذي أحرره كونفوشيوس دافعاً للأمر الشاب على أن يجعله  
مستشاره في جميع شئون الحكومة وكانت استشاراته غاية في الدقة  
حتى أن الإقليم أصبح أكثر الأقاليم غنى وأعظمها قوة

وكان لا بد أن يدب الحسد في نفوس الأمراء والوزراء بالأقاليم المجاورة  
التي حسيت على نفسها من قوة « لو » الناهضة . وقال بعضهم للبعض الآخر

— إن إقليم لو ، وكونفوشيوس على رأس حكومته ، سيصبح أغنى  
وأقوى أقاليم الإمبراطورية أما من سبيل لوقف هذا الانتشار ؟  
وقال أحد الوزراء

— استطعنا أن نفرى الأمير بعدم الإنصات إلى مشورة  
كونفوشيوس فعندئذ سيعود الأمير فقيراً سيئاً كما كان من قبل  
وسأل وزير آخر

— ولكن كيف نستطيع أن نجعل الأمير الشاب يكف عن الإنصات  
لمشورته ؟

وفكروا في الأمر طويلاً واستطاع وزير ما كرم من وزراء تشي  
أن يعثر أخيراً على المكيدة التي يفرق بها بين أمير لو وكونفوشيوس  
فأشار بأن يبعث أمير تشي إلى تنج بسرب من حسان الفتيات المغنيات ،  
وبمائة وعشرين جواداً تفوق الفتيات جمالاً .

ولم يكد الأمير تنج يتلقى هذه الهدايا حتى راح يقضى كل وقته بشهد  
السباق والحسان يحطن به وأعرض عن وزرائه وأهمل شئون الدولة  
إهمالا معيباً وتبين كونفوشيوس أنه كلما جاء إلى القصر ليذكر الأمير  
بواجباته وما يجب أن يؤديه من أعمال قيل له أن الأمير غائب أو لا يريد  
أن يلقاه

ولم يمض وقت قصير حتى تحول إقليم لومزدره ليصبح فقيراً من  
جديد وامتلأت السجون التي طالما خلت من نزلائها بالمسجونين  
مرة أخرى

ورأى كونفوشيوس أن كل عمله الطيب قد انهار ففلاؤه الحزن ،  
وقرر أن يبرح موطنه الذي لم يعد له مكان فيه .. وقال وهو يمضى لأتباعه:  
إذا وجدت حاكماً يصفى لى سنة واحدة لتتحقق حلمى عن دولة يكون  
كل الناس فيها خيرين سعداء .

\* \* \*

خرج كونفوشيوس وقليل من مريديه المخلفين مغضوباً عليه من  
وطنه وانطلق مع صحبه يبحث من جديد عن حاكم عادل يريد أن  
يتعلم كيف يجعل قومه صالحين سعداء . وخلال تجواله من إقليم لإقليم ،  
لقى كونفوشيوس ألواناً من المجاملة والترحاب تماماً كما لقي صنوقا من  
الجرمان والأذى وهاجمه وصحبه الرعاع مرتين وكادوا فى يوم من الأيام  
يموتون جوعاً و برح بهم ألم الجوع حتى شرع «تسى لو» نفسه يتذمر ويقول  
إن حالهم لم يعد يليق بالإنسان الرافى

وذات يوم وصل كونفوشيوس وأتباعه إلى مكان سهر أرادوا أن  
يمبروه . وقال كونفوشيوس لتسى لو : اذهب إلى ذلك الشيخ الذى يفتح الحقل  
هناك واسأله أين يمكن أن نجد قارباً نعبه بهذا النهر . فقد يعرف ويدلنا .

بين تسمى لو  
وتساج جو



وعندما مضى تسى لو واقترب من الرجل . . عرف فيه تشانج جو  
أحد النساك الذين عاف نفوسهم مفساد ذلك العهد واعزلوا الشئون العامة  
وآثروا عليها الحياة الزراعية البعيدة عن جلبة المدينة وعرف الناسك من  
يكون تسى لو . . وقيل أن يسأله تسى لو عما يريد بدأه الناسك قائلاً

— إن الاضطراب يجتاح البلاد اجتياح السيل الجارف . . ومنذا الذى  
يستطيع أن يبدل لكم هذا الحال ؟ أليس خير لكم أن تتبعوا أولئك الذين  
يعتزلون العالم كله فتصبحوا نساكاً، بدل أن تتبعوا ذلك الذى يهجر بكم  
متنقلاً من إقليم إلى آخر ؟

ومضى الناسك يواصل عمله فى الحقل، وسكت تسى لو عن أن يسأله عن  
القارب الذى يريد أن يعبر به النهر وعاد إلى كونفوشيوس الذى قال  
بعد أن فكر طويلاً فى هذا الكلام

— إن شانج جو محطىء فيما يقول . . فإنه ليس بالهرب من الشر  
يستطيع المرء أن يغيره إلى الأحسن . . وإذا كان الناس جميعاً خيرين سعداء  
لما كانت بي حاجة إلى تقويمهم . . إنه من واجب كل إنسان أن يحاول الهرب  
من حيث توجد المتاعب . . بل إنه من الجبن أن يرى الإنسان ما هو صواب  
ولا يحاول أن يفعله . .

وتبين أتباع كونفوشيوس كم كانت طريقته أكثر حكمة من طريقة  
ذلك الناسك

\* \* \*

تعالم  
كونفوشيوس

مضى الحكيم ومريدوه فى الطريق خمسة عشر عاماً جديدة باحثين عن  
حاكم يبحث عن الخير والسعادة لشعبه فلم يجدوا واحداً . . وعندما عاد  
كونفوشيوس مرة أخرى إلى موطنه بعد أن تولى حكم لو حاكم جديد . .  
كان الحكيم قد أصبح كهلاً فى التاسعة والستين .

وطلب الأمير الجديد من كونفوشيوس أن يصبح كبير مستشاريه غير أن الحكيم كان قد قرر أن يقضى سنوات عمره الباقية فى عزلة أدبية منصرفاً إلى كتابة الشعر ونشر روائع الكتب الصينية القديمة وكتابة تاريخ الصينيين وكان كونفوشيوس يرجو أن يستطيع عن طريق كتبه أن تنتقل أرائه إلى جميع أنحاء الصين وأب يعمل أتباعه ومريدوه على نشر تعاليمه

وكان أهم ما يحب كونفوشيوس محثه ومناقشته هو أهمية التعليم ، إذ كان يعتقد أن المعرفة هى أهم شىء فى العالم .. وكان يقول

« كنت فى الخامسة عشرة من عمرى مكباً على العلم وفى الثلاثين وقفت ثابتاً لا أترزع وفى الأربعين رالب عنى شكوكى وفى الخمسين عرفت أوامر السماء وفى الستين كانت أذنى عصواً طبعاً لتلك الحقيقة. وفى السبعين كان فى وسعى أن أطيع ما يهواه قلبى دون أن يؤدى بى ذلك إلى تنكب طريق العدل والصواب »

سأله أحد تلاميذه يوماً : هل من الصواب أب يكون المرء محبوباً من جميع جيرانه ؟

قال الحكيم كلا

فسئل هل من الصواب إذن أن يكون المرء مكروها من جميع جيرانه ؟ ..

قال كونفوشيوس : كلا ولكن الأفضل أن محبه الخيرون من من جيرانه وأن يكرهه الشريرون ممن هم فى حوار

وسأله تابع هل من الصواب الرد على الإساءة بالأخرى ؟



أجاب نخدة وبأى شيء إذن تجزى الإحسان؟ لتكن العدالة  
جزاء الإساءة وليكن الإحسان جزاء الإحسان

وقيل له وما هي الفصيلة الكاملة؟

أجاب كونفوشيوس الفصيلة الكاملة ألا تفعل بعيرك ما لا تحب أن

يفعل بك

والحق لقد كان كونفوشيوس مستعداً دائماً للرد على أية أسئلة تتعلق  
بكيفية الحياة، وماذا يجب أن يفعله الناس فيها، وكيف يمكن للمرء أن يصبح  
إنساناً صالحاً. ولكنه في نفس الوقت كان يرفض الرد على أسئلة تتعلق  
بالإله أو السماء أو الحياة الأخرى

وعندما سئل هل يظن أن هناك حياة أخرى بعد الموت أجاب  
إذا كنا لا نعرف شيئاً عن الحياة فكيف نعرف شيئاً عن الموت  
وما بعد الموت؟

ولكن كما كانت هناك أشياء لا يحب أن يتكلم فيها فقد  
كانت هناك أشياء كثيرة يتوق إلى مناقشتها وكان يستمتع بأى حديث  
عن طرق الصلاح وعن الشعر والموسيقى

سأله أحد أتباعه ما هو الحب؟

أجاب: حبك للبشر هو الحب

فسئل ولكن ما هو؟

قال كونفوشيوس الاعتزاز بالجهد أكثر من الاعتزاز بالثمرة يمكن  
أن يسمى بالحب إنه مجرد استمتاع بعمل شيء دون نظر إلى ثمرة هذا  
العمل التي يمكن الحصول عليها في النهاية هذا هو الحب وعمل  
الخير دون نظر إلى مكافأة عنه في هذه الحياة أو في حياة أخرى مستقبلة..

ولكن مجرد الاستمتاع بعمل الخير . هذا هو الحب . فالحب ثمرة نفسه ،  
والحب يجعل الأشياء تبدو جميلة . . . والحب يخلق السلام  
وفكر كونفوشيوس برهنة ثم قال « إن القلب الذى يعمر بالحب  
لا يخطئ » .

وفاء الحكيم

\* \* \*  
شاخ كونفوشيوس . وإذا كان قد بذل قصارى جهده فى الكتب  
التي كان يجمعها ويؤلفها ، فإن فكرة الفقر والشقاء المنتشرين فى جميع  
أنحاء الصين كانت تثير حزنه

وبما كونفوشيوس فى السبعين ، إذ مات ابنه « لى » تاركا ولداً  
اسمه « كيغ » يشبه جده إلى حد كبير . وعاش الحفيد مع الجد وتلقى العلم  
على يديه . . . وكان ماثراً متمتعاً وسعادة كبرى للفيلسوف الشيخ .

وذات يوم ، بينما كونفوشيوس فى الغرفة وحده يعمل فى كتاب عن  
التاريخ اسمه « الخريف والربيع » ، إذ دخل كيغ الغرفة هدهود . وعندما شهد  
جده غارقاً فى العمل سكت ، وظل على سكوته حتى كف جده عن العمل  
وتهدد بجهد . وجلس الحكيم فى هدوء وقال يخاطب حفيده الذى أجلسه  
بجانبه

— فى كل مدينة رجال لهم من الفهم مثل ما لى . ولكنى عندما أتلقى  
سؤالاً عن نفسى أتعمقه حتى أفهمه . وهناك كثير من الرجال يماثلونى  
حكمة ولكن القليلين هم الذين يحبون أن يتعلموا  
وسكت الحكيم فسأله حفيده

— لدى سؤال . . . كيف يسير المرء نحو حياة صالحة ؟  
قال كونفوشيوس : ابغ الصواب . واستمسك بالكسب الصالح .



واسترح في الحب . وتحرك في الفن . . هذه هي طرق الحياة الصالحة .  
وساد سكون . ثم عاد كونفوشيوس يعمل ليموت بعد ذلك  
بهدهوء وكان العام هو ٤٧٨ قبل الميلاد  
وعندما ذاع نبأ موته عم الحزن لوفاته في جميع أنحاء الصين . حتى  
الحكام الذين أهملوه حياً احتفلوا بإحياء ذكراه  
وأعلن تلاميذه وأتباعه الحداد على موته ثلاثة أعوام كما لو كان أباهم ..  
بل بنى بعضهم أكواخاً صغيرة على مقربة من قبره ظلوا فيها طوال أيام  
حزهم يدرسون تعاليمه ويحيون ذكراه

\* \* \*

واستمرت الكونفوشوسية تحترق طريقها

على أنه إذا كان البعض لا يعتبرها أكثر من مهج خلق أو أسلوب من **مذهب إنساني**  
أساليب الحياة ، إلا أنه ما من شك في أنها استطاعت أن تقوم تماماً بالدور  
الذي يمكن أن يقوم به أى دين سماوى . فقد استطاعت أن تؤدى جميع  
الوظائف التى يرجى أن يؤديها أى دين من الأديان

والواقع أن كونفوشيوس نفسه كان رجل دين تمثلت فيه جميع العقائد  
الصينية القديمة . وكان أتباعه ومريدوه رجال الدين بكل ما فى هذه الكلمة  
من معنى ، برغم ابتعاد تعاليمه عن ذكر كل ما يتعلق بالسماء والطقوس  
والآلهة وهو إذا كان قد تجاهل هذه الأسس التى يفترض أنها أسس كل  
دين ومظاهره الرئيسية ، فهو لم يفعل ذلك عن استخفاف ، ولكنه كان  
يرى أنها ليست من جوهر الدين فى شيء .

فالعقيدة التى جاء بها كونفوشيوس وعمل على نشرها وتطبيقها تدخل

بالفعل تحت ما يسمى بالمذهب الإنساني فهو أول إنساني ظهر في العالم وأساس تعاليمه ألا يعتمد الإنسان على أى كائن علوى أو أية قوة غير منظورة يطلب منها العون والتوفيق في حياته بل على المرء أن يصل إلى ما يتمناه من مراتب التقدم والسعادة عن طريق ذاته فحسب ، ويكون ذلك بتقوية نفسه ومهذبتها ، لأن المعرفة الصحيحة هى وسيلة الحياة السعيدة الهائثة والمعرفة الصحيحة هى التى تخلق الرجل السعيد الموفق ، وهى التى تخرج العائلة الصالحة والحكومة العادلة ، وهى التى تؤدى بوجه عام إلى خلق عالم تسوده العدالة والمحبة والسلام .

وكان يقول « إن القدامى الذين أرادوا أن ينشروا أرقى الفضائل في أنحاء الإمبراطورية ، بدءوا بتنظيم ولاياتهم أحسن تنظيم ولما أرادوا أن يحسنوا تنظيم ولاياتهم بدأوا بتنظيم أسرهم . ولما أرادوا أن يهذبوا نفوسهم بدأوا بتطهير قلوبهم . ولما أرادوا أن يطهروا قلوبهم عملوا أولاً على أن يكونوا مخلصين في تفكيرهم . ولما أرادوا أن يكونوا مخلصين في تفكيرهم بدءوا بتوسيع دائرة معارفهم إلى أبعدهم مستطاع وهذا التوسع في المعارف لا يكون إلا بالبحث عن الحقيقة »

ثم يستأنف كونفوشيوس

« فلما أن بحث هؤلاء عن حقائق الأشياء أصبح علمهم كاملاً . ولما كمل علمهم خلصت أفكارهم . فلما خلصت أفكارهم تطهرت قلوبهم . ولما تطهرت قلوبهم هذبت نفوسهم ولما هذبت نفوسهم انتظم شئون أسرهم ولما انتظم شئون أسرهم صلح حكم ولاياتهم ولما صلح حكم ولاياتهم أصبحت الإمبراطورية كلها هادئة سعيدة »



تلك هى أسس العقيدة الكونفوشيوسية، وهى أكل مرسد للحياة

لإنسانية وفي نفس المعاني يقول كونفوشيوس

في حرب لأن الدول التي يتألف منها فاسدة الحكم والسبب في فساد حكمها أن السرائع الوضعية مهما كثرت لا تستطيع أن تحمل محل النظام الاجتماعي الطبيعي الذي هيئته الأسرة والأسرة مختلفة عاخره عن هيئته هذا النظام الاجتماعي الطبيعي لأن الناس ينسون أنهم لا تطيعون تنظيم أسرهم من غير أن يقوموا أنفسهم وهم يعجزون عن ترويض نفوسهم لأنهم لم يظهروا قلوبهم، أي أنهم لم يظهروا نفوسهم من الشبهات الفاسدة الدنيئة وقلوبهم غير ظاهرة لأنهم مخلصين في تكبيرهم لا يقدرون الحقائق ويخفون طبائعهم بدل أن يكشفوا عنها وهم لا يخاصون في تكبيرهم لأن أهواءهم تسوه الحقائق وتحدد لهم النتائج بدل ان يعملوا على توسيع دائرة معارفهم إلى أقصى حد مستطاء يبحث طبائع الأشياء بحثاً مرزهاً عن الأهواء

٥

بعد انقضاء مائة عام على وفاة كونفوشيوس ٥٠٠ ولد في إقليم « لو » الحكيم منسيس طفل اسمه مانج كو بذلت أمه من أجل تربيته ونشأته جهداً ضخماً حتى أنها بدلت مسكنها ثلاث مرات من أجله ٥٠٠ بدلته أول مرة لأنها كانا يسكنان بجوار مقبرة فبدأ الصبي يسلك مسلك دافني الأموات ٥٠٠ وبدلته في المرة الثانية لأنهما كانا يسكنان بجوار مذبج ، فبدأ الغلام يجيد تقليد أصوات الحيوانات المذبوحة ثم بدلته في المرة الثالثة لأنها كانا يسكنان بجوار سوق فشرع الصبي يسلك مسلك التجار ثم وجدت آخر الأمر داراً بقرب مدرسة فرضيت بها .

وكانت أمه مثالية حقاً ٥٠٠ كانت إذا أهمل الغلام دروسه قطعت الخيط

المقدس . . لتقول له عندما يسألها أنها تتلف الخيط تماماً كما يفعل هو نفسه بإهماله وعدم مثابرتة على الدرس . وكان ذلك التعرف ينجبل الصبي ، فاضطر إلى الجد في طلب العلم وظل على ذلك الجد حتى كبر وتزوج ، ثم افتتح مدرسة لتعليم الفلسفة أحاط به فيها جمع من الطلاب آمنوا بآرائه وتعاليمه ، وكانوا نواة للعدد الضخم من المريدين الذين أحاطوا به بعد ، خاصة عندما انتشرت تعاليمه التي هاجم فيها الأمراء والوزراء وحكام الصين الظالمين ، الذين لم يفكروا قط في شيء أكثر من مصالحهم الشخصية مهما كان ذلك ضد مصلحة الحكومين

وكانت تعاليمه استمراراً لتعاليم كونفوشيوس

وأطلق عليه تلاميذه اسم مانج — دزى أى مانج الفيلسوف . وهو

نفس اللفظ الذى تحول بعد ذلك ليكون منشيس

وأرسل إليه الأمراء من مختلف القطاعات يدعونه ليناقتشوه في نظرياته عن الحكم وكان أول من انطلق إليه هو الأمير شوان حاكم مقاطعة تشى حيث طلب إليه أن يحكم البلاد طبقاً لتعاليم كونفوشيوس ، ظناً منه أن الأمير على استعداد للتقويم ما دام يحب الفلسفة . ومن أجل محاولة إصلاح الأمير قبل منشيس أن يتولى منصباً فخرياً في القصر ، ولكن دون أن يحصل على مرتبه غير أن المحاولة لم يجد قط . ووجد الحكيم أن الأمير لا يعنى بالفلسفة أبداً فلم يكن بد من أن يجمع الحكيم أتباعه ويمضى منطلقاً إلى إمارة تانج الصغيرة ، حيث وجد في حاكمها تلميذاً مخلصاً وإن يكن عاجزاً ضعيفاً ولم يجد الحكيم سبيلاً لإصلاح الأمير . . فعاد مرة أخرى إلى تشى حيث قبل في هذه المرة منصباً ذا مرتبه كبير عرضه عليه الأمير شوان . . بعد أن اقتنع الحكيم أنه لن يستطيع تنفيذ آرائه إلا بوجوده في ذلك المنصب ذى النفوذ والسلطان .



على أن الأمر لم يطل كثيراً. فسرعان ما اختلف الحكيم مع الأمير عندما تورط في حرب أراد بها التوسع والفتوح بينما أشار الحكيم عليه بالدعوة إلى السلام وعندئذ انطلق منسيوس من حديد بعيداً عن نسيو ليواصل التجوال في جميع أنحاء الإمبراطورية بحثاً عن حاكم عادل يرغب في أن يحكم شعبه طبقاً لتعاليم كونفوشيوس

وحيما حل منسيوس كان يقابل باحترام عظيم لانتشار شهرته كفياسوف.. الفضائل الخمس وكان الأمراء يسألونه ما هو الحكم العادل الحكيم الذي يبصر به وكان يجيب ليس ما أعظم به بالشيء الجديد فقد سبقني إليه أستاذي كونفوشيوس . ذلك أن الحاكم العادل يحكم شعبه طبقاً للفضائل الثمانية الخمس

ويسأله الأمراء ما هي هذه الفضائل

ويقول منسيوس فعل الخير . وهو الرغبة في العمل لصالح الشعب . والإستقامة وهي ألا تفعل للآخرين ما لا تحب أن يفعلوه لك . واللياقة وهي أن تسلك مع الشعب الذي تحكمه سلوكاً يتسم بالحياء والحكمة وهي أن تسترشد بالمعرفة والفهم . والإخلاص وهو أن تكون مخلصاً في كل ما تفعل . لأنه بدون الإخلاص لا يمكن للعالم أن يبقى كما يقول الأستاذ كونفوشيوس

وكان الذي يهتم منسيوس هو أن يرسم طريقة للحياة الصالحة وولي حيار الناس مقاليد الحكم . وكان يرى أن أصل المشاكل الاجتماعية ليس في طبيعة الناس بل هو في فساد الحكومات . من أجل ذلك لا بد أن يصبح الفلاسفة ملوكاً . وأن يصبح ملوك هذا العالم فلاسفة وكان منسيوس يرى أن الحاكم الصالح لا يشن الحرب على البلاد الخارجية بل يشمها ضد

العدو المشترك وهو الفقر لأن الفقر والجهل هما أصل الجرائم وسبب اضطراب كل نظام وكان يعتبر أن معاقبة من لم تتح لهم فرصة العمل على ما يرتكبونه من الجرائم ظلم وقسوة . لأن على الحكومة أن توفر سباب الرفاهية لرعاياها وأن عليها أن تصع الخطط الاقتصادية من أجل تحقيق تلك الغاية وكان مطالب الحكومات بأن تفرص أكثر الضرائب على الأرض نفسها لا على ما تغله أو ما يقام عليها من منشآت كما يطالب بإلغاء العوائد الجزرية وجعل التعليم عاماً وإجبارياً

**الملوك والشعوب** ولكن هل كانت هذه الآراء ممكن أن تلاقى قبولا من الحكام المنسدين؟ الحق أن الحكيم وحد صعوبة كبيرة في ذلك فقد كان الأمراء والحكام ينصتون إليه، ولكن أحداً منهم لم يأخذ بنصحه، رغم السنوات العسرين التي قضاها متنقلاً من إقليم إلى إقليم . . أما الذين أعجبوا به واتبعوه فهم جماهير الشعب . . الجماهير التي أعجبها اعتراف منسيس بحق الشعوب في الثورة وتنديده بالحرب التي كان يراها جريمة وتقدمه اللاذع لترى حاشية الملوك وبوجهه أشد اللوم للملك الذي يطعم كلابه وحنازي . . يترك الناس يموتون جوعاً

وكان أخطر ما قرره منسيس . هو أن الحاكم الذي يستثير عداوة الشعب يفقد حقه الإلهي في الحكم، ويصبح من حق الشعب أن يخلعه . وما أكثر ما ناقش منسيس الملوك في هذا الرأي قال له أحد الملوك مرة أنه لا يستطيع منع المجاعة فأجابه منسيس: إذن ينبغي عليك أن تعزل الملك . وقال مرة للأمير شوان إذا كان الملك يرتكب أغلاطاً شنيعة وجب على الوزراء العظام أن يعارضوه لم يستمع إليهم بعد أن يفعلوا هذا مرة بعد مرة، وجب عليهم أن يخلعوه .



وسأله تلاميذه عن رأيه في العلاقة بين الحاكم والمحكومين . فأجاب منشيوس : إن الناس أهم عنصر من عناصر الأمة . . . وإن الملك أقل هذه العناصر شأنًا . . . ومن حق الناس أن يخلعوا حكامهم ، بل إن من حقهم أن يتخلصوا منهم في بعض الأحيان .

ومن هنا أحبته الجماهير وكرهه الحكام وكان من أبرر ألوان تلك الكراهية أن هونج دو مؤسس أسرة مينج أمر أن يمحي اسم منشيوس من مكانه في هيكل كونفوشيوس . . . ولكن اللوحة أعيدت بعد ذلك إلى مكانها . . . فقد آمن الناس كلهم في الصين بأن منشيوس كان حكيمًا عظيمًا وظلت الملايين منذ موته قبل ٢٣٠٠ سنة يعبدون ذكره حتى اليوم على اعتبار أنه حكيم الصين الثاني بعد كونفوشيوس

\* \* \*

ومع كل ذلك . . . فهل آمن الحكام بالعدالة وحقوق الشعب ؟؟  
الأميراطور الأول  
مع مر الأيام

ثم حدث شيء جديد في تاريخ الصين

فبعد مرور مائتين وخمسين عاما من وفاة كونفوشيوس جلس على عرش الصين إمبراطور جديد يقول المؤرخون أنه كان من أصل وصيغ . . . وأنه كان إبنًا غير شرعي للملكة مقاطعة «تشين» من وريرها «لو» . . . واستطاع الصبي أن يرغم والده على الانتحار وأن يصطهد والدته ليجلس بعدهما على كرسى الإمارة وهو بعد في الثانية عشرة من العمر ولم يكد يبلغ الخامسة والعشرين حتى بدأ يغزو المقاطعات المجاورة ، ويضم الدويلات التي كانت الصين منقسمة إليها . . . ولم تكد تمر سنوات قليلة حتى خضعت كل الصين

في يد رجل واحد هو ذلك الفاتح الذي سى نفسه تشين هونج تى . . وأعلن نفسه « الإمبراطور الأول »

والواقع أن الصين حكمها قبل ذلك أباطرة كثيرون ، ولكن شى هونج نادى بنفسه الإمبراطور الأول ليبين للشعب أنه أراد منه أن ينسى كل الحكام الذين سبقوه . .

وأتم تشين هوج انتصاراته على جميع أولئك الذين ثاروا ضده ثم أمر بإقامة الاحتفالات الكبرى في القصر . . ودعا إليها جميع الوزراء وعظماء البلاد

إمراء كتب  
الحكام

وراح الجميع يبادلون إلقاء الخطب يثنون فيها على الإمبراطور ويتمنون له حياة طويلة رائعة .

وهض المشرف على الألعاب وقال

— سعيدة هي الصين تح حكم جلاتكم أيها الإمبراطور العظيم .  
لقد كانت الإمبراطورية قبل عهدكم ضعيفة ممزقة ، ولكنكم بقوتكم وحكمتكم وحدتم الإمبراطورية وجعلتموها قوية . . وكان الإمبراطورية قبلكم صغيرة ولكنها الآن بفضل حكمتكم بلغت من العظمة بحيث أنه حينما أشرق الشمس وتلأل القمر انحنى الناس لسلطانكم . وهذه الإمبراطورية السعيدة التي نظمتوها جلاتكم ستدوم سعيدة عشرة آلاف جيل . . فلم يسبق أن جلس على عرش هذه البلاد إمبراطور بلغ من العظمة والقوة ما بلغتكم

وسر هذا الخطاب الإمبراطور ولكن العالم العظيم شون —  
يو هض بعد ذلك ليقول :



— لقد أظهر للشرف على الألعاب كم هو منافق متملق .. لهذا فهو  
ورير غير أمين لأنه من أجل أن يرضي جلالتهم جرح ذكرى  
أسلافنا العظام أجمعين

وارتفعت هممة الجميع من حول كل الموائد .. يستنكرون جراءة العالم  
العظيم وهههه وزير آخر فقال

— إن ما فعلتموه جلالتهم أكثر من أن يفهمه مجرد عالم .. فهوؤلاء  
العلماء لا يفهمون ما فعله اليوم ؛ بل هم لا يتحدثون إلا عما فعله الحكام  
في الماضي القريب وفي الماضي البعيد ولكن ما فعلتموه جلالتهم لحل  
إمبراطوريتنا عزيمة رائعة ، جعل العلماء يحقدون عليك ويشتمون الناس على  
اختراع التهم الباطلة ضدك .. وخير طريقة لإبعاد هؤلاء العلماء عن الإضرار  
بجلالتهم هي أن تأمروا بحرق كتبهم وكتب من سبقوهم من أمثالهم .. ثم  
أن تأمروا بإعدام جميع العلماء الذين يحفظون ما في هذه الكتب ويعلمونها  
للناس

وأعجب الإمبراطور باقتراح وريره .. وأرسل صباطه في جميع أنحاء  
البلاد يجمعون كتب الأساتذة العظام وخاصة كتب كونفوشيوس وحفيده  
كيف وتلاميذه منشيس . وأمرهم أن يحرقوها جميعاً حتى ينسى الناس ذكرى  
أولئك الحكماء والعلماء !

ولم تكن الكتب في الصين في تلك الأيام تكتب على ورق كما  
يحدث الآن بل كانت تكتب على شرائح من الخيزران يشد بعضها  
إلى بعض بمشابك متحركة ، ويبلغ اتساعها حوالي بوصة وطولها قدمين . وجمع  
صباط الإمبراطور هذه الشرائح وربطوها كلها بخيوط من حرير تمر في  
تقوب أعدها في كل شريحة .. بعد أن جمعوها من المكتبات

الإمبراطورية ومن بيوت الافراد ٠٠ ووضعوها كلها على مقربة من قصر  
الإمبراطور لإحراقها .

وبرغم أن بعض العلماء والضباط أيضاً تمكنوا من سرقة بعض أعمال  
الأساتذة والحكاماء، وأخفوا نسخاً منها وبنوا حولها الجدران حتى يعجز  
الإمبراطور عن العثور عليها إلا أن أغلب الكتب أحرقت  
وظلت النيران تتأجج ثلاثة شهور على مقربة من القصر وراح اللهب  
يتصاعد في النهار وفي الليل من شراخ الخيزران وتجمع الناس من جميع  
أنحاء البلاد حول النار الهائلة، يرقبون اللهب وهو يلقى ظلالات صخنة  
على القصر الإمبراطوري

وعلم الإمبراطور أن بعض العلماء والضباط أخفوا نسخاً من الكتب..  
فأمر بالتقص عليهم وأرسل بعضهم للعمل في بناء السور الكبري الذي كان  
يجرى بناؤه في ذلك الوقت بينما أمر بالبعض الآخر وهم حر  
وستين عاماً فأعدموا جميعاً في نفس المكان ٠٠

وبعد عدة سنوات مات الإمبراطور الذي عاش منذ أحرقت كل آثار  
العلماء في رعب هائل رهيب ولم يكذب يموت حتى أخرج الناس الكتب  
التي أخفوها من قبل وأقاموا عيداً كبيراً احتفالاً بذكرى كونفوشيوس  
وأتباعه وبالكتب المقدسة التي تم إنقاذها

ومنذ ذلك الوقت أصبح اسم كونفوشيوس الذي أراد له  
الإمبراطور أن يندثر أصبح أعز على الناس مما كان من قبل ٠٠ وأصبحت  
كرى الإمبراطور نفسه هي الكريمة المحترمة في كل مكان

أما أراد الاطور تشين الذي سميت بلاده بعده باسم « الصين »  
ن يذكروه شعبه على أنه أفضل إمبراطور في عشرة آلاف جيل ٠٠  
ولكن شعب الصين ظل يذكروه منذ اليوم على أنه أخطر مجرم في  
عشرة آلاف جيل .



والحق . . أن حذر الإمبراطور تشين لم يحل دون أن يقتله بعض الناس ، رغم أنه عمد إلى مغنطة باب الحصن الذي يقيم فيه بحيث إذا عبره شخص مسلح انحذب إلى الباب بشدة وافتضح أمره . . ورغم أنه كان يجلس على عرشه والسيف مسلول فوق ركبتيه . . ورغم أنه لم يسمح لأحد بأن يعرف في أية حجرة من حجرات قصوره الكثيرة ينام ليله . .

ولم يكد الطاغية يزول حتى اعتلى عرش الصين أباطرة من أسرة هان ، راد انتعاش البلاد في عهدهم وازدهرت ، وأخذ الأباطرة الجدد يناصرون كل ما من شأنه توطيد الأمن والسلام وإحياء التقاليد والشعائر القديمة . . وكان في طليعة الهيئات التي نالت تأييد هؤلاء الأباطرة وتشجيعهم ، المدرسة التي أنشأها كونفوشيوس في مقاطعة « لو » .

ومن جديد . . عاد مذهب كونفوشيوس إلى الازدهار

وفي عام ١٩٤ قبل الميلاد ، رار أول إمبراطور من الأسرة الجديدة قبر **أفرس القريسين** كونفوشيوس في شوفو . وفي عام ٧٢ للميلاد كرمت هذه الأسرة اثنين وسبعين من كبار أتباع الكونفوشيوسية . وبعد ذلك بمائتي عام صدر مرسوم بوجوب تقديم القرابين العظيمة لكونفوشيوس أربع مرات كل عام وقام أهل بلدة كونفوشيوس ببناء معبد تمجيداً لذكراه . وفي عام ٥٥٥ صدر مرسوم يقضى بإقامة معبد لكونفوشيوس في جميع المدن الكبرى من كل ولاية من الولايات . .

وفي عام ٦٦٥ خلع على كونفوشيوس لقب « أنبل الأساتذة » ثم لقب « ملك » في عام ٧٣٩ ثم خلع عليه عام ١٣ ١ لقب « أقدس القديسين » وعندما جاء أباطرة بيت « مانشو » كانوا ينحنون أمام تمثاله إجلالاً واحتراماً . ثم أطلقوا عليه عام ١٦٥٧ اسم « أحكم الأساتذة الأقدمين » .

ومنذ ذلك الوقت صارت الكونفوشيوسية عقيدة كاملة وذخراً ضخماً يعتر به كل شعب الصين.

من أجل  
مياة صالحة

ومضت عقيدة الكونفوشيوسية في طريقها على أنه إذا كانت العقيدة البوذية قد استطاعت أن تجد لها مكاناً عندما قدمت بعد ذلك إلى الصين . . لأنها فسرت لشعبها الأشياء التي كان يريد أن يعرفها عن الموت وعن السماء إلا أن الناس مع ذلك ظلوا متمسكين بالكونفوشيوسية . . لأنه لم يكن من الممكن أن يقضوا كل وقتهم في التفكير فيما يحدث لأرواحهم بعد الموت . فالتناس يأكلون أيضاً ويشربون وينامون وهم يقصون وقتهم يصنعون الأحذية والتعبات والثياب ليرتدوها وهم يبنون البيوت ليسكنوا فيها وهم لا يستطيعون أن يعيشوا كالقردة فوق الأشجار وهم يعدون طعامهم لياً كلوه وهم يتغنون الأغاني ويعزفون على العود عندما يبتهجون . وهم يؤلفون الكتب ويرسمون الصور . وهم يحكون الحكايات ويقومون بالرحلات . وهم يشترون ويبيعون . وهم يستحمون ويسبحون ويلعبون الألعاب . وهم يفعلون عدة أشياء أخرى لا تمت بصلة إلى التفكير في الموت ، أو فيما يكون بعد الموت فإذا كان كونفوشيوس لم يقل للناس شيئاً عن الله والسماء ، إلا أنه قال لهم الكثير عما يجب أن يفعلوه ليعيشوا حياة صالحة سعيدة . .

ولكن كونفوشيوس وهو لم يشعبه كيف يكون سعيداً وصالحاً ، لم يقض على معتقدات ذلك الشعب في الأشياء التي ظل الصينيون يحبونها قروناً عديدة

وكان أهم ما فعله كونفوشيوس هو تشجيعه لعبادة الأسلاف ولم يشغله كثيراً ما شغل الداويين فيما بعد من تحويل الحديد إلى

ذهب ، لأنه كان يعرف أن هذا لن يسعد الناس ، ولأنه كان يرى أن تحويل كل ما في العالم من حديد إلى ذهب يجعل الذهب رخيصاً والحديد غالياً..  
وما كان الناس ليصبحوا عندئذ أكثر سعادة مما هم عليه الآن

وفضلاً عن ذلك فإن تحويل الحديد إلى ذهب أمر مستحيل. وما هو مستحيل لم يكن بهم كوفوشيروس قط . فكل ما يريده هو أن يجعل الناس سعداء بطرق ليست مستحيلة ..

وهكذا قال كوفوشيروس : إن أول ما يجب على الناس أن يعرفوه هو أن أي إنسان لا يستطيع أن يعيش وحده ويصبح سعيداً

وقال كذلك: من الإمبراطور فنانز لا.. لا بد أن يكون للجميع أصدقاء.  
فلا بد أن يكون لدينا طعام لنا أكله وثياب لترتديها وبيوت لتقيم فيها.  
ولا يستطيع إنسان أن يصنع كل هذا وحده ، وأن يعيش وحده ويصبح سعيداً . ولكن عندما يعيش الناس معاً فإن بعضهم سيصنع الأحذية ، وبعضهم سيصنع الخبز ، وبعضهم سيعد الطعام ، وبعضهم سيبني البيوت وعندئذ يتقاسمون ما يمتلكون . فالخباز يخبز الخبز ويعطيه لجميع الناس . وهم يعطونه في مقابله الأحذية والثياب والبيت .. كما يمكن أن يعطوه المال الذي يستطيع أن يشتري به ما يحتاج إليه .

وعندما يعيش الناس معاً بتلك الطريقة يجب أيضاً أن تكون لهم حكومة لترى أن كل واحد يقوم بعمل نافع مقابل ما يحصل عليه .  
وأنه لا يسمح لأحد بأن يأخذ شيئاً لم يكسبه

ولقد علم كوفوشيروس الناس إن كل أسرة يجب أن تكون كالحكومة الصغيرة . فالوالدان يعنيان بأبنائهما ويقدمان لهم التعليم المفيد ، والأبناء يحترمون الوالدين ويعطوهم ما يفعلون كل ما يستطيعون ليكونا سعيدين ..

وواجب الأبناء نحو الآباء من أهم تعاليم كونفوشيوس... وهو يقول  
« أكرم أباك وأمك وافعل كل ما تستطيعه لجعلها سعيدين واعبد  
ذراهما ما حيت »

وكان كونفوشيوس يلقي تعاليمه ببساطة أخاذة بحيث يستطيع كل  
إنسان أن يفهمها .. وتبع مریدوه نفس الطريق كما جعلوا مؤلفاته والكتب  
التي جمعها كتباً مقدسة . أصبحت من بعد أول ما يجب أن يتعلمه  
التلميذ .. بل لقد أصبح الموظف الحكومي لا يعين في وظيفته إلا بعد  
أن يجتاز امتحاناً في الكتب المقدسة التامة .. أما حكمه فقد نقشت على  
لوحات معلقة على جدران الفصول الدراسية في جميع المدارس ليتعلمها  
الأطفال حالما يستطيعون الإلمام بالقراءة .

ويحب شعب الصين ذكرى كونفوشيوس ويقدسها حتى اليوم  
وبرغم أنه لا يعبد كإله كما يعبد بوذا .. إلا أنه يعتبر في نظر الناس أعظم  
حكيم وطني صيني عاش على أرض الصين ..

وقديماً .. عندما كان كونفوشيوس في الرابعة والثلاثين كان له  
أكثر من ثلاثة آلاف تابع .. والآن .. وبعد انقضاء حوالي ألفين  
وسمائة سنة .. فإن في الصين وحدها أكثر من مائتين وخمسين مليوناً  
من المعجبين بكونفوشيوس ..

وبينما يتفنى حكماء البلاد بكونفوشيوس ويتنون عليه قائلين : « عظيم  
أنت أيها الحكيم الكامل .. فضيلتك كاملة وتعاليمك كاملة ..  
وبين جميع البشر لم يخلق مثيل لك .. » فإن عامة الناس الذين  
لا يجدون كلمات عظيمة بالقدر الكافي للثناء عليه لا يستطيعون  
إلا أن يقولوا « كونفوشيوس .. كونفوشيوس .. كم أنت عظيم  
يا كونفوشيوس » .



إذا لم تقابل الناس  
فإن أحداً على ظهر الأرض ،  
لن يستطيع أن يقابلك  
قابل الإساءة بالإحسان  
فأما طيب مع الطيبين ،  
وطيب أيضاً مع غير الطيبين ،  
فذلك بصير الناس كلامهم

تخلد

وتخلص أيضاً  
فذلك بصير الناس كلامهم صامتين  
إن ألب الأشياء في العالم ،  
تصدم أصلها وتغلب عليها  
وليس في العالم شيء  
ألين ولا أضعف من الماء .  
ولكن لاشيء أقوى من الماء ،  
في مغالبة كل ما هو صلب أقوى

# كل شئ يعبد.. حتى الفيران والتغابين

في الصين بصعة ملايين من البيوت ، لا يستطيع المرء أن يدخلها إلا إذا مر في ممرات ملتوية متعرجة، قبل أن يجد أول حجرة من حجرات البيت، أو إلا إذا التقى في واجهة البيت بغابة كثيفة الأشجار .. قائمة .. حتى ولو كانت مرسومة على لوحة عريضة .. لينحدر بعدها في الممرات الجانبية للبيت

وأصحاب هذه البيوت يسمون بالداويين وهم أصحاب العقيدة الداوية التي وضع أساسها الأول حكيم عاش في نفس أيام كونفوشيوس ولكنه كان تكبره ببصع من السنين

والذين يعرفون سر الأشجار والرسوم والممرات المتعرجة يقولون أنها هي التي تصد الشياطين والجن والمردة وأرواح الشر عن دخول البيت .. فالداويون يؤمنون بكل هذه الألوان من أمثلة الشر .. بما كما كانوا يؤمنون بوجود مصاصي الدماء والغيلان والتنانين حتى أنهم عندما يأكلون أو يشربون .. وقبل أن يمشی الواحد منهم أو يستريح لا بد أن يمس ببصع كلمات هي بمثابة تائم تبعد كل هذه الألوان من ألوان الشرور .. وإذ أمشي في غابة فهو إما يغنى أو يصفر، لأنه يعتقد أن الموسيقى تكبره الشياطين بعيدة عنه فلا تقترب منه. وشياطين الغابة تكبره الموسيقى كما يكبره العوض الدخان .. وكل ذلك هو السر في تلك الممرات الملتوية في بيوت الداويين

فالداوي يؤمن بأن في الإمكان منع الروح الشريرة إذا اندفعت داخل إلى البيت ، وذلك إذا وجدت في وجهها حداراً يصدها فهي تفاحاً بالجدار أثناء اندفاعها السريع فتصطدم به وتموت

ومن أجل ذلك أيضاً أقام الداويون الأشجار الكثيفة أمام مداخل بيوتهم فإذا لم يكن لديهم القدرة على ذلك رسموا مناظر الغابات والأشجار الكثيفة على لوحات في مداخل البيت .. وهم لا يقصدون من



وراء ذلك بالطبع أن تبدو البيوت جميلة ولكنهم فعلوا ذلك حتى إذا ما جاءت الأرواح الشريرة محاولة دخول البيت من مدخله اندفعت داخل العبابات المقامة أو المرسومة .. فلا يسمع بها بعد ذلك أبدا هكذا آمن الداويون بأرواح الشر .. وعرفوها وحاولوا تجنبها .. ولكنهم عندما فعلوا ذلك لم يفعلوه خلال تلك الأيام التي عاش فيها لاو - تسي صاحب عقيدتهم بل فعلوها بعده بمئات من السنين لأنه هو نفسه لم يقل ذلك قط ولا كان يؤمن به فقد كانت له آراء أخرى غير تلك التي آمن بها أتباعه بعد ذلك سنوات ..



وبدت أفكاره واصحة صريحة خلال ذلك النقاش الطويل الذي دار بينه وبين كونفوشيوس . عندما التقيا معاً لأول مرة حدث هذا ذات يوم منذ أكثر من ألفين وخمسة مائة من السنين ..

في ذلك اليوم بدا النقاش وكأنه يتحول إلى خلاف حاد . وقلب الحكيم لاو - تسي شقيقه في شبه احتقار وهو يطل إلى كونفوشيوس الشاب الجالس أمامه على حصير قاعة مكتبة المحفوظات في مدينة لو - يانج ، وراح وهو يبدي تأفقه يردد الكلمتين اللتين سمعهما من كونفوشيوس عن الإنسانية والعدالة .. وبعد أن أخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا توقف فجأة وقال لكونفوشيوس

« إنك تتكلم عن الإنسانية والعدالة .. لتغير طبائع الناس .. فهل تستحم الحمامة طول يومها لكي تصبح بيضاء؟ كلا بالطبع .. بل هي لاتفعل شيئاً من ذلك أبداً .. لأنها بطبيعتها بيضاء .. وهكذا شأن الناس .. إذ كانوا حيرين وعادلين في أعماقهم فلست في حاجة لأن تعلمهم العدالة .

وسكت كونفوشيوس فقد كان يتوقع مدى الغرابة في الحديث الذي سيدور بينه وبين لاو - تسي ، منذ فكر أن يلتقي بالحكيم الذي

يتردد اسمه على شفاه عدد كبير من الناس في مدينة لو - يانج حيث يعمل أميناً للمحفوظات في المكتبة الإمبراطورية

وكان كونفوشيوس عندما دخل قاعة المكتبة قد أرسل مذكرة إلى لاو - تسي يقول له فيها أنه يتمنى أن يلقاه وعندما مضى الرسول بالمذكرة جلس الشاب على حصير القاعة وبدأ يقرأ إحدى المخطوطات التي كتب على الخيزران ولم يتبه إلا عندما سمع وقع أقدام تقترب منه ، ودخل شيخ أصلع الرأس طويل اللحية ، لم يكده يتقدم منه حتى مهض كونفوشيوس ليعرب عن احرامه وتقديره للحكيم الشيخ

على أن كونفوشيوس لم يتصور أن نقاشهما سيبدأ بهذا الشكل الحاد بسبب قراءته لكتاب «التغيرات» الذي كان يضعه بين يديه ، فقد كان يعرف أن كل الحكماء القدامى قد درسوا هذا الكتاب وتعلموا منه الإنسانية والعدالة لهذا فوجيء كونفوشيوس وهو ينصت إلى سحرية لاو - تسي بما تحمله هاتين الكلمتين فسكت أول الأمر ، ثم راح يواصل مناقشة الحكيم العجور الذي كان له النصيب الأكبر في الحديث .. وفي السؤال . وقال لاو - تسي يخاطب كونفوشيوس :

— لماذا تدرس كثيراً تلك الأشياء التي درست في الأيام الخالية ؟ وما هي الأهمية أو الفائدة التي تجنيها من وراء ذلك ؟

وأجاب كونفوشيوس :

— اعتقد أن الناس ولدوا أحياناً . وأن التعليم والمعرفة يبقينهم أحياناً . ولكن قبل أن نحصل على المعرفة الجديدة يجب أولاً أن نقف على المعرفة القديمة ، وهذا هو السبب في أني أرى وجوب دراسة حكمة الآباء الأولين

بعناية واهتمام . فأغضب ذلك الرد لاو - تسي وقال للفتى



— إن الناس الذين تتحدث عنهم قد استحالوا هم وعظماهم إلى راب  
بق سوى كلماتهم . وإذا ما حانت ساعة الرجل العظيم قام من فوره  
وتوى القيادة . أما قبل أن تحين هذه الساعة فإن العقبات تقام في سبيل  
كل من يحاوله . ولقد سمعت أن التاجر الموفق يحرص على إخفاء روته  
يعمل عمل من لا يملك شيئاً على الإطلاق فدعك من غرورك ومن  
برامجك الكبرى لتعليم العدالة للعالم، فكل ذلك ان يجديك فتيلاً ، وهذا  
هو ما أحبب أن أقوله لك

وعندما انتهى لاو - تسي من كلامه أدار ظهره لكونفوشيوس وغادر  
القاعة . وعاد كونفوشيوس بعد ذلك إلى أتباعه فسأله جميعاً عن لقائه مع  
لاو - تسي وعن رأيه فيه . وفكر الحكيم قليلاً ثم قال :

— إننى أعرف كيف يطير الطير، وكيف يسبح السمك ، وكيف  
يجرى الحيوانات . ولكن الذى يجرى على الأرض قد يقع فى فخ، والذى  
يسبح فى الماء قد يصيبه السهم غير أن هناك تنيناً مهولاً . ولست أستطيع  
أن أقول كيف يركب الريح ويخترق به السحاب ، ويعلوف أجواز الفضاء .  
لقد قابلت اليوم لاو - تسي ، ولسأ أستطيع أن أجد له مثيلاً غير  
التنين . . .

وفهم أتباع كونفوشيوس من هذا الرد أن أستاذهم قد كثيراً  
بلاو - تسي الذى لم يفهمه كما لم يفهم التنين وكيف يصعد إلى السماء . .  
وإن كانت فلسفته قد تركت فى نفسه أثراً مؤلماً بالغ الخنى .  
من يكون ذلك الذى استحق هذا الاحرام المختلط بالحق . ذلك

الشيخ الفاضل . لاو - تسي . وما هي تعاليمه ؟

حياة لاو تسي

في قرية كيوه - جني بمنطقة لي ياقليم تشو، كان يعيش رجل شديد الفقر اسمه لي - لي . ورغم شدة فقره إلا أنه لم يجد صعوبة في أن يتزوج . وفي السنة الثانية من عهد الإمبراطور الحادي والعشرين من أسرة شو، أي منذ حوالي ٢٥٥٠ سنة، رزق الفقير من زوجته ولداً سماه « لي - ييه - يانج »

ولا يعرف أحد عن حياة لي ييه يانج سوى القليل . كل ما يعرفه التاريخ أنه أصبح في بواكير شبابه أميناً للمحفوظات الإمبراطورية بمدينة لو - يانج، وأنه ظل يشغل هذا المركز أعواماً عديدة.

وقد أتاح ذلك العمل للفتى فرصة الدراسة والبحث . وعندما بدأ فيما بعد يعبر عن آرائه في الفلسفة والدين نال إعجاب الكثيرين الذين أطلقوا عليه اسمه الذي عرف به وهو « لاو - تسي » ومعناها الفيلسوف العجور

ولكن الشهرة لم تغير من حياة لاو - تسي . ومضت السنوات تتابع وهو لا يزال كما هو أميناً للمحفوظات . وكان من المحتمل أن يظل في المكتبة حتى نهاية عمره الطويل، لولا أن حكام الولاية ازداد بهم سوء واستشرى فيهم الفساد، واشتدت عليهم الأنانية، وبعد بهم السفه عن الشرف . فعافت نفس الفلاسوف سفالة السياسيين ومل عمله في أمانة المكتبة، وشعر أنه من المهين له أن يعيش تحت حكم السفهاء . وقرر أن يبرح المكان الذي قضى فيه معظم حياته . ورغم أنه كان وقتئذ في التسعين من عمره إلا أنه صمم على مغادرة المكتبة الإمبراطورية والهجرة بعيداً عن لو - يانج بعيداً جداً . . . . . ليعيش في الريف معزلاً عن الناس .

وهكذا سافر لاو - تسي . . . . .

وعندما بلغ حدود الإقليم عرفه حارس الحدود ولم يسمح له بالمرور  
وسأله لاو - تسي : لماذا تمنعني من المرور ؟

وأجابه الحارس أنت فيلسوف عظيم يا أستاذي . وقد عمت شهرتك  
الآفاق دون أن تسجل تعاليمك فإذا أنت بارحتنا الآن فلن يكون لدينا  
أى سجل لهذه التعاليم

وسأله الحكيم وهل إذا سجلت تعاليمي تدعني أمر ؟  
أجاب الحارس نعم يا أستاذي

وهكذا جلس لاو - تسي ليكتب الأجزاء الهامة من تعاليمه ، كتاب  
ويسجلها في كتاب صغير يضم حوالي خمس وعشرين صفحة سماه «داو - العقل والفصيلة»  
تية - كينج» ويمكن ترجمتها إلى «كتاب العقل والفصيلة»

وعندما أعطى الحكيم هذا الكتاب الصغير لحارس الحدود ، سمح  
له هذ بالخروج من الإقليم ومنذ ذلك الوقت لم يسمع به أحد بعد  
ذلك قط .

هذا هو كل ما نعرفه عن الحكيم القديم لاو - تسي

وإذا كان البعض يشك في وجود هذا الحكيم إلا أن الدليل  
الوحيد على وجوده هو ذلك الكتاب الصغير الذي كتبه في سن التسعين  
ق.ا اختفائه . . فما الذي كان يعلمه هذا الحكيم القديم حتى يبقى كتابه  
الصغير كل هذه القرون العديدة ؟ وحى يكون ذلك الكتاب هو أهم  
النصوص الخاصة بالعقيدة الداوية ، التي يقول العلماء الصينيون أنها وجدت  
حتى قبل لاو - تسي برمن طويل ، والتي كان لها من بعده أنصار من  
الطراز الأول ، والتي صارت فيما بعد ديناً يعتنقه أقلية كبيرة من الصينيين  
حتى وقتنا الحال ؟

الواقع أن هذا الكتاب الصغير حافل بالأفكار وبعص هذه الأفكار سهل الفهم ، بينما البعض الآخر عسير الفهم ، بل ومن المستحيل فهم أى شىء منه

### سهيقة الراو

يقول لاو — تسى أن « داو » هو البداية العظمى لجميع الأشياء فى العالم ، وأن الناس الذين يريدون أن يحيا حياة صالحة يحب أن يتبعوا « داو »

ويبدو أن المعنى الصحيح لهذه الكلمة فى الأصل هو طريقة التفكير « أو الامتناع عن التفكير ذلك أن الداو بين يرون أن التفكير أمر عادى سطحي لاخير فيه للجدل أو النقاش ، يصر الحياة أكثر مما نفعها . أما الطريقة الطبيعية فيمكن الوصول إليها بنبذ العقل وجميع مشاغله ، والاتجاه إلى حياة العزلة والتكشف والتأمل الهادىء فى الطبيعة وليس العلم فى رأى صاحب الكتاب فضيلة ، بل إن السفلة قد راد عددهم من يوم أن انتشر العلم . وليس العلم هو الحكمة ، ذلك أنه لا شىء أبعد عن الرجل الحكيم من صاحب العقل وشر أنواع الحكومات التى يمكن تصورها حكومة الفلاسفة ، إذ أنهم يقحمون النظريات فى كل نظام طبيعى

على أن لاو — تسى نفسه يقول إننا لن نعرف شىئاً عن « الداو » وقد كتب يقول فى كتابه

« إن الذين يعرفون لن يقولوا والذين يقولون لا يعرفون والذين يعرفون يقولون أفواههم ويسدون أبواب خياشيمهم »

وهكذا تتصح الحقيقة فبينما كونفوشيوس لا يدعى معرفة شىء عن الله فى سمائه ولكنه يعلم الناس أنهم يجب أن يحاولوا أن يكونوا صالحين وأن الله ممكن أن يعنى بنفسه . بينما يحدث هذا ، يقول لاو — تسى نقيص



ذلك تماماً فهو يعلم أن أول واجب للناس الذين يريدون أن يحيوا حياة  
فاضلة صالحة هو الإيمان بداء أى طريق الله ، وأن الدنيا هى التى ستعنى  
بنفسها بعد ذلك

وبما يعلم كونفوشيوس الناس أنهم يولدون أحياناً ، وهو نفس  
ما يقوله لاو - تسى ، إلا أن كونفوشيوس وهو يقول ذلك يذكر أن  
الناس يمكن أن يظلوا أحياناً عن طريق تعليمهم التعليم الصحيح بينما  
يؤمن لاو - تسى أنه ليس من الضرورى أن يتعلم الناس شيئاً ، من أجل  
أن يعرفوا طريق الله

ومعنى ذلك أنه من واجب الصالحين أن يكونوا جبهة ولا يمكن  
بالطبع أن يكون هذا تماماً هو ما كان الحكيم يعنيه تماماً بل لقد كان  
الذى يعنيه فى الحقيقة بمثل هذه الأقوال أمر من الصعب معرفته ، بل إن  
أحداً لا يعرفه قط

ولكن ، إلى جانب تلك الأقوال غير الواضحة ، فى كتاب لاو -  
تسى آراء أخرى واضحة كل الوضوح منها رأى صد الحرب يقول  
« إن الهدف العظيم للرجل الصالح هو المحافظة على السلام وهو لا يحد  
لذة فى كسب المعارك وفى قتل رفاقه فى البشرية »

فلاو - تسى ليس صد قتل الناس فى الحرب فحسب ، بل هو أيضاً  
صد قتل المجرمين عقاباً لهم على جرائمهم وقد قال إن الناس بقتلهم  
المجرمين لن يكونوا أحسن حالا ولن يقصوا على الجريمة والطريقة الوحيدة  
لجعل الناس حيرين صالحين هى معاملتهم بالرفق كل وقت. وهو يقول  
« إذالم تقاتل الناس فإن أحد على ظهر الأرض لن يستطيع أب

يقاتلك: قابل الإساءة بالإحسان، فأنا طيب مع أولئك الذين ليسوا طيبين  
معي ، وهكذا لا بد أن يصبح الجميع طيبين . لأولئك المخلصين أنا مخلص ،  
ومخلص أيضاً لأولئك الذين لا يخلصون ، لهذا سيعسج الجميع مخلصين  
وألين الأشياء في العالم تصدم أصلها وتتغلب عليها فليس في العالم  
شيء لين وضعيف مثل الماء ولكن لا شيء أقوى من الماء في مغالبة  
الأشياء الصلبة القوية »

وكتب بعد ذلك يقول

أساس المفيدة

الرجل الصالح حقاً يحب جميع الناس ولا يكره أحداً قط »

وهكذا يبدو واضحاً أن لاو- نسي يميل إلى السكون والهدوء  
والاستسلام ، وهو أساس العقيدة الداوية في إيمانها بالطبيعة ، والدعوة  
للعودة إليها ، لتكون مرشداً وهادياً للناس .

ويتضح هذا الإيمان فيما يقوله لاو- نسي

« إن كثرة النواهي والحرمات في المملكة تزيد من فقر الأهلين  
وكما زاد عدد الأدوات التي تضاعف من كسبهم، زاد نظام الدولة والعشيرة  
اضطراباً . وكما زاد ما يجيده الناس من أعمال الختل والحدق زاد عدد  
ما يلجأون إليه من حيل غريبة . وكما كثرت الشرائع والقوانين كثرت عدد  
اللصوص وقطاع الطرق ولهذا قال أحد الحكماء: لن أفعل شيئاً ،  
فيتبدل الناس من تلقاء أنفسهم ، وسأولع بأن أبقى ساكناً فينصلح الناس  
من تلقاء أنفسهم ، ولن أشغل بالي بأمور الناس فيثرى الناس من تلقاء  
أنفسهم ، ولن أظهر شيئاً من المطامع فيصل الناس من تلقاء  
أنفسهم إلى ما كانوا عليه من سداجة بدائية ، وسأنظم الدولة الصغيرة  
القليلة السكان بحيث إذا وجد فيها أفراداً للواحد منهم من الكفايات



ما لعشرة رجال أو مائة رجل فلن يكون لهؤلاء الأفراد عمل ، وسأجعل الناس فيها — وإن نظروا إلى الموت على أنه شيء محزن مؤسف له — لا يخرجون منها ، ومع أن لهم سفناً وعربات فإنهم لا يرون ما يدعو إلى ركوبها ومع أن لهم ثياباً متفخخة واسعة وأسلحة حادة فإنهم لا يجدون ما يدعو إلى لبس الأولى أو استخدام الثانية . وسأجعل الناس يعودون إلى استخدام الحبال المعقودة ، وعندئذ سيزرون أن طعامهم الخشن وملابسهم البسيطة جميلة ، ومساكنهم الخفية أمكنة للراحة ، وأساليبهم العادية المألوفة مصادر للذة والمتعة »

وهكذا ترى الداوية أن الطبيعة هي النشاط التلقائي ، وأسباب خيبة الداوية والطبيعة العادية المألوفة ، وهي النظام العظيم الذي تتبعه الفصول وتتبعه السماء ، وهي نفسها « الداو » أو الطريقة المثلة المجسمة في كل مجرى وكل صحرة وكل مجم وهي قانون الأشياء العادل . .

ويقول لاو — تسي أن الطبيعة جعلت حياة الناس في الأيام السابقة بسيطة آمنة فكان العالم كله هنيئاً سعيداً ، ثم حصل الناس على المعرفة فعمقوا الحياة بالمتحركات ، وحسروا كل طهارتهم الذهنية والخلقية . وانتقلوا من الحقول إلى المدن ، وشرعوا يؤلفون الكتب ، فنشأ من ذلك كل ما أصاب الناس من شقاء وجرب من أجل ذلك دموع الحكماء . فالعاقل إذن هو من يتبعد عن هذا التعقيد الحصارى وهذا التيه الفساد الموهن ، ويختفي بين أحضان الطبيعة بعيداً عن المدن والكتب والموظفين والمراتين والمصلحين والمتحترعين فسر الحكمة كلها وبسر الصناعة كلها هو الطاعة العمياء لقوانين الطبيعة ، ونبذ أساليب الخداع وأفانين العقل ، وقبول جميع أوامر الطبيعة الصادرة من الغرائز »

على أنه إذا كانت بعض تعاليم لا — تسمى واضحة بهذا الشكل . .  
 فإن جزءاً كبيراً مما جاء في كتابه الصغير ظل محبوباً في الظلال . . وبادر  
 ما نعرف ما يعنيه وماذا يريد أن نفهمه مما نقول  
 وكان أمر الناس عجبياً في تعاليم لاو — تسمى

فبعد بضع عشرات من السنين تسمى الناس كل ما كتبه  
 لاو — تسمى ، وبدأوا يفسرون تعاليمه تفسيرات جديدة . . وقالوا أن من  
 يستطيع أن يفهم كتاب « داو — تيه — كنج » ويصدق في الإيمان  
 به فإنه لن يجد صعوبة في تحويل الحديد الزهر إلى ذهب وفضة  
 وبذلك يصبح الداوي الحقيقي أغنى أغنياء الوجود

\* \* \*

## نحول فطير

بعد موت لاو — تسمى بسنوات تحولت الداوية من عقيدة فلسفية  
 لا يعرف الناس عنها إلا القليل إلى عقيدة تؤمن بمعبودات لم يذكرها  
 صاحب العقيدة أيام حياته قط . وراح أتباعه يعبدون كل أنواع التنين . .  
 والفيران . . وبنات آوى والشعاين .

ولم يكتفِ الداويون بكل هذه العبادات فقد راحوا يعتقدون في أشياء  
 أخرى غريبة . فأمّنوا بأن هناك رماداً معيناً ونوعاً آخر من الحجارة  
 والكتابة لها قوة أكثر من السحر إذا حملها المرء فإن الرصاص لا يتفقد  
 فيه ولا يستطيع أن يقضى على حياته . . بل إن حامله لا يمكن أن يفرق  
 في الماء قط . . كما لا تستطيع النار أن تخرقه .

وبعضى الزمن راد اعتقادهم في الشياطين والمردة والجن ومصاصى الدماء  
 والغيلان وكل أرواح الشر .

لاو - نى  
صاحب المقيدة  
الداوية



الأم الملكية  
هسي وانج مو  
إحدى الربات  
التي يقدها  
الداويون .



نوج كنج أحد أنبياء الداوية



شانج تاو لنج  
مكتشف أكبر الحياة

لوحة جانبية في أحد المعابد الدوية ويرى شيانغ تاو يهزم ون شنج



واعتقد الداويون أن أسوأ الأرواح الشريرة موجودة في الجبال -  
وأن لجميع الجبال أرواحها الشريرة، وكلما زاد حجم الجبل زادت قوة روح  
الشرفيه

وبدأ الداويون يحكون آلاف القصص عن الشياطين في الجبال .  
وبدأوا يقصون كيف يتمكن بعض المؤمنين من قتل مرده الشياطين في هذه  
الجبال

ومن بين هذه القصص التي تناقلوها هذه القصة :

على سفح جبل لى - لو ، كان المسافرون يقفون لدى مرورهم عند  
فندق صغير يستريحون فيه ولكن أحداً لم يجرؤ قط على المبيت فيه .  
إذ كان كل الناس يتحدثون عن الروح الشريرة التي مهبط من الجبل  
ومعها خمسون شيطاناً في رى رجال ونساء ، يقتلون كل من قضى في الفندق  
ليلته

وذات يوم ، نزل بالفندق ساحر اسمه «بيه - هي» أقسم إلا أن يبيت  
فيه ليلته ، رغم كل ما عرفه عن روح الجبل وشياطينه .

وكان « بيه - هي » قد وصل بعد ظهر ذلك اليوم واستراح . وعندما  
أظلم الليل أشعل شمعة وأخذ يقرأ بعض القراءات التي تبعد كل أرواح  
الشر عنه

وظل ييه - هي يقرأ على ضوء الشمعة ومرت ساعة تبعها أخرى -  
وأخذت الشمعة تذوب شيئاً فشيئاً ويتناقص حجمها ويقل منها الضوء .

ولم يكده الليل ينتصف حتى انفتح الباب فجأة واندفع عشرة رجال  
طوال القامة يرتدون ملابس قائمة السواد وجلسوا جميعاً على مقربة من  
بيه - هي . ودون أن يقولوا كلمة واحدة راحوا يلعبون القمار .

وتظاهر الساحر بأنه لا يراهم ولكنه أخرج من حيبه مرآة سحرية صغيرة وأطل فيها وعندما شهد ما عكسته صفحة المرآة اصطكت أسنانه بشدة، فقد كشفت له المرآة عن عشرة كلاب رهيبية تجلس على مقربة من بعضها البعض يثير مرآها الخوف والرعب على أن الساحر ما أسرع ما استعاد هدوءه . . ونظر أمامه من وراء المرآة فإذا العشرة لا يزالون في جلستهم يلعبون القمار . وإن بدوا أمامه في المرآة السحرية التي تكشف الحقيقة كلاباً رهيبية

عندئذ عرف الساحر من هم هؤلاء المغامرون، ومن أجل أن يزداد تأكداً . التقط شمعة وأخذ يروح ويحيى في الغرفة متظاهراً بالقراءة، وراح وهو يسير يقترب من قليلا قليلا من الجالسين القرفصاء . وعندما أصبح قريباً جداً دفع شمعته فجأة نحو واحد منهم وفي لحظة ارتفعت صيحة دعر رهيبية وانتشرت رائحة شعر يمتزق .

ولم يكذب حدث ذلك . . حتى أخرج الساحر على الفور سكيناً وألقاها على المقامر وقفز بقية المقامرين وهم يهرولون مسرعين، بينما تركوا صاحبهم الذي طعنه يبه - هي بسكينه ملقى على الأرض لا يتحرك . وعندما انحنى الساحر ليرى ما إذا كان قد قتل المقامر حقاً، رأى أمامه كلباً مهولاً ميتاً . لا حراك به قط

\* \* \*

ولكن.. كيف حدثت كل هذه التغيرات في العقيدة الداوية؟!

نهر صمد الراوية  
والغموض الذي يكمن في قفراته الكثيرة . فالقبرات اليسيرة الفهم ليست ،  
الواقع أن السر يكمن في الكتاب الذي يضم تعاليم لاو - تسي ،



كثيرة في كتاب لاو — تسي بينما أغلب ما جاء في الكتاب عسير ليس  
واضحاً كل الوضوح .

من أجل ذلك فإننا إذا وضعنا تعاليم كونفوشيوس جنباً إلى جنب  
مع تعاليم لاو — تسي ، لاستطعنا أن نقارهما بتمثالين في متحف قديم .  
فتعاليم كونفوشيوس في الضوء، ونستطيع فهمها بسهولة بالغة ، فهو يقول  
في تعاليمه

« لا حاجة بالناس أن يشغلوا أنفسهم بالله في سماءه أو بالحياة الأخرى » .

« إن الناس قد ولدوا صالحين ويجب أن يبقوا صالحين ما داموا

أحياء » .

« إن الطريق إلى البقاء صالحين . . طريق الحياة الصالحة ، هو طريق  
للعرفه وعبادة الأسلاف ووفاء الأبناء والآباء ووفاء المواطنين لحكامهم  
وقبل كل شيء للعدالة » .

ولكن تعاليم الفيلسوف لاو — تسي مخبوءة في الظلال ، ونادراً  
ما نعرف تماماً ما يعنيه وما الذي يريد منا أن نفهمه .

ولعل هذا الغموض هو سر التحول الكبير الذي تحول إليه عقيدة  
الداوية ، والتغيرات التي طرأت عليها بين أيام لاو — تسي وأيام من جاءوا  
بعده يحملون عبء العقيدة والدعوة إليها .

ويبدو كل ذلك واضحاً في مثال صغير

فإذا فرصنا أن الناس وجدوا كتاباً وفتحوه ليقروا فيه « قابل  
الإساءة بالإحسان والشر بالخير . . وإذا صمبت السيطرة على الناس فذلك

لأنهم بالغوا الحكمة « كل ذلك جنباً إلى جنب مع كلمات أخرى تقول: « أبرا كاد أبرا » لا يمكن أن يفهم لها معنى قط . .

إذا حدث هذا فإن المرء يظن لأول وهلة بغير شك أن الناس عندما يجدون مثل هذا الكتاب فسيقرأون منه الأجزاء الواضحة ويتذكرونها ولكنهم سينسون إلى جانب ذلك تلك الأجزاء التي لا معنى لها قط

وقد يظن المرء من هنا أن أتباع لاو - تسي لا بد وأن يكونوا استخرجوا الأجزاء الجميلة الجيدة من كتابه « داو - تيه - كنج » ونسوا كل ما عداها .

ولكن الحقيقة أن ذلك لم يكن ما فعلوه . . بل فعلوا تقيضه بالضبط . فكل ما هو جيد واضح جميل في كتابه نسيه الناس . . أما تلك الأجزاء التي لا معنى لها تقريباً فقد حفظوها . ولعلمهم إذ لم يستطيعوا فهمها أقبلوا عليها ووضعوا كتباً مطولة يشرحون فيها معنى تلك الأجزاء التي لا معنى لها . ثم جاء بعدهم آخرون ووضعوا كتباً يفسرون بها تلك التفسيرات ، وجاء أتباعهم يضعون تفسيرات التفسيرات لتفسيرات « داو - تيه - كنج » حتى لم يعد أتباع الداوية بعد مائتي سنة أو ثلاثمائة يدرسون أعمال لاو - تسي ، بل أصبحوا يقضون وقتاً طويلاً ويبدلون جهداً طائلاً في دراسة التفسيرات التي تفسر تفسيرات الذين فسروا التفسير الأول لكتاب لاو - تسي

وكان أغلب هذه التفسيرات التي تبعث على الدوار ، يفسر أشياء لم يفكر لاو - تسي قط فيها ولم يحلم بها ، ولم يكتبها في كتابه على الإطلاق .



ومن هنا جاءت الأمثلة الكثيرة للتغيير الكبير في عقيدة الداويين..  
وهناك مثل آخر غريب ، فقد جاء في كتاب لاو - تسي أن هناك جزيرة  
في البحر رائعة ، محيية في روعها إلى حد أن من يطأها بقدمه يعيش فيها  
إلى الأبد . وفي تلك الجزيرة مهر يعيش كل من يستحم فيه أبد الدهر .

الخلود  
واكسبر الحياة

وإذ عجز الداويون عن العثور على الجزيرة العجيبة ، فسروا ذلك  
بوجود مواد من حبوب او دواء يمكن أن تجعل المرء يعيش إلى الأبد وأن  
بصير شبابه خالداً لا ينهي

ومن قبل عرف الناس كيف أن تعاليم العظماء غالباً ما يساء فهمها  
ويفسرها الأتباع بعكس ما كان يقصد بها. فالأمير جاوتاما بوذا علم أتباعه  
ألا يؤمنوا بالمعبودات ، ولكنهم عمدوا بعد موته إلى عبادته هو نفسه ..  
وماهاويرا علم أتباعه أنه ليس هناك إله على الناس أن يعبدوه ، فجعل منه  
هؤلاء الأتباع هو نفسه إلهاً مع ثلاثة وعشرين إلهاً آخرين

ولكن لم يحدث أن أسىء فهم معلم عظيم من المعلمين القدماء أو أسىء  
تفسير أقواله مثلما حدث للحكيم القديم لاو - تسي

فقد علم لاو - تسي الناس في الجزء الواضح من كتابه أن يعيشوا  
ببساطة وأن يتجنبوا الحرب وأن يتبعوا الطريق الطبيعي .. ولكن أتباعه  
فسروا آراءه على أنها تعني شيئاً خفياً يوجب عليهم أن يتعلموا كيف  
يصبحون شباباً وأن يعصروا إلى الأبد

بعد انقضاء خمسمائة سنة من وضع الكتاب قيل أن أحد الداويين  
واسمه تشايج - تاو - لينج قد اكتشف شراباً يجعل الناس يحيون حياة  
الخلود وسمى هذا الشراب «أكسبر الحياة» . وكان في صورة شراب شائع

بهم وأسرفوا في استعماله إسرائفاً يقال إنه أودى بحياة بضع عشرات من  
أباطرة الصين المدمنين

وبدأ الداويون على الفور يعبدون الرجل الذى اخترع «أكسير الحياة»  
حتى أن سلالته لا تزال تعبد حتى اليوم . . . ويسمى زعيمهم وحفيد  
« تشانج - تاو - لينج » باسم الإمبراطور اللؤلؤى الذى يعيش فى جبال  
التين ويحكم أتباعه بسلطة ملك

كل ذلك حدث بعد وفاة لاو - تسي بأعوام . . . ولم يكن قد مضى  
على ذهابه مائة عام حين وضع أحد الداويين كتاباً جديداً قال فيه :  
« إن المرور من المعدن الجامد أو الصخر الصلب والمشى من خلال النار  
أو على سطح الماء . . . كل هذه الأشياء ممكنة لمن هو على وفاق مع داو . »

ثم ظهر فى عام ١٤٤٨ ميلادية معلم من رجال الدين كان يعرض على  
الناس أن يشفيهم من الأمراض كلها بطلمس بسيط يعطيه لهم مقابل خمس  
حفنات من الأرز . وبدا لبعض الناس أنهم قد شفوا من أمراضهم بفضل  
هذه الأعمال السحرية ، وقيل لمن لم يثمر فيهم الطلمس أن إخفاقه لم يكن  
له سبب إلا ضعف إيمانهم . . . !

وازدادت هذه التعاليم عن السحر سوءاً على سوء مرور الزمن . وبدأ  
ملايين الجهلة من الصينيين يؤمنون بهذه الأشياء . . . وأصبحوا يخافون السحرة  
والكهان الذين أدعوا أن لهم سلطاناً على الأرواح الشريرة . ومع ذلك  
زاد عدد أتباع الداوية بسرعة كبيرة . . . وأقبل الناس على ذلك الدين  
زرافات ووجدانا ، وشادوا له الهياكل وأغدقوا المال على كهنته بسخاء  
عظيم ومزجوا به جزءاً من قصصهم الشعبي الذى لا ينضب له معين .



وليس من الصعب فهم سبب اعتناق الكثيرين لعقيدة الداوية والإيمان بتعاليم لاو - تسي الذي كان يعطى للطبيعة كل شيء كما كان يصع في أساس عقيدته أنه إذا كانت الدولة مضطربة محتالة النظام فخير مايفعل بها ألا يحاول الإنسان إصلاح أمورها ، بل أن نجعل حياته نفسها أداء منظما للواجب الذى عليه أن يؤديه . وإذا ما لاقى الإنسان مقاومة فأحكم السبل ألا يكافح أو يقاتل أو يحارب . . بل أن يتروى في سكون وأن يكسب ما يريد أن يكسبه - إذا كان لا بد من الكسب - بالخصوع والصبر ذلك أن المرء ينال من الفور والنصر بالصبر والسكون أكثر مما يناله بالجهد والعمل وفي ذلك يقول لاو - تسي

« إن كل ما فى الطبيعة من أشياء تعمل وهى صامتة وهى توجد وائس فى حوزتها شيء تؤدى واجبها دون أن تكون لها مطالب . وكل الأشياء على السواء تعمل عملها ثم تراها تسكن وتحمى . وإذا ما ترعرعت وازدهرت عاد كل منها إلى أصله . وعودة الأشياء إلى أصولها معناه راحتها وأداؤها ما قدر لها أن تؤديه . وتلك العودة قانون أزلى . ومعرفة هذا القانون هو الحكمة »

ومن هنا لم يكن من الصعب بالفعل فهم سبب اعتناق الملايين من الصينيين لعقيدة الداوية والإيمان بها.

**الخبر والشعر** فنذ وقت مبعن فى القدم كان الصينيون يعبدون الطبيعة . وفى تلك الأيام كانوا يعتقدون أن كل شيء فى الطبيعة له روح وقسموا أرواح الطبيعة إلى مجموعتين أرواح خيرة ، تفعل الأشياء الطيبة للناس وتسمى « شين » وأرواح شريرة اسمها « كوى »

ولم ينس الصينيون عقيدتهم القديمة التى لا يزال بعض أجزائها

موجوداً حتى اليوم فلا زال هناك من يعتقد أن « شين » تعمل الخير للناس وأن الشر مصدر الأرواح الشريرة المسماة « كوى » .

ولكن شين الخيرة قد تكف أحياناً عن فعل الخير . فالروح الخيرة للمطر مثلاً قد لا تعطى المطر أحياناً عندما يكون الناس في أمس الحاجة إليه . واعتقد الصينيون أن سبب ذلك يرجع إلى أن الروح الخيرة للمطر قد نامت . ومن أجل إيقاظها راح الناس يصنعون تيناً ضخماً من الورق والخشب . . . يزينونه بالألوان المتألقة . وجعلوا هذا التين ممثلاً للروح الخيرة للمطر يحملونه عبر الشوارع ويغنون بصوت عال لإيقاظه وتنبئيه إلى القيام بواجبه !

أما إذا لم يستيقظ روح الخير في المطر فإن الناس يكفون عن حمل التين ويهددونه بالضرب !

فإذا لم يسقط المطر بعد ذلك فإنهم يضربون التين الخشبى بالفعل ويمزقونه وإن كانوا في بعض الأوقات يحاولون إغراءه بالرشوة . فيقدمون له الوعود بمنحه أرضاً كبيرة ولا بد من البر بالوعد إذا سقط للمطر بعد ذلك

وعندما بدأت الداوية تقول للناس أن هناك أرواحاً شريرة تعلمهم السحر كان الناس الذين لا يزالون يذكرون معتقداتهم القديمة في عدة أرواح مستعدين للإصغاء للسحرة وقصص العجائب التي تحكى أساطير الإمبراطور اللؤلؤى

سم نجاة.. تحول الناس ليعبدوا لاو - تسي نفسه.. وجعلوا منه إلهاً وقالوا إن أمه حملت فيه حلاً سماوياً ، واعتقد المؤمنون الصالحون أنه ولد كامل العقل طاعناً في السن . لأنه أقام في بطن أمه ثمانين عاماً .



ولم يقف الناس في هذا الموقف عند حد بل لقد ملأوا الأرض  
بالشياطين والآلهة الجديدة وكانوا يخيفون الأولى بصواريخ نارية تنفجر  
في أفنية الهياكل ، وتبهج بانفجارها من مجتمع حولها من الناس . كما  
كانوا يوقظون الثانية من سباتها بنواقيس ضخمة قوية الصوت لتستمع إلى  
دعوات عبادها ومطالبها الملحة

\* \* \*

واستمرت الأعوام تواصل سيرها الطويل.

البوذية  
في الصين

وحلال سيرها الطويل كان الصينيون بين مؤمنين بالكونفوشيوسية  
ومؤمنين بالداوية وظل العقيدتان معاً رهاء خمسمائة عام من بعد  
وفاة كونفوشيوس عقيدتي كل أهل الصين

وعندما أمر الإمبراطور تسينى بحرق كتب كونفوشيوس وأتباعه ،  
سمح بإبقاء تعاليم الداويين وكان الإمبراطور تسينى نفسه يرجو أن  
يجد حبة السحر التي تجعله مخلد في الحياة ويحكم الصين إلى الأبد وكان  
ذلك من الأسباب التي شجعت تعاليم الداوية خلال أيام حكمه  
ولكن أتباع كونفوشيوس بعد وفاة الإمبراطور أصبحوا أقوى قوة في الصين .  
وفي خلال ذلك عاد التجار الصينيون من رحلاتهم في نيبال والهند  
ومعهم قصص رائعة عن أمير اسمه جاوتاما بوذا

وكما مرت الأعوام ازدادت القصص العجيبة التي يرويها هؤلاء  
التجار الصينيون عن الأمير جاوتاما وتعاليمه . وانتشرت القصص التي رواها  
التجار في جميع أنحاء الصين ورددتها الناس في إعجاب كبير بذلك الأمير البعيد .  
وإذا كان الصينيون قد عبدوا الأسلاف دائماً وكان الميت عندهم  
حقيقياً كالحى تماماً إلا أنهم كانوا بالطبع يريدون أن يعرفوا ما حدث  
لأسلافهم بعد الوفاة .

ولم تكن الداوية ولا الكنفوشيوسية لترد على الأسئلة الخاصة بالحياة بعد الموت، ولهذا عندما سمع الصينيون بعقيدة تفسر الحياة بعد الموت وتفسر المفارقة، أرادوا أن يزدادوا بها علماً وهكذا سرعان ما انتشرت تعاليم بوذا في جميع أنحاء الصين بعد أن غيرها أتباع بوذا تغييراً كبيراً

وبعد وفاة كونفوشيوس مئتي عام أصبح الإمبراطور مينج بوذاً وأمر بترجمة المهرجاتاكي، كتاب البوذيين المقدس إلى اللغة الصينية، وتعليمه للشعب

وقد حارب أتباع الكونفوشيوسية - وكانوا كثيرين في الصين - تلك العقيدة الوافدة عليهم حرباً شديدة ولكن البوذية انتصرت بعد أعوام من الكفاح وانتشرت في جميع أنحاء البلاد، وتعمق جذورها في الأرض كأنها شجرة السنط الضخمة. فلقد أراد الصينيون عقيدة تفسر لهم الأشياء التي لم تفسرها الداوية أو الكنفوشيوسية فجاءت البوذية لتكون تلك العقيدة

ولم يكن الشعب الصيني عندما اعتنق البوذية قد تخلى عن الداوية أو الكونفوشيوسية - بل أضاف عقيدة جديدة إلى العقيدتين القائمتين. ويوصف الصينيون الآن بأنهم الشعب الذي يعتقد ثلاث عقائد هي الكونفوشيوسية، والداوية، والبوذية.. وقد يعتقد صيني واحد هذه العقائد الثلاث معاً.

ويفوق عدد أتباع البوذية عدد أتباع كلتا العقيدتين الآخرين، وإن كان تأثير البوذية على شعب الصين ليس كتأثير الكونفوشيوسية على ذلك الشعب الكبير.





الحياة شبيهة برحلة طويلة ،  
يحمل فيها الراحل حملاً ثقيلاً .  
فاجعل -طاك وميدة ثابتة ،  
حتى لا تتعثر  
واقنع نفسك بأن النقص والتعب ،  
هما نسبيج الحياة الطبيعي ،  
عند من تفتى حياته  
ولن يكون في حياتك ،  
ما يد لك في سبيل السخط  
فاذا نزت بقلبك نزوات الطموح ،  
فتذكر أيام الشقاء الرهيب ،  
التي اجتزتها في ماضى حياتك ،  
فالصبر هو أس السكينة  
انظر إلى السخط نظر تك إلى عدوك ،  
فاذا اقتصر عليك ..  
على كيف تهزم الناس ،  
ولم تعلم كيف تهزم ،  
فالويل لك  
ويا سوء سنيلك في الحياة  
فاكشف عن الخطأ في نفسك ،  
قبل أن تكشف عنه في غيرك

«أياسر»

# من ثقب في السماء .. سقط على الأرض كل شيء حي

منذ أكثر من ألفين من السنين، كان اليابانيون يرون أن العالم مكان صغير جداً وأنهم وحدهم أهل هذه الدنيا، وأن مملكتهم التي كانوا يسمونها بلاد الجزر الثماني العظيمة هي كل العالم بما يحيط بها من الماء والجزر . وحتى السماء ظنوها قريبة جداً منهم قريبة إلى درجة أن سهماً طويلاً جداً سبق أن أطلق من الأرض منذ زمن مبعث في القدم ، فنفذ السهم من السماء وصنع فيها ثقباً ومن ذلك الثقب هبط على الأرض آلاف الأشجار والنباتات والأعشاب وجميع الكائنات الحية حتى أن كل ما فوق الأرض لم يأت إليها إلا عن هذا الطريق السقوط من ثقب السماء !!!

ولما كان كل ما على الأرض قد جاء من السماء . فإن المرء يستطيع أن يستنتج أن تلك السماء مليئة بالآلاف أخرى كثيرة من كل هذه الأشياء .. وكان ذلك هو تماماً ما اعتقده اليابانيون الأقدمون

واعتقدوا إلى جانب ذلك أن الحياة في السماء لا تختلف كثيراً عن تلك الحياة التي على الأرض وإن كانت أكثر منها جمالا أما تحت الأرض فقد كان هناك عالم آخر فيه حياة وفيه ناس كما هو الحال فوق الأرض إلا أنها ليست لطيفة على أية حال .

وكان لا بد أن يكون هناك باب يؤدي إلى العالم السفلي وقد كان .. واعتقد اليابانيون القدماء أن هذا الباب كان مفتوحاً ، وكان الناس يستطيعون الوصول إليه وزيارته



ولكن زلزالاً هائلاً حدث ذات يوم فاعلق المدخل بحجر كبير ..



ومنذ وقت طويل أيضاً كان هناك جسر بين السماء والأرض... وكان  
الناس يستطيعون الصعود إلى السماء لزيارتها ولكن ذلك الجسر  
انكسر ذات يوم ولم يصلحه أحد بعد ذلك أبداً . !

### عقيدة بسيطة

وكانت عقيدة اليابانيين في تلك الأيام بسيطة جداً . فهي لم تكن  
محاثة إلى تفصيل مذهبي أو طقوس معقدة أو تشريع خلقى، ولم تذهب إلى  
ما يبعث العراء في نفوس الناس من الخلود والفرديوس، ولم يكن لدى  
أصحابها صور أو تماثيل أو كتب مقدسة أو وصايا أو كهنة كل الذي  
آمنوا به هو أن النجوم والقمر والشمس والجبال والأنهار والرعد والمطر لها  
أرواح يمكن أن تنفع وأن تضر إذا أريد منها ذلك، وأن الناس إذا عبدوه  
هدتهم إلى العمل الصالح .

لهذا عبد اليابانيون القدامى كل هذه الأشياء

فإذا أرادوا المطر ذهبوا إلى النهر ودعوه أن يعطيهم المطر وإذا  
أرادوا من المطر أن يكف وأن تشرق الشمس خرجوا وصلوا للشمس ! .  
والحق أنه ليس بين جميع العقائد الأولى في العالم عقيدة تمثل بساطة تلك  
العقيدة التي تسمى « الشنتو » وهي عقيدة كان يطلق عليها اسم « كامي  
نو - ميشي » ثم عرف باسمها الصيني « شنتو » وكان الأصل في  
تلك التسمية أن الصينيين الأوائل كانوا يؤمنون بالأرواح الخيرة والأرواح  
الشريرة، وكانت الأرواح الخيرة تسمى « شن » . وكانت تعاليم الفيلسوف  
القديم لاو - تسي تسمى « تاو » بمعنى الطريق . وهكذا أصبحت « شن تاو »  
تعني باللغة الصينية « الطريق إلى الأرواح الخيرة » !

فالأرواح هي أساس العقيدة اليابانية الأولى وهي تسرى في كل  
شيء . . . ليس فقط في كواكب السماء ومجمرها ومظاهرها . . بل في نباتات.

الحقل وحشراته أيضاً .. وفي الأشجار والحيوان والإنسان .. وأصبح الناس يعتقدون أن عدداً كبيراً جداً من الآلهة يحوم فوق الدار وساكنها ويرقص مع ضوء المصباح ووهجه إذا رقص .. ومن أجل الاتصال بالآلهة يستطيع المرء أن يقوم بإحراق عظام غزال أو قوقعة سلحفاة ، كما يمكن الاتصال بالآلهة بفحص العلامات والخطوط التي تحدها النار فحسباً تستمد منه المعونة من الخبراء .. وبهذه الطريقة كان اليابانيون يستوثقون من الخطوط الطيبة أو الخبيثة ، ومن ملاءمة الظروف لقيامهم برحلات برية وبحرية أو عدم ملاءمتها.

وكان اليابانيون يخافون الموتى ويعبدوهم لأن غضبهم قد ينزل بالعالم شراً كبيراً . ومن أجل استرضاء الموتى كان لا بد أن يضع الناس لأسلافهم هدايا ونقائس في القبور . وأبرز تلك الهدايا السيف إذا كان الميت رجلاً والمرأة إذا كانت امرأة .. وكان الناس يؤدون الصلاة ويقدمون الطعام الشهى الفاخر أمام صور هؤلاء الأسلاف في كل يوم

وكان يحدث في أحيان كثيرة أن يلجأ الناس إلى التضحية البشرية خاصة إذا أوى المطر الغزير أن يتوقف .. أو أريد لجدار أو بناء كبير أن يثبت ولا يهار .. ومحدث أن دفن الأتباع مع سيدهم الذي مات ليُدافعوا عنه في أولى مراحل حياته الآخرة !

وكانت عبادة هؤلاء الأسلاف أيضاً أساساً من الأسس الرئيسية التي قامت عليها عقيدة « الشنتو »

وعرف للعقيدة صورتان العقيدة الدولية التي تتجه بالعبادة إلى الحكام الأسلاف ، وهم الآلهة الذين أسسوا الدولة وأقاموا بناءها .. والعقيدة المنزلية التي تتجه بالعبادة إلى أسلاف القبيلة .





على أن العقيدة في كلتا الحالتين لم تطلب من الناس أكثر من أن يحجوا حيناً بعد حين لأسلافهم ويقدموا لهم الضراعة والخشوع .. وأن يفعلوا ذلك أيضاً لإمبراطورهم ولماضى أمهم . وقد كان معتقو هذه الديانة مخاطبون السلف المقدس الأول الذي جاءت عنه سلسلة الأباطرة ، ضارعين سبع مرات كل عام

ومن هنا عبد اليابانيون أصحاب عقيدة الشنتو إمبراطورهم .. الميكادو إذ كانوا يرون أن الميكادو ليس بشراً مثلهم . بل هو أقرب شهياً للشمس أو القمر أو جبل فوجي المقدس .. وهو كائن كالآلهة لا بد أن يعبد

فلماذا عبد اليابانيون الميكادو ؟

إن الرد على هذا التساؤل يجيب عليه الكتابان المقدسان لعقيدة الشنتو، وهما « الكوجيكي » و « النيهونجي » .

\* \* \*

## قصة الخلق

تقول القصة الواردة في الكتابين المقدسين في البداية كانت الآلهة ..

وكانت الآلهة تولد ذكراً وأنثى ، ثم تموت ، حتى حدث في النهاية - في زمن كان يعيش فيه الجيل السابع من الآلهة - أن أصدر شيوخ الآلهة أمرهم إلى إلهين شابين هما « إيزاناجي » و « إيزانامي » بأن يخلقا الأرض ويقيا عليها الحياة

وعلى رأس قوس قزح .. ذلك الجسر الرائع الذي ينحدر من السماء إلى حيث مياه المحيط الواسع اللانهائي .. وقف الإله الشاب إيزاناجي

وفوق رأسه إكليل من النور ، بطل في حيرة إلى رفةته الإلهة إيزانامي  
بجمالها الرائع وشعرها المسترسل على كتفها كأسلاك الذهب

وبدا إيزاناجي أن يتحسس برحمة الطويل المرصع بالجواهر صفحة  
الماء عله مجد شيئاً صلباً وسط هذا المحيط يتحذان منه مقرأً للعالم الذي كلفا  
أن يخلقا فوقه الحياة إلا أن الرمح لم يعثر على شيء صلب قط ورفع  
الإله الشاب رمحه في يأس ، ولم يكذب يفعل حتى تساقطت من الرمح  
قطرات من الماء راحت تتجمع وتتكثف وتصلب وتمتد فوق صفحة المحيط  
لتصبح أرضاً صلبة واسعة كانت هي نفسها جزيرة « أناجورو » . وعلى  
سطح هذه الأرض هبط الإلهان . وبدأت قصة الخلق

ولم تكد أقدام الإلهين تمس الأرض الجديدة حتى بدا لهما كأن كلا  
مهما يرى الآخر لأول مرة كأن هناك شيء غريب يحدث للمرء  
الأولى على هذه الأرض .. شيء اسمه الحب !

وراحت الربة الحسنة تتأمل حاله في إعجاب ، وهو يقيم نصباً ضخماً  
بيد أن منه دورتين يكتشفان خلالها هذه الأرض الجديدة ، ثم يعودان  
ليلتقيا عنده مرة أخرى .

وبدأ كل مهما دورته ، فأخذ إيزاناجي أحد الاتجاهين ، وسارت  
إيزانامي في الاتجاه المصاد وبينما كان كل مهما يأخذ طريقه على طول  
شاطئ الجزيرة ، أخذوا يشهدان ما تصنعه الصفادع في الماء وفوق الرمال ،  
وأخذهما العجب وهما يكشفان سر اتصال الذكر بالأُنثى ، وبدأت تملأ  
رأسيهما فكرة جديدة لم يعرفاها من قبل لماذا لا يفعلان كما تفعل  
الصفادع ؟

وقد كان ..





الإلهان الشابان  
إيزاناجي  
وإيزانامي  
يمبران قوس قزح  
بين السماء والأرض



تمثال كوانون  
ربة الرحمة . إنها  
مزار الشعب  
في جميع الأعياد



ف. عبد الله الكعبة  
موكب الكعبة

وروي في إلهان

ولم يكذب يمضي من الوقت سوى قليل حتى أنجبت إيزانامي أربعة  
آلاف ومائتين وأربعة وعشرين إنبأهم مجموع جرر اليابان ، بكل ما فيها  
من حبال وأنهار وصحور ، وبكل ما يعمرها من ناس وحيوان ونبات ،  
تتساقط كما تقول الأسطورة من الثقب الذي حدث في السماء

وتساءل الإلهان يوماً . لماذا لا يخلقان إنبأً حديداً يكون  
سيداً لكل الأرض

ولم يكن هناك ما يمنع من التنفيذ

وولدت إيزانامي أنثى هي « أماتيراسو » بة الشمس ، كان لها من  
الجمال والروعة ما جعل والديها يرسلانها على الجسر الإلهي إلى السماء ،  
لتستقر هناك وترسل أشعها الذهبية لتنير الأرض

وعاد الإلهان ينجبان من جديد وكان الإبن التالي هو سوكي  
يومي إله القمر ، الذي أرسله أنواه على قوس قزح ليستقر هو الآخر في  
السماء

وعندما اختلف الأخوان في السماء لم يجد أبوهما بدأ من أن يبعد  
كلاهما عن الآخر ففتح أماتيراسو مملكة النهار ، ومنح أخاها  
مملكة الليل

واستمر الأبوان ينجبان فجاء لهما سوزانو إله العواصف ، ثم  
كاجوتسوتشي إله النار

غير أن الأخير لم يكذب بولد حتى أصاب أمه بحمي قاسية شديدة  
أحرقتها وكان لابد لإيزانامي بعد ذلك أن تنحدر إلى العالم السفلي  
بعيداً عن الأرض التي خلقتها . .



وتحكي قصة الكتابين المقدسين بعد ذلك كيف كافح الأب ليحاول  
إيقاد روجته من العالم السفلي . ولكن كل جهوده ذهت عبثاً ، واضطر  
إلى الهرب من الجحيم عائداً إلى الأرض

في ذلك الوقت كان هناك صراع آخر يجرى بين الآلهة الأبناء  
أما تيراسو وتسوكي يومي وسورانو . وكان الصراع مريراً انتهى آخر  
الأمر بانتصار ربة الشمس ، التي كانت قد غضب لعدم تأييد بقية الآلهة  
لها ، خلال صراعها مع أحيهارب العواصف ، فاختفت عن الظهور ، وعاش  
الناس في الظلام يصرخون فلما انضم إليها الآلهة وناصروها واشتركوا  
جميعاً في هزيمة سورانو . غادت إلى عرشها ولم تغب منذ ذلك اليوم عن  
أرض اليابان أبداً

وعادت الحياة إلى الأرض . وانقطعت عن الآلهة صرحات الاستنحاد  
التي كانت تنبع من أهلها

غير أن الآلهة عادوا مجتمعون من جديد ولم يكن صراخ سكان  
الأرض هذه المرة هو السبب بل كان الصيق الذي أصابهم مبعثه ذلك  
الطنين المزعج المنبعث من كل ما على الأرض من جبال وصحور وسهول  
وأشجار ، فقد كانت كل هذه الأرواح لا تزال تتكلم تماماً كأبناء البشر  
وكان الطنين الذي يحدثه كلامها يؤرق آلهة السماء فلم يكن بد من  
الاجتماع لمناقشة الأمر والبحث عن وسيلة للقضاء على الصيغ وإرساء  
السلام والهدوء على الأرض



وعندما ارتفعت أصوات الآلهة خلال المناقشة تقدمت ربة الشمس  
باقتراحها أن ترسل حفيدها « نينيجي » فيحكم هذا العالم المضطرب ويعيد  
إليه المجد والسلام ووافق الجميع



وقربت أماتيراسو حفيدها معها ، ومنحته بركاتها ونصائحها وزودته  
بهدايا قيمة ثمينة ، من بينها أحجار كريمة اقتطعت من سلم السماء ، وكرات  
شفافة من قبتها ، وسيف خالد وجد في قلب التنين ، كما منحته المرأة  
السماوية الخالدة التي أهداها لها كبير الآلهة .

وانطلق نينيجي — ابن السماء — في طريقه إلى الأرض واستقبله  
رب الحقول الذي أخذه في رحلة طويلة مرهقة حول الأرض ، التي كان عليه  
أن يحكمها ويهديها إلى السلام وفي إحدى المناطق المقدسة استقر رأيه  
على إقامة قصره

وهناك شهد نينيجي حسناء رائعة تنتصب قائمة إلى جوار حدائق الزهور ..  
وتقدم ابن السماء لها يسألها من تكون . فقالت له

— أنا كونوهانا ابنة ملك الجبل المقدس .. ومهمتي أن أصنع الزهور  
التي تغطي أشجار هذه الأرض

ووقع ابن السماء في هوى ابنة ملك الجبل .. وعندما انطلق إليه  
يطلب يد ابنته ، أبي هذا إلا أن يزوجه أختها الكبرى معها .. رغم دمامتها  
وقبحها .. فقد كانت هي ربة الصخور . وكان الأب يريد لأبناء بنتيه  
أن تكون أعمارهم خالدة كعمر الصخور ..

ولم يجد نينيجي بدا من الزواج بالأختين .. غير أن كل حبه كان  
يتجه إلى الزوجة الحسنة . وبدامنه إهمال كبير لشقيقته المشوهة  
التي أقسمت أن تنتقم ..

وقد كان .. فذات يوم أعمت الغيرة قلب نينيجي على زوجته  
الحسنة .. ولم يكن هناك من سبب لتلك الغيرة المجنونة التي شقيت بها

كونوهانا . والتي جعلتها تنطلق إلى كوخ وتفاقه على نفسها ثم تشعل  
في نفسها النار

ومن بين السنة الاله خرج ثلاثة أطفال .. كان من بينهم «هورى»  
الذى تسلسات منه سلسلة مقدسة متصلة الحلقات من « الميكادو »  
هم الأباطرة الذين جاسوا على عرش اليابان منذ ذلك التاريخ حتى اليوم

\* \* \*

### عبارة الميطارو

عن طريق هذه القصة أمكن تحديد أسس كثيرة عن حقيقة عقيدة الشنتو.  
وعن طريق هذه القصة أيضاً عبد اليابانيون الميكادو بل أن الناس  
حتى اليوم يعتقدون أن هيروهيتو هو الحفيد الرابع والعشرون بعد المائة لآلهة  
الشمس اماتيراسو .

ومن أجل ذلك أيضاً استطاعت عقيدة الشنتو بتبشيرها بأن الميكادو  
هو حفيد آلهة الشمس ، أن تجعل أتباعها يؤمنون بأن واجبهم الديني هو  
الولاء لحاكمهم .. وبتعليمها الناس كيف حبال اليابان ووديانها..  
ملأت أعماقهم بالحب والعشق لبلادهم

وكان لا بد بعد ذلك كله أن تجمع عقيدة الشنتو  
وأن يحمل علم اليابان حتى اليوم شمساً حمراء لتبين أن أرض  
الأرض المشرقة حيث كانت آلهة الشمس أما تيراسو تقيم  
فهل استطاعت هذه العقيدة أن تواصل سيرها بقوة في اليابان . رغم  
ظهور البوذية والكونفوشيوسية ...!؟

الواقع أن اليابانيين تعلموا عن الصينيين منذ وقت قديم كيف يفلحون  
الأرض ويزرعون الأرز ويربون دودة القز ويغزلون الحرير وينسجونه ..  
كما تعلموا كيف يكتبون ويصورون. وكيف يصنعون عدة أشياء ..

ومن السهل توضيح السبب في مساهمة الكتابة والموسيقى والعقائد  
اليابانية لثقافتها في الصين

فقد استعارت اليابان من الصين كتابتها وفنونها وعقائدها إذ هي  
أقرب جاراتها



وعندما كان في الهند رجال عظام مثل الأمير ماهاويرا الجاتى والأمير  
جاوتاما البوذا، يقومان بتغيير عقائدها القديمة لم تكن اليابان أكثر  
من مجموعة من الجرر البرية تسكنها بعض قبائل من المتوحشين يتصارعون  
بصورة أبعد ما تكون عن الحصاره وعندما كانت الصين من القدم  
محيث أصبح فيها كتب في الفلسفة وكتب في الاحتفالات تقول للناس  
كيف يفعلون عند ذهابهم إلى المعبد كان اليابانيون شعبا بسيطا بدأيا  
يعيش على صيد البر والبحر

وأطلق الصينيون على اليابانيين وقتئذ اسم الأفزام «  
ووصفهم بأنهم شعب يرسم الوشم على وجوه أفرادهم ويحارب بالرمح  
والقسي والسهام

وعندما بدأ الصينيون يرسلون إلى اليابانيين فن الكتابة وفن صنع  
الآلات الموسيقية ، وأفكارهم عن كيفية زراعة الأرز وصنع الحرير من  
غزل دودة القز ، ابتهج اليابانيون كل الابتهاج بتلقى هذه الهبات الرائعة ،  
وكانوا متحمسين للتعليم -

وقد كان اليابانيون منذ بداية تاريخهم حتى الوقت الحاضر ، تلاميذ  
مجبين يتعلمون بسرعة أى شىء يثير اهتمامهم فلما تلقوا معرفة الكتابة  
والزراعة والفنون والعقائد من الصين ، غيروا كل ذلك تغييراً كبيراً

حيث يلائم مناخهم وحياتهم . . وها مختلفان اختلافاً كبيراً عن مثيلهم  
عند الصينيين

و بينما كان اليابانيون يتعلمون عن الصينيين كل هذه الأشياء  
استطاعوا أن يأخذوا عنهم أيضاً كيف يفكرون وماذا يعتقدون .  
فقد وصلت إليهم تعاليم كونفوشيوس حكيم الصين . وكانت تعلم  
عبادة الأسلاف . .

ثم جاءت البوذية إلى الصين عن طريق الهند وتعمقت جذورها لتمتد  
بعد ذلك مع البعثات الدينية شرقاً إلى كوريا واليابان  
وأصبح ملك كوريا منذ ١٣٠٠ سنة بوذياً . . وأرسل إلى ميكادو  
اليابان تمثالاً لبوذا مصنوعاً من الذهب الخالص . . ومعه عدد من الكتب  
البوذية المقدسة .

ولكى يعبر الميكادو على احترامه لهذه الهدايا وتقديره لها ، أقام معبداً  
خاصاً أقام فيه تمثال بوذا الذهبي وكتبه المقدسة  
وعندما عرف ملك كوريا كيف أقيم معبد بوذا أسرع فأرسل  
كهنة بوذيين إلى اليابان لتفسير عقيدتهم  
وهكذا وصلت البوذية إلى اليابان هدية من ملك لآخر

ولكن هذه البوذية لم تكن هي البوذية التي خرجت من الهند منذ  
ألف عام سابقة إذ عندما خرجت تعاليم بوذا من الهند كانت تعلم بساطة  
العيش واتباع الطريق المستنير والقضاء على عبادة الأصنام إلا أن البوذية  
الجديدة التي عبرت جبال الهيمالايا عبر التبت، ومرت بالصين ثم كوريا حتى  
وصلت إلى اليابان كانت قد تغيرت تماماً وأصبح بوذا نفسه معبوداً  
يعبده الناس . . وإلى جواره معبودات أخرى كثيرة تحيط به . .

خرج بوسا من موطنه متسولا فوصل اليابان أميرا يتقدمه جيش من  
المعبودات المتألقه ويسيه خلفه جيش من المعبودات بين ذكر وأنتى  
وعندما رأى اليابانى البسيط موكب الآلهة والمعبودات العديدة الفتية ،  
وسمع القصص العجيبة عن حياة بوذا وأعجب بها وجد نفسه ببساطة  
أيضاً يعتنق البوذية ويدخل الناس معه أفواجا فى الدين الجديد  
ولم يمض وقت طويل حتى أصبح للبوذية معابد فى كل مدينة فى  
اليابان وأصبح أكثر العقائد انتشارا. بل لقد أصبحت مهدد بترد عقيدة  
الشتنو نفسها من البلاد التى نشأت فيها  
ولكن الشنتو كانت تعلم عبادة الإمبراطور ، ولهذا ساعد الإمبراطور  
فى بقائها حية بين شعب اليابان

ومع ذلك فقد كان هناك عامل هام فى إنقاذ عقيدة الشنتو هو أن  
العقيدة القديمة كانت على وفاق مع عقيدة كونفوشيوس وصاغت  
العقيدتان معا قواعد للطريق الذى يجب على الناس أن يتبعوه وخاصة  
النبلاء وهو ما يعرف فى اليابان باسم « يوشيدو » ومعناه « طريق  
الفرسان » الذى يفرض على الناس أن ينتحروا بشق بطونهم بأيديهم  
وإخراج أمعائهم من أجل الوصول السريع إلى الشرف .. والجد !!!

\* \* \*

بقدر ما كانت الصين بلداً محبباً للسلام كانت اليابان فى أوائل التاريخ  
القديم تعش فى حروب لا نهاية لها قط.. تحارب كوريا يوماً وتدحل مع  
جيرانها فى صراع نحيف يوماً آخر فإذا لم يكن هناك ما يدعو لقتال  
خارجى انقلبت الآية ودحل اليابانيون فى معارك دامية ينهسوا  
خلالها بعضهم بعضاً .

النظام  
الاجتماعى

وفي البلاد التي تكثرت فيها الحروب يصبح المحاربون محل إعجاب كبير . وهذا هو ما حدث بالضبط في اليابان حيث أصبح كل من حمل السيف وقاتل به يعتبر بطلاً . حتى أصبح شرفاً كبيراً للمواطن أن ينتمي إلى طبقة المحاربين ، كما أصبح قادة هؤلاء الجنود نبلاء اليابان . وأطلق عليهم اسم «الفرسان»

حتى الميكادو نفسه .. تأثر مكانه وسلطانه بوجود كبير الفرسان .. وهو الشوجن أي الحاكم العسكري

فالميكادو من الوجهة النظرية هو الإمبراطور المفدى أما السيد الحاكم حقيقة فقد أصبح هو هذا الحاكم العسكري الذي صار منصبه هو الآخر وراثياً . وأصبح هو نفسه الذي يحدد ميزانية الإمبراطور وحاشيته . فكان يسمح للإمبراطور وحاشيته بمبلغ يعادل خمسة وعشرين ألف ريال كل عام ، مقابل الاحتفاظ بالأسطورة التي تؤثر في جميع النفوس أثراً عميقاً وتقول بإطراد الحكم في بيت واحد . بل ان الحكام العسكريين أصبح من مبادهم ألا يتركوا للإمبراطور ذرة من السلطان ، وأن يعزلوه عن الشعب وأن يحيطوه بالنساء ، ويفتوا في عصده بالتحدث والتعطل فيما جعل الحاكم العسكري لنفسه امتيازات هي عادة من حق الإمبراطور «ابن السماء» . فإذا سار في الطريق محمولا في عربته التي نحرها ثور ، أو محمولا في محفته أمر رجال البوايس كل المنازل على طول الطريق بإغلاق الأبواب والمصاريع الخشبية ، وأن تطفأ كل النيران وتحبس القطط والكلاب كلها داخل الدور ، وأن يسجد الناس على حانبي الطريق رؤوسهم على أيديهم وأيديهم على الأرض وكان للحاكم العسكري حاشية تضم أربعة مصحكين وثمان سيدات مثققات واجبهن أن يسدينه في غير التزام لقواعد الحشمة .



وكان يسيطر بالحكم العسكرى ومن خلفه أمراء الإقطاع ألوف من  
فئة الحاربين الذين أطلق عليهم اسم « الساموراي »

ولم يكن هؤلاء الفرسان مجرد وطنيين ومحاربين فحسب .. بل كانوا  
أيضاً علماء وسادة واجتمع هؤلاء ووضعوا كنه عن الطريقة التى يجب  
على الرجل الذى ينتمى لطبقتهم أن يتبعها وقالوا أن كونفوشيوس كان  
رجلاً مهذباً مثالياً فأخذوا تعاليمه مرشداً وهادياً لهم واستخلصوا منها  
قواعد السلوك للفرسان وسميت هذه القواعد « بالبوشيدو »

وقواعد البوشيدو عديدة ولكن أهمها هى الطرق العسرة للسيد  
المهذب، وتشتمل على صفات الشجاعة والعدل والإحسان والأدب والشرف  
والإخلاص وصبط النفس والحكمة وحب التعامل وكان جوهر فكرة  
البوشيدو أنها القدرة على اختيار السلوك فى الحياة وفق ما يلميه العقل دون  
تردد . وأن يموت المرء حين يجب عليه أن يموت ، وأن يضرب حيث  
ينبغى له أن يضرب

وكان التقدير الذى ينالونه مقابل ذلك منحهم امتيازات كثيرة فقد  
أعفوا من الضرائب ، وكان لهم الحق فى مقدار من الأرز يعطيه لهم السيد  
الذى يخدمونه وكانوا يحتقرون الحب ويعدون له لعبة رشيقية ، فيما كان  
الميسر والعريضة جزءاً متمماً لحياتهم

ومن أجل أن يحافظوا على قوة سيوفهم وأيديهم فى الطعان كان من  
حقهم أن يدفعوا المال للحلاد فى مقابل أن يسمح لهم بجرر رقاب المحكوم  
بإعدامهم كما أن للرجل من فئة « الساموراي » أن يستعمل سيفه للقضاء  
على أى إنسان من الطبقات الدنيا إذا أساء إليه ، وإذا كان سيفه جديداً  
وأراد أن يجربه فيجوز أن يفعل ذلك فى كلب أو شحاذ . .



وأخذ الساموراي على أنفسهم أن يعيشوا حياة خشنة مقترّة، حتى أنهم لا يأكلون في اليوم إلا وجبة واحدة، يتناولون حلالها أي طعام يصادفهم مهما كانت حقارته. وكانوا يحتملون الآلام على اختلافها صامتين ويكبحون في أنفسهم كل ما يمكن أن يدل على انفعالاتهم، حتى أنهم علموا زواجهم كيف يتهللن بشراً إذا ما بلغن أن أزواجهن قد قضاوا محبهم في ساعة القتال

ولم يكن المحاربون يلتزمون الطاعة إلا لرؤسائهم، لأن طاعة الرؤساء جزء من تشريعهم الذي وضع تلك الطاعة فوق حب الآباء لأبنائهم أو الأبناء لأبائهم

وأخذت قواعد البوشيدو مع مضي الوقت تتطور وتفسر بطريقة غير التي أريدت لها فبينما كانت البوشيدو تطلب من الفارس أن يكون شريفاً فحسب، تحولت بعد ذلك ليفسرها الفرسان المتأخرون بأنه من واجب الفارس أن يقتل نفسه عندما يموت رئيسه لكي يخدمه ويحميه في الحياة الآخرة

### الهارة الكبرى

ثم كان بعد ذلك آخر قوانين البوشيدو وهو قانون « هارا كبرى » ومعناه الانتحار بإخراج الأمعاء. والحالات التي تقتضى من الرجل مهم أن ينتحر على هذا الوجه كثيرة فإذا حكم بالموت على رجل من ذوى المكانة البارزة سمح له بأن يبقر بطنه بنفسه من اليسار إلى اليمين ثم يشقها إلى أسفل، مستخدماً في ذلك سيفه الصغير الذي كان الواحد منهم يصطحبه دائماً أيما ذهب خارج بيته وإذا هرم أحدكم في القتال أو اضطر إلى الاستسلام لعدوه، كان من حقه أن يبقر بطنه ويخرج أمعائه بطريقة الهارة الكبرى، وإذا لقي الواحد منهم إساءة فإنه إذا كان محارباً أصيلاً يهلك حياته بالانتحار عند باب ذلك



وكان بقر البطن بمثابة الطقوس الدينية في عقيدة الشنتو، وهو في طبيعة ما يدرسه الشاب من فئة الساموراي وآخر علامات المودة التي يديها الصديق لصديقه، أن يقف إلى جانبه ليجر له ذراعه فيفصلها عن حسده بعد أن يكون ذلك الصديق قد بقر بطنه هو نفسه بيده

وكانت الهارا كيري وفقاً على الرجال دون النساء . . فقد كانت الهارا كيري محرمة على النساء والسوقة ولكن سمح للنساء إذا أصابتهن إساءة بنوع آخر من الإنتحار . وهو بأن يقطن رقابهن بالخناجر وأن يقطن الشرايين بضربة واحدة . وكانت المرأة ذات المركز الاجتماعي الكبير تتلقى تدريباً في عملية جز الرقبة . وتتعلم كيف تربط ساقها قبل قتل نفسها خشية أن تقع الأبصار على جثتها وهي في وضع لا يتفق مع ما تقتضيه العفة

وهكذا أصبح السيف نفسه — بضرورة وجوده مع كل فرد من طبقة الساموراي — مقدساً عندهم وصاروا يمدونه .

\* \* \*

ومضت عقيدة الشنتو تسير في طريقها والناس يؤمنون بها كل الإيمان ..

فقد كانت الشنتو تستحق ذلك الإيمان بالفعل . .

وكان شعور الولاء الذي يعلن عن نفسه في الوطنية وفي الحب وفي حب والدين وحب الأبناء وحب الوطن .. هو نفسه الشعور الذي لا بد أن يلتمسه الناس في العالم كله

وبرغم الاعتدال في الدين الذي كان من طبيعة إيمان أهل اليابان حتى أنهم لم يكونوا كالمهندوس مثلاً في عمق إيمانهم الديني وشدة انغماسهم في ذلك الدين، إلا أنهم مع ذلك أخلصوا إخلاصاً ظاهراً للتقوى والصلاة والفلسفة التي تنهى بهم إلى التفاؤل

وكان اليابانيون أهل مرح لا يحبون التشاؤم .

أسى البحار

وعندما جاءت البوذية هدية من ملك كوريا إلى اليابان . لم تلبث تحت سماء اليابان أن تحولت من عقيدة يملؤها التشاؤم ، إلى عقيدة قوامها آلهة واقية ، وإلى محافل دينية تبعث الغبطة في النفوس ، كما تحولت إلى أعياد مريحة ، وحنة موعودة تسرى عن الصدور كروبها. فقد آمنت البوذية اليابانية بالجحيم كما آمنت بالجنة ، بل آمنت بوجود مائة وثمانية وعشرين جحيماً أعدت لشتى الغايات ومختلف الأسماء ، كما آمنت أيضاً بعالم القديسين وعالم الشياطين الذي كان على رأسهم شيطان يسمى « أونى » له قرون وأنف أفضس ومخالب وأنياب ويسكن في مكان مظلم يقع في الشمال الشرق من العالم، وهو يستطيع بين الحين والحين إغراء النساء بالذهاب إليه هناك ليمتعنه . ولكن إلى جانب هذا كانت عقيدة البوذية اليابانية تقول إن هناك « بوذيين » كثيرين على استعداد أن يخلعوا على الناس جزءاً من الرحمة . وكان هناك إلهة للرحمة فعلا اسمها « كوانون » قيل أنها رارت الجحيم يوماً ونزلت إلى أعماقه حيث أظهرت عطفها على المذنبين وأطلق سراحهم . وكان هناك إله آخر يشبه المسيح اسمه « جيزو » . وكانت العبادة تؤدي بعضها صلاة عند مذبح المنازل أو عند أضرحة المعابد على أن معظم مظاهر عبادتهم كانت تتخذ صورة المواقب المرحية، إذ كانت الديانة تخلي المكان الأول لمظاهر الغبطة والفرح ، وكان العابد يستطيع وهو في عبادته أن يظهر روحه بالصلاة ربع ساعة تحت شلال دافق في قلب الشتاء، أو بالانطلاق في رحلات ينتقل فيها من ضريح إلى ضريح من أضرحة الأسلاف

وأصبحت البوذية اليابانية من أمتع ما اعتقدته الإنسانية ، ولم تحاول أن تطغى على العقيدة الأصلية ، ولم يتعذر عليها أن تخلي من نفسها مكاناً للآلهة القديمة التي آمنت بها « الشنتو » .. وهكذا اندمج بوذا بأما تيراسو ربة الشمس وخصص مكان متواضع في المعابد البوذية لعبادة الشنتو .

ومع مضي الأيام تحول كهنة البوذية اليابانية إلى طرق أخرى غير الدين. فراحوا ينظمون لأنفسهم جيوشاً للحصول على نفوذ سياسي وسلطان.. وازدادت ثروتهم بينما الشعب فقير جائع وراح الكهنة يستغلون الناس فقالوا للعباد المؤمنين أن الرجل في سن الأربعين يمكنه أن يشتري عدداً آخر من السنين يُضيفه إلى حياته، إذا هو دفع رسوماً لأربعين معبداً تدعو له بعمر جديد ويمكن للرجل وهو في الخمسين أن يشتري عشر سنوات جديدة من العمر إذا دفع الرسوم الخمسين معبداً تطلب له من الآلهة طول العمر وفي سن الستين يستطيع الإنسان أن يستأجر ستين معبداً لنفس السبب. أما إذا مات خلال ذلك فلا يكون هذا إلا بسبب نقص في إيمانه بقدر عدد السنوات التي كان يجب أن يعيشها ودفع من أجلها الرسوم !

على أن البوذية اليابانية فقدت ساطعها على الأمة بعد ذلك بوضع عشرات من السنين وأتمه الحكام العسكريون خلال القرن الثامن عشر إلى الكونفوشيوسية الجديدة الوافدة من الصين. ومهض زعيمان يترزمان حركة تدعو إلى إحياء عقيدة الشنتو

ومهض علماء آخرون ينقدون الدين نقداً عقلياً. فقال «اشيكاوا» في جرة أن الأصول الدينية التي تتناقها الأجيال عن طريق الرواية الشفوية قد ابتعدت عن أصولها الحقيقية

وبذلك يكون الأصل المزعوم للجزر اليابانية وأنها قد جاءت من قطرات الرمح الذي أمسك به الإله إيزانا جي بعيداً عن التصديق. وتبعاً لذلك يكون الإدعاء بأن الأسرة الإمبراطورية من أصل إلهي إن هو إلا حيلة سياسية، وأنه إذا كان أسلاف البشر بشراً مثلهم فالأرجح أن يكونوا حيوانات وليسوا آلهة.

ثم وصلت عقيدة الكونفوشيوسية إلى اليابان وعندما دخلت الكونفوشيوسية إلى اليابان ٠٠ كان ذلك على يد

الكونفوشيوسية

رجل من سلالة الأسرة اليابانية الشهيرة « فيوجيوراسيخوا ». وكان ذلك الرجل قد سمع محكّاء عظام في الصين فقرر الارتحال إليها رغم أن الاتصال بالصين كان محرماً في ذلك الوقت . واضطر القتي لتدبير خطة يعبرها مياه البحر في سفينة كانت تستغل بالتهريب . وإذ هو في السفينة سمع طالباً يقرأ كتاباً صينياً عن كونفوشيوس . . . وأعجبه ما فيه . فانطلق يبحث عن نسخ من كل ما أنتجته الفلسفة الكونفوشيوسية ، وانغمس في تتبع ما في هذه الكتب من مجادلات حتى نسي رحلته إلى الصين، ولم تمص أعوام حتى جمع حوله طائفة من طلبة العلم الناشئين ، الذين نظروا إلى فلسفة الصين نظراً إلى وحي أوحى به إليهم عن عالم جديد يسوده الفكر الديني .

واستطاع أحد تلاميذ سيخوا واسمه « هاياشي » أن صدر بباعه بالحس للفلسفة الصينية ، حتى لم يعد عسيراً عليه أن يخذلهم من البوذية والمسيحية على السواء ، ويضمهم إلى العقيدة الخلقية البسيطة التي أشاعها كونفوشيوس في أرجاء الشرق الأقصى . وراح داعية الكونفوشيوسية الجديد في اليابان يقول للناس أن اللاهوت المسيحي خليط من أوهام خلقها الخيال ولا تعقلها العقول كما أنبأهم أن البوذية مذهب يفت في عصد الأمة اليابانية ويهدد نسيجها بالوهن وروحها المعنوية بالضعف وكان يقول « إن كهنتكم يذهبون إلى أن هذه الحياة الدنيا فانية رائلة ثم تعملون أنتم على أن ينسى الناس علاقاتهم الاجتماعية ، وهذا تقتلون في الناس روح الواجب والعمل والصواب ثم تقولون أن طريق الإنسان محفوف بالخطايا فاهجر أباك وأمك وأبناءك ومولاك وامحث عن الخلاص . ولكنني أقول لكم أني قد بعثت الدراسة ، فلم أجد قط للإنسان طريقاً سوى ولائه لمولاه وطاعة الإبن لأ



واستمرت الكونفوشيوسية تواصل سيرها في اليابان . جنباً إلى جنب مع البوذية . . والشنتو القديمة . .

وعاشت اليابان على هذا الإيمان حتى اليوم

ومن قبل عندما وصل أول تمثال ذهبي لبوذا إلى اليابان ، كان في تلك البلاد عدد قليل من الناس فلم يكن في الآلاف الأربعة والمائتين من الجزر أكثر من بضعة ملايين قليلة لا تتجاوز الستة . . ولكن عددهم أخذ في النمو والازدياد حتى تجاوز ثمانين مليوناً يعيشون تحت علم الشمس المشرقة . وعندما أصبحت اليابان أمة عظيمة قوية في الشرق الأقصى . . أراد الناس في الغرب أن يعرفوا عنها كل شيء كيف يعيش أهلها وماذا يرتدون وما هو سلوكهم وكيف يفكرون

ولكن القليلين في الغرب هم الذين عرفوا شيئاً عن اليابانيين . . فقد ذهبوا إلى الجزر اليابانية وعادوا يروون الكثير عما يجري في بلاد الشمس المشرقة وفي أغلب الكتب قال الرحالة أن أهم أشياء ثلاثة لاحظوها في اليابانيين هي

... حب اليابانيين للطبيعة .

... حبهم للفنون

... حبهم للتعليم

وقال الذين ذهبوا إلى اليابان في ذلك الوقت وشهدوا حياة الناس في ظل العقائد الثلاث ، أنه ليس في العالم كله شعب يحب الطبيعة كما يحبها اليابانيون ، فهم يحبون الجبال والأنهار والغابات والأزهار حباً يفوق حبهم كل ما عداها . حتى الأطفال عندما يكونون صغاراً يعلمون كيف ينسقون الأزهار في أوانيها ، وتقام المهرجانات للاحتفال بمواسم بعض الأشجار . .

وهم حين يزرعون أشجار الكريز والبرقوق والخوخ لا يفعلون ذلك من أجل ثمارها بل لشيء آخر .. من أجل راعمها وأزهارها

ولكن هناك ماهو أعظم من حب اليابانيين للطبيعة وهو حبهم للفن .. فالشعر والتصوير لها في نفس كل ياباني أثر عميق ولا يستطيع المرء قبل أن يدخل بيتاً من بيوت اليابانيين أن يدرك المدى البعيد لأهمية الفن لديهم فيوهم بسيطة ومنسقة لا تخلو من كل ألوان الجمال

والتعليم له أثره الكبير أيضاً في حياة اليابانيين .. فقد استمدوا معرفتهم من الأمم الأخرى ولكنهم رعوا جيداً في تغيير كل ما يتعلمونه بحيث يلائم احتياجاتهم الخاصة وطبيعة بلادهم وحياتهم الفارقة في الفن والجمال . فهل كان لعقائد اليابانيين أثرها في كل ذلك ..

الواقع أن سر حب اليابانيين للطبيعة والفنون والتعليم يكمن في عقيدتهم التي جمعوا فيها العقائد الثلاث . الشنتو والبوذية والكونفوشيوسية فمن الشنتو تعلم الياباني حب الطبيعة .

وعن البوذية تعلم حب الفن

وعن الكونفوشيوسية تعلم حب العلم

والعقائد الثلاث تجرد في الغالب من يضمها جميعاً ويتبهما في وقت واحد .

وإذا كانت الشنتو أعز العقائد على اليابانيين لأنها أقدم عقيدة ..

فإن أتباع البوذية يفوقون أتباع كل من العقيدتين الأخريين عدداً وإن

كانت الكونفوشيوسية أقوى العقائد الثلاث أثراً في النفوس .

ومع كل ذلك فما زال الناس يؤمنون بطرق السماء المشرقة البعيدة التي

آمنت بها عقيدة الشنتو ولا زال الجميع يرددون كل يوم ما جاء في

« أومي أو كورا » المقدسة

« التفت أنت التفت إلى الأشياء القريبة . التفت إلى وطنك

الأرض يا صديقي .. وحاول أن تؤدي واجبك نحوها حتى تموت » .





## القسم الرابع

# عقائد الإله الواحد

هذا ما أسألك عنه  
فأصدقني الخبير يا أهورامزدا  
منذا الذي رسم مسار الشمس والنجوم ؟  
ومنذا الذي يجعل القمر  
يتزايد ويتضاءل ؟  
ومنذا الذي رفع الأرض .  
والسما من تحتها  
وأمسك السماء أن تقع ؟  
منذا الذي حفظ المياه والنباتات ،  
ومنذا الذي سخر  
للرياح والسحب سرعتها ؟  
ومنذا الذي أخرج العقل الخبير ؟  
لأنه أنت يا واحد .. يا أهورامزدا  
من يستطيع أن يحمي  
شخصاً ضعيفاً فانياً مثل . ؟  
أى كائن آخر غيرك  
بما لك من عقل وقوة نارية  
يقوى نشاطه على تنفيذ  
مبدأ الاستقامة والتقوى ؟  
اكشف لى عن أسرار المعرفة  
كى تساعدنى على نشر دينك  
أيها الإله الواحد الحكيم  
يا أهورامزدا ..



# شعلة النار.. في كف نبي

كان عدد من الرجال الفارعين الذين يرتدون أثواباً بيضاء ذات أحزمة منسوجة ، يشقون طريقهم بين الجموع المختلفة في مدينة بومباي بالهند ، في طريقهم نحو الشاطئ المطل على بحر العرب .

وعند حافة الماء وقف الرجال ، ثم انحنوا على الماء فغطسوا أيديهم ثم رفعوها إلى جباههم ثم مدوا أيديهم بمد ذلك إلى أحزمهم فكوها وعادوا يرفعون أيديهم إلى الجباه من جديد

وبعد أن أعادوا التمنطق بالأحزمة مرة أخرى راحوا — وقد بدا عليهم التوقير والتبجيل — يرفعون أيديهم نحو الشمس الغاربة ، وخرج من بين شفاههم ترتيل خفيض بقول

« أجهر بالثناء على الفكرة التي أجيد التفكير فيها .. والكلمة التي أجيد قولها والعمل الذي أجيد عمله »

والذي حدث في ذلك اليوم كان هو نفسه الذي يحدث كل يوم في بومباي ، عندما يكون الجو صافياً والنهار لطيفاً .. فلا يكاد الغروب يهبط حتى يزدحم الشاطئ بالرجال ذوى الثياب البيضاء الذين جاءوا ليتعبدوا في الخلاء ، ويتقدموا إلى الشمس إحدى رموز قوة الإله بالتبجيل والتقدیس . وبعد أن تغرب الشمس ويستحيل وهجها الأحمر أقحوانيا في السماء الداكنة . يستدير هؤلاء وينحنون نحو الغرب ثلاث مرات ، ونحو الجنوب ثلاث مرات ، ونحو الشرق ثلاث مرات ، ونحو الشمال ثلاث مرات ثم يغطسون أيديهم من جديد في المياه الراكدة ، ويرفعونها إلى جباههم ، ثم تنتهي تلك الطقوس .



والواقع أنه حتى في الهند — بلاد مختلف العقائد — يبدو هؤلاء  
الناس وطرقهم غريبة على الجميع

ولكن الذين يروهم يعرفون أنهم ليسوا هندوكيين ، وأنهم لا ينتمون  
إلى أية طائفة من طوائف الهندوكية العديدة ، بل هم بقايا أتباع ررادشت  
الذين يسمون عبدة النار لأنهم يبقون في معابدهم ناراً دائماً الاشتغال  
يقدمونها ، ولكنهم في الواقع لا يعتبرونها إلهاً يعبد ، لأن نبيهم ررادشت  
لم يعبدها ولم بدع أحداً إلى عبادتها ، وإنما اتخذها رمزاً للإله الطاهر المطهر  
الذي مهلك المفسدين ولا يتطرق إليه أى فساد .

ومع ذلك فليس النار وحدها هي المقدسة عند هؤلاء القوم الذين  
يسمون بالبارثيين بل إن الماء والأرض أيضاً مقدسان طاهران

ولهذا فعندما يموت واحد منهم ، فإنهم لا يحرقون جثته كما يفعل  
الهندوكيون ولا يلمسوها أيضاً لأن الجسد في عرفهم لا يعدو أن يكون مادة  
بغضبة محسة ملوثة بعد خروج الروح منه ، فلا يصح أن يحرقوا الجثة بالنار  
لأن النار قدسيتها التي يجب ألا تلوث بأى شيء نجس

وهم لا يستطيعون أن يلقوا بالجثة في ماء البحر حتى لا يدنسوا الماء  
المقدس الذي لا يقرب إلا للشرب ورى الأرض ولا يستخدم حتى في غسل  
الأشياء القذرة .

وهم لا يستطيعون دفن الجثة في الأرض مخافة تدينسها فهي  
مصدر أرزاق الناس وأقواتهم ولا يحوز أن تودع في بطنها تلك الجثة  
البغيضة الملوثة

من أجل ذلك فهم يصمون أجساد موتاهم على قمم أبراج عالية بنيت  
وكأنها المداخل الضخمة . . تسمى « أبراج الصمت » . وإلى هذه القمم

تحمل الجثث مهارة على نعوش من حديد ثم تلقى فيها لتأكلها طيور الهواء ولا يجوز لأحد أن يحمل جثث الموتى أو يلمسها غير طائفة معينة وظيفتها إعداد الجثث وحملها إلى رجع الصمت . ذلك أن كل من يلمس جثة ميتة يعد ملوثاً عدا هؤلاء الذين أعدوا لهذا العمل الذين لا يجوز لهم حتى بعد أن يتطهروا عقب الانتهاء من عملهم أن يختلطوا بالناس قط ..

هؤلاء الناس يعرفون « بالمجوس » وأصلهم فارسيون من إيران . ورغم أنهم عاشوا في الهند منذ مئات السنين ، إلا أنهم لا يزالون يسمون بالفارسيين ، ويعتبرون أجانب جاءوا من بلد أجنبي يسرون على ما وجدوا عليه آباءهم . . . فارتبطوا بالحزام المقدس وبذكرى وتعاليم نبيهم ررادشت الذي كان يعيش منذ عدة قرون مصمت في بلاد إيران التي عرفت ذات يوم باسم فارس . وكان شعبها يسمى بالفارسيين

\* \* \*

في تلك البلاد التي تقع شمالي غربي الهند وعلى مقربة من بحر قزوين كان يعيش منذ عدة مئات من السنين ، شعب كان يتكلم لغة تشبه كثيراً تلك اللغة التي كانت سائدة في الهند منذ أربعة آلاف عام ، وكان يؤمن بعدة آلهة تشبه آلهة الهند في ذلك الوقت ، ويعبد نفس البقرة التي كان يعبدها الهندوكيون .

عبادة براهنة

ولكن الهندوكيين كانوا يعيشون في الهند بينما الإيرانيون يعيشون في إيران ، والفرق كبير بين المناخ والأحوال الجوية في الهند وإيران وإذا كانت بعيدة في الشمال ، فقد كان الجو فيها أكثر برودة من مثله في الهند . وحيثما يكون الجو أكثر برودة فلا بد أن يرتدى الناس ثياباً أثقل ، وأن يأكلوا طعاماً أكثر دسامة ، وأن يسكنوا بيوتاً

أكثر دفتاً . وللحصول على ثياب أنقل وطعام أكثر دسامة وبيوت أكثر دفتاً ، كان لابد أن يعمل الناس بنشاط أكثر مما يعمل الآخرون الذين يعيشون في المناخ الدافئ .

وكانت إيران أيضاً بلداً مليئاً بالقبائل الهمجية التي وفدت إليها من كل مكان محيط بها ، فسلبت الناس ماشيتهم ومحاصيلهم ومن هنا لم تكن حياة الراعي أو الفلاح الإيراني حياة سهلة ، كما كانت حياة جاره الهندوكي بل كانت حياة حافلة بالمصاعب والمخاوف والأخطار

وعندما يكون الشعب جائعاً مضطرباً ، فإنه لا يفكر كثيراً في الحياة بعد الموت ، كما يفكر في الخبز والسلام ومن هنا عند لا ريب  
آلهة عبادة سطحية فلم يطلبوا النيرف . كهنذرو  
من أجل وفرة المحصول ومن أجل الانتصار على الأعداء . ومعتدين

وإذا عاش الإيرانيون في خوف دائم من القبائل الوافدة المنقصة ، فقد أخذوا نظرون إلى كل رجل لا يؤدي عملاً نافعاً على أنه رجل شرير ، ولم يحترموا سوى الذين يفلحون الأرض ويرعون الأغنام والماشية لأنهم هم وحدهم الصالحون . .

وبينما كان في الهند آلاف من الرهبان يعيشون على الصدقات ومع ذلك ينالون حظاً عظيماً من الإكبار والتبجيل ، لم يكن في إيران من يجروء على الحياة على الصدقات . . فالاحتقار والإهانة لكل من لا يعمل ليكسب عيشه بكفاحه وكده وعرق جبينه . فقد كان كفاحهم في سبيل الحياة شاقاً ، وكان وسائل الزراعة والري بدائية يكلفهم الحصول على إنتاجها كثيراً من الجهد والتعب ، ولهذا فقد كرهوا أن يشركوا معهم في ثمة جهودهم أى واحد لا يشترك معهم في بذل الجهد والتعب والكفاح

ولقد عبد الإيرانيون القدماء عدداً كبيراً من آلهة الطبيعة. فعبدوا إله الشمس، الذى ينضج محاصيلهم وسموه « ميثرا » وعبدوا إلهة الخصب والأرض، وسموها « أنيتا » وعبدوا الثور الذى مات ثم بعث حياً ووهب الجنس، البسرى دمه شراباً ليسبغ عليه نعمة الخلود وسموه « هوما » كذلك عبدوا إله المطر الذى يروى حقولهم، وعبدوا إله السحاب وإله الريح وكل آلهة الطبيعة التى ساعدتهم فى عملهم المضى للحصول على الرق وسموها كلها « دايفا » أى الأرواح الخيرة

وكان الشتاء عندما ينتهى ويحجى الربيع ويبدأ أوان بذر البذور فى الأرض، يذهب الإيرانيون إلى الجبال ويدعون آلهة الطبيعة لتساعدهم فى إنبات المحصول ومدم بإنتاج طيب ذلك العام وعندما ينتهى الصيف ويجمع المحصول يذهب الإيرانيون مرة أخرى إلى الجبال يتعبدون ويثنون على آلهة الطبيعة ويقدمون لها القرابين من الفاكهة والحبوب والحلجان الصغيرة. لقد كانت تلك العقيدة بسيطة حقاً ولكنها لم تستمر بسيطة وقتاً طويلاً لأن الشعب الإيراني لم يعد يؤمن بالأرواح الخيرة فحسب بل أصبح يؤمن بآلهة القبائل وآلهة العائلات وعدة أنواع أخرى من الآلهة والأرواح. ومع تعدد الآلهة ظهرت التماثيل والأصنام التى تحتوها من الصخر وشكلوها من الطين ورسموها على ألواح الخشب وصاغ الأغنياء أصنامهم من الذهب والفضة. وعندما فعل الإيرانيون ذلك لم يمودوا بذهبون إلى الجبال لعبادة آلهتهم، بل اكتفوا بالتجمع لتقديم القرابين والصلوات لتلك الأصنام التى وضعوها فى المعابد وأقاموا أمامها المذبح للتقرب والصلاة. وبالتدريج رادت الصلوات والتراتيل والقرابين التى تقدم لمختلف الآلهة، ولم يستطع الناس الذين كانوا مهمكين فى فلاحه الأرض ورعاية قطعانهم



وحماية ممتلكاتهم من قبائل البدو والأعداء ، لم يستطيعوا أن يحفظوا جيداً كل التراتيل التي لا بد من أدائها للآلهة المختلفة ، كما لم يستطيعوا أن يذكروا أى الصلوات تتلى لسكل إله ، وأى القرايين تلائم إلهاً دون أن تغضب الآلهة الأخرى وتثير غيرها. وهكذا استخدموا بعض الرجال الذين أتقنوا تعلم طرق تقديم القرايين ومى تغنى التراتيل المناسبة للآلهة وكان هؤلاء هم الكهنة

وإذا كان الكهنة دائماً فى صحبة الآلهة داخل المعابد ، فقد بدأوا هم الكهنة والسحر أنفسهم يعتقدون أنهم حير من جميع الناس الآخرين فى إيران وادعوا أيضاً أنهم يعرفون كيف يرضون الآلهة الخيرة ، كما يملكون أيضاً أن يجعلوا الآلهة تفعل كل ما يريده الكهنة منها

وصدق الإيرانيون الكهنة . ونظروا إليهم على أنهم وسطاء بين الآلهة والبشر . وكما ذهب الإيرانيون إلى الحرب أخذوا معهم كهنتهم وأصنامهم المحبوبة لتساعدهم فى كسب المعارك

وهكذا أصبح الكهنة سحرة .. وأصبحت الكهانة نوعاً من السحر . وإذا استطاع الساحر أن يؤثر فى الآلهة لكسب الحروب كما أصبح الناس يظنون ، فقد صار من المؤكد أنه يستطيع أن يؤثر فى الآلهة لجعل أبقار الناس تدر الكثير من اللبن بدلاً من القليل ، وجعل حقولهم تنتج محصولاً أكثر وفرة ، وأغنامهم تنمى صوفاً أغزر وأطول

وقال السحرة أنهم لو أرادوا لفعلوا أكثر من كل ذلك وأفضل وانتشر الإيمان بالسحرة بين الناس .. وزادت عبادة الأصنام وانتشر السحر فى كل بلاد إيران

كل ذلك كان يحدث في إيران ٠٠ في الوقت الذي كانت البشائر تنبئ بقدوم نبي عظيم بدأ ظهوره في مدينة أذربيجان ٠٠ غربي بحر قزوين ٠٠ وراح الناس يتحدثون عن معجزة ظهوره .

فهنالك في إحدى جوانب تلك المدينة البعيدة كان يعيش رجل اسمه « بوروزهازيو » من قبيلة « سبيتاما » مع زوجته الحسنة « دوغدوما »

وذات يوم ، بينما كان الرجل يرعى ماشيته في الحقل ، إذ تراءى له شبحان بوريان اقتربا منه ، وقدا إليه غصنا من أغصان نبات الهوما المقدس ، وأمره أن يحمل الغصن معه إلى داره ويقدمه لزوجته ، لأنه يحمل كيان الطفل الروحاني وصدع الرجل بالأمر ، ومزج الغصن باللبن وشربه هو ووروجه ، فحملت الزوجة وليدا هو « رارافوشترا » الذي نسميه الآن « ررادشت »

وبعد خمسة شهور من الحمل ، رأت الأم في الحلم أن سحابة سوداء أحاطت بيتها ، وأن مخلوقات بسعة هبطت عليها من السحابة ، فانتزعت الطفل من رحمها وهمت بالقضاء عليه وصرخ الأم وأعولت ، ولم يلبث أن هبط من السماء شعاع نور مزق السحابة السوداء إربا فاختفت الكائنات البشعة التي ولت هاربة ، ثم انبثق من النور طيف شاب يشع منه نور متلألئ ، أعاد الطفل إلى بطن أمه وسكن من روعها ، وقال لها هذا الطفل عندما يكبر ، سيصبح نبي أهورامزدا

وعندما ولد الطفل عام ٦٦٠ قبل الميلاد ، لم يبك مثل سائر الأطفال ، وإنما قهقه بصوت عال اهتزت له أركان البيت الذي غمره نور إلهي ، وهربت الأرواح الشريرة كلها إلى عالمها السفلي .



وهناك عدة قصص تروى عما حدث عقب ولادة ررادشت



تقول إحدى هذه القصص أنه عندما ولد الصبي بدأ دوران سرورن « كبير سحرة إيران ونائب الملك في المقاطعة يرتعد فرقا ، لأنه عرف أن طفلا قد ولد ، وأنه عندما يكبر وينمو فسوف يقضى على السحر وعلى عبادة الأصنام ، ويطرد السحرة والكهان جميعاً من البلاد .

وأرسل دوران سرورن ثلاثة من سحرته لإحضار ررادشت إليه في معبد النار . وفي أثناء ذلك ، أعد دوران سرورن ناراً على المذبح وعندما جرى بالطفل إليه وضعه وسط النار ، وانطلق خارجاً من المعبد هو وسحرته

وظن دوران سرورن أن هذه هي نهاية ررادشت ولكنه كان مخطئاً . فعندما عادت أم الطفل إلى البيت ولم تجد ولدها ، انطلق إلى معبد النار لتصلي وتدعو الآلهة أن ترده إليها . وهناك على المذبح ، وجدت الأم طفلها يلعب في ابتهاج وسط اللهب ، كما لو كان يعيش في حمام دافئ .

وتأكد دوران سرورن أن زرادشت ليس طفلاً عادياً ، فدبر خطة جديدة ، واستدعى سحرته الثلاثة ، وأمرهم بإحضار الطفل زرادشت مرة أخرى ووضع وسط الطريق العام حيث يمر قطع كبير من المشاة . ولكن أول بقرة من القطيع أسرع نحو الطفل ووقفت تغطيه بجسمها لتحميه من بقية القطيع وظلت البقرة في مكانها حتى مر القطيع كله وعندما جاءت أم ررادشت تجرى إلى الطريق محملاً عن ولدها وجدته على الأرض سليماً لم يلحقه أى أذى

واسقبت الخوف بكبير السحرة . وظل ثلاثة أيام وثلاث ليال يدبر

المؤامرة . ثم قرر آخر الأمر خطة جديدة . . . أن يسرق زرادشت ويوضع في وكر الذئاب .

وحدث دوران سرور نفسه قائلاً : « حتى إذا لم تقتله الذئاب فلاشك أنه سيموت جوعاً » .

ولكن الذئاب عندما عادت إلى وكرها وشمّت الرائحة وأدركت أن أحداً بالداخل واقتربت لتنهشه . . . عندئذ تسمرت الذئاب فجأة في الأرض وعجزت عن التحرك . . . بينما ظهرت عزتان دخلتا الوكر بغير خوف وراحتا ترضعان الطفل .

ولست هذه القصة سوى واحدة من عدة قصص قيلت حول ما حدث لزرادشت عندما كان لا يزال في المهد بعد . . . غير أن كل ما حدث جعل أباه وأمه يتوقعان له أن يصبح صاحب مستقبل عظيم ، فقرر أن يعلمه أحسن تعليم في البلاد .

## الطيب

وعندما بلغ زرادشت السابعة من عمره ، أرسل بعيداً ليدرس مع بورزين — كوروس الذي امتدت شهرته بالحكمة في جميع أنحاء إيران ، وظل زرادشت ثمانية أعوام مع الحكيم بورزين حيث لم تقتصر دراسته معه على العقيدة ، بل تعدتها إلى الزراعة وتربية الماشية وعلاج المرضى وابتداء الأعوام الثلاثة عاد زرادشت إلى موطنه وارثاً القميص المقدس ، وتمنطقاً بالحزام ، وكان ذلك رمزاً لتعميده في عقيدة شعبه . . . على أن زرادشت لم يكفد يعود إلى موطنه وهو في حوالي الخامسة عشرة ، حتى غزا التورانيون، إيران من الإقليم المجاور ، وتطوع زرادشت الشاب على الفور للذهاب إلى ميدان القتال لتطبيق معرفته في معالجة المرضى والمجرحى من الجنود .

ولكن الحرب عندما انتهت لم تصع حداً لآلام الناس ، فقد انتشرت

المجاعة في جميع أنحاء إيران ، واشتد المرض ورادت الفاقة في البلاد ، بنفس الصورة التي كانت قائمة في وقت الحرب . ومن جديد تطوع ررادشت ليضع جهده وخبرته في خدمة المرضى والفقراء

وانقضت خمسة أعوام كرس فيها ررادشت الشاب كل حياته لذلك العمل النبيل الذي تطوع للقيام به . وعندما عاد إلى موطنه طلب منه أبوه أن يتخلى عن عمله بين الناس ، وأن يتزوج ويستقر ويميش حياة محترمة كصاحب أرض وراعى ماشية .

ولكن زرادشت لم ينفذ من نصيحتي أبيه سوى الزواج بفتاة حسناء اسمها « هافويه » . أما العمل كإفلاح ومرعى ماشية فقد عجز عن أن ينفذه ، إذ أقنعت تجاربه في ميادين القتال وخلال المجاعة ، أن قد كتب عليه أن يقوم بعمل أكثر أهمية من زراعة الحبوب وتربية الماشية . . .

وهكذا واصل عمله في خدمة المرضى وعلاجهم في كل مكان . وظل ررادشت عشرة أعوام أخرى وهو يعمل بين الفقراء والمحتاجين ، ويسكر بين حين وآخر وسائل جديدة تخفيف آلام الناس .

ولكن آلام الناس وأحزانهم لم يكن لها نهاية

وأخذ ررادشت يتساءل من أين تجيء كل هذه الشرور إلى العالم ؟ البحث عن الحقيقة:

وراح ررادشت يتعنى أن لو عرف مصدر ذلك العناء إذرب لاستطاع أن يحقق حلمه في جعل كل الناس سعداء

وذات يوم . قال زرادشت لزوجته هافويه سأذهب بعيداً لأعيش ناسكا فترة من الوقت ، أفكر خلالها في الخير والشر فربما تبينت مصدر العناء في العالم »

وكانى روجة راحت تلح على زوجها ألا يفعل . . فقد كان من الحق

أن يضع روجها وقته في البحث عن مصدر الخير والشر في الوقت الذي يجب عليه فيه أن يرى ماشيته وينمي ثروته .

ولكن ررادش وقد استقر رأيه ، لم يكن يستطيع أن يقتنع بمنطق زوجته. فخرج من البيت ، وانطلق إلى جبل سا بلان .. وقد عزم على ألا يعود قبل أن يكتسب الحكمة التي ينشدها ويصل إلى الهدف الذي يريد وظل زرادش أيا ما وأسابع وشهوراً وحيداً يفكر فوق الجبل .  
ويحاول أن يفهم سر هذا العلم

فـ فكر في كل ما تعلمه من أستاذه الحكيم بورزين كوروس

وفكر في كل ما تعلمه من أبيه وكهنته

وفكر في جميع تجاربه . بين الناس أثناء الحرب وحلال المجاعة ،  
والسنوات التي أعقبت ذلك .

ولكنه لم يستطع أن يجد في كل ذلك ما يفسر له عالم الخير والشر

وذات يوم جلس ررادش أمام كهفه في بطن الجبل وتساءل  
عما إذا كان عليه أن يتخلى عن محبته عن مصدر العناء .. وأن يعود إلى  
زوجته وأطفاله

وأخذت الشمس تفوض خلال ذلك في المغرب وراء الأفق . واستحالت  
السماء أمام ناظره بين ذهبية وقرمزية وحمراء سم أخذت الشمس تغيب  
في بطن شيئاً فشيئاً خلف التلال ونشر الظلام جناحيه على الوادي تحته .  
وعلى حين فجأة قفر ررادش واقفاً على قدميه وقد ملأه فرح غامر  
لقد أمسك بيديه سر الحكمة التي يبحث عنها

وجاءه ذلك الإدراك وهو يرقب غروب الشمس . كما أدرك وقتئذ

أن اليوم ينقسم قسمين النهار والليل النور والظلام

ولكن .. ألم يكن يعرف هذه الحقيقة العادية منذ طفولته ؟

أهورامزدا

وأهرمان



نعم . ولكنه تبين فيها الآن سر الحكمة  
فكما أن اليوم يتألف من النور والظلام فالعالم أيضاً فيما بدا  
لزرادشت يتألف من الخير والشر

وكما أن الليل والنهار لا يمكن أن تتغير طبيعتهما أبداً النهار  
متألق والليل مظلم فكذلك لا يمكن أبداً للخير أن يصبح شراً ،  
ولا للشر أن يصبح خيراً قط

الخير لا بد أن يكون خيراً دائماً .. والشر لا بد أن يكون شراً أبداً .

وإذا كان الخير دائماً خيراً ، والشر شراً .. فإن السحرة والكهنة  
الذين يقومون على عبادة الأوثان لا بد أن يكونوا جزءاً من الخطأ أيضاً ..  
فهم يعتقدون أو يوهمون الناس أن الإنسان يستطيع أن يصلى لآلهة الخير  
لتوقع الشر بأعدائه ، ويتقرب لآلهة الشر من أجل أن تصنع له خيراً  
فآلهة الخير لا يمكن أن تصنع شراً .. وآلهة الشر لن تستطيع أن  
تفعل أى خير ..

وبدا واضحاً كل الوضوح لزرادشت أن العالم تحكمه قوتان .. خير  
واحد وشر واحد . وقال زرادشت أن أهورا مزدا هو قوة الخير .. وأن  
اهرمان هو قوة الشر .

غير أن زرادشت — وإن كان قد أصبح لديه سر الحكمة — إلا  
أنه لم يصبح واضحاً له تماماً لماذا خلق الخير ولماذا خلق الشر ولا كيف  
يجب على الناس أن يفعلوا من أجل أن يقضوا على الشر وعلى العناء  
وظل زرادشت واقفاً على جبل سابلان ، يستوضح أفكاره شيئاً  
فشيئاً ، ويتقدم في ببطء من حقيقة اكتشافه أن الخير خير دائماً .. وأن

الشر شرأبداً تماماً كما يتقدم نحو فهم السبيل الذي يجعل الناس يعيشون كلهم أخياراً

وقيل أنه حدث ذات يوم بينما هو واقف على الجبل يفكر إذ أحس فجأة بنسوة روحانية تغمره وتنتشر في جميع جنبات نفسه وعملاًها بوراً وهاجاً . . ثم رأى كأنها نارياً نورانياً يدنو منه وكأنه عمود من نور ، حجمه تسعة أمثال حجم الإنسان ، يحمل في يده عصا من الذهب . ولم يلبث ذلك حين أن حلق فوق رأس ررادش في عمود آخر من النور ، وأمره بسه ، ثم انباه أنه فاهو مانا « كبير سكة ، وأنه جاء يعود إلى السماء ليحظى بسرف المتول بين يدي رب السماء وصدع بالأسر ولم يلبث أن وحد سه لذي إله النور الأكبر الذي يحيط به صياء عظيم وهناك تلقى كتاب الحق والحقيقة ، وتعلم أسرار الوحي المقدسة واستمع إلى أمر النبوه

وقيل أفاق من نسوته وعاد إلى إنسانيته بعد أن تسكر رب التجربة نيه بمرات وعند نته إلى نفسه قال

الآن سأنزل إلى الناس واقود شعبي باسم أهورامزدا من الفلام إلى النور . . ومن الشقاء إلى السعادة ومن الشر إلى الخير «

\* \* \*

عندما نزل ررادش من فوق جبل سابلان مستعداً في حماس لإعلان حقيقة الخير والشر للناس لم يكن أهل إيران مستعدين للانصاف إليه

الدعوة

فقد كان أهل إيران قد تعودوا آلهتهم وأصنامهم التي كانت حقائق لهموسة بين أيديهم بينما إله الخير وروح الشر اللذان يتحدث عنهما

زرادشت لا يمكن رؤيتهما أو سماعهما أو لمسهما . وكل ما كان أهل ذلك الزمان يعجزون عن رؤيته بعيونهم أو لمسه بأيديهم أو سماعه بأذانهم ..  
فهم لا يؤمنون بوجوده ..

حتى أسرة زرادشت نفسها لم تؤمن بالتعاليم التي جاء بها قط ..

ومرت بزرادشت عشرة أعوام رهيبة هائلة وهو يبحث عن مؤمنين به ، ولقى خلال تلك السنوات من العنت والشقاء والعذاب ما لا يتحمله بشر فقد تخلى عنه أهله وعشيرته منذ أعلن فيهم رسالته ، وطردوه ، فترك مسقط رأسه وراح ينتقل من بلد إلى بلد تسبقه إليها شهرته التي تقول إنه رجل دعى يسب الدين والسكينة .. فيخشاه الناس ويأبون حتى أن يستصيفوه ، ويقفون في وجهه الأبواب . فلا يجد أمامه لببيت لياليه الطويلة سوى حظائر الخيل والبغال والحمير

واستمر زرادشت يناضل في سبيل دعوته وهو يقطع أرض إيران طولاً وعرضاً يعظ الناس ويرشدهم ويجادلهم .. ولكن أحداً مع ذلك لم يتبعه ، حتى كاد اليأس الكامل أن يأخذه

ومع هذا فإن ربه «أهورامزدا» لم يتركه فيقال إن الوحي نزل عليه في هذه الفترة سبع مرات ظهر له في إحداها أهورامزدا ، كما ظهر له بعد ذلك الملائكة الستة السكبار ليقنوه أصول الحكمة وهؤلاء الملائكة الستة هم أساطين العرش .. وهم رموز ومثل عليا لمعان إنسانية مقدسة .. فثلاثة منهم ذكور يمثلون التفكير الطيب والحق الأسمى والإحسان .. وثلاث إناث يمثلن الفداء والخلود والتقوى وقد لقنه كل فرد منهم حقيقة من الحقائق الكبرى فتعلم حقيقة النار المقدسة ، والأسرار التي تنطوي عليها الأرض، وحيات الحيوانات والنباتات، واخوام

المعادن ، والسرفى وجوب العناية بالماء ، والصراع الأزلى بين الخير والشر

الملك كتناسب على أن الأعوام العشرة لم تكسد تنقضى حتى وجد ررادش من يؤمن به

وكان الذى آمن به وصدقه هو ابن عمه ميثيوماه ..

وقال له ميثيوماه « إن تعاليمك شاقة جداً على فهم الناس »

وتأمل ررادش كلام ميثيوماه وقال فى أسف «نعم»

قال ابن العم : ولكنك إذا استطعت أن تسترعى نظر المتعلمين الذين

تدربوا على فهم الأفكار الصعبة والآراء المستعصية ، فربما وجدت من

يسمع لك .

وهتف ررادش : أجل .. أنت على حق

وقد كاب ..

وقرر ررادش أن يبدأ بالمتعلمين من بنى وطنه .. ومن كان أكثر

تعلماً فى البلاد إن لم يكونوا هم الملك والملكة وبقية أعضاء الأسرة

المللكة ..؟!

وهكذا انطلق زرادش إلى « بلخ » ليشرح عقيدته للملك ..

« كاشتاسب »

وعند أبواب القصر ظهر زرادش .. وتراب السفر لا يزال يغطى

قدميه ، وقال لحارس الباب :

— إذهب إلى الملك وأخبره أنى أنا ررادش سبتاما نبى الإله الواحد

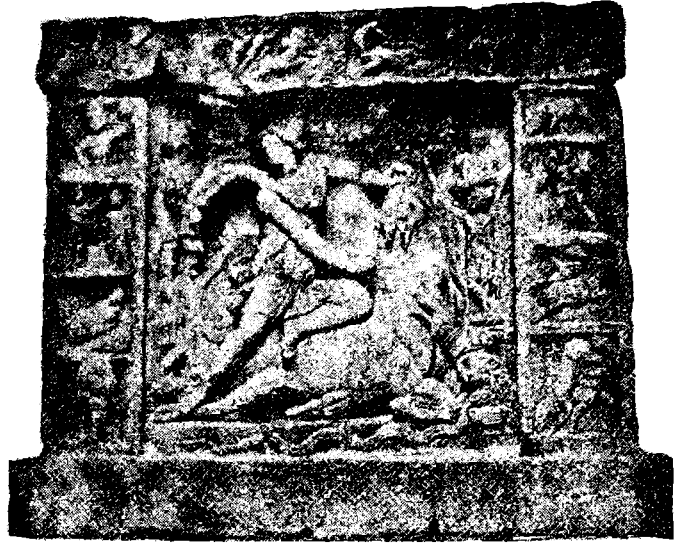
الحكيم قد جئت لأراه وأعلمه طريق الخير والشر ..!

وانفجر حارس الباب ضاحكاً .. فما كانت هيئة الرجل الذى يقف أمامه

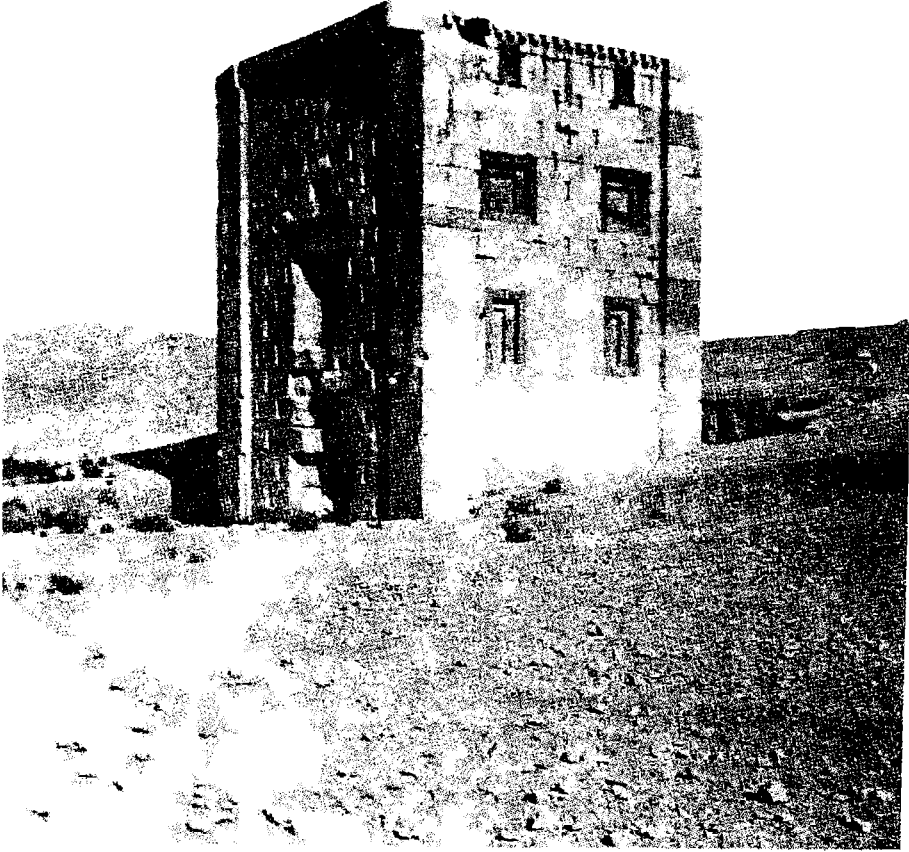




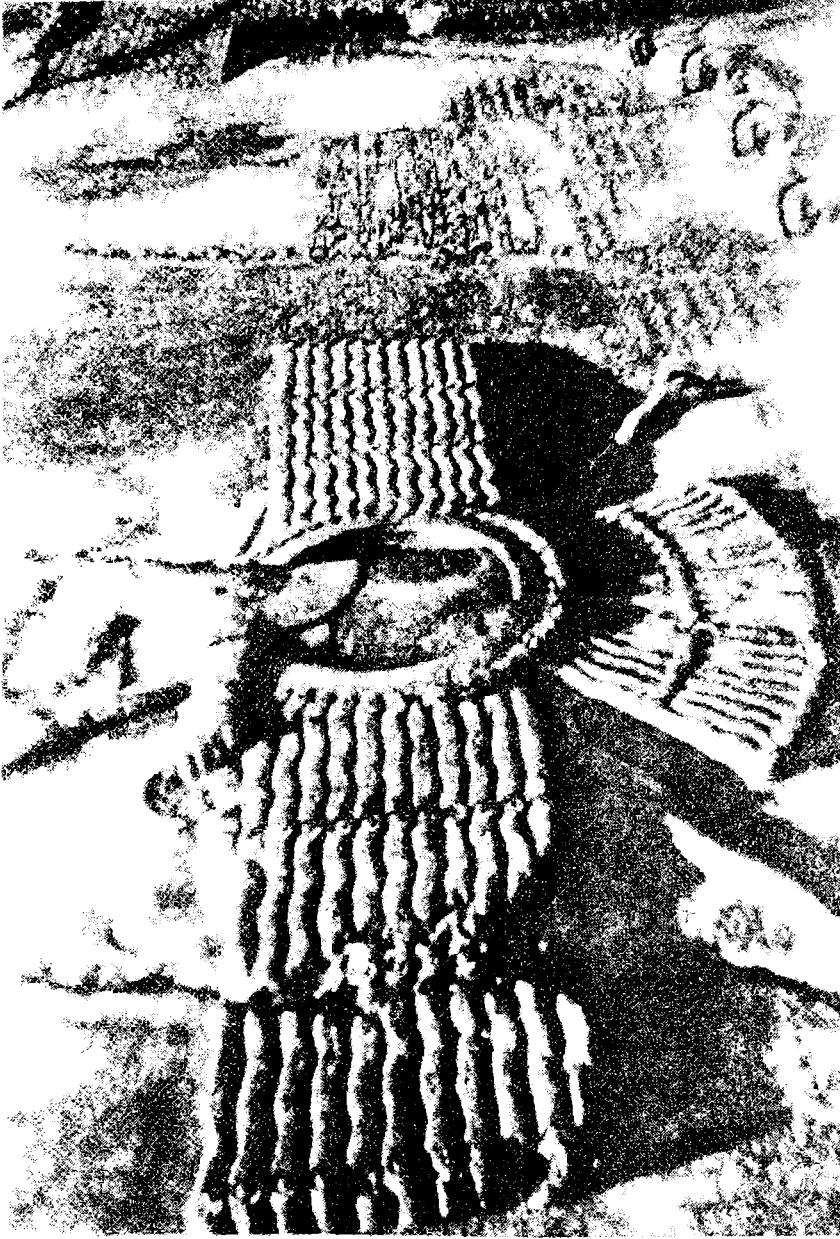
الرب ميثرا إله  
الشمس يذبح  
القرنان في صورة  
نور وفي أسفله  
الحية بيما يقفز  
الكب على رأس  
الثور ليلعق دمه  
الذي فاض على  
الأرض



الإله ميثرا.. واللوحه محيطة  
بها أحداث حياته وبين  
مولده من الصخرة  
وأسره للثور وأحده  
إلى الكهف كما يد وفي  
أعلى منظر تناسله من أهورا  
مزدا... إله الخير الأعظم



بقايا أحد أبراج الصمت  
 التي لا تزال قائمة في أرض  
 إيران حيث توضع في  
 قبتها جثث الموتى لتنهشها  
 جوارح الطير حتى لا تدنس  
 الأرض المقدسة



أهورامزدا إله الخير  
كما يبدو على أحد الآثار القوشية  
في باختران



تمثال منحوت في الصخر  
 يمثل النبي زرادشت . وقد  
 صوره المثلث في وجه يمثل  
 أهورا مزدا بينما أشعة  
 الشمس حول رأسه تمثل  
 الإله ميترًا . « من آثار  
 كرمان شاه »



لتوحى بأكثر من أنه متسول حقير.. غير أن الضحكة العالية انقطعت فجأة مع اللهجة الأمرية القوية التي انطلقت من بين شفقي زرادشت :  
— اذهب أيها الحارس وافعل ما أمرتك به

وارتعد حارس الباب .. فقد لمس في صوت زرادشت ونظرات الغضب في عينيه ما يخيفه . ولكنه مع ذلك ظل واقفاً في مكانه لا حراك به وأمسك زرادشت بيده كرة من النار ورفعها في وجه حارس الباب وهو يقول :

— لتكن هذه آيتي ودليلك على أنني جئت باسم الإله الواحد  
الحكيم

وانطلق حارس القصر في قوة واندفاع مذعوراً إلى قاعة العرش، حيث كان الملك جالساً يحيط به حكاؤه وكهنته . وهتف الحارس وهو ياهت:  
— بالباب رجل عجيب حقاً يريد أن يراك أيها الملك .. وهو يدعى أنه نبي من عند إله واحد ، ويمسك في يده كرة من النار تلهب ولكنها لا تنحرقه ..

وسكت الملك رهة .. ولكنه انتفض بعد لحظات ليأمر الحارس بدعوة الرجل الواقف بباب القصر .

ولم يكذ زرادشت يظهر لدى باب القاعة حتى ارتفع صوته في حرم رهيب:  
— أنا زرادشت سبتاما نبي الإله الواحد الحكيم .. جئت إليك أيها الملك لأحول قلبك من الأصنام الشريرة التافهة .. إلى مجد إله حق  
خالد حكيم ! ..

وحدق الملك طويلاً في الرجل الواقف أمامه رافع الرأس شامخاً ..

ثم قال في صوت جهد أن يكون قوياً حازماً

— أى رهان لديك تثب به صدق دعواك

أجاب زرادشت

— إني أعلم كلمة الحق ضد كلمة الباطل . فإذا شئت أسـ وحقاً ذلك أن  
تسألني فسأرد عليكم مما يثبت لكم أن طريق العبادة الذي يسرون فيه  
وتمسككم بتلك الأصنام خطأ يشوبه ظلام حالك وأن طريق الإله  
الحكيم الواحد خير مسرور كضوء النهار  
وتوجه الملك إلى حكمائه وكهنته وقال

— أيها الحكماء وكبار الكهان . إسألوا هذا الغريب عن تعاليمه  
وسأجلس بينكم في مكان الحكم لأقرر آحر الأمر أنكم على حق  
وأبيكم على باطل .

وأطل زرادشت طويلاً إلى الملك ثم قال يخاطبه

— هل تعدني إذا تحققت كلماتي أيها الملك ، بأن تتحلى عن عبادة  
الأصنام وطريقها الضال . . وأن تتبع طريق الإله الحكيم الواحد  
المتألق بالنور

ووعده الملك . . . وبدأت المناقشة الطويلة بين زرادشت وكهنة  
الملك كشتاسب

\* \* \*

ارتفع صوت كبير الكهنة في غضب ما هي هذه العقيدة الجديدة  
التي تبشر بها أيها الرجل وما هو موطن الاختلاف بينها وبين عقيدة  
آبائك الأولين ؟

علمى العالم

أجاب زرادشت : لم أجبء لأبشر بعقيدة جديدة... ولكن لتحسين  
عقيدة قديمة والذي أعلمه هو حقيقة الخالق وهو لهذا خير... أما عبادتكم  
للأصنام فليست حقاً... وهي من أجل ذلك شر  
وسأله كبير الكهنة أتفى أن آلهتنا الشمس والنار والجبال  
والنجوم آلهة زائفة؟

أجاب زرادشت : كلا... فهي ليست آلهة زائفة... لأنها ليست  
آلهة على الإطلاق... ومثل ذلك كالرجل الذي يبني بيتاً... هل تصفون  
البيت بأنه هو الرجل؟ إن هذه هي الحقيقة فالشمس والقمر والجبال  
ليست آلهة... بل هي من صنع الخالق القوي...  
وسأله أحد الكهنة من هو ذلك الخالق؟

قال زرادشت إنه أهورا مزدا إله الحكمة والحاكم الإسمى للعالم.  
وسأله حكيم آخر وتقول أنه خلق كل شيء في العالم؟!  
قال زرادشت خلق كل ما هو خير في العالم لأن الله خير  
وعاد الحكيم يسأل زرادشت ومن الذي خلق الشر إذن؟

أجاب زرادشت : أهرمان روح الشر هو الذي خلق كل ما هو  
شر في العالم

وصاح كبير الكهنة في انتصار : إذن فهناك أكثر من إله واحد في العالم؟  
وأجاب زرادشت في هدوء

— نعم إن دورة العالم تستمر إثني عشر ألف سنة وفي أثناء  
الآلاف الثلاثة الأولى كان هناك عالمان متجاوران هما عالم أهورا مزدا «عالم النور»

وعالم أهرمان «عالم الظلمات» . وكان العالمان متناهيين من جوانب ثلاثة .  
ولكن كلاهما يحد الآخر من الجانب الرابع . فعالم النور في الجانب  
الأعلى وعالم الظلمات في الجانب الأسفل . ويدهما فراغ مملوء بالهواء .  
وقال أهورا مزدا لأهرمان : إن طرفك لا تتفق وطريقي ، وأفكارك  
لا تتفق وأفكارى ، وكلماتك ليست كلماتي ، وأعمالك ليست أعمالى .  
فلتفتق . وكان أهورا مزدا يعلم المستقبل . فعرض على أهرمان حقبة  
من الحرب طولها تسعة آلاف سنة . وقبل أهرمان العرض وهو لا يعرف  
غير الماضي . وعندئذ قال أهورا مزدا بأن الجولة تنتهى بهزيمة عالم الظلمات .  
وفزع أهرمان ، ولم ينته إلا وهو يسقط في الظلمات ويقضى فيها مثولاً  
مدة ثلاثة آلاف سنة ، خلق أهورا مزدا خلال الأرض بكل ما فيها  
من خير .

### وسأله الحكيم

- كيف إذن جاء الشر إلى الأرض ؟

أجاب زرادشت

- لقد بدأ أهورا مزدا ، روح الخير ، مخلق أرواح طيبة تنسجم مع  
طبيعته ليستعين بهافي مقابلة روح الشر أهرمان .. وعلم أهرمان بذلك فخلق  
أرواحاً شريرة من جنسه ليقاوم بها الأرواح الخيرة . ثم خلق أهورا مزدا  
النجوم والكواكب وانتهى من خلق الأرض . وعندما انتهى من ذلك  
جعل الأرض حاجزاً بينه وبين أهرمان وأعوانه . ولكن أهرمان شق  
الأرض وأحدث فيها فجوة جمع بداخلها أعوانه الشريرين ثم صارت  
ميداناً للصراع بين القوتين .





وعاد الحكيم يسأله :

— ومن الذى خلق الإنسان على الأرض ؟

قال زرادشت

— أهورا مزدا أيضاً . فعندما أتم خلق الأرض خلق الثور الأول ثم خلق الإنسان الأول « كيومرد » الذى هو أول البشر . وعندئذ ألقى أهرمان بقوته ضد خلق أهورا مزدا ، فنجس العناصر وخلق طوائف من الزواحف والحشرات وأقام أهورا مزدا خندقاً أمام السماء . ولكن أهرمان كرر هجماته ونجح أخيراً فى قتل الثور وكيومرد أول البشر وكانت بذور كيومرد مخبأة فى الأرض فتتج منها عند انقضاء أربعين سنة شجرة خرج منها أول زوجين من بنى آدم . وهكذا بدأت فترة اختلاط الخير بالشر وأخذ البشر يلعبون دوراً فى الحرب بين مملكتي النور والظلمات

وقال الحكيم زرادشت:

— إذن فلماذا تقول أنه يجب علينا أن نتبع روح الخير . ولماذا لا نتبع

روح الشر وهى عظمة عظيمة روح الخير ؟

— لأن الخير سينتصر فى النهاية على الشر

— ومن أين عرفت ذلك ؟

— لأن الشر ليست له بصيرة

ثم فسر زرادشت ذلك بعد رهة بقوله

— إن الإله الحكيم يذكر الماضى ويدرك المستقبل ولكن روح

الشر لا تعرف الماضى ولا المستقبل والشر لا يعيش إلا لفائدة الحاضر  
ولهذا سينتصر الحكيم الواحد فى المعركة على الشر فى النهاية  
مساب الآخرة  
وسأله أحد الكهنة

— ولكنك قلت إن روح الخير لا يفعل إلا الخير ولا يخلق سوى  
الأشياء الصالحة . فكيف إذن يحدث أن الإنسان الذى خلقه روح الخير  
ينطلق ليتبع روح الشر  
وأجاب زرادشت :

— ذلك لأن الإنسان خلق حر الإرادة يختارها بين الخير والشر .  
ولكن كل الأفكار التى يفكر فيها الإنسان ، وكل الكلمات التى  
يقولها ، والأفعال التى يأتىها كل يوم من أيام حياته، مكتوبة كلها فى كتاب  
الحياة فالأفكار والكلمات والأفعال الصالحة مكتوبة فى جانب  
والأفكار والكلمات والأفعال الخبيثة مكتوبة فى الجانب الآخر وعندما  
يموت الإنسان تذهب روحه إلى الحفيظ على كتاب الحياة . فإذا كانت  
أفكاره وكلماته وأفعاله الخيرة أعظم من أفكاره وكلماته وأعماله الخبيثة ذهبت  
إلى الجنة وإلا ذهبت إلى عذاب الجحيم

وسأله ائلك : وهل يستمر هذا الأمر طويلا ؟

أجاب زرادشت :

— كلا يا صاحب الجلالة لأن يوم الحساب قريب وفى ذلك  
اليوم ينتصر الإله الواحد على الشر وعندئذ يبعث الموتى ويقع النجم  
المدنّب على الأرض، فتشتعل وتدوب جميع المعادن فتنتشر على الأرض كأنها  
سيل ملتهب . وعلى كل الناس الأحياء والأموات المبعوثين أن يعبروا



مجرى السيل الذى يبدو للأرواح الخيرة وكأنه لبن دافئ ، فيطهرهم المرور به ويمضون منه إلى الجنة . أما الأرواح الشريرة فتظل تحترق إلى الأبد خالدة في المعدن الملتهب وعندئذ يطرد الإله الخير روح الشر وكل من يتبعه من الأرواح الخبيثة إلى وسط الأرض ويدعها فيها إلى الأبد . وفي ذلك اليوم يبدأ العالم السعيد الخير الذى لا شرف فيه ويدوم سرمدياً . وصمت جميع الرجال في قاعة العرش ، فهم لم يسموا قط من قبل مثل هذه الكلمات الغريبة وسأل الملك رجاله

— هل لديكم أسئلة أخرى توجهونها إلى هذا الرجل  
وعاد أحد الكهنة يسأل زرادشت

طرس الوهماء

— كيف يجب على المرء أن يفعل ليتبع سبيل الإله الواحد ؟  
— السبيل إلى الإله الواحد هو الأفكار الطيبة والكلمات الطيبة والأعمال الطيبة .

— وكيف يدرك المرء ذلك النوع من الأفكار والكلمات والأعمال؟  
— الأمر غاية في البساطة .. فالصدق صالح . والكذب باطل .

— هل الصدق وحده هو سبيل الإله الواحد  
— الصدق يأتى أولاً . ولكن هناك أشياء أخرى كثيرة . فالذى يسلك طريق الإله الواحد يجب أن يكون طاهراً في أفكاره وأعماله ، محسناً يساعد المحتاجين ، يفلح الأرض وينبت الأشجار ويربي الماشية ويؤدى أعمالاً نافعة أخرى ويكون رحيماً بالحيوانات

واستمر زرادشت يفسر للجميع كيف أن ثواب الأعمال الخيرة لا يكون في الدار الآخرة وحدها ، بل هنا أيضاً في هذه الدنيا وذكر زرادشت قائمة كاملة بجميع أعمال الخير وثوابها وجميع أعمال الشر وعقابها .

وظل رجال الملك ثلاثة أيام وثلاث ليال، يوجهون الأسئلة إلى زرادشت وهو يرد عليهم جميعاً وأخيراً قال الملك بعد أن ظل ينصت بانتباه — من المؤكد أن هذا الرجل الذى يستطيع أن يتكلم مثل هذه الحكمة ويهزمكم جميعاً إنما هو نبي من عند إله حكيم !

\* \* \*

ر الملك بوعده واعتنق تعاليم الإله الواحد الحكيم ، وأعلن أن زرادشت هو النبي الحق لهذه العقيدة الجديدة

السجين

وفي جميع أنحاء إيران انتشرت أنباء اعتناق الملك للعقيدة التى جاء بها زرادشت وعندما حدث ذلك تدفق الناس على زرادشت حتى أسرته التى رفضت أن تنصت إليه من قبل عادت تكرمه وتحميه وتعلن إيمانها به . !

وملأت السعادة نفس زرادشت . . فقد انتصر فى النهاية على عدد الأصنام والسحرة والكهان، ووجد أتباعاً عديدين مستعدين لقبول تعاليمه. غير أن سعادته لم تدم طويلاً .

فقد اجتمع حكماء القصر وكهنة عبادة الأوثان ، وراحوا يتآمرون سراً على زرادشت وهم يقولون أن هذا الرجل إذا كسب ثقة الملك فلن تقوم لهم قائمة . . وكم تمنوا من أعماق القلوب لو استطاعوا قتل الرجل ، ولكنهم كانوا يعلمون أن الملك لو عرف فلن تأخذه بأحد منهم رحمة على الإطلاق .

وهمس واحد من الكهان

— إن الملك يكره السحرة المشعوذين . فلو أردنا إنهاء الأمر فما علينا إلا أن نهم زرادشت بأنه ساحر أفاق . .

— ولكن كيف نستطيع إثبات ذلك الاتهام ؟  
— دعوا الأمر لي وسأعرف كيف أضع الدليل في غرفة زرادشت.  
ووافق الجميع . وعندما جاء الصباح التالى كانوا يقفون جميعا أمام  
الملك كشتاسب . وقال كبيرهم

— إن هذا الرجل زرادشت الذى يسمى نفسه نبي الإله الواحد  
الحكيم ليس إلا ساحرا بل ساحرا شريرا وإذا أمرتم بتفتيش  
غرفته فسينكشف لكم من أمره العجب .

وكان لابد أن يرسل الملك رسلا لتفتيش غرفة النبي ومن هناك  
عاد الجميع حاملين رهوس قشط وكلاب ميتة ، وعظاما من كل نوع ، وأظافر  
وشعرا مما كان تحذ وسيلة للسحر فى تلك الأيام وفوجئ الملك بما رأى  
فأصدر أمره للفور بالقبض على الساحر زرادشت وإيداعه السجن . وأمر  
الناس بالعودة إلى عقيدة الآباء والأجداد . ونفض عن نفسه إيمانه بدين  
أهورامزدا

### المعجزة

فى ذلك الوقت أصيب جواد الملك بمرض لم يستطع أن يفهم سره  
أحد . فقد أصبح عاجزا عن الوقوف إذ تقلصت قوائمه الأربع جميعا ، ودخلت  
فى بطنه ولم يعد يظهر منها سوى الأطراف ..

وجمع كل أطباء البلاط وكهنة القصر الملكيين ، وذهبوا إلى الحظيرة ،  
وراحوا يجربون فى الجواد كل ماخطر ببالهم من حيل العلاج وألوان الطب  
ليعيدوه إلى صحته . ولكن شيئا لم يجد نفعا قط  
ولم يجد الجميع إلا أن يسهلوا إلى الآلهة والأصنام أن تبرئ الجواد

المسكين . غير أن الجواد ظل راقدًا على الأرض وقد صمرت سيقانه كأنها  
الأعشاب الجافة مفروسة في الطين

وبلغ الخبر أسماع ررادشت وهو في أعماق السحن . . . واستطاع أن يرسل  
من يحمل إلى الملك أنه يستطيع براء الجواد . وأثارت رسالة ررادشت  
ضحقة في القصر . . . وجرى به على الفور إلى الحظائر الملكية حيث كان كل أفراد  
عائلة الملك يقفون ومعهم كهنة البلاط وأطبائوه ، في انتظار أن يروا ما يستطيع  
أن يفعله ذلك الرجل الذي جاء وقد قرر في نفسه أن يملي على الملك  
شروطه الأربعة . . . !

وقال ررادشت للملك كشتاسب

— هل تعدني أيها الملك إذا استرد الجواد صحته بأن تؤمن بتعاليمي  
ولا تهجرها على الإطلاق ؟

ولم يجد الملك ما يمنعه من ذلك فاقترب ررادشت من الجواد ،  
وراح يدلك ساقه الأمامية اليمنى وهو يرفع رأسه إلى السماء ويتوجه بالدعاء  
إلى ربه . ولم يكذب ينتهي من دعائه حتى برئت ساق الجواد على الفور  
وتوقف زرادشت عن العمل ووجه حديثه إلى الملك من جديد

— إن أبرأت جوادك فهل تعدني أيها الملك بأن يعترف ابنك الأمير  
اسفنديار تعاليمي ، وأن تجعل حياته وقفًا على نشر هذا الدين في كل مكان  
بكل ماله من وسيلة ؟

ووعده الملك . فذلك ررادشت ساق الجواد الثانية وهو يدعو ربه  
ولم يكذب يفعل حتى برئت مما ما ألم بها . وعاد ررادشت يقول للملك :



— إذا أنا أرأت ساق الجواد الثالثة هل تعدنى بأن تمتلك الملكة  
من جديد تمالمي وتؤمن بأهورا مزدا وتترك دين أهرمان  
وعاد الملك يعد ررادش الذى راح يدلك ساق الجواد حتى يربس ،  
ولم يعد هناك سوى آخر قوائمه مغروسة فى بطنه كالعمود الجاف وتلف  
ررادش حوله هذه المرة فى صرامة ونظر إلى الناس الذين وقفوا يرقبون  
عمله فى إعجاب وإكبار ثم قال  
— وهل تعدنى أيها الملك إذا شفى جوادك تماما ، بمعاقبة أولئك الذين  
تأمروا صدى وآهموبى باطلا بالسحر ؟

ووعده الملك . وعندئذ برئ ساق الجواد على الفور . . . ووقف  
واقفا وراح يتمسح فى الرجل الذى شفاه وأنقذه ويأعق يديه ورجليه .  
وصدر أمر الملك بالإفراج عن زرادش والتحقيق فى أسباب  
المؤامرة فإذا بالحارس الذى كان يحرس غرفة ررادش يعترف بكل  
ما حدث ، ويكشف عن اشتراكوا فى التآمر على النبى فقبص عليهم  
جميعا وألقى بهم فى أعماق السجن .  
\* \* \*

مص الأيام كل يوم معها يحمل معجزة جديدة يقوم بها ررادش  
الذى كان يدعور به كل مرة فيستجيب دعاءه وعرض الملك ذات يوم  
على نبى أهورا مزدا أن يحقق له بعض الرغبات ليطمئن قلبه وتصفو عقيدته .  
ثم ليكون تحقيقها مقابل شروط ررادش الأربعة التى حققها له الملك  
يوم تمت معجزة الجواد . وكانت الرغبة الملكية هى أن يطلعه ررادش  
على مكانه فى الجنة بحيث يراه بعينه وأن يتحول جسده وكأنه من  
الحديد بحيث لا يؤثر فيه أى سلاح وأن ينبئه ررادش بأحداث الماضى  
والحاضر والمستقبل . . . وأن يبقى متممًا بالخلود إلى يوم القيامة .



ولم يرفض زرادشت طلب الملك . . . وإنما كنه عندما أجابه بأن تحقيق هذه الرغبات سهل ميسور . . . أضاف إلى جوابه أنها لا تتحقق كلها لشخص واحد أبداً . . . من أجل ذلك فعلى الملك أن يكتب رغبته واحدة . . . واختار الملك أن يرى مكانه في الجنة . . . وتقول كتب الزرادشتيين المقدسة أن زرادشت تضرع إلى ربه أن يجيب دعاءه . . . وفي لحظة . . . هبط على القاعة التي انقلب فجأة وكأنها قطعة متلاثلة من النور ، عدد من الملائكة على ظهور جياذ من الجنة . . . وبهت الملك واعتراه شبه شلل أعجزه وأبقاه جامداً . وفيما هو كذلك إذ بنور وهاج يمر أمام عينيه ويدخل قلبه . . . وإذا بروحه تسمو وتطفو بينما يقدم له أحد الملائكة كأساً من ماء الجنة لا يكاد يشرب منها حتى يرى رأى العين في سهولة ووضوح أرواح الخير وأشياء أخرى كثيرة لم تخاطر بباله على الإطلاق ولا نظير لها في الحياة الدنيا . . . وبعد لحظات تحرك جسد الملك نفسه ، واقترب من الملكة وسقاها من نفس الكأس ، فسمت روحها وطهر قلبها من أدران الاعتقاد بأهرمان وامتلاً إيماناً بأهورامزدا . . . وقدم زرادشت إلى أصغر أبناء الملك قدحا من اللبن لم يكده يشربه حتى حلت به روح الخلود . . . ثم قدم إلى وزير كشتاسب قدراً من عبير الجنة لم يكده يشمه حتى أشرفت على نفسه أنوار العرفان واطلم على أسرار الماضي والحاضر والمستقبل . . . ثم قدم أحد الملائكة إلى اسفنديار ابن الملك تفاحة لم يكدها يأكلها حتى صار جسده قويا وكأنه من الحديد الصلب . . . وأخذ على نفسه المواثيق بأن يفرغ للدفاع عن دين زرادشت

أما زرادشت . . . فكان الذي ناله من الملك هو أن صدرت الأوامر بذج إثني عشر ألف بقرة ، دبغت جلودها وربطت بخيوط من الذهب الخالص ، وكتب عليها بحروف من الذهب جميع تعاليم نبي الإله الواحد . . . وسميت



« الأفيستا » وعين صاحبها زرادشت كبيراً لكهنة الملك كشتاسب  
في بلاط بلخ ببلاد إيران

\* \* \*

انتشار  
الزرادشتية  
كان لزرادشت ابنة صغيرة تدعى بوروكيستا ، عرف عنها أنها أحكم  
النساء في المملكة . وجاءت بوروكيستا إلى انقصر الملكي لترى أباه الذي  
عين كبيراً للكهنة في بلاط بلخ . ونالت الفتاة محبتها إعجاب العائلة الملكية  
لدرجة أن رئيس الوزراء طلب الزواج منها .

ولم يكن في بلخ كلها سوى رئيس واحد للورراء . ولما كانت بوروكيستا  
امرأة حكيمة فإنها لم ترفض العرض السخي . وعندما أصبح زرادشت صهراً  
لرئيس الوزراء ، تدعم مركز نبي أهورا مزدا في البلاط الملكي . وذات يوم  
قال زرادشت للملك كشتاسب

- يا صاحب الجلالة لا شك أن أهورا مزدا الإله الواحد الحكيم خالق  
كل ما هو خير في العالم كله ، وأن روح الشر خلق كل ما هو شر في العالم .  
وما من شك أيضاً في أن مملكة الإله لا تقتصر على إيران وحدها بل هي تشمل  
العالم كله

- إن ذلك يبدو صحيحاً أيها النبي

- وإذا كان صحيحاً فإن تعاليم الإله الواحد قصد بها البشر جميعاً في  
كل مكان

- وذلك أيضاً لا شك فيه

- إذن ألا ترى أن من واجبنا نشر تعاليم أهورا مزدا في كل مكان ؟  
ووافق الملك ، وبعد أيام انطلق الرسل في جميع أنحاء إيران وخارجها  
لنشر تعاليم « الأفيستا » الكتاب المقدس الذي وضعه زرادشت  
وسرعان ما انتشرت تعاليم الزرادشتية في جميع أنحاء إيران وخارجها

حتى وصلت إلى توران بل وإلى اليونان والهند ، ولكن عدد أتباع زرادشت خارج إيران لم يكن مع ذلك كبيراً

وعندما بلغ زرادشت الستين من عمره قرر أن يفرض على كل شعب توران المجاور لإيران اعتناق عقيدته .

وكان الإيرانيون مدينين لمملكة توران وطلب زرادشت من الملك أن يرسل إلى ملك توران رسالة يقول فيها

« إذا لم تتخل أنت أيها الملك وشعبك عن عبادة الأوثان . . وقبلتم تعاليم الإله الواحد كما كتبها في الأفيستا النبي زرادشت سيبتاما . . فسرفض أن ندفع الديون التي لك علينا »

وثار غضب ملك توران وقال له حكماؤه الذين استدعاهم ليعرض عليهم أمر الرسالة « إذا استند الإيرانيون إلى العقيدة في رفض سداد ديونهم إذن فباسم نفس العقيدة سيلجأون بعد ذلك إلى انتزاع أرضنا وإهدار حريتنا »

واتفق الجميع على أن يرسلوا إلى ملك إيران الرسالة التالية :

« نحذركم أنا ملك توران وشعبي ، بأنكم إذا لم تكفوا عن تعاليم زرادشت وتعودوا إلى إيمان آبائكم الأولين . . فسهاجمكم بجيوشنا ورماحنا قبل أن تنقضى ثلاثة شهور قرية »

وهكذا شبت الحرب بين إيران وتوران حول عقيدة زرادشت نبي الإله الواحد الحكيم

وبعد عدة معارك رهيبة انتصر الإيرانيون انتصاراً عظيماً على توران ، وأصبح زرادشت الذي كان سبب الحرب بطلاً شعبياً عظيماً . وصارت كلمته قانوناً وتعاليم مقدسة .



كان هذا هو ما حدث في إيران  
صوت زرادشت  
أما في توران ، فقد كره الناس زرادشت وراحوا يدرون الخطط  
لانتقام كبير

ومنذ ذلك اليوم ، ولمدة سبعة عشر عاماً ، واصل التورانيون مؤامرتهم  
على زرادشت والإيرانيين ، وعندما شعروا بالقوة الكافية للدخول في  
حرب ثانية هاجموا مملكة إيران . وبعد وقت قصير حاصروا مدينة بلخ  
وفتحوها واندفعوا يحطمون أمامهم كل شيء

أما زرادشت ، فعندما كانت أسوار المدينة تنهار أمام أبناء توران  
كان هو نفسه في معبد النار يصلي ومعه ثمانون من كبار الكهنة ، يدعون ربهم  
أهورامزدا لإنقاذ شعبه ومناصرته في حربه المقدسة

وبينما هو راكم أمام النار ، اندفع الجنود التورانيون داخل المعبد  
وطعنوا النبي العجوز في ظهره ، كما عملوا سيوفهم في الكهنة الثمانين ،  
فسقطوا جميعاً صرعى ، وسالت منهم الدماء تلتطخ جدران موقد النار  
كما امتدت إلى النار المقدسة نفسها فأخذتها

وهنا انتهت حياة زرادشت نبي أهورامزدا الإله الواحد  
الحكيم وهو في السابعة والسبعين .

\* \* \*

ولكن إذا كانت حياة زرادشت قد انتهت فإن عقيدة  
أهورامزدا لم تنته بموته على الإطلاق

أهورامزدا  
فقد ظل كل أتباع الزرادشتية يؤمنون بحقيقة أهورامزدا كما حدثهم  
عنه نبيهم زرادشت في الأفيستا المقدسة .

فأهورامزدا هو الإله الأعظم .. وهو قديم أزلي ، مجرد من جميع

شوائب المادة ، مزه من كل أدران النقص ، لم يولد ولن يموت ، وهو روح الأرواح ، يرى ولا ينظر ولا تدركه عين أو بصر ، وهو موجود في كل مكان ولكنه لا يرى في أى مكان وهو يعلم الحاضر والمستقبل ويعلم الغيب ويدرك دخائل النفوس ، وهو قدير على كل شيء ، لا يسمو عليه شيء قط . وهو معين من لا معين له ، وراعى الفقراء والأغنياء على حد سواء . ومفرج الهموم ومانع الضر عن الناس . . . وإب أقوى الناس ليشعرون بضعفهم أمامه ، وهو القوة غير المنظورة التي يتطلع إليها الناس لتشد من أزهم وتقوى من نفوسهم . . . لهذا لا يقدر على إدراك حقيقته عقل بشرى ولا يقوى على تصويره خيال إنسان . ومن أجل أن يتمكن الناس من تصور هذه القوة الغيبية الخفية ، وحتى تتقرب إلى أذهانهم ، فقد رسم إلى أهورا مزدا برمزتين ماديين مشاهدين تقوى عقول الجماهير من أتباعه على إدراكهما ، ويستطيعون بالتفكير فيهما تصور صفات أهورا مزدا على وجه التقريب

هذان الرمزان هما الشمس . . . والنار

فالشمس في السماء تمثل روح أهورا مزدا ، في صورة يستطيع الناس إدراكها لما امتازت به من صفات تشبه صفات المبدأ الأول ، إذ هي كائن مشرق متلألئ يفيض الخير على جميع الكائنات ويبعث فيها الدفء والنشاط ، وهي قوة لا تقاوم ولا تستطيع نزعات الشر الاقتراب منها والحط من قدرها والإنتقاص من طهرها وصفائها

والنار في الأرض هي العنصر الذى يمثل للناس تلك القوة العليا فهي ليست عنصرا أوليا ساذجا أبديا أزليا فحسب ، بل هي أيضا قوة مطهرة مهلكة طاهرة نقية نافعة لا يمكن أن يتطرق إليها الفساد .



وهكذا تبدو تلك الصورة التي يتصور الناس من أجلها أن أتباع  
ررادشت يعبدون النار . بينما هم يؤكّدون أن تلك الفكرة خطأ كبير .  
فهم لا يعبدون النار أو يتخذون منها إلهاً ، ولكنهم يرونها إلى جانب الشمس  
رمزاً لقوة الإله الذي لا يمكن أن يراه أحد . ويعدون الوثنية والشرك  
بالإله الواحد الخير الحق جريمة كبرى ، لأنها تتضمن إنكار مبدأ وحدة  
الواحد أهورامزدا .

ويقول الزرادشتيون أنهم يقدسون النار ولا يعبدونها ، لأنها مقدسة  
كرمز . ومن أجل ذلك تحملوا التبعة التي ألقاها زرادشت على أكتافهم  
بالاحتفاظ بشعلة النار مضطراً بالمعنى الرمزي والمعنوي . . فراحوا يوقدونها  
أبدأً ويجعلونها تتأجج في صدورهم إلى جوار تأججها في المعابد . . وعندما توقد  
النار في هيكل ، يصير من أهم الواجبات وأقدسها على رجال الدين أن يعملوا  
دائمين على إبقاء نارها المشتعلة ، فيأتوا إلى الهيكل خمس مرات في اليوم  
ليقدموا إلى النار وقوداً من خشب الصندل وغيره من المواد العطرية .  
فتنتشر في الهيكل رائحتها الزكية ، وفي كل مرة يتلو الكاهن عبارات  
دينية يدعوبها الناس إلى التأمل في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح . .  
وهي جواهر الزرادشتية الثلاثة التي تتضمن كثيراً من الفضائل والأدب  
كالأمانة وحسن المعاملة والعفة والطهر والإحسان إلى الفقراء والعطف  
على الأغراب

ومن هنا كان أول عهد يأخذه الزرادشتي على نفسه كما جاء في  
الافيسا المقدسة :

« لن أقدم على سلب أو هب ، ولا تخريب أو تدمير ، ولن آخذ  
بالتأثر . . وأقر أني أعبد الإله الواحد أهورامزدا ، وأنى أعتقد دين

زرادشت وأقر أنى سألنزم التفكير فى الخير والكلام الطيب  
والعمل الصالح»

فأهورامزدا فى دين زرادشت إذن واحد لا يشركه أحد وهو خير  
محض لا شرف فيه وكل ما فى العالم من خير منبعث منه . وهو مصدر كل  
مجد ونور وسعادة، يريد الخير دائماً ولا يفكر فى الشر أبداً وهو المشرع  
القدسى والقاضى الاسمى العادل الرحيم وقوة أهورامزدا الخيرة هى التى  
ستنتصر فى النهاية على روح الشر أهرمن الذى هو سبب كل ما فى العالم  
من شرور ، يقوم بها هو ومعاونوه من خلائق الشر الأخرى المعروفة باسم  
«ديفأ» لقد آتت هذه الخلائق منذ أول الأمر النية الخبيثة واندفعت  
بأمر من روح الشر أهرمن تغدر بالناس وتفرر بهم وتسلبهم الحياة  
السعيدة والخلود الذى ينتظرهم فى العالم الآخر ، ذلك العالم الذى جاء ذكره  
فى الأفيستا المقدسة حين يقول

« سوف تبتهج نفوس الخيرين فى الحياة الثانية الخالدة كما سيتعذب  
الكاذبون إلى الأبد »

\* \* \*

وهكذا يكون الحساب والجنة والمطهر والنار فى ديانة زرادشت  
فالعالم الدنيوى يتصل بالعالم الآخر بجسر يسمى جسر الانفصال

وعندما يموت الناس فإن أرواحهم تجتاز هذا الجسر لتصنف فيه  
فأما الأرواح الطيبة فتمر عليه وهى مطمئنة إلى المصير الذى ينتظرها عندما  
تصل إلى الجانب الثانى ، وهو «بيت الخلود أو الجنة» حيث تلقاها هناك  
فتاة عذراء ذات قوة وبهاء ، تقودها إليها لتميش مع أهورامزدا سعيدة  
منعمة إلى أبد الدهر

أما الأرواح الشريرة فإنها عندما تمر على الجسر ترتجف من الفزع

اليوم الآخر





والخوف ولا تستطيع أن تختار الجسر لما تحمل من ذنوب ، فتتردى في درك من الجحيم يتناسب عمقه مع ما اقترفت كل روح من ذنوب وهذا الجحيم عبارة عن هاوية مظلمة تثير الرعب وتضرب فيها الأرواح المذنبه حتى الأبد فإذا كانت حسنات الانسان ترجح سيئاته قاسى عذابا مؤقتا يطهره من الذنوب ، وإذا كان قد ارتكب كثيرا من الخطايا ولكنه فعل بعض الخير لم يلبث في العذاب إلا إثني عشر ألف عام يذهب بعدها للجنة .

وهكذا يتم الحساب في الحياة الأخرى حيث يتولى أهورامزدا بنفسه حساب الناس

عندئذ . تقوم مملكة أهورامزدا ، ويهلك أهرمن هو وجميع قوى الشر هلاكاً لا قيام لها بعده . وتبدأ الأرواح الطيبة جميعاً حياة جديدة في عالم خال من الشرور والظلام والآلام ، وكما جاء في الأفيستا « يبعث الموتى وتعود الحياة إلى الأجسام ، وتردد فيها الأنفاس ويخلو العالم المسادى كله إلى أبد الدهر من الشيخوخة والموت والفساد والأحلال »

كل ذلك آمن به الناس من أتباع زرادشت .. وظلوا يؤمنون به حتى بعد مصرعه عندما سقطت إيران في أيدي التورانيين .

وإذا كان مصرع زرادشت لم يؤثر في إيمان الناس إلا أن المعركة نفسها بين الإيرانيين والتورانيين لم تنته مع مصرع نبي أهورامزدا فقد أقسم الملك كشتاسب على الانتقام ممن قتلوا النبي ونظم قواته وجدد هجياته على التورانيين حتى انتصر في عدة مواقع .. ولم يعقد الملك صلحاً مع جيرانه إلا بعد أن وعدوا باعتناق عقيدة زرادشت .

التغيرات في العقيدة

ولم تكذب الحرب تضع أوزارها حتى أرسل الملك رسله إلى البلاد  
الأخرى يدعو للدخول في دين نبي أهورا مزدا

غير أنه مع مرور الزمن ، بدأت تعاليم زرادشت تتغير وتقلب على  
نفسها في ببطء شديد

فن قبل . . عندما سئل زرادشت عما إذا كان الإله الواحد هو وحده  
صانع الخير في العالم ، أجب إن الإله له مساعده السماويون الذين يسمون  
الملائكة ، وقال إن أهم هذه الملائكة سبعة

« العقل الخير ، والنور ، والحكمة ، والخير ، والتقوى ، والجلود ،  
والأمر الصالح »

ونستطيع أن نفهم بسهولة من أسماء هذه الملائكة أن زرادشت لم يكن  
يعنى أن ملائكة الإله الواحد حقيقيون ذوو أجنحة كما نراهم أحيانا في  
الصور ، بل كان زرادشت يعنى أن هذه هي المميزات المتعددة للإله الحكيم ،  
والصفات والمظاهر الرئيسية له .

ولكن كهنة إيران وشعبها كانوا من عبدة الأوثان وإذا كانوا  
قد قبلوا تعاليم زرادشت إلا أن عقولهم كانت لا تزال عقول عبدة أوثان.  
وعندما ذكر زرادشت لهم ميزات الإله الواحد تصوروا ملائكة حقيقيين  
تطير هنا وهناك ، كأنها قطع من الطير الأبيض تنفخ في أبواق ذهبية  
ترنم بالتراتيل

ولم يمض وقت طويل حتى أطلقوا أسماء على ألف ملاك يعيشون  
في السماء و٩٩٩٩ شيطانا أسود يساعدون روح الشر في الجحيم  
تحت الأرض .





وبهذه الطريقة فعل الإيرانيون ما لم يكن ررادشت يريد مهم أن يفعلوه ، عبدوا الأوثان القديمة بعد أن غيروا أسماءها بأسماء جديدة وكان ررادشت يؤمن أيضاً بأن العالم سوف ينهى في أيامه ، ولكن أتباعه بعد موته قالوا إن الله الواحد قد خلق العالم في ست فترات كل فترة منها شهران وإن العالم سيستمر ألف سنة مقابل كل شهر من شهود الخلق

وقالوا إن ررادشت ولد في مهابة الألف التاسعة بعد الخلق وإنه بعد وفاته بثلاثة آلاف سنة سيظهر في هذه الدنيا أحد أبناء ررادشت وسيكون هذا الابن هو الخيخص الذي يخلص البشرية

وغير أتباع ررادشت معتقداته وتعاليمه

افحصا الحميدة

ولكن أهم تعاليم نبي الإله الواحد الحكيم باقية في أساس عقيدتهم حتى اليوم وهي أن لإله الواحد مجرد لا يستطيع المرء أن يلمسه أو يسمعه أو يشمه أو يراه وأنه واحد حكيم خالق كل ما هو خير في العالم ولا نعرفه إلا من خلال أعماله

وعلم ررادشت الناس أيضاً أنه عندما يفعل المرء خيراً ، فإن فعله الخير لا يسجل في كتاب حياته فحسب فيكافأ عنه ، بل أن فاعل الخير يضيف بعمله خيراً إلى خير العالم

وإذن فمن واجب الإنسان أن يفعل الخير لا من أجل الثواب الذي يناله فحسب ، لأنه عندما يفعل الخير يضيف إلى خير العالم ويساعد أهوارمزدا في كسب معركته ضد أهرمان روح الشر وفاعل الشر مرتبط بروح الشر أما فاعل الخير فهو يقاتل من أجل الإله الحكيم.

وحث زرادشت أتباعه على أن يقاتلوا في سبيل الإله الحكيم ، وذلك  
باتباع ست خصال حميدة هي

\* طهارة الفكر والكلمة والعمل

\* النظافة والبعد عن كل ما هو دنس

\* الإحسان بالفعل والقلب

\* الرفق بالحيوانات النافعة

\* القيام بالأعمال النافعة

\* مساعدة الذين لا يتيسر لهم تحصيل التعليم بتعليمهم

فالذين يتبعون هذه التعاليم يمكن أن يوصفوا بأنهم يسلكون سبيل  
الإله الواحد الحكيم

\* \* \*

وهـ - كذا مضت الأيام

وبعد ثلثمائة عام من موت زرادشت غزا الإسكندر الأكبر أرض  
فارس وحطم الأفيستا ٠٠ وأقام بدل الزرادشتية عقيدة اليونان

ولكن شعب فارس لم يشأ التخلي عن عقيدته وأخذ يعلمها  
لأبنائه سرّاً

فلما استقلت فارس عن الحكم الأجنبي بعد خمسمائة عام تقريباً ، أعادوا  
تعاليم زرادشت ثانية ٠٠ وجمعوا الأجزاء القديمة من الأفيستا في كتاب  
واحد ، برغم أن جزءاً كبيراً كان قد صاع من الأفيستا القديمة ومع  
ذلك فإن الأفيستا الجديدة الباقية بدأت تنتشر في جميع أنحاء فارس  
وبنيت معابد جديدة للنار ٠٠ أبقى النار مشتعلة فيها رمزاً للإله الحكيم  
الواحد الخالد.

بما أتباع  
زرادشت



وبعد أربعائة عام ، أحرى غزا العرب فارس ، وحاءوا بديهم الجديد  
الذى أرسل به محمد . . وهو الإسلام

ولكن عدداً من الناس في إيران فصلوا الموت على اعتناق الدين  
الجديد . . وإن فصل عدد آخر منهم اعتناق الإسلام أما الآخرون  
فقد هربوا إلى بلاد سمح لهم فيها بممارسة طقوس عبادتهم كما يشاءون  
واليوم . . لم يبق في إيران — أرض فارس القديمة — سوى القليابين  
جداً من الزرادشتيين أما أغلب أتباع هذه العقيدة فيعيشون في الهند  
البلد الذى هربوا إليه منذ أكثر من ١٣٢٠ سنة

وإذا كان هؤلاء الزرادشتيون الذين يسمون الآن بالمجوس يعتقدون  
أن عقيدتهم هي أفضل عقيدة في العالم إلا أنهم لم يعاموها للهندوكيين .  
وإيس هذا محسب . بل إنهم محرمون على أى إنسان لم يولد زرادشتياً  
أن يعتقد هذا الدين .

فلقد تبين المجوس أن أفضل الهندوكيين وهم أكثرهم نصيباً من التعليم ،  
من ينتمون إلى الطوائف العليا هؤلاء لن يتخلوا عن الهندوكية ويعتقدوا  
ثانية عقيدة أخرى ، كما تبينوا أن الهندوكى الوحيد الذى يمكن أن  
يقبل اعتناق عقيدة جديدة هو الذى ينتمى إلى طائفة المنبوذين ، لأنه يحاول  
أن يجد تعاليم عقيدة جديدة تشعره بأنه صالح مثل الذين يفوقونه . وتبين  
المجوس أنهم إذا سمحوا للطبقات الدنيا من بين شعب الهند باعتناق عقيدتهم ،  
فمعنى هذا أن تنقلب الزرادشتية بسرعة إلى عبادة الأصنام من جديد .

من أجل هذا قرروا أنه من الخير لهم ألا يكون هناك سوى قلة من  
الأتباع الجديرين بالعقيدة . من أن يكون هناك كثيرون من غير  
الجديرين بها .

وليس هناك الآن سوى ١٢٠ ألف مجوسى فى العالم . ومع ذلك فهذه العقيدة رغم قلة عدد أتباعها اليوم فهى ذات أهمية كبرى من حيث تأثيرها فى العقائد الأخرى .

ولا تزال جماعتهم حفيظة على كتبها المقدسة ، مخلص لها وتدرسها برغم ما أدخل عليها من تغييرات ، ولا تزال تقدر النار والتراب والأرض والماء كرموز للإله وتعرض موتاها فى أبراج الصمت للطيور الجارحة حتى لا تدرس العناصر المقدسة بدفنها فى الأرض أو حرقها فى الهواء . . . وهم قوم ذوو أخلاق سامية وآداب رفيعة تشهد مما كان للدين الزرادشتى من أثر عظيم فى تهذيب الناس وتمدينهم وإيمانهم بالخير .

ملعوناً تكون في المدينة ،  
وملعوناً تكون في الحقل  
ملعوناً تكون ثمرة بطوك وثمره أرضك  
ملعوناً تكون في دخولك وخروجك  
يرسل الرب عليك اللعن والزجر  
في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله  
حتى تهلك وتفنى سريعاً  
من أجل سوء أفعالك إذ تركتني .  
ياصق بك الرب الوباء ،  
حتى يبديك عن الأرض ،  
التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها  
يغير بك الرب بالسل والحصى والبرداه ،  
والالتهاب والجفاف واللفح والذبول ،  
فتدبعك حتى تفنيك .  
يغير بك الرب بجمون وعمى وحيرة قلب ،  
أيضاً كل مرض وكل ضربة ،  
لم تكتب في سفر الناموس ،  
هذا يسلطه الرب عليك ،  
حتى تهلك .



# يا أحمقاء بهواه أكرهوا الشر!

لم يكن إبراهيم بن تارح يستطيع أن يتنفس بعد ..  
قالبيت كله غارق في نقايات من الحجارة والطين والخشب ..  
وجوانب الدار لآخلاق من تماثيل منحوتة ومصنوعة .. والأب لا يكاد  
ينفض يديه من أدوات النحت والنجارة يصنع بها آلهة ومعبودات يصلى  
لها الناس ويتعبدون .. وحتى أخواه ناحور وحران لا يكادان  
يعودان معه من أرض المرعى الأخضر في وادي الفرات، حتى يتركا  
ليغرقا مع أبيهم العجوز في صنع الأصنام بقية الليل والنهار !  
ويطل إبراهيم حوله ويتأمل كل ذلك الذى يدور في بيوت  
أور .. تلك المدينة التى ولد فيها من أراضى الكلدانيين  
ويتساءل

كيف يمكن أن يعيش قوم في مثل ذلك الضلال والجهل  
كل آمال حياتهم موضوعة في تماثيل يصنعها أبوه وأخواه بأيديهم  
من طين وحجر !؟  
كيف يمكن أن يركع هو نفسه ويصلى في المساء أمام صنم صغير  
لثعلب، رأى أباه وهو يعجن طينه ويشكله في الصباح !  
ماهى القوة الحارقة والقدسية الغريبة لمثل هذه المعبودات المصنوعة  
من طين ..؟!؟

ولطالما خطرت كل هذه الأسئلة لإبراهيم بن تارح وهو يعيش  
في ذلك الزمن منذ أربعة آلاف عام ولكنه بدلا من أن يجد  
رداً مقنعاً عليها، كانت تنهال على رأسه أسئلة أخرى عديدة لا يجرو  
على أن يستفسر عنها من أبيه وكل كهنة أور، فهو يعلم أن الشك في



قدسية المعبودات إنما هو إثم كبير جداً في بلاد الكلدان .  
ولكن فجأة . حدث ما لم يجرؤ أحد على فعل مثله من  
قبل قط

### عظيم الأصنام

فبينما إبراهيم وحده في حانوت أبيه ، إذ خطر له أن يأخذ فأساً  
ويحطم به كل الأصنام إلا واحداً كان أكبرها حجاً وشكلاً وعندما  
انتهى من تحطيم كل الآلهة وضع الفأس في يد الصم الذي لم يحطمه ،  
ثم جلس ليرى ما الذي يمكن أن يحدث بعد . ؟

ومضت ساعة ثم وصل أبوه تارح العجور ومعه بعض قومه  
وفتح الرجل عينيه في جنون وهو يرى كل مالدیه من أصنام قومه  
حطاماً . وثار به غضب شديد واتجه إلى ولده في غيظ وهو يصرخ  
- أهو أنت الذي فعلت هذا بألهتنا يا إبراهيم ..!؟

وأجاب إبراهيم وهو يشير إلى الصم الوحيد الباقي من مجموعة

### الأصنام

- بل فعله كبيرهم هذا إذ اختلف معهم فتناول الفأس وأنهال  
ها في هياج شديد ليدمرها تدميراً  
وصاح تارح:

- ذلك كذب وإنك لتعلم أن هذه الأصنام لا تستطيع أن تتنازع  
وتتقاتل إنك أنت الذي فعلت ذلك بألهتنا

### وسأله إبراهيم

- إذا صح ما تقوله يا أبت من أن هذه الأصنام لا تستطيع أن تفعل

شيئاً قط .. فلأى شيء تصلح إذن !؟

ولم يكن تارح قد سمع مثل هذا السؤال من قبل .. ولهذا لم يكن

يعرف لماذا يجب .. ولم يستطع إلا أن يرد في صوت خفيض :

- إلهها تعبد .. ؟

وأجاب إبراهيم وهو يطل إلى أبيه ومن معه

- لها أعين ولكنها لا تبصر وآذان ولكنها لا تسمع وأيد ولكنها لا تتحرك. فمن المؤكد إذن أنها لا تصلح لشيء .. لهذا كسرهما فإكان من المعقول أن تعبدوا ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم.

وقال تارح

وما الذى يجب على الناس أن يعبدوه ؟

أجاب الفتى

يعبدون الآلهة التى خلقت الشمس والقمر والنجوم يعبدون الآلهة التى تأتى بكل موسم فى موسمه ، وتعطينا المطر ، وتجعل الحقول غنية بالمراعى والتعاج مثقلات بالحملان .

وبدت هذه الكلمات غريبة جريئة وهى تصدر من ابن عابد أصنام.

وعندما ذاع فى أور نبأ ما فعله أكبر أبناء تارح بأصنام أبيه وما قال

عنها لم يعد من المأمون بقاء إبراهيم وأسرته فى ذلك البلد

ولم يجد إبراهيم بداً من الهرب بعيداً عن مسقط رأسه .. فانطلق ومعه

زوجه وبعض أقاربه وخدمه ، بل وقطعان أغنامهم وماشيئهم .. وأخذوا

يضربون فى الأرض حتى بلغوا أرض كنعان التى تستوطنها قبيلة

كنعان العربية النازحة من جزيرة العرب

وأطلق أهل كنعان على ضيفهم إبراهيم اسم «عبرى» ومعناه الرجل

الذى جاء عبر دجلة والفرات .. كما سموا أسرته بالعبريين

\* \* \*

مضت الأيام بإبراهيم وإله العبريين فى أرض كنعان ..

سفر إسرائيل

وإذا كان هؤلاء العبريون يختلفون عن الكنعانيين وغيرهم من القبائل





التي تعيش بالقرب من تلك البلاد أو بعيداً عنها .. وإذا كانوا لم يختلفوا عنهم كثيراً في كلامهم أو في مظهرهم .. فقد اختلفوا عن بقية الشعب في أن جميع القبائل الأخرى كانت تعبد الأصنام .. أما هؤلاء العبريون فقد كانوا يتبعون تعاليم إبراهيم ويؤمنون بأن الأصنام يجب ألا تعبد على الإطلاق

وراحت الأعوام تمضي .. والعبريون يتكاثرون ويتزايدون ..

وأصبح لإبراهيم محطم الأصنام ولد اسمه إسحق .. وجاء لإسحق ولد اسمه يعقوب وكان ليعقوب ابن إسحق اسم آخر هو إسرائيل ولهذا سمي أبناؤه بني إسرائيل .. أو الإسرائيليين .

ولم يمض وقت طويل حتى أصبح الإسرائيليون قبيلة قوية كبيرة العدد . وصاروا رعاة ينتقلون من مكان لآخر بحثاً عن المراعى الخصبة التي يحتاج إليها الرعاة .

على أن بني إسرائيل لم يرتعوا طويلاً في الرخاء الجديد . فلم تكد الهجرة إلى مصر تمضي سنوات حتى حلت المجاعة في أرض كنعان وما جاورها . ولم يجد الإسرائيليون أمامهم سوى أن يذهبوا إلى مصر التي سمعوا عن وفرة غذائها وغنى مراعيها وكما هي عادة المصريين دائماً سمحوا لضيوفهم الوافدين عليهم بالاستقرار في إقليم جوشين بالقرب من سهر النيل .

وعاش العبريون القادمون من كنعان وصحراء شور سعداء في أرض جوشين بمصر وتكاثروا عددهم عاماً بعد عام ولكنهم ظلوا في عزلة عن المصريين ومعبوداتهم وعقائدهم

والحق لقد كانت معبودات المصريين غريبة مذهلة وكان لهم عدد من الأصنام لم يوجد عند شعب آخر من شعوب تلك الأيام . وكانت .

معابدهم وقصورهم وبيوتهم مليئة بالأصنام من كل نوع وحجم ، وكان من الطبيعي أن يكره المصريون أولئك العبريين الذين لم يشاركوهم عبادة آلهتهم . . إلا أن الكراهية تحولت مع مضي الوقت وتكاثر عدد العبريين إلى خوف من أن يسيطر هؤلاء العبريون بعقيدتهم ، فيقضوا بذلك على المعبودات التي عاشت وقتاً طويلاً قوية مقدسة .

وذات يوم استدعى فرعون كهنته وسحرته وحكاه . . وسألهم عما يفعله بالعبريين قبل أن يزداد عددهم ويستفحل خطرهم على البلاد .

قال الحكماء لفرعون : إن العبيد لا يفكرون لأنفسهم بل هم يفكرون في العادة تفكير سادتهم . وإذا نحن أسرنا اليهود واستعبدناهم فإنهم سيجدون أنفسهم بالرغم منهم يفكرون كما نفكر ويعتقدون كما نعتقد

وأخذ الملك بالنصيحة . وتحقق بالفعل ما أشار به الحكماء . إذ حالما تم استعباد العبريين أخذوا بالتدريج يتحولون عن عقيدتهم ، ويفكرون بالطريقة التي يفكر بها المصريون ، ويعبدون الآلهة والأصنام التي عبدها المصريون

ومع ذلك فقد ظلوا بمعزل عن شعب مصر الذي اكتشف بالفعل أن بنى إسرائيل كانوا يتآمرون عليه . ولم يجد فرعون إلا أن يذلهم ويسخرهم في عمل اللبن والبناء وغير ذلك من شاق الأعمال . و وكل بهم من يتبعهم حتى لا يحسوا حاجة ولا يجدوا فرصة لزيادة نسايمهم قط . ومع كل ذلك فقد ظل عدد العبريين في تزايد مستمر . ومع الفقر الذي كانوا يعانونه انتشرت بينهم الأمراض وأصبحوا بما يعيشون فيه من ألوان الجوع والقدارة مصدر قلق لفرعون وشعب مصر .

ونادى فرعون كهنته وسحرته وحكاه من جديد وقال لهم

— لقد استعبدنا العبريين ولكمهم مع ذلك ظلوا بمعزل عن الشعب  
المصرى وربما كانوا يتآمرون ضدنا . فما الذى نفعل بهم ؟

قال الحكماء

لنسن قانوناً يقضى بإغراق كل ولد يولد للعبريين حتى لا يزداد  
نسلهم أكثر من ذلك .. وعندئذ تصطر بناهم إلى الزواج من المصريين  
ويصبحن مصريات مثلنا .

سرفرعون بهذا الاقتراح . وسن قانوناً بإغراق كل مولود ذكر  
تلدّه عبرية . وذات يوم ولد طفل عبرى صغير لرجل اسمه عمران من  
زوجته يوكابد .. وكان اسم الصبي موسى . وطبقاً للقانون الجديد كان  
لابد للصبي أن يموت غرقاً .. ولكن أمه لم تستطع احتمال موت ولدها ،  
وجهدت أن تخبئه عن عيون من يطلبون أطفال بنى إسرائيل لإغراقهم .  
وعندما خشيت أن يفتضح أمرها خاصة بعد أن ظلت تخبئه ثلاثة شهور ،  
راحت تفكر فى وسيلة تنجى بها ولدها من الموت .. فألهمها السماء أن  
تضع الطفل فى سلة .. وتركه يسبح فوق سطح النيل  
وهكذا كان . وبدأت قصة موسى .. رسول الله .. وبنى إسرائيل ..

عندما جاءت روجة فرعون إلى النيل تستحم بعد ظهر ذلك اليوم  
عثرت على الطفل فى سلته . وأعجبت المرأة بالوليد ، ولم تجد ما يمنعها  
من أن تأخذه معها ، حيث استطاعت أن تقنع زوجها بالألا يعتله .. فلعله  
لا يكون عبرياً ، ولعله أن يكون قرّة عين لها وولداً

وتعلم موسى وشب فى قصر فرعون .. وكان قوى البدن عظيم القوة ،  
ولكن يبدو أنه عندما كبر واستطاع أن يفهم ، اكتشف أنه عبرى

من ذلك الشعب المضطهد من فرعون وشعبه . فقرر في أعماقه أن يكون  
ظهيراً للعبريين

وذات يوم ، رأى موسى أحد الموكلين بالعبيد وهو يضرب عبيدين  
عبريين بقسوة وشدة فهاج موسى وقتل المصري

لم يكن قتل مصري من عبراني من السهولة بحيث يمضى بغير  
عقاب ، خاصة وأن العبري الذي أنقذه موسى خان منقذه وكشف عن اسمه ..  
وأرسل فرعون بمن يبحثون عنه

هرب موسى

عندئذ تبين موسى أن وجوده في مصر لم يعد مأموناً قط فأسرع  
بالهرب إلى الصحراء .. وظل يضرب فيها حتى بلغ صحراء مدين  
حول خليج العقبة

وهناك . عند بئر مدين ، وجد موسى قوماً كثيرين حول البئر ،  
يسقون ماشيتهم ويملاؤن جرارهم ، بينما وقفت فتاتان صغيرتان بعيداً  
في انتظار أن ينتهي القوم حتى تملأ جزارهما وتسقيا ماشيتهما .  
واقرب موسى وساعد الفتاتين ، اللتين أنطلقتا إلى أبيهما شعيب  
محمكيان له ما حدث . فأرسل أحدهما لاستدعاء موسى حيث رحب به ودعاه  
للإقامة لديه .

وذات يوم دخل موسى حديقة شعيب ، ووقف طويلاً أمام عصا  
مغروسة في الأرض بين الأشجار .. وكانت العصا في ظاهرها تبدو  
عادية مستديرة ناعمة كتلك العصي التي يحملها الرعاة ولكن كان  
فيها شيء غريب لم يدر كنهه

وسأل موسى شعيب : لماذا زرعت هذه العصا في حديقتك ؟

وتلفت شعيب حوله في الحديقة ثم قال

لهذه العصا قصة . فعندما مات يوسف بن يعقوب في مصر ، أخذ كل





موسى  
كاتب التوراة  
ونبي اسرائيل



الشمعدان المقدس  
ذو الفروع السبعة  
رمز النور السرمدي  
الحال . . في المابد  
اليهودية بأورشليم



متاعه إلى قصر فرعون وعندما رأيت العصا أعجبتني .. وكنت وقتئذ  
كبير الكهنة في القصر. وسألت فرعون إذا كان ممكناً أن آخذ هذه العصا ،  
ولم يبخل على الملك بها فأخذتها معي

وعندما جئت فيما بعد إلى هذا المكان غرست العصا في الأرض  
صدقة .. فلم أكد أفعل حتى امتدت لها جذور قوية في الأرض، وأصبح  
من العسير على أى إنسان أن ينتزعها .. حتى أن كل الرجال الأقوياء في  
مدين حاولوا جذبها ولكنهم فشلوا جميعاً . وهكذا ظلت مفروسة في  
الأرض منذ ذلك الحين .

وأطل موسى وقد ضاقت عيناه كمن يحاول أن يذكر شيئاً . واقترب  
أكثر من العصا يتأملها بعناية بالغة وفجأة مد بصره جيداً إلى رأس  
العصا فإذا منقوش عليها ثلاث كلمات بالمبرية . وفوق الكلمات نقش  
الإسم الأعظم .

ونظر موسى إلى شعيب وقال له : نعم .. لهذه العصا قصة !.

وسأله شعيب في استغراب : قصة أخرى !؟

قال موسى : نعم ففي نهاية اليوم السادس من أيام خلق الكون .  
وقبيل انتهاء الأسبوع الأول وبدء السبت .. أتم الله خلقه مخلوق العجائب  
العشر .. وهذه العصا بالذات هي إحدى تلك العجائب ..

ونظر شعيب إلى العصا في دهشة وقال : هذه العصا ؟

قال موسى : نعم هذه العصا لقد أعطيت لآدم عندما كان لا يزال  
في جنة عدن وأعطاه آدم لأحد أبنائه .. وهذا أعطاه لآخر حتى  
وصلت العصا لإبراهيم الذي أعطاه لإسحق وأعطاه إسحق ليعقوب الذي  
جاء بها إلى مصر وأعطاه ليوسف .. وهاهي أمامك !

وكان موسى غريباً في أرض مدين فظنه شعيب واحداً من أولئك  
الذين يقصون قصصاً رائعة مليئة بالخرافة

وسأله شعيب ومن أين لي أنك صادق في كلامك؟

أجاب موسى: ألم تقل أن أحداً حتى أقوى الرجال في مدين لم يستطع  
انتزاع العصا من الأرض!؟

أجاب شعيب بلى

ومضى موسى نحو العصا . ومد يده إليها فانتزعها من الأرض في يسر  
كبير ، وكأنها عصا عادية غرست في أرض من رمل .

عندئذ فقط . عرف شعيب أن موسى لا بد أن يكون رجلاً عظيماً  
وطلب إليه أن يخدمه رعى غنمه ثمانى سنوات في نظير أن يزوجه  
بإحدى ابنتيه .

ومنذ ذلك اليوم صار موسى صهراً للشعيب . . وراعياً لأغنامه الوفيرة  
في أرض مدين .

\* \* \*

ذات يوم بينما موسى يرعى غنمه بعصاه التي وجدها في أرض شعيب  
ومعه امرأته ، ضل الطريق وإذ كانت الليلة باردة فقد أراد أن يشعل  
ناراً ، ولكن الزند عاكس ولم يشعل النار . وبينما هو حائر إذ شهد ناراً  
من بعيد فقال لامرأته «أمكثي أنى آنت ناراً لعل آتيك منها بقبس  
أو أجد على النار هدى فاسأل من عندها عن الطريق يهدوننا» .

الرسالة



واقترب موسى من النار فوجدها في شجرة عليق . . والنار لا تشعل  
الشجرة وهي لا تنطفئ أيضاً .

وشغل موسى بما حوله . ونجاة انطلق صوت من وسط النار يناديه  
« يا موسى، إني أنا الله رب العالمين »

وسمع موسى الصوت يأمره بأن يخضع نعليه ، تخلعهما ، وعندئذ عاد  
الصوت يسأله : — وما تلك بيمينك يا موسى ؟

قال هي عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها  
مآرب أخرى .

وأمره الصوت بأن يلقي العصا . ولم يكذب يلقيها حتى اقبلت حية تسعى  
في الأرض . وأخذ به الرعب غير أن صوت الرب أمره ألا يخاف ، وعادت  
العصا سيرها الأولى . وعاد الصوت يقول له :

« أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء »

وفعل موسى ما أمر به ، فإذا يده تخرج بيضاء كالثلج ثم ردها في  
جيبه فعادت كما كانت ..

واستشعر موسى رعباً جديداً . غير أن الصوت قال له :

« هذان برهانان من ربك إلى فرعون ومثله » .

وعرف موسى أنها الرسالة وأدرك أن الصوت صوت ربه .. فطالب منه  
أن يشد أزره بأخيه هارون وهو يذهب إلى فرعون . .

وقد كان .

وخلف موسى وراءه زوجته وأبناءه في أرض مدين . . وأخذ طريقه  
إلى مصر . . وإلى قصر فرعون .

وأمام فرعون وقف موسى — ومعه أخوه هارون — يطالب بتحريره  
شعبه العبرانيين من العبودية . . وإطلاقهم إلى البرية ليعبدوا ربهم. الذي  
يؤمنون به . .

وسأله فرعون : ومن الذى بعثك لتطلب حرية العبريين ؟

أجاب موسى : الله رب العبريين يهوه أرسلنى إليك ، وقال دع شعبي  
يذهب حتى يمكن أن يخدمنى فى البرارى .

وقح فرعون « كتاب الآلهة » وأخذ يقرأ . وقرأ أسماء جميع آلهة  
مصر وجميع آلهة أدوم ومثواب . ولكنه لم يجد إسم « يهوه » قط بين تلك  
الأسماء ، فمز رأسه وقال لموسى :

— لم أستطع أن أجد إسم إلهك الذى تقول به .. وأنا هنا رب الآلهة  
الذى يعبدون .. ولن أدع العبريين يخرجون من أرضى ، فهم عبيدى وعبيد  
شعبي .

مضت كل محاولات موسى لهداية فرعون وشعبه عبثا . فبرغم إلحاحه  
الشديد على فرعون إلا أن هذا أجاهل دعوة موسى وسخر بالإله الذى يقول  
به . بل أن فرعون قال فى ملأ من قومه أنه سيتخذ الوسيلة للصمود إلى إله  
موسى ليصنى الحساب معه . وأمر بالفعل أحد مهندسيه واسمه هامان بإقامة  
صرح عال ليصعد عليه لمنازلة رب موسى . وعندما أقيم الصرح صعد  
فرعون فوقه وصوب سهمه إلى السماء ورمى به ، ففاد إليه النصل مخضبا  
بالدم ، وعندئذ قال فرعون : لقد قتلت إله موسى !

واستمر فرعون فى غيه يرفض الإيمان بما جاء به موسى ، ويرفض  
تحرير العبيد العبريين . ولم يجد موسى بدأً من أن يريه الآية التى جاء بها



من ربه . فالتقى العصا فانقلبت حية تسمى .. ووضع يده في جيبه فخرجت  
بيضاء من غير سوء .

وتكلم المصادر الإسرائيلية ما حدث فتقول :

إلا أن فرعون مع ذلك لم يؤمن ، بل أمر بإحضار كل السحرة ،  
حيث ألقوا عصيهم فانقلبت إلى ثعابين صغيرة ، ولم يكذب موسى يلقى بعصاه  
حتى تحولت إلى حية ابتلعت كل ثعابين السحرة . وبهت السحرة الذين  
علموا أن ذلك لا يمكن أن يكون سحراً . نحرروا ساجدين وأعلنوا إيمانهم  
برب موسى . ولكن فرعون استمر يظن .. بل وتنادى فأمر بتشديد  
العذاب على العبريين وتكليفهم بأشق مما كانوا يكلفون به . واستنجد  
بنو إسرائيل بموسى الذى انطلق من جديد إلى فرعون يبلغه ما أمره به ربه  
وينذره بما سيحقيق من العذاب بفرعون وقومه جزاء تكذيبهم إياه، وإذ رفض  
فرعون كل إنذارات موسى وسخر بها، أشار موسى إلى العصا في يده وهمس  
في أذن أخيه هارون الذى كان يرتعد من الخوف وقال له :

— لا تخف .. ولكن أنظر إلى ذلك الحرف الأول من الكلمة  
الأولى على رأس العصا، إنه يمثل كلمة ديم .. ومعناها الدم . إن إلهننا  
سيصيب المصريين بطاعون الدم .

والتفت موسى إلى فرعون وقال :

— إسمع يا فرعون .. بهذه العصا سيحيل ربي كل الماء في مصر إلى  
دم إذا لم تؤمن به .

وعاد فرعون يسخر .. فما كان يصدق كلمة مما قال موسى  
وأدار موسى العصا بطريقة معينة .. وعلى الفور استحال ماء الأنهار  
والترع والبحيرات والغدران والبرك والآبار في مصر إلى دم . وحيثما كان  
هناك ماء من قبل أصبح دما .

ومع ذلك أصر فرعون على عدم السماح للعبريين بالرحيل  
ونظر موسى إلى العصا ورأى الحرف الثاني ومعناه ضفادع  
وأدار العصا بطريقة معينة .. وسرعان ما أصبحت أرض مصر  
مغطاة بالضفادع .

وأصر فرعون على الرفض . ومن جديد نظر موسى إلى عصاه وأدارها  
فأصبحت مصر مليئة بقمل في حجم البيض ، وتعرضت أراضيها للأسراب  
هائلة من الجراد .

ولكن فرعون ظل مصراً على موقفه بعدم السماح للعبريين بالخروج .  
وعندئذ رفع موسى عصاه .. فنزل على المصريين وباء موت أول مولود ..  
عندئذ فقط . فزع فرعون . فقد كان هو أول مواليد أبيه ،  
وخشى أن يموت .

وهكذا سمح للعبريين بالخروج من مصر .. كما يقول اليهود ..  
وكأنه ما كانت الطرق التي اتبعها موسى فإنه أقنع فرعون  
أخيراً بإخلاء سبيل العبريين . وصدرت الأوامر بالسماح لهم بالخروج  
من البلاد .

وقاد موسى شعبه منذ ٢٢٠٠ سنة ٠٠ وقد فصم رباطهم من المصريين .  
على أن فرعون ندم بعد ذلك على إطلاق بني إسرائيل خاصة  
بعد أن بلغه ما فعلته نساء اليهود بالمصريات ، إذ استعرن حلين وزينتهن  
ثم مضين ولم يردن شيئاً منها لصاحباتها ، عندئذ جمع فرعون عدداً كبيراً  
من الجنود وسار بهم يتبع بني إسرائيل ليردهم إلى عبوديته .

في ذلك الوقت كان موسى ومعه بنو إسرائيل قد بلغوا ساحل البحر

الخروج

الأحر عند خليج السويس ، وعندما طلع عليهم فرعون وجيشه مع شروق الشمس أيقنوا بالهلاك غير أن موسى سكن من روعهم ودعا ربه . فأمره بأن يضرب البحر بمصاه . وعندما فعل موسى ذلك انقلب البحر حتى ظهر قاعه . . . وقاد موسى شعبه وراح يعبر بهم من الشاطئ الغربى إلى الشاطئ الشرقى . وعندما شهد فرعون ذلك أبى إلا أن يعبر فى أثرهم هو وجنوده . ولم يكذب بتوسط البحر مع جيشه حتى كان موسى وبنو إسرائيل قد آموا العبور . . . وعندئذ انطبق البحر على فرعون وجنوده فغرقوا جميعاً ولم يفلت منهم أحد قط

\* \* \*

كان بنو إسرائيل الذين انطلقوا مع موسى جيشاً كبيراً ، يرحلون على عودة إلى الوثنية ظهور الخليل وفي العربات وعلى أقدامهم ، يتبعون زعيمهم موسى شرقاً نحو فلسطين ، التى ادعوا أن ربهم يهوه قد وعدم إياها . . .

ولم يخجل طريقهم من المعجزات التى قدمها لهم رب موسى فنمتدا اشتد الحر وهم فى سهول صحراء سيناء ، وشكا بنو إسرائيل إلى موسى ، دعا ربه فساق الغمام ليظلمهم ويقيهم وهج الشمس . وعندما قل معهم الزاد أرسل الله لهم الرياح تحمل المن والسلوى — طيور السمان وغذاء كالعسل — ولما لم يجدوا ماء لشربهم أمر إله موسى أن يضرب الأرض فخرج لهم الماء من اثنتى عشرة عيناً

وخلال الطريق ترك موسى بنى إسرائيل ليصعد إلى جبل الطور ، ويمكث ثلاثين ليلة صائماً ليتلقى من ربه الوصايا التى ترسم الطريق للمؤمنين وامتدت الأيام الثلاثين فصارت أربعين ليلة .

وبينما كان موسى يفعل ذلك من أجل أن يعقد ميثاقاً بين يهوه وشعب

بنى إسرائيل كان هؤلاء يصنعون شيئاً عجيباً . لم يكن موسى ليتصور أن يحدث فقط .

فبرغم كل المعجزات التي أتاها موسى في سبيل إنقاذ بنى إسرائيل . والتي كان يجب أن تؤكد لهم أنها من صنع إلههم وإله آبائهم ، الواحد المنزه عن كل شريك ومعين . رغم كل ذلك كانت الوثنية لا تزال لاصقة بقلوب القوم الذين عاشوا أمداً طويلاً في مصر ، حيث ألفوا آلهة المصريين وقلدهم في وثنيتهم شأن المغلوب في تقليد الغالب .

وكما كانوا يرون المصريين وهم يعبدون آلهة يرونها في داخل المعابد . . فقد بدالبنى إسرائيل أنهم يستطيعون أيضاً رؤية إلههم متجسداً أمامهم في صورة ثور أو عجل أو بومة . منذ أن عبروا البحر وساروا في جبل سيناء . ولعلمهم أصيبوا بخيبة أمل عندما لم يروا أمامهم سوى الجبل . . وسأل بعضهم البعض :

« أين هذا الإله الذي حدثنا عنه موسى والذي وعدنا أن يوصلنا سالمين إلى أرض الميعاد ؟ »

واستطاع رجل ماكر منهم استغلال تلك الغيبة التي غابها موسى عن بنى إسرائيل ليلقى أمر ربه . فحجاء لهم بعجل له خوار وقال لهم « هذا إلهكم وإله موسى ، نسيه موسى هنا ، وذهب لملاقاته في الغيبة الطويلة . . » واقتنع القوم الذين في قلوبهم غرس الوثنية . وأعطوا لذلك الرجل واسمه السامري بعض حليهم فألقاها في النار ، وسبك منها عحلاً ذهبياً راحوا يعبدونه ، ويعتبرونه ربهم يهوه



على أن موسى عندما عاد وشهد ما كان منهم غضب غضباً شديداً . .

وعاقب يهوه بنى إسرائيل بأن جعلهم يقاتلون بعضهم بعضاً حتى قضى منهم عدد كبير بلغ مالا يقل عن ثلاثة آلاف شخص

ولكن يهوه عفا بعد ذلك عن بقى من بنى إسرائيل فواصلوا السير مع موسى فى الطريق إلى أرض فلسطين .

وكان على بنى إسرائيل أن يستولوا على تلك الأرض ويمتلكوها غير أن الذلة التى ملأت نفوسهم وتمسكن الهوان مهم جعلهم يجبنون عن أن يقاتلوا فى سبيل الحصول على الأرض بل قالوا لموسى عندما أصر على أن يقاتلوا « إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » .

وشكا موسى أمر بنى إسرائيل إلى ربه فعاقبهم الله بأن يتيهوا أربعين سنة قبل أن يستقروا فى أرض يعيشون عليها وصعد موسى إلى جبل ينظر إلى أرض فلسطين ولا يدخلها وهناك مات موسى ودفن فى كشيبة أحمر غريب .

\* \* \*

على أن موسى قبل أن يموت كان قد رسم لليهود طريقهم السوى .

فقد أمرت الوصايا بنى إسرائيل بعدة أشياء :

الوصايا العشر

\* ألا يتخذوا إلهاً غير يهوه « لا يكن لك إلهة أخرى أمامى » .

\* ألا يعبدوا أصناماً أو تماثيل من أى نوع « لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة مائما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن » .

\* ألا ينخذوا اسم يهوه لهواً ولعباً « لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلاً » .

\* أن يستريحوا في اليوم السابع من كل أسبوع وأن يسموا ذلك اليوم مقدساً « أذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل أولاً وتضع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك » .

\* أن يكرموا آباءهم وأمهاتهم « أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك »

\* ألا يقتلوا « لا تقتل »

\* ألا يفسقوا « لا تزن »

\* ألا يسرقوا « لا تسرق » .

\* ألا يكذبوا القسم ولا يكذبوا الشهادة « لا تشهد على قريبك شهادة زور » .

\* ألا يحسدوا الآخرين ولا يتمنوا الحصول على ما لديهم « لا تشته بيت قريبك ولا امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيء مما لقريبك »

ولم تكن هذه الوصايا تعلم أفكاراً جديدة . فقد كان المصريون يعرفون بعضها ويعلمونها أيضاً

ولكن كانت هناك وصيتان لم تسمع بهما من قبل قبائل إسرائيل .

فقد كان العبيد في مصر يعملون كل يوم من الأيام السبعة والآن يأمر موسى شعبه باسم يهوه أن يعملوا ستة أيام فقط ولا يعملوا يوم السبت ..





غير أن الوصية الأولى كانت هي الأخرى غريبة هامة . .

« أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر ومن بيت  
المسبودية . . لا يكن لك آلهة أخرى أمامى . . »

ففى هذه الوصية لم يقل موسى أن يهوه هو الإله الوحيد فى العالم ،  
بل أن ما قيل هو أن بنى إسرائيل يجب ألا يكوب لهم آلهة غير  
يهوه . .

وكانت هذه الوصية قد جعلت بنى إسرائيل يقسمون على الارتباط  
بيهوه . وكان هذا الاتفاق هو ما يجب أن يقوم دائماً بين يهوه وبنى  
إسرائيل . .

إلا أن بنى إسرائيل الذين كانت الوثنية قد تمكنت فى قلوبهم  
من جديد وهم فى صحراء سيناء . راحوا يتحدون موسى ويعاندونه  
ويطالبونه بأن يريهم إلههم

ولم يجد موسى إلا أن يدعو ربه ويشهده على تمرد بنى إسرائيل ..  
فنزّل غضب الرب عليهم وعاقبهم بالتيه فى البرية أربعين سنة ..

وعندما انتهت مدة العقوبة استطاع بنو إسرائيل العثور على الطريق الذى  
يوصلهم إلى أرض كنعان .. نفس الأرض التى هاجروا إليها ذات يوم  
حيناً هربوا من قومهم الكلدانيين .

وأخذ بنو إسرائيل طريقهم إلى كنعان . . وهم يحملون معهم صندوقاً اغتصاب فلسطين  
صميراً كان موسى قد ملأه بالذهب والفضة ووضع فيه الموائيق وسماه تابوت  
العهد ، وقال لهم أنه فى هذا السقف توجد روح الإله يهوه . . وعندما وصلوا  
إلى هناك قاتلوا أهلها حتى دخلوها . واستقر بهم المقام فيها .

وكانت هذه هى قصة غزو بنى إسرائيل لأرض كنعان المحصنة ..  
التي سميت بعد ذلك فلسطين ..

ولكن بنى إسرائيل عندما استقروا فى أرض فلسطين ، بعد أن اغتصبوها  
بالقوة من أصحابها الكنعانيين ، وأصبحوا يفلحون الأرض وينبتون  
أشجار الزيتون والعنب .. بدأت أساليبهم وأفكارهم فى الحياة تتغير ..  
تماماً كما تغيروا هم أنفسهم من قبائل صحراوية رحل إلى فلاحين  
ورراع

والواقع أنه كان لا بد من أن يتم هذا التغيير ..

فالفلاح يعرف متعة البذر ولذة الجنى .. ويعرف الحزن الذى يسببه  
المطر الغزير عندما تفوق غزارته حاجة الأرض إلى الماء .. والحزن الذى  
يسببه صفاء السماء وخلوها من السحب حينما تكون هناك حاجة إلى المطر  
والفلاح يغنى أغاني الفرح وهو يجنى محصوله فى موسم الحصاد .. ويندب  
حظه ويملؤه الحزن عندما يحل بمحصوله وباء ..

ومع هذا التغيير كان لا بد أن يعتمد الإسرائيليون إلى إضافة أغان  
وترانيل زراعية .. إلى أغانيهم وترانيلهم الدينية فى الأعياد التى تميز  
الأحداث فى حياة الفلاح ..

وكانت هناك طريقة أخرى تختلف فيها حياة الفلاح عن حياة القبائل  
الرحل .

فالبدوى الضارب فى الصحراء لا جيران له ، بينما للفلاح جيران يجب  
أن يعرف أساليبهم ويفهمها ..

وقد يكون الجيران أصدقاء ، ولكنهم من ناحية أخرى قد يكونون

أعداء أيضاً . فإذا كانوا أصدقاء وجب الاحتفاظ بصدقاتهم ، وإذا كانوا أعداء وجبت مراقبتهم في شك كبير

ولما كان أبناء إسرائيل قد تحولوا من بدو إلى فلاحين ، كما تغيرت مشاكل حياتهم ، فقد وجب أن يتغير كذلك إلههم يهوه .

\* \* \*

رب اليهود وكان ذلك التغيير في أذهان الناس غريباً حقاً .

فن قبل .. عندما كان اليهود يخرقون الصحراء ... كان يهوه إلهاً متنقلاً لشعب متنقل يكافح معه في معاركه ويهزم أعداءه ..

وعندما دخلوا غزاة أرض كنعان .. صاغ اليهود يهوه في الصورة التي كانوا هم أنفسهم عليها ، فجعلوا منه إلهاً صارماً ، ذا نزعة حرية بالغة العنف ، وإن كان لا يطالب بالاعتقاد بأنه عالم بكل شيء ، حتى أنه لم يطلب إليهم أن يرشوا ييوسهم بدماء الكباش المضحاة ، حتى لا يهلك أبناؤهم مع من يهلكهم من أبناء أعدائهم . ولم يكن يهوه في أذهان يهود ذلك الوقت معصوماً عن الخطأ ، ومن أجل ذلك فقد ندم على خلقه للإنسان .. وإن كان ذلك الندم قد جاء بعد أن ضاعت الفرصة ولم يعد سبيل للتراجع كما جعله اليهود رباً شرهاً غضوباً متعطشاً للدماء متقلب الأطوار ، وإن كان في الوقت نفسه خجولاً لا يسمح للناس أن يروا منه إلا ظهره

وبدارب اليهود كما جاء في الأسفار الخمسة إلى الحرب ، يدعو للاستثمار والفتح ، ويقول إن الأرض التي فتحتها اليهود ملك له وحده ، وهو يرتكب في سبيل انتصار شعبه من ضروب الوحشية ألواناً بالغة العنف والقسوة إلى حد الظلم الرهيب .

على أن كل ذلك لم يستمر طويلاً . ف عندما استقر اليهود في أرض  
كنعان ، تطلعوا إلى ربهم ، وجعلوا منه إلهاً آخر يحميمهم من الأعداء  
بطريقة مسالمة ، ويمن عليهم بالمطر في مواسمه ، والريح عندما يكونون في  
حاجة إليها . . . والشمس حينما تكون الحاجة إليها أشد

وجعل اليهود رمزاً لروح إلههم تابوت العهد ذلك الصندوق  
الخشبي الذي يحتوي على ملفات السنين ووثائق الأنبياء . . . ولم يكن  
يسمح لأحد أن يمسه حتى أن « عزة الصالح » عندما مد يديه إلى  
التابوت لينعه من السقوط على الأرض وأمسكه لحظة قصيرة غضب  
الرب على عزة وضربه الرب هناك لأجل أنه يمد يده إلى التابوت  
فماز هناك أمام الله »

وإذا كان هذا هو إيمان اليهود بربهم . . . فقد كانت شرائعهم مختلفة  
كثيراً عن بقية الديانات والعقائد . . . فلم يكن في هذا الدين جسيم مخصص  
لعقاب المذنبين ، ولكن « شيول » وهي أرض الظلمات التي تحت  
الأرض ، لم تكن أقل هولاً من الجحيم وفيها يلقي بكل من يموت  
سواء كان طيباً أو خبيثاً ، ولا يستثنى سوى القربين إلى الله كموسى وإينوك  
وإيليا . . . على أن اليهود مع ذلك قليلاً ما كانوا يسيرون إلى حياة أخرى  
بعد الموت ولم يذكروا في أسفارهم شيئاً عن الخلود ، إذ كان الثواب  
والعقاب يتم في الحياة الدنيا . . . ولم تدر فكرة البعث في رؤوسهم إلا بعد  
أن فقدوا الأمل في أن يكون لهم سلطان على الأرض

\* \* \*

انقسام إسرائيل في أول الأمر كان يحكم شعب إسرائيل في فلسطين عدة قضاة  
كانوا هم قادة الشعب العسكريين ، ولكن بعد أن استمرت القبائل الإثنتا



عشرة لمدة ثلاثة قرون يحكمها قضاة ، جمعوا أمرهم في النهاية على إقامة  
مملكة واحدة ، اختاروا للملكها فلاحاً من بينهم اسمه شاول  
إلا أن مملكة إسرائيل المتحدة لم يقدر لها أن تدوم طويلاً  
فالذي حدث أنه لم يحكمها سوى ثلاثة ملوك هم شاول وداود  
وسليمان ..

ومع ذلك ففي أثناء حكم الملوك الثلاثة وصل مجد إسرائيل  
كمملكة إلى أعلى قمة .

وفي أثناء حكم الملك الثالث سليمان بنى أول هيكل كبير لعبادة  
يهوه بعد أن كان اليهود يقربون القرابين لإلههم في هياكل ساذجة  
فوق التلال

وكان هيكل سليمان يقوم فوق ربوة وكان يبدو في شكل  
سياج مربع يضم عدة أجنحة ، وفي صدر البناء الرئيسي مدخل كبير  
يبلغ ارتفاعه مائة وثمانين قدماً مرصع بالذهب .. وكان الذهب فضلاً  
عن ذلك يفتش كثيراً من أجزاء الهيكل مثل سقف البناء الرئيسي  
والأعمدة والأبواب والجدران والثريات والمصابيح ومقصات الفتائل  
والملاعق والمباخر كما كان فيه مائة حوض من الذهب وكانت  
الحجارة الكريمة ترصع أجزاء متفرقة منه ، كما ترصع تماثيل الملوك  
الذين يحرسان قدس الأقداس حيث استقر تابوت العهد الذي قالوا  
إن فيه رمز يهوه رب أرض فلسطين أما الجدران فكانت مشيدة  
من حجارة كبيرة مربعة ، وأما السقف والأعمدة والأبواب فكانت من  
خشب الأرز والزيتون المنقوش

والحق لقد كانت أيام حكم سليمان هي أغنى عهود مملكة إسرائيل  
التي أقامها شاول ، وقواها ووسع حدودها الملك داود ، ثم جعلها سليمان  
أغنى البقاع في كل المنطقة .

وبعد أن مات سليمان اختلف شعب المملكة العبرية المتحدة على أنفسهم . فقال شعب الشمال أن داود وسليمان ووزراءهما - وكانوا يقيمون في الجنوب - لم يعاملوا شعب الشمال على أنه شعبهم وقرروا إنشاء مملكة خاصة بهم .

وهكذا وجدت مملكتان في فلسطين مملكة إسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب .

ولقد أضعف التقسيم مملكتي أبناء إسرائيل أمام أعدائهم ، ولم يمض مائة عام بعد وفاة سليمان ، حتى غزا الآشوريون مملكة إسرائيل وساقوا أهلها أسرى إلى بلادهم بينما نقلوا الآخرين إلى بلاد أخرى مجاورة

ووضعت عدة كتب حول شعب مملكة إسرائيل المهزيم . كما قيلت عدة أساطير عنهم لأنه لم يعد لهم أثر في أى مكان . ويشار إليهم غالباً بأنهم قبائل إسرائيل النأهة .

أما مملكة يهوذا في الجنوب ، فقد كانت أحسن استعداداً للقتال ومقاومة الأعداء . واستمرت مملكتهم ١٦٠ عاماً بعد انقضاء عهد مملكة الشمال .

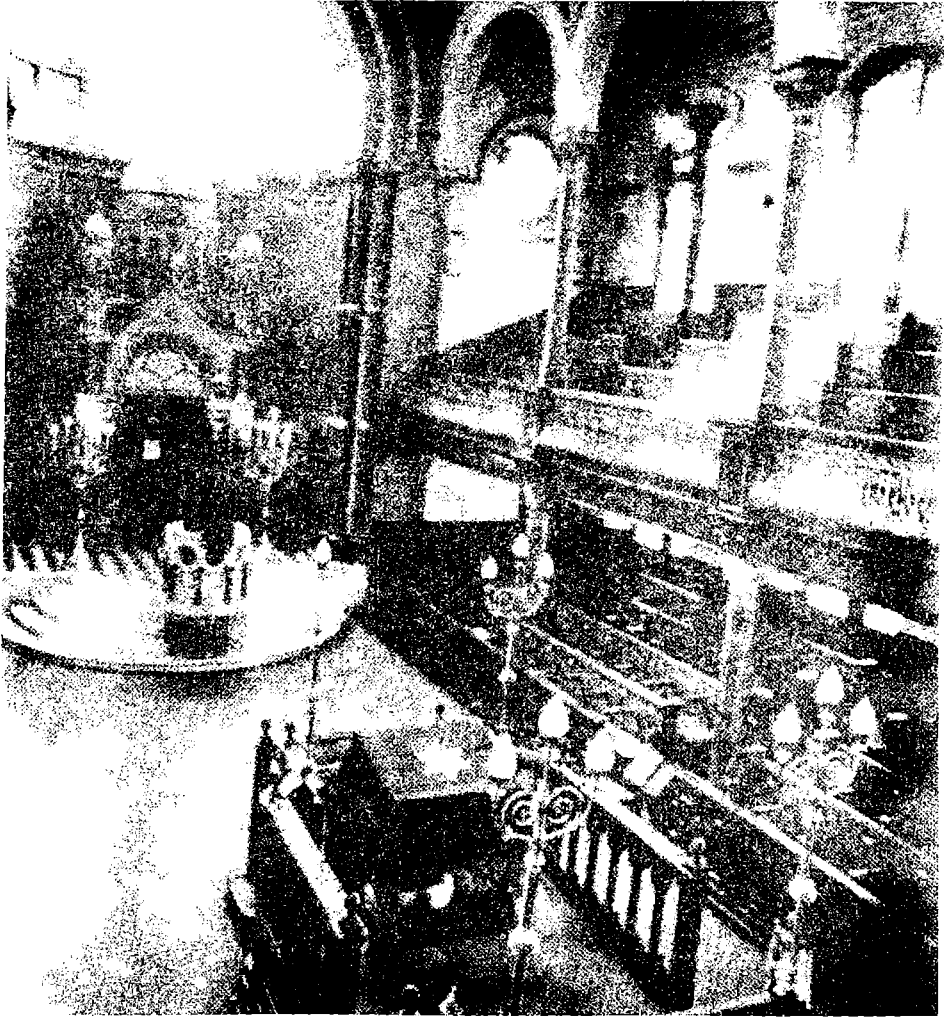
وعندئذ انقض البابليون عليهم وخرّبوا مدينتهم وأحرقوا معبدهم أورشليم وأخذوا الآلاف من شعب يهوذا أسرى إلى بابل .

\* \* \*

كان الإسرائيليون قد خرجوا من مصر شعباً محرراً من العبودية ومضى زاحفاً إلى أرض كنعان بأمال مشرقة وأغان بهيجة وبعد سبعة قرون سيقوا من أرضهم عبيداً وأسرى مرة أخرى وقلوبهم يائسة وشفاههم أطبقها الحزن

وغاصت مملكة إسرائيل كما تفرق السفينة وسط المحيط فلا تترك

الأمر



نجمۃ اسرائیل  
فی أحد معابد  
اليهود باورشليم



يدا النبي موسى  
المرفوعتان بمد  
إعلان الوصايا العشر



النبي أشعيا . ظهر في مملكة  
يهوذا وأخذ يتوسل للملك أهاز  
أن يظل على الحياد في الحرب بين  
أشور القوية ومملكة أفرام .  
وتحققت له عسدة معجزات





النبي يشوع  
ورئيس جنرال الرب



النبي حزقيال.. أحد أنبياء اليهود  
راح يندد بما شاع بين اليهود  
من فساد أدى الى أسرهم في بابل  
ولكن الحق في قلبه كان أخف  
قليلا مما كان في قلب أرميا



إسرائيليون يكون  
وتمسحون بحائط  
البيكي بأورشليم



وراءها أثراً. وبقضاء بابل على مملكة يهوذا انتهى الفصل الأخير من تاريخ  
أبناء إسرائيل

ولكن حدث شيء غريب أثناء ذهابهم أسرى ..  
فقد كانوا وهم مقيمون في أرض فلسطين يفكرون في يهوه على أنه  
إله فلسطين ..

أما الآن فقد تفرقوا بين الأمم وتحطمت المدينة المقدسة وأحرق هيكل  
يهوه فأصبح رماداً فأين الرب يهوه؟

واعتقد أبناء إسرائيل أن مرجع أحزانهم هو خطاياهم، وأن يهوه كان  
يعاقبهم كما أنذرهم من قبل ولكنهم مازالوا شعبه المختار وما زال  
هو إلههم الواحد

وبدا لهم أن يهوه كان معهم في الأسر. ولكن إذا كان  
يهوه لا يزال مع شعبه الذي ظل في فلسطين، وإذا كان أيضاً مع شعبه  
الذي أسرف في الشمال والجنوب والشرق والغرب .. إذن فلا بد أن يكون  
يهوه في كل مكان .

وبدا هذا الاكتشاف بأن إلههم في كل مكان .. كشفا عظيماً  
لأبناء إسرائيل. وساء هذا الاكتشاف فيما بعد على تغيير عقيدتهم  
تغييراً كبيراً

واستهتمت بابل بانتصارها في فلسطين على مملكة يهوذا إلا أن  
الأمر لم يدم بها طويلاً .. فقد حدث في تلك الأيام بأسيا الصغرى التي  
تقع في شمالهم الغربي، أن برزت مخالبا نسر يستعد الإيقضاض على الصقر  
الذي هوى على الأرنب ليفترسهما كليهما .

فإن البابليين بعد انقضاء خمسين عاماً من انتصارهم على مملكة يهوذا  
وقعوا في قبضة الفرس .

وأطلق الفرس على شعب مملكة يهودا اسم اليهود وأطلقوا  
على عقيدتهم اسم اليهودية

\* \* \*

التأثر  
بالزرادشتية

كان الفرس على علاقة طيبة باليهود ، فسمح لهم قورش ملك الفرس  
بالعودة إلى فلسطين من جديد وإعادة بناء مملكتهم وكان الاتجاه  
الودي من فارس نحو اليهود سبباً في أنهم درسوا العقيدة الفارسية وتعلموا  
عن الفرس عدة أشياء

وكان الفرس وقتئذ يدينون بالزرادشتية.. فتعلم اليهود منهم أن هناك  
في الوجود قوتين .. إله يسيطر على الخير يجارب قوة أخرى هي روح الشر.  
ولم يستطع اليهود أن يتصوروا وجود خالق ينقسم إلى قسمين  
وكانوا يؤمنون بأن إلهاً واحداً خلق النور والظلام والفرح والحزن  
والخير والشر

وكان اليهود قد استنتجوا أن يهوه لا بد أن يكون في كل مكان .  
وهام الآن يستنتجون أيضاً أن ذلك الإله الواحد الذى خلق العالم كان هو  
نفسه يهوه

وأصبح يهوه الذى ظنوه حامى أرض فلسطين ومملكة بيت داود  
وحدها .. هو نفسه خالق كل العالم.. والإله الواحد للجميع.

ولم يصل اليهود عن طريق دراسهم للزرادشتية إلى تلك النتيجة  
الهامة فحسب بل عرفوا أيضاً تعاليم حيوية غيرت عقيدتهم القديمة  
وكان من بين هذه التعاليم التى أخذها اليهود عن الزرادشتية الاعتقاد  
في حياة أخرى بعد الموت ولأول مرة عرفوا أيضاً أن هناك جنة وناراً .  
فتقلوا ذلك الاعتقاد إلى دينهم

وكان هناك اعتقاد آخر استعاره اليهود أيضاً من الزرادشتية هو المسيح المنتظر  
اعتقادهم بمجيء المسيح المنتظر

وعندما ضعفت قوة المملكة اليهودية وهزمها أعداؤها واصطهدوا اليهود،  
راح هؤلاء يرجون ظهور محلي لهم يكون بطلاً وطنياً من سلالة الملك  
داود، يستطيع إعادة المملكة اليهودية كما كانت، في أيام داود وسليمان

وبدأ اليهود أيضاً يفكرون في مسيحهم ومخلصهم على أنه أكثر من  
مجرد بطل وطني يعيد مملكة اليهود إلى مجدها وإن ظلوا يعتقدون  
أن المسيح الحقيقي لا بد أن يكون فعلاً من سلالة الملك داود، فيجمع جميع  
اليهود مرة أخرى في الأرض التي سكنوها وبدأوا يعتقدون أيضاً أن  
مسيحهم لا بد أن يأتي بالسعادة والسلام لجميع العالم.. فلا يعيس الناس  
وحدهم في العالم في سلام وسعادة، بل يسار كلهم في ذلك حتى الحيوانات في  
الغابة فالذئب يسالم الحمل، والفهد يسالم الجدى، والأسد يسالم العجل،  
ويصبح الجميع جيراناً مسالمين

وفي الوقت الذي عاد فيه اليهود إلى فلسطين واستطاعوا مساعدة  
الملك قورش أن يعيدوا بناء الهيكل المقدس في أورشليم، كانت عقيدتهم  
قد تغيرت تغييراً كبيراً

إلا أن سعادة اليهود بالعودة إلى فلسطين لم تدم طويلاً  
فعندما انهارت قوى الفرس أمام قوى أعدائهم، عاد اليهود يعانون  
الاضطهاد مرة أخرى إذ كانوا شعباً مهيباً الجناح، فلم يستطيعوا الدفاع  
عن أنفسهم ضد غزو الدول الكبرى التي نشأت في الغرب.  
ففي أول الأمر هزمهم الإغريق  
ثم جاء الرومان وحكموهم بالنار والحديد..

وكما اشتد الضغط على اليهود زادت حاجتهم وتطلعهم إلى ظهور  
المسيح ليخلصهم من العذاب والأحزان  
واستمر كفاح اليهود ضد الأعداء العديدين لهم قرابة مائتي عام .  
وأخيراً دمرت أورشليم مرة أخرى وأحرق الهيكل الثانى وتفرق اليهود  
فى عدة بلاد .

وكانت آخر أيام اليهود فى الأرض التى غزوها واستوطنوها هى عام ٧٠  
ميلادية أى أنهم عاشوا فيها قرابة ١٩٠٠ عام .. قبل أن يعودوا إلى اغتصابها  
من جديد .. وفى خلال ال ١٩٠٠ عام تغيرت اليهودية تغيراً كبيراً .. وإن ظل  
هناك فارق كبير بينها وبين العقائد التى سبقها .. هو أن تعاليم العقيدة  
لم يأت بها معلم واحد .. فهى ليست عقيدة شخصية التأسيس ..

فالبوذية هى العقيدة التى أسسها بوذا .. وإن كانت قد تغيرت بعد  
موته . والجائنتية هى العقيدة التى أنشأها الماهافيرا  
وأنشأ كونفوشيوس عقيدة الكونفوشيوسية .  
والداوية هى العقيدة التى أسسها الفيلسوف العجوز لاو — تسى .  
ولكن اليهودية ليس لها مؤسس واحد

ويخطئ الذين يعتقدون أن موسى هو منشئ اليهودية ..

فلقد كان إبراهيم هو أول رجل وضع حجر الزاوية فى اليهودية عندما  
قال : يجب ألا نعبد الأصنام .  
وأضاف موسى إلى هذه العقيدة الوصايا العشر والاعتقاد بأن اليهود  
هم شعب يهوه المختار .

ومت آراء اليهودية فى فلسطين الواحد بعد الآخر .. خاصة بعد ظهور

دين غير عالمي



أنبيائها خلال فترات الانهيار والفساد . واستعمار اليهود من الزرادشتية بعد عدة قرون كثيراً من التعاليم وضموها إلى عقيدتهم بعد أن غيروها وهكذا امت اليهودية وتطورت بنمو اليهود وتطورهم .

وهذا هو السبب في أن تاريخ عقيدة اليهود هو قصة كل طوائف اليهود . ولم تكن اليهودية عقيدة إيمان بقدر ما كانت طريقة للحياة . ولم تكن مجرد دين لليهود بل كانت حكومتهم .

وهذا هو السبب في أن اليهود رغم إيمانهم بوجود إله واحد في العالم . لم يصبح دينهم ديناً عالمياً لأن اليهودية لم تهتم إلا باليهود الذين موطنهم في اعتقادهم هو فلسطين . . . وعاصمتهم هي أورشليم

\* \* \*

غالباً ما كان يحدث واليهود في أرض فلسطين أن يفسد حكمهم ويحيد قاداتهم عن القانون المقدس وتعاليم الدين ويبدأ كثير من أفراد الشعب تقليد حكمهم من الغزاة الفاتحين . . حتى أن بعضهم اعتنق الوثنية . .

وكانت حرب الطبقات هي السبب الأساسي لذلك الفساد وهي حرب لم يندلع لهيبتها إلا بعد أن رأى الفقراء بأعيينهم ثروة سليمان الطائفة . . والفقراء عادة لا يعرفون أنهم فقراء إلا حين يبصرون الأغنياء بعيونهم وقد تطلب المشروعات الضخمة التي أقامها سليمان كثيراً من الكدح وفرضت على الشعب ضرائب باهظة وكان بعد ذلك أن وجدت طبقة من العمال المتعطلين كانوا أحد عوامل الشقاق السياسي والفساد الاجتماعي في فلسطين وكانت الأحياء القذرة تزداد شيئاً فشيئاً بينما تنمو ثروة الملوك ويزداد ترف الحاشية . . وأصبح استغلال الشعب والربا عادة مألوقة بين أصحاب الضياع الكبرى والتجار والمرابين .

ومع اتساع الثغرة بين دوى الحاجة وذوى انيسار ، ومع اشتداد النزاع بين المدن والريف ، انقسمت فلسطين بعد موت سليمان إلى مملكتين متعاديتين ، هما مملكة إفرايم الشمالية وعاصمتها السامرة ، ومملكة يهوذا الجنوبية وعاصمتها أورشليم . ومع الانقسام أيضاً أخذ الضعف يدب بين اليهود واشتملت فيهم نيران الحقد ..

وفي مثل تلك الظروف كان يهض واحد من بنى إسرائيل يدعو الشعب للعودة إلى قانونهم .. وباسم يهوه كانوا يتنبأون بما سيحدث لإسرائيل إذا لم يتبع اليهود طرق الاستقامة كما وصفها عقيدتهم . وكان هؤلاء الناس يسمون بالأنبياء .. وكلا حلت المتاعب باليهود ظهر الأنبياء يعلمون الشعب طرق الله ..

على أن هؤلاء الأنبياء لم يكونوا كلهم يستحقون الاحترام مثل ما استحقه عاموس وأشعيا بل كان بعضهم من المتنبئين الذين يستطيعون قراءة قلوب الناس وماضيهم ومخبروهم بالمستقبل حسبما يتقاضون منهم من أجور . ومهم متعصبون مهوسون يستثيرون مشاعر الناس بالأصوات الموسيقية الغريبة أو المشروبات القوية أو الرقص ، وينطقون في أثناء غيبوتهم بعبارات يراها أصحابهم وحياً أوحى إليهم وقد سخر أرميا سخرية لازعة من كل رجل مجنون ومتنبيء ، وكان منهم من هو ناسك نكد كايليا ، ومنهم آخرون يعيشون في مدارس أو أديرة مجاورة للها كل .. ولكن معظمهم كانت لهم أملاك خاصة وزوجات .

من هذا الحشد الكبير من النساك خرج أنبياء إسرائيل وأصبحوا على مر الزمن نقاداً لعصرهم ولشعبهم دائبين على تقدم . وكانت نبوءات بعضهم مزيجاً من الوعد والوعيد ، أو عبارات دالة على التقى والصلاح





وكان أغلبهم يأترون بنبوءاتهم على لسان الرب يهوه .

**عاموس**

فعاموس قال على لسان يهوه وهو يصب غضبه على ذوى الثراء المنغمسين في الترف والذين لا يرعون في الناس عهداً ولا ذمة « من أجل أنكم تدوسون المسكين وتأخذون منه هدية قح ، بنيتم بيوتاً من حجارة منحوتة ولا تسكنون فيها ، وغرستهم كروما شبية ولا تشربون خمرها ويل للمستريحين في صهيون . . أتمم المضطجعون على أسرة من العاج والمتمددون على فرشهم ، والآكلون فراخ من الفم ، ومجولاً من وسط الصيرة ، الهاذرون مع صوت الرباب ، المخترعون لأنفسهم آلات الغناء كداود ، الشاربون من كتوس الخمر والذين يدهنون بأفضل الأدهان كرهتم كرهت أعيادكم . إنى إذا قدمتم لى محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضى أبعد عنى ضجة أغانيك ونغمه أربابك لا أسمع ، وليجر الحق كال مياه ، والبر كنه دائم » وقد تحققت إحدى نبوءاته وهو لا يزال حياً فقد قال « هكذا قال الرب كما ينزع الراعى من فم الأسد كراعين أو قطعة أذن . . هكذا ينتزع بنو إسرائيل الجالسون فى السامرة من راوية السرير وعلى دمقس الفراش . . قبيد بيوت العاج وتضمحل البيوت العظيمة »

وقد حدث بالفعل أن الآشوريين غزوا البلاد واستولوا على السامرة وحطموها وأخذوا مائتى ألف أسير من اليهود ليكفونوا عبيداً للآشوريين .

**أشعيا**

وفى أثناء حصار الآشوريين لأورشليم . . أصبح نبى آخر اسمه أشعيا من أعظم أنبيائهم . . فقد ظهر فى مملكة يهوذا وأخذ يتوسل للملك « أهاز » ثم للملك « حزقيال » أن يظلا على الحياد فى الحرب بين آشور القوية ومملكة أفرام . وعندما حوصرت أورشليم نفسها نصح حزقيال بعدم التسليم وحدث أن انسحب ملك آشور ، فعند ذلك إحدى معجزات أشعيا

وكان أشعيا ينصح الناس أن يعاملوا بعضهم بالعدل ، وأن يتركوا الأمر بعد ذلك ليهوه ، وكان يزدري أشد الازدراء من يتظاهرون في العالم بالتقوى وهم يبتزون أموال الفقراء . قال على لسان يهوه

«لماذا لي كثرة ذبايحكم؟ قد آنحمت من محرقات كباش وشحم مسمنات.. رؤوس شهورك وأعيادكم بفضها نفسى.. صارت على ثقلا.. مللت حملها.. فحين تبسطون أيديكم أسترعيني عنكم ، وإن كثرت الصلاة لا أسمع أيديكم ملاآة دما . اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني كفوا عن فعل الشر تعاملوا فعل الخير أطلبوا الحق . انصفوا المظلوم أفضوا لليتيم ، حاموا عن الأرملة »

وختم أشعيا مواعظه بترديد أمل اليهود في ظهور مسيح يقضى على ما يبههم من انقسام وبؤس وشقاء ويعيد إلى الأرض الإخاء والسلام

«ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل .. وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً ورئيس السلام .. يقضى بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ويسكن الذئب مع الخروف ويربض التمر مع الجدى والعجل والشبل والسمن معاً وصبي صغير يسوقها »

والواقع أن عاموس وأشعيا هما اللذان بدأ في عصر الحروب بمجدان في أسفارهما فضائل البساطة والرحمة والتعاون بين الناس والإخاء ، وهى الفضائل التى جعلها يسوع أساساً جوهرياً لدينه بعد ذلك ، وكان هذان النبيان أيضاً أول من اضطلع بذلك العبء الثقيل ، عبء تحويل رب الجنود يهوه إلى إله حب وسلام .



ولعل أهم أثر لأنبياء بني إسرائيل في معاصريهم كان كتابة التوراة. فقد أحس الكهنة أن الشعب قد شرع يرتد عن عبادة يهوه كما رأوا الأنبياء يعززون إلى يهوه ما يجيش في صدورهم من عواطف يؤمنون بها ويعتقدونها . . فاعتزموا أن يبلغوا الناس رسالة من الله نفسه في صورة سنن إلهية تبعث النشاط والقوة في حياة الأمة الخلقية ، ويضمنون بها معونة الأنبياء . واستطاع الكهنة أن يضموا إلى جانبهم الملك « يوشيا » الذي أعلن الكاهن عزرا في عهده أنه عثر في سجلات الهيكل على ملف عجيب قضى فيه موسى نفسه في جميع المشكلات التاريخية والخلقية التي كانت مثار جدل عنيف بين الأنبياء والكهنة . ودعا الملك الكهنة وكبار القوم إلى الهيكل حيث تلا عليهم « سفر الشريعة » . وقد تأثر الشعب بما جاء في الشريعة الموسوية كما جاءت في تلك الوثائق . . واتهم الملك تلك الفرصة ليحطم جميع الأصنام المنافسة ليهوه والتي كانت توجد في الهيكل والمعابد .

على أن بابل زحفت من جديد على مملكتي إسرائيل فطمتهما وعاد نبوخذ نصر بالآلاف من الأسرى اليهود ليكونوا عبيدا في بلاده ، بعد أن حرق أورشليم وهدم هيكل سليمان .

وفي خلال تلك الأزمنة ظهر النبي أرميا أشد الأنبياء حقداً على فساد قومه فقد اشتعلت في صدره نيران الغضب حين رأى ما عليه قومه وزعمائهم من انحطاط في الأخلاق وحمق في السياسة . وخيل إليه أن كل ما يشهده من انحلال قد أنزله يهوه باليهود عقاباً لهم على ما ارتكبوه من الذنوب قال على لسان يهوه « فوتوا في شوارع أورشليم وانظروا واعرفوا وفتشوا في ساحاتها . . هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق فأصفيح عنها »

وأخذ أرميا يتوعد المناقضين الذين يخيثون إلى الهيكل متظاهرين بالتقى  
والصلاح وهم يحملون بمضما جمعوا من كدح الفقراء يقدمونه قرابين. وكان  
يسب اليهود أقذع سباب ويصور لهم ماسيحل بمن لا يستمعون إليه من  
هلاك. وقد حنق الكهنة عليه لتطاوله عليهم فأخذوه في الهيكل وأرادوا  
قتله ، غير أنه أفلت منهم بمعونة صديق له بين الكهنة وقبض عليه  
من جديد وربطه الأمراء في حبال وأنزلوه بها في بئر مملوءة بالوحل . وظل  
على ذلك أياماً ثم خفف عنه العقاب وسجن في فناء القصر حيث وجده  
البابليون حين سقطت في أيديهم أورشليم

\* \* \*

راحت النبوءات الجديدة تواصل سيرها وتحقق وجودها بين أبناء  
إسرائيل حتى بعد أن تم أسرهم في بابل

مرقال

وبين الأسرى اليهود في بابل ظهر نبي آخر اسمه حزقيال راح يندد  
بما شاع بين اليهود من فساد أدى إلى أسرهم ، ولكن الحقد في قلبه كان  
أخف قليلا مما كان في قلب أرميا ، إذ أعلن أن يهوه سينجي بقية من  
اليهود يبعثون أورشليم حية. وتنبأ بأن سيقام فيها معبد جديد وبأنها ستصير  
مدينة فاضلة للكهنة ، فيها الكلمة العليا والمقام الأعظم حيث يقيم يهوه  
مع شعبه أبد الدهر

وكان أشعيا الثاني أكثر رحمة وشفقة على شعبه . فراح يعلن لليهود  
المنفيين مبادئ التوحيد ويعرض عليهم إلهاً جديداً شقيقاً عليهم رحيماً  
بهم وكانت رسالته تهدف إلى بث الأمل في قلوب اليهود أيام استعبادهم  
وتبتعد عن صب اللعنات على الشعب المنفي وكان يقول

أشعيا الثاني

«روح السيد الرب على لأن الرب مسحني لأبشر المساكين . أرسلتني



لأعصب مكسورى القلب، لأنادى للمسيبين بالعتق والمأسورين بالإطلاق..  
وهو ذا الرب يأتى بقوة وذراعه تحسّم له كراع يرعى قطيعه ، بذراعه  
يجمع الحملان وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات «  
ويبشر أشعيا الثانى بالمسيح المنتقد ويصف «الخدام» الذى سينجى  
إسرائيل بالتضحية الأليمة فيقول

« محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن محتقر  
فلم تعتد به لكن أحراننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه  
مصابا مضروبا من الله ومذلولاً وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق  
لأجل آثامنا . والرب وضع عليه إثم جميعنا »

وهكذا كان الأنبياء يفسرون للشعب أسباب متاعبهم ويحثوهم على  
الرجوع عن آثامهم إلى طريق الله والخير فقد كان الأنبياء حكماء وعرفوا  
أنه من الخير يأتى الخير

وكان الملوك الفاسدون يكرهون الأنبياء وكان الكهنة يكرهوهم  
أيضاً

ولم يظهر الشعب حباً كبيراً لهؤلاء الناس

ولكن الأنبياء لم يكفوا عن تحذير الشعب بوجوب التحول عن طرق  
الشر. فهل كان ما يقولونه حقا؟ وهل كان عدلا؟ إذا كان حقا وعدلا فما  
كان حتى التهديد بالموت ليردهم عن دعواهم وكان أغلب الأنبياء  
فقراء وكانوا تون من التلال إلى الأسواق وإلى الهيكل وإلى حيث  
يختتم الناس ويقولون لهم تعاليمهم

وحتى الوقت الذى أسر البابليون فيه اليهود، كان الأنبياء هم رجال  
السياسة المقدسين فى إسرائيل

فكان الملك وحاشيته يشرفون على تنفيذ قوانين الهيكل .

وعلم الأنبياء الناس قوانين الحق والخير.

ولم يعلم الأنبياء اليهود مجرد اتباع طريق الخير وتماشى طريق الشر.. بل كانوا يقولون أنه على كل يهودى أن يشن الحرب على الشر فإن اليهود لهم رسالة فى الحياة وهى مكافحة الشر ونشر الخير وكان الأنبياء يقولون « يا أحبباء يهوه يا أحبباء يهوه ! كرهوا الشر »

\* \* \*

وراحت الأيام مضى باليهود أيام شقية مهينة قاسية

نفى اليهود

وخلال آخر حرب خاضوها فوق أرضهم قتل أكثر من مليون ونصف مليون يهودى .. وهدم القيصر طيطوس الذى هزم اليهود أسوار أورشليم. وأشعل النار فى المعبد الثانى من معابد الرب « يهوه » حتى بدا التل الذى يقوم عليه هذا المعبد وكأنما اشتعله اللهب كله وكان ذلك ختام الحرب اليهودية الكبرى وبداية نفى اليهود. ومنذ ذلك الوقت انتشر اليهود فى جميع أنحاء العالم.

وكما بدت مصاعب اليهود شديدة القسوة ، تفوق احتمالهم راز أملهم فى قدوم المسيح

وكثيراً ما ترددت بين اليهود فى منقاهم شائعات بأن المسيح قد جاء وظهر الذين ادعوا أنهم المسيح فى فارس وفى فلسطين وفى فرنسا وفى أسبانيا وفى غير ذلك من بلاد وجد فيها اليهود

وكان أشهر مسيح كاذب هو شبتاى رينى

المسيح الطائى

وقد ولد زينى فى أزميز عام ١٦٢٦ بعد اندلاع نار حرب الثلاثين سنة فى أوروبا بثمانية أعوام. وقاسى الناس فى جميع أنحاء أوروبا الكثير بسبب



هذه الحرب الطويلة . . وكان اليهود من بين الذين قاسوا كثيراً .  
أكثر من الآخرين .

وبمضى الحرب عاما بعد عام، وازدياد عذاب الناس وشقاوتهم ، بدأوا  
يؤمنون بأن نهاية العالم قد دنت . وأن الحرب تمهيد لقدوم مخلص  
البشرية .

ووضعت عدة كتب في إنجلترا وفرنسا وألمانيا حول مجيء مخلص  
البشرية . .

وحدد عام مجيئه بأنه عام ١٦٦٦

وكان اليهود في اعتقادهم بأن المخلص لا بد أن يكون من بيت داود ،  
يرجون أن يكون مجيؤه إنهاء لحياة المنفى التي يمجونها وعودتهم إلى فلسطين .  
ولا بد أن يكون زيفي قد سمع كثيراً من القصص حول المسيح المنتظر  
عندما كان لا يزال طفلاً بعد . . وعندما كبر بدأ يدرس كتاب دانيال الذي  
تنبأ بقدوم المسيح . ثم راح يصوم يوماً بعد يوم . ويبدو أنه حتى عندما  
كان غلاماً صغيراً كان يحلم بأن يصبح هو نفسه . . المسيح ..

واقرب عام ١٦٦٦ شيئاً فشيئاً . .

وكان زيفي في الثانية والعشرين حين وضعت حرب الثلاثين أوزارها .  
وفجأة . فوجيء أصحاب زيفي بصاحبهم يقف بينهم ذات يوم ويعلم  
أنه المسيح الحق المختار من الله لإعادة شعب إسرائيل إلى أورشليم . ولكن  
أحداً لم يأخذ كلامه مأخذ الجد .

وتبين زيفي أن الشعب في موطنه لا يريد الإنصات إليه . . فرحل

إلى سالونيك وأعلن هناك أنه هو المسيح المنتظر ولكن الناس سخروا به . فلم يجد أمامه إلا أن ينطلق إلى أورشليم لعله يجد أتباعا . ولكن الأتباع عزوا عليه هناك . فسافر إلى مصر بينا هو في الرابعة والثلاثين من العمر

وازداد اقتراب عام ١٦٦٦

وبقى زيني في القاهرة ثلاثة أعوام ، وتبعه قلة من الناس أعجبوا بإلمامه بكتب الدين . . وشجعه على السفر إلى أورشليم ، حيث وعد بالقيام ببعض المعجزات الكبرى في يوم الخلاص

وقضى زيني سهاره بأورشليم في صيام دائم ، وقضى ليليه في الصلاة . وبدأ الناس من حوله يعتقدون أنه المسيح حقاً . واشتهر اسم زيني تدريجياً في جميع أنحاء الشرق

وجاء عام ١٦٦٥ . . السابق لعام القيامة . .

وانطلق زيني إلى أزمير موطنه وهناك تلقاه حشد كبير من الناس فرحين مهللين مستبشرين بعودة السيد المبارك والملاك مسيح إله يعقوب . وذاع نبأ قدومه إلى أزمير في إيطاليا وفرنسا وألمانيا وهولندا وإنجلترا . ولبس الناس أخضر مالدتهم من ثياب وتجمعوا في الكنائس والميادين يرقصون ويفنون . ووزع الأثرياء ثرواتهم معتقدين أنه طالمًا ظهر المسيح ، فلم تعد بهم حاجة إلى الثروات فكل ما يريدون هو خلاص أرواحهم

وبدأت القصص العجيبة تنتقل هنا وهناك بين الناس ، بعضها عن سفينة غربية بديمة ظهرت فجأة في شمال اسكتلندا . . قلاعها وحبالها من حريرو ملاحوها يتكلمون اللغة العبرية ويرفرف عليها ولم كتب عليه « أسباط إسرائيل » .



ورن فرح اليهود في كل مكان بل إن الكثيرين من المسيحيين  
المتدينين آمنوا بأن زيفي هو مخلص البشرية المنتظر .. الحقيقى !

واقرب عام ١٦٦٦

وأرسل زيفي كلمة يقول فيها « إنه في يوم صيام اليهود يجب أن يقام  
عيد كبير » ومن أجل أن يؤكده أنه المسيح الحق بدأ رسالته بقوله

« من أول ابن لله شبتاي زيفي مسيح ومخلص شعب إسرائيل إلى

جميع أبناء إسرائيل السلام

.. لما كان قد قدر لكم أن تكونوا جديرين برؤية اليوم العظيم وإيجاز  
وعد الله إلى أبنائه .. فلا بد أن تغيروا أحزانكم فرحاً ووصومكم مرحاً  
لأنكم لن تبكوا بعد الآن . فاستمتعوا وغنوا واستبدلوا اليوم الذى كان  
من قبل يقضى في حزن وآلام إلى يوم عيد لأنى ظهرت »

وقوت هذه الرسالة إيمان الشعب في كل مكان .. فقد تأكدوا أن  
المسيح قد ظهر طالما أنه غير أيام الحزن والصوم إلى أعياد وحفلات

وبدأ فجر عام ١٦٦٦ يطلع على الناس .

وأمسك يهود العالم أنفاسهم منتظرين يهوه يعيد شعبه إلى فلسطين  
معجزة كبرى

غير أن شيئاً غريباً حدث في ذلك العام الذى طال انتظاره .. فبدلاً  
من أن يذهب زيفي جنوباً إلى أورشليم .. ذهب شمالاً إلى القسطنطينية ..  
وحالماً وصل إلى هناك ألقى القبض عليه بأمر السلطان وأودع السجن ..

وفي ١٦ سبتمبر ١٦٦٦ جىء بزيفي أمام السلطان وقيل له أن عليه  
أن يختار بين اعتناق الإسلام أو الإعدام بتهمة الخيانة .

واعتنق شبتاي دين الإسلام .

وتحول فرح اليهود الذين ينتظرون المسيح إلى حزن وغم مقيم .

\* \* \*

التلمود

كما حدث في كل عقيدة ودين لا تكاد تمضي عشرات قليلة من السنين حتى يلجأ رجال الدين إلى زيادة إضافات وتفسيرات إلى أصول العقيدة ، كثيراً ما خرجت بها إلى أنواع أخرى من العقائد قد لا تمت بصلة إلى الدين الأصلي عدا الإسم . والذي حدث مع بقية العقائد السابقة حدث أيضاً مع الدين اليهودي . فمع توالي الاضطهاد الذي نزل باليهود مع التطورات السياسية التي مرت بيني إسرائيل في أرض فلسطين ، ظهر نوع من الخاطامات احتفظوا لأنفسهم بحق تفسير التعاليم التي وصلت إليهم عن الفريسيين الذين كانوا متسلطين على الشعب اليهودي في عهد المسيح . وقال هؤلاء الخاطامات أن هناك مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية ومدنية وشروح وتفسيرات وتعاليم وروايات تعتبر تورا شفهية غير التوراة المكتوبة ، وأن هذه التعاليم كانت تتناقل وتدرس شفها من آن إلى آخر وخشى هؤلاء الخاطامات أن تضع هذه الأقوال والنصوص مع مرور الزمن ، فدونوا سراً بالكتابة سياجا للتوراه . وقبلت كسنة من موسى وسعى مادونه هؤلاء الخاطامات بالتلمود .

يتألف التلمود من قسمين : مشنا وجمارا

فالمشنا يضم خلاصة الشريعة الشفهية ومجموعة قوانين اليهود السياسية والمدنية والدينية . وقد بدأ جمعها الخبر شمعون جملثيل سنة ١٦٦ وأتمها الربى يهوذا سنة ٢١٦ ، والجمارا تحتوي على إيضاحات وشروح وتفسيرات وتعاليم وروايات تعتبر روايات وأحاديث الخاطامات .

وقد أوضح الخاطامات في تعاليمهم أن الله أعطى موسى الشريعة على

طور سيناء ، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاهاً، حتى إذا حدث فيما بعد أن تسلطت أمة أخرى على اليهود فإن التلمود يوجد الفرق بينهم وبين باقي الوثنيين من غير اليهود .

وليقنع المخاطبات اليهود بالتلمود ، فقد بذروا في النفوس أن لكل سلطة المخاطبات المخاطبات سلطة عليا وكل أقوالهم تعتبر صادرة من الله وأن مخافة المخاطبات هي مخافة الله . . « ويلزم المؤمن أن يعتبر أقوال المخاطبات كالشريعة ، لأن أقوالهم هي قول الله الحي . فإذا قال المخاطم أن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله، فما بالك إذا قال لك أن يدك اليمنى هي اليمنى ويدك اليسرى هي اليسرى ! » .

وفي التلمود تغيرت أصول العقيدة الحقيقية لليهودية الأولى **الله في التلمود**

فقد قال التلمود « أنه لاشغل الله في الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة » وأن النهار اثنا عشر ساعة : في الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة ، وفي الثلاث الثانية يحكم ، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك وهذا الحوت كبير جداً يمكن أن يتسع حلقه لسمكة طولها ثلاثمائة فرسخ دون أن تضايقه ، ونظراً لكبر حجمه فقد رأى الله أن يجرمه من زوجته لأنه إن لم يفعل ذلك امتلأت الدنيا وحوشاً تهلك من فيها ولهذا حبس الله الذكر لقوته الإلهية ، وقتل الأنثى ، وملحها وأعدّها لطعام المؤمنين في الجنة

ويقول التلمود أن الله ليس معصوماً من الخطأ فهو يندم على تركه اليهود شعبه المختار في حالة التعماسة عندما كتب الذلة والمسكنة عليهم وصرح بهدم أورشليم . ولهذا فهو يبكي وينوح كل يوم فتسقط من عينه دمتان

في البحر يسبح دويها من بدء العالم إلى هياته، وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأوقات فتحصل الزلازل وهو ليس معصوما من الطيش، لأنه حين يفضب يستولى عليه الطيش، كما حدث يوم أن غضب من بني إسرائيل في الصحراء وحلف أن يجرمهم من الحياة الأبدية . ولكنه ندم على ذلك بعد إفاقته ولم ينفذ القسم . والله يمكن أن يحنث في يمينه، بدليل أنه كذب بقصد الإصلاح بين إبراهيم وسارة زوجته . ولذلك فالكذب حسن سائق لأجل الإصلاح .

الملائكة  
والتياطين

وقسم التلعود للملائكة قسمين : قسم لا يطرأ عليه الموت وقسم آخر يصيبه الموت وللملائكة وظائف مختلفة . فمنهم من هو مخصص لحفظ الأعشاب ومنهم من هو مخصص للبرد وهناك ملائكة للنار وبعضهم مخصص للخير وبعضهم الآخر للشر ، وبعضهم لبث المحبة والصلح وبعض آخر لمراقبة حركة الشمس والقمر والكواكب !

أما الشياطين « فقد خلقهم الله يوم الجمعة وقت الغروب ولم يخلق لهم أجساداً ولا ملابس ، لأن يوم السبت كان قريباً فلم يكن لديه الوقت الكافي ليفعل ذلك . وبعضهم مخلوق من مركب مائي وناري ، والبعض من هواء والبعض الآخر من طين . وبعض الشياطين من نسل آدم الذي كان قد هجر حواء بعد اللعنة والتقى بانثين من نساء الشياطين فولدتا شياطين . ويستطيع الإنسان في بعض الأحوال قتل الشياطين إذا أجاد صناعة فطير الفصح » !

أما آدم وحواء فقد تم خلقهما بأن أخذ الله تراباً من جميع بقاع الأرض وكونه كتلة وخلقها جسماً ذا وجهين ، ثم شطره نصفين فصار أحدهما آدم والثاني حواء . وكان آدم طويلاً جداً فكانت رجلاه في الأرض ورأسه

آدم وهواء



في السماء وإذا نام كانت رأسه في المشرق وقدماه في المغرب فلما عصى  
آدم ربه نقص طولُه حتى صار كباقي الناس !

وخلق الله الأرواح في الأيام الستة الأولى للخلق ، ثم وضعها كلها  
في مخزن بالسماء ، يخرج منها كلما حملت امرأة . وتتميز أرواح اليهود على باقي  
أرواح الناس بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من أبيه لهذا كانت  
أرواح اليهود أعز على الله من باقي الأرواح لأن أرواح غير اليهود  
ليست أكثر من أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات . وعندما يموت  
اليهودي تخرج روحه وتشكل جسماً آخر . أما اليهود الذين يرتدون عن  
ديهم بقتلهم يهودياً ، فتدخل أرواحهم بعد موتهم في الحيوانات أو النباتات ،  
أو تذهب إلى الجحيم وتعذب عذاباً شديداً ، لتعود بعد ذلك فتدخل في  
الجساد سم الحيوانات ثم الوثنيين ، وأخيراً تعود إلى جسد اليهود بعد تطهيرها .  
على أن اليهود رغم انتظارهم المسيح المنتظر لم يعترفوا بأن يسوع  
هو ذلك المسيح

رأى اليهود  
في المسيح

وهم يعتبرونه يهودياً مرتداً عابداً للأوثان . ويقول التلمود عنه : « إن  
يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار وقد أتت به  
أمه من المسكري باندارا عن طريق الخطيئة . أما الكنائس النصرانية  
مهي قاذورات . والواعظون فيها أشبه بالكلاب الناححة . وقتل المسيحي  
من التعاليم المأمور بها . والعهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم  
يهود القيام به . ومن الواجب أن يلعن اليهود ثلاث مرات رؤساء المذهب  
النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعدواة لبني إسرائيل »

أما المسيح الذي ينتظره التلمود فيقول فيه « عندما يأتي المسيح تطرح  
الأرض فطيراً ، وملابس من الصوف ، وقنخا حبه في حجم كلالوى

النيران السَّيِّرة . وحينئذ ترجع السلطة لليهود . وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له . وفي هذا الوقت يكون لكل يهودى ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه ، وثلاثمائة وعشرة أكوان تحت سلطته» .

«ولكن المسيح لن يأتى إلا بعد القضاء على حكم الأشرار من الخارجين على دين بنى إسرائيل . لذلك يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع إشراك باقى الأمم فى الأرض كي تظل السلطة لليهود وحدهم ويستمر ضرب الذل والمسكنة على اليهود حتى ينتهى حكم الأجانب من غير بنى إسرائيل . وقبل أن يحكم اليهود بهائياً باقى الأمم يجب أن تقوم الحرب ويهلك ثلث العالم ، ويبقى اليهود سبع سنوات متواليات يحرقون الأسلحة التى كسبوها بعد النصر . وفى ذلك اليوم تكون الأمة اليهودية غاية فى الثراء لأنها تكون قد ملكت كل أموال العالم . وستملأ كنوزهم بيوتاً كبيرة لا يمكن حمل مفاتيحها وأنفالها إلا على ثلاثمائة حمار ويدخل الناس كلهم أفواجا فى دين اليهود ويقبلون جميعاً عدا المسيحيين فإنهم يهلكون لأنهم من نسل الشيطان» .

## الشعب المختار

والإسرائيلى فى التلود أفضل من الملائكة عند الله . فإذا ضرب أمة «أى غير إسرائيلى» يهودياً فكأنه ضرب العزة الإلهية، لأن اليهودى جزء من الله . والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقى الشعوب . ذلك أن النطفة التى خلقت مهـا بقية الشعوب الخارجين على الديانة اليهودية هى نطفة حصان والشعب المختار هو الذى يستحق الحياة الأبدية . أما باقى الشعوب فمثلهم كمثل الحمير ، ولا قرابة بين اليهود وبين الأمم الخارجة عن الدين اليهودى . لأنهم أشبه بالحمير وبيوت عبادة باقى الأمم ليست سوى زرائب حيوانات .

والكفار في التلمود هم كل من ليس يهودياً . ومحظور على اليهود أن الميهول والمهرام يحويوا الكفار بالسلام ما لم يخشوا ضررهم أو عداوتهم وهذا معناه أن النفاق جائز وأن اليهودى يمكنه أن يكون مؤدباً مع الكافر ويدعى محبته كذباً إذا خاف أن يؤذيه

وكل الدنيا بما فيها ملك لليهود ، ولهم عليها حق التسايط ، لأنهم مساوون للعزة الإلهية والسرقه من الأجانب ليست سرقه بل هى استرداد لأموال اليهود ويشرح التلمود ذلك فيقول أنه مصرح لليهود بأن يضروا الأسمى لأنه جاء فى الوصايا « لا تسرق مال القريب » ولما كان الأسمى ليس بقريب فسلب ماله لا يكون مخالفاً وصايا موسى

ويسمح التلمود بغش غير اليهودى وأخذ ماله بواسطة الربا « فإذا بعث أو اشترت من أخيك اليهودى شيئاً فلا تتدعه ولا تنقشه . وإذا جاء أجنبى وإسرائيلى أمامك فى دعوى فاجعل الإسرائيلى راحماً . فإذا لم تتمكن فاستعمل الغش والخداع فى حق الأجنبى حتى تحل الحق لليهودى »

والله لا يغفر ذنباً لليهودى يرد لأسمى ماله المفقود ولا يجوز رد الأشياء المفقودة من الأجانب فاليهودى الذى يرد للأسمى ماله فإنه يرتكب إثماً كبيراً ، لأنه بعمله هذا يقوى الكفار . ويظهر اليهودى بذلك أنه يجب الوثنيين ، ومن أحهم فقد أبغض الله

ويقول التلمود: إنه غير مصرح أن يقرض اليهودى الأجنبى إلا بالربا فقد أمرنا الله بأخذ الربا من الأسمى وألا ترضه شيئاً إلا على هذا الشرط وبدون ذلك نكون قد ساعدناه ، مع أنه من الواجب علينا أن نلحق به الضرر .

والتلمود يبيح قتل غير اليهودى وهو يقول « يقتل الصالح من غير الإسرائيليين » لأنه جائز قتل من ينكر وجود الله . وإذا رأى أحد اليهود كافرأ فى حفرة وحـب ألا يخرجـه منها ، حتى ولو وجد سـلماً يستطيع أن يخرج الكافر بواسطته . ويجب على اليهودى نزع السلم محتجاً بأنه أخرجه حتى لا يزل عليه قطيعه . وإذا وجد اليهودى حجراً بجانب الحفرة وضعه فوقها . ويقول « أنا أضع هذا الحجر لير عليه قطيعى ! »

واليهودى فى التلمود لا يكون خاطئاً إذا انتـهك عرض الأجنبي . فكل امرأة ليست من بنى إسرائيل بهيمة . لليهودى الحق فى اغتصابها . ولا يعتبر أى قسم يقسمه اليهودى لأى فرد من باقى شعوب العالم يميناً ، لأن القسم لغير اليهودى قسم لحيوان فلا يعد يميناً . ويجوز له أن يحلف زوراً ولا ينحطى . إذا حول اليمين فى سره لوجهة أخرى

وفى يوم الغفران يغفر لليهود كل الذنوب بما فيها الأيمان الزور وفى ذلك اليوم ، يصلى اليهود صلاة يطلبون فيها الغفران عن خطاياهم والأيمان التى أدوها زوراً ، واليهود التى تعهدوا بها ولم يوفوها وتقام الصلاة فى محفل عام ليلة عيد . ويوم الغفران واحد فى كل سنة . وهكذا غير الحاخامات أغلب ما جاء فى شريعة موسى . وأصبحت اليهودية الجديدة شيئاً آخر غير ما جاء فى العقيدة الأولى

\* \* \*

وظلت الأيام تمضى

وأمل اليهود فى العودة إلى فلسطين لا يموت !

وإذا كان أغلبهم قد يئس ذات يوم من العودة إلى هناك إلا بمعجزة . إلا أنهم دبـروا طريقة لعودتهم .. هى الصهيونية .

الصهيونية





ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بدأ اليهود يركزون جهودهم في التحرر من الاعتماد على الغموض الديني والتحول إلى حركة سياسية جديدة ، بعد أن تبين لهم أن خلاصهم من الاضطهاد الذي يلاقونه لن ينتهي عن طريق الإيمان بظهور المسيح أو بالعزلة الروحية بل يكون بقيام الدولة اليهودية فعلاً فيما سموه أرض الميعاد

واعتمدت هذه الدعوة الجديدة على أن اليهود أمة كسائر الأمم ، لها حق الحرية في اختيار الحياة التي تميها دون تدخل باقي الأمم . . . وأب الأمة اليهودية يجب أن تستقر في وطن خارجي ، لأن ذلك سيخفف من حدة الكراهية التي يشعر بها العالم نحو السامية . . . كما أنهم من ناحية أخرى يقضى على المشكلة اليهودية قضاء تاماً . . . والعودة إلى جبل صهيون « وهو الذي اشتق منه الاسم الجديد للصهيونية » ليعنى قيام وطن سياسي لليهود فقط ، بل يهدف إلى البعث الروحي لهذه الأمة بأسرها ، وإحياء ثقافتها القديمة وخلق دولة راسخة الأقدام اقتصادياً واجتماعياً . . .

على أن أهم هدف لفكرة الصهيونية ليس هو ربط يهود العالم جميعاً في قافلة واحدة ، والقضاء على الشقاق الذي يمزق وحدتهم بل إن الهدف أوسع من ذلك بكثير لأنه في الحقيقة يرمى إلى تمكين اليهود من الاستئثار بحكم العالم وثمراته ، لأنهم شعب الله المختار لزعامه الجنس البشري ، ولأن العالم لم يخلق إلا ليكونوا هم سادته وأوصيائه ، ولذلك فمن حقهم وحدهم استعباده وتسخيره بكل الوسائل ، واحتكار كل سلطة ومنفعة فيه . . . وليس لمن عدا من الأمم إلا السمع والطاعة لهم

هذه الحقيقة يوضحها « بروتوكول حكماء صهيون » الذي طبع سراً عام ١٨٩٧ وجاء في مقدمته « أن حكومات العالم أجمع خاضعة اليوم سواء

كان خضوعها بإرادتها أم بغير إرادتها، لأوامر الحكومة العليا، حكومة صهيون . لأن القيم جميعها تحت يدها ولأن الدول كلها مدينة لها بمبالغ لا تستطيع سدادها »

الحكومة العالمية وتقوم الفكرة الرئيسية في هذه المواثيق على أن تمكن اليهود من وطنهم القومي يحقق فيما بعد سيادتهم على الأميين ، بإقامة مملكة يهودية مستبدة تحكم العالم كله ، يكون مقرها أورشليم أو لاثم تستقر في روما إلى الأبد. ويتعاقب على عرشها حكام من ذرية ملكهم داود ، إذا توج الواحد منهم فتكون ذاته مقدسة لا تمس ، لأنه سيكون بطريك العالم وملكه معاً

وللوصول إلى الحكومة العالمية يجب زيادة إفساد جميع نظم الحكم الحاضرة في العالم بالتدريج ، حتى تسقط في الوقت المناسب لقيام المملكة اليهودية العالمية . وقيام الحكومة العالمية يجب أن يسبقه تمزيق الأوطان والقوميات والأديان التي لا تتفق مع اليهودية، وإفساد أنظمة الحكم، وذلك بعدة وسائل ، منها إغراء الملوك وسائر الحكام باضطهاد الشعوب التي يجب إغراؤها بالتمرد على سلطة الحكام والقوانين والعرف والتقاليد ، ويكون هذا بنشر مبادئ الحرية والمساواة ونحوها مع تفسيرها تفسيراً خاصاً يؤدي الجانبين، وبمحاولة إبقاء كل من قوة الحكومة وقوة الشعب في حالة عداء مستمر كل منها للأخرى . ومن أجل تحقيق الفكرة الصهيونية الكاملة فينبغي إثارة حروب عالمية وأهلية بإلقاء بذور الخلاف والبغضاء بين الأمم . على أن تكون هذه الحروب ضارة بالغالب والمغلوب .

على أنه ينبغي لليهود لتحقيق هدفهم أن يستغلوا الذهب الذي يحتكروه ، لأنه أمضى الأسلحة لإثارة الرأي العام والقضاء على الأخلاق وفصح مساوىء الأديان والقوميات حتى تستزف قوى أعداء اليهود ، فلا يجدون بعد ذلك مفرأ من الركوع تحت أقدامهم .

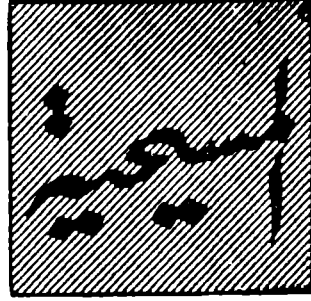
وقد بدأ اليهود تنفيذهم لمبادئ الصهيونية بمحاولة الوصول أولاً إلى استعمار أرض فلسطين. وبدأت هذه المحاولات بما ضمنه مؤسس الفكرة الصهيونية الحديثة موسى هس في كتابه « روما وبيت المقدس »

يشرح هس السبيل إلى تحقيق المثل للشعب اليهودي في فلسطين بإقامة نظام اجتماعي مثالي قائلاً إن أول أوامر الله لليهود هو أن يطبقوا القانون الذي بمثله الله ليعلموه للشعوب الأخرى، وإن أقسى عقوبة فرضت عليهم لأنحرافهم عن السبيل الذي خطته لهم العناية الإلهية، كانت عززهم عن عبادة الله كأمة متكاملة لأنهم فقدوا أرضهم ٠٠ وزعم أن الذي يعنى اليهودى هو الأرض — أى الوطن — لكي يقوم بواجبات دينه

وبعد ذلك بعشرين عاماً خرج « تيودور هرزل » سنة ١٨٩٦ بكتاب اسمه « الدولة اليهودية » كتب على صفحته الأولى « إذا أردتم فلاحاجة بكم إلى الحلم » ودعا فيه إلى تأسيس الدولة اليهودية، التي يهاجر إليها المضطهدون الذين لا يطيقون البقاء في البلاد التي يسكنونها. وفي عام ١٨٩٧ عقد أول مؤتمر عالمي للصهيونية في مدينة بال بسويسرا للبحث في تأسيس الدولة اليهودية. وأقر المجتمعون ضرورة الإسراع في تحقيق هذه الرغبة على أن يكون مركز دولة إسرائيل الحديثة هو أرض إسرائيل القديمة ٠٠ أى فلسطين

وفي فترة من الضعف الذي منى به العالم العربي استطاعت الدعوة الصهيونية بكل وسائلها أن تحقق أول هدف لها عندما وقف بن جوريون في ١٤ مايو عام ١٩٤٨ ليعلن قيام دولة إسرائيل ومنذ تلك اللحظة بدأ اليهود يواصلون العمل لتحقيق الهدف الرئيسى للدعوة الصهيونية العالمية ٠٠ بالسيطرة على العالم كله وهو أمل تؤكده الظواهر كلها أنه غريب بعيد التحقيق .

أحبوا أعداءكم . أحسنوا إلى مبغضكم ،  
 باركوا لاعينكم ،  
 وصلوا لآجل الذين يسيئون إليكم  
 من ضربك على خدك  
 فاعرض له الآخر أيضاً  
 ومن أخذ رداك ،  
 فلا تمنعه ثوبك أيضاً  
 وكل من سألك فاعطه .  
 ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه .  
 وكما تريدون أن يفعل الناس بكم  
 إفعلوا أتم أيضاً هم هكذا  
 وإن أحببتم الذين يحبونكم ،  
 فأى فضل لكم  
 فإن الخطاة أيضاً يحبون الذين يحبونهم  
 وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم ،  
 فأى فضل لكم  
 فإن الخطاة أيضاً يفعلون هكذا  
 وإن أقرضتم الذين ترجون ،  
 أن تستردوا منهم ، فأى فضل لكم .  
 فإن الخطاة أيضاً يقرضون الخطاة  
 لكي يستردوا منهم المثل .



# أحبوا أعداءكم وَصَلُّوا الْأَجَلَ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ

منذ قاد موسى شعبه بعيداً عن أرض مصر، آمن اليهود بأب إلههم  
يهوه سيرسل إليهم وقت الحاجة مخلصاً ينتصر على أعدائهم ، ويأتي إليهم  
بنعم العدالة والسلام

هذا المخلص المنتظر هو الذي أطلق عليه بنو إسرائيل اسم المسيح  
ومعناه المختار

على أن أملهم في ظهور المسيح لم يبلغ من القوة مثل ما بلغ في حكم  
القيصر أغسطس ، قبيل هزيمة الرومان لهم هزيمة منكرة مائة عام فقد  
لحق اليهود وقتئذ عذاباً شديداً جعلهم يرجون أن تكون متاعبهم تلك  
إيداناً بمجيء المخلص

وأخذ الجميع يقرأون ويبحثون كتاباً صغيراً من ثلاثين صفحة ، اسمه **أهلهم دانيال**  
« سفر دانيال »

وفي هذا الكتاب الصغير العجيب ، ذكر دانيال نبأ الأحلام الغريبة  
التي رآها. فقد رأى في أحد أحلامه أربعة حيوانات ضخمة تأتي من  
البحر . أحدها في صورة أسد له أجنحة نسر . والثاني في صورة دب جائع .  
والثالث في صورة نمر له أربعة رؤوس وأربعة أجنحة . ولكن الحيوان  
الرابع كان أشدها هولاً حتى أنه أكلها وسحقها جميعاً وكانت لهذا  
الحيوان أسنان من الحديد ومخالب من النحاس وعشرة من القرون . وكان  
لكل من هذه القرون عينان وفم يتكلم . وكانت أفواه هذه القرون  
تذكر أموراً رهيبة

ورأى دانيال في حلم آخر كبشاً يأتي من النهر . له قرنان عاليان قويان  
يوجهها غرباً وشمالاً وجنوباً، ولم يجرؤ أي حيوان آخر على اعتراض طريقه.

ثم ظهر آخر الأمر في الغرب جدى قوى يتوسط عينيه قرن وحيد ،  
هاجم الكباش وأسقطه تحت أقدامه وداس عليه وذكر دانيال غير هذين  
الحلمين أحلاماً أخرى قال أنه لم يفهمها حتى جاء ملاك من السماء وفسر  
له معنى أحلامه .

قال الملك : سيأتى الوقت الذى يظهر فيه ابن الإنسان من نسل داود  
لإقامة ملكوت السموات على الأرض ويأتى للعالم بالسعادة والسلام  
ولكن الملك لم يقل متى سيحدث هذا

ولكن حالما سمع دانيال الملك يتنبأ بأن وقت ظهور المسيح قد اقترب  
حاول أن يفهم ، ولكنه لم يستطع تحديد ذلك ..

انتظار المسيح

ومع ذلك فقد كان هذا هو ما حاول الناس فيما بعد أن يفهموه من  
قراءة تلك الأحلام الغريبة واستنتجوا عدة أشياء .

على أن هذا لم يكن كل شيء فى الكتاب الصغير فقد ذكر  
دانيال أيضاً أنه قبل ظهور المسيح ستحدث متاعب لم يحدث لها مثيل من  
قبل لأمة من الأمم

وخطر لليهود أن المتاعب التى عانوها فى ظل حكم الرومان هى المقصودة  
بذلك. وتوقع الكثيرون منهم أن يظهر المسيح أثناء حياتهم ولقد كانوا  
واثقين من أن المسيح سيظهر قريباً جداً ، حتى أن بعضهم وزعوا  
ما يملكونه من متاع وتركوا زوجاتهم وبيوتهم وأبناءهم وأعمالهم ، وأقبلوا  
على الصيام والصلاة ليعدوا أنفسهم لليوم العظيم

وأخذ الناس فى المعابد والأسواق والبيوت فى جميع أنحاء البلاد يناقشون  
مجيء المسيح سواء فى ذلك المتعلمون والجهلة والشيوخ والشبان وراح  
الناس يتهامون :



« المسيح .. المسيح .. لقد اقترب يومه تبارك اسم الرب .  
وظل الناس يتهامون بعضهم مع بعض . وأطلق عليه البعض اسم  
المختار، والبعض الآخر اسم ابن الإنسان . وآخرون قالوا عنه ابن داود .  
بينما الباقون هامسوا قائلين .. إنه ابن الله .. وراح الجميع يتساءلون :

— كيف سيبدو المسيح عندما يجيء ؟

— كيف سيستطيع الناس أن يعرفوه ؟

— هل ستلده امرأة أم سيأتي رأساً من السماء على العربة التي ارتفع  
عليها إيليا النبي ؟

كل هذه الأسئلة راحت تدور في أذهان الناس  
ووصف المتعلمون منهم المسيح فقالوا

— سيظهر ابن داود فوق قمة جبل، وفوق رأسه تاج المجد وفي صحبته  
إيليا النبي ومجموعة كبيرة من الملائكة

وسأل البعض : ولكن أين بالضبط سيظهر المسيح ؟

وأجاب آخرون سيظهر في الشمال

وقال سواهم بل سيظهر في الجنوب

ورد فريق آخر سيظهر ابن داود مع السحاب في السماء ثم يهبط  
على سقف هيكل أورشليم المقدس .

ولكن مهما اختلفوا حول المكان الذي سيظهر فيه المسيح ، وكيف  
سيظهر فإنهم اتفقوا على أنه سيظهر قريباً جداً ، وأصبح حديث مجيئه  
على كل لسان .

وكان هو الذى حدث بالفعل

مولد يسوع

فهناك ٥٠٠ فى بيت لحم ، كانت العذراء مريم بنت عمران تمر فى حياتها بدور غريب لم تشهد مثله فتاة من قبل قط وهى لم تكن تتصور أبداً ذلك الذى حدث لها ، برغم تلك السنوات الطويلة التى قضتها تخدم فى الهيكل ، تنفيذاً لنذر أمها التى نذرها لخدمة هيكل الرب الذى تقبلها قبولاً حسناً وأنبئها نباتاً كريماً ، وهى تحت كفالة كريبازوج خالتها اليصابات ، أم يوحنا المعمدان الذى يعرف فى القرآن باسم يحيى .

وكانت مريم قد نشأت نشأة طهر وعفاف وبعد عن الإسفاف والريذيلة وكانت عناية الله تكلؤها وتحرسها حتى أن ركريا كان يجد عندها رزقا من رزق الله لم يأتها به أحد ولا وجود له عند الناس وكان يسألها عنه فتجيبه أنه من عند الله الذى يرزق من يشاء بغير حساب

واختارها عناية الله لتكون أمًا لكلمته المتحدسة، فدرت أن تحطبت ليوסף النجار حتى لا تبقى فى الهيكل وذات يوم بينما هى تجلس فى خلوة وحدها، إذ بالملك جبريل الذى أرسله الله إليها يقف أمامها ليشرها بأن سيكون لها غلام ركي وأخذت مريم بالمفاجأة، وعجبت كيف يكون لها ولد وهى عذراء لم يمسه أحد من الناس ، وهون جبريل عليها الأمر وقال لها أن قدرة الله لا يعجزها شيء وأن الله الذى صنع الإنسان من غير إنسان لقادر على أن مخلق فيها إنساناً من غير إنسان وبسرها جبريل أن بها يسمى المسيح عيسى بن مريم ، وأنه يكون وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، وأنه يكلم الناس فى المهدي وكهلاً ، وأن الله سيعلمه الكتاب والحكمة والتوراة ويعطيه الإنجيل ، وأنه سيكون آية للناس على قدرته





ورحة منه لعباده ، إذ نصب لهم به سبيل الخلاص ، وجعله لهدايتهم وردهم  
عن الضلال .

وحملت مريم يسوع بمجرد أن نفخ جبريل في جيبها . وعند ما حان  
وقت الوضع ألقاها المخاض إلى جذع النخلة بجوار مزود للبقر حيث ولدت الطفل .  
وإذ خافت أن ترمى بسوء السيرة كاشفت يوسف النجار خطيبتها بالإلهام الإلهي .  
ورغم أن يوسف كاد يبعدها عنه إلا أنه رأى في الحلم ملاكاً يقول له  
« لماذا عزمت على إبعاد امرأتك ، اعلم أنه ما كون فيها إنما كون بمشيئة  
الله ، فتلد العذراء ابناً وستدعونه يسوع تمنع عنه الخمر والمسكر وكل لحم  
بحس لأنه قدوس الله من رحم أمه فإنه نبي من الله أرسل إلى شعب  
إسرائيل ليحول يهودا إلى قلبه ، ويسلك إسرائيل في شريعة الرب كما هو  
مكتوب في قاموس موسى ، وسيجيء بقوة عظيمة يمنحها له الله وسيأتي  
بآيات عظيمة تفضي إلى خلاص كثيرين »

\* \* \*

في تلك الأيام كان الحاكم الحقيقي لليهود هو قيصر أغسطس إمبراطور  
الرومان . ولكن ملكاً آخر منهم كان يحكمهم أيضاً ، وإن لم يكن  
يهودياً ولا رومانياً ولا إغريقياً إذ كان خليطاً من عدة أجناس من  
بيها الجنس الفلسطيني وكان يسمى الملك هيرود العظيم  
كان هيرود ملكاً شريراً على أنه وإن لم يكن سعيداً في قصره ،  
إلا أنه ظل راعياً في أن يبقى حاكماً على اليهود إلى الأبد ولم يكن هناك  
أدعى إلى إثارة غضبه من حديث الناس عن مجيء المسيح ابن داود الذي  
سيصبح ملكاً على اليهود

وذاث يوم ، بينما الملك هيرود في السبعين ، إذ جاء أحد جواسيسه  
إلى القصر وقال :

— لقد جاء إلى أورشليم ثلاثة حكماء من مجوس فارس محملين بالهدايا  
وهم مجوبون أسماء المدينة سائلين : أين الطفل الذى ولد ليصبح ملكا على  
اليهود لقد جئنا لتعبده . !

وأصدر الملك أمره

— أتوى بهؤلاء المجوس على الفور

وعندما جىء بالمجوس الثلاثة أمام هيرود سألهم :

— أية دلالة دلتكم على أن ابن داود المنتظر ملك اليهود قد ولد ؟

وأجابه المجوس :

— لقد رأينا نجما يشرق فى المشرق . وسار أمامنا حتى جئنا إلى هنا . . .

وكانت هذه هى دلالتنا . . .

وفكر هيرود برهة بقله المليء بالشر وقال :

— إذهبوا واعثروا على الطفل الذى ولد ليكون ملكا على اليهود .

فإذا وجدتموه فاخبرونى بمكانه ، فإنى أنا الآخر أريد أن أذهب إليه وأعبده .

وترك المجوس الثلاثة الملك وتبعوا النجم القرمزى الذى رأوه يشرق

فى الشرق . وتحرك النجم أمامهم وتبعوه ، وظلوا يتبعونه حتى خرجوا من

أورشليم ووصلوا إلى بيت لحم وهناك وقف النجم فوق المسكن الذى

يقطنه يوسف النجار وزوجته مريم ، وابنهما الطفل يسوع

ودخل الحكماء الثلاثة البيت وركعوا أمام الطفل وهو فى حجر أمه ،

ونثروا الذهب واللبان والمر عند قدمى الأم رمزاً لأنه سيكون ملكا

كاهناً ونبياً ثم خرجوا من بيت لحم .

على أن المجوس الثلاثة لم يعودوا قط إلى أورشليم . فقد كانوا من





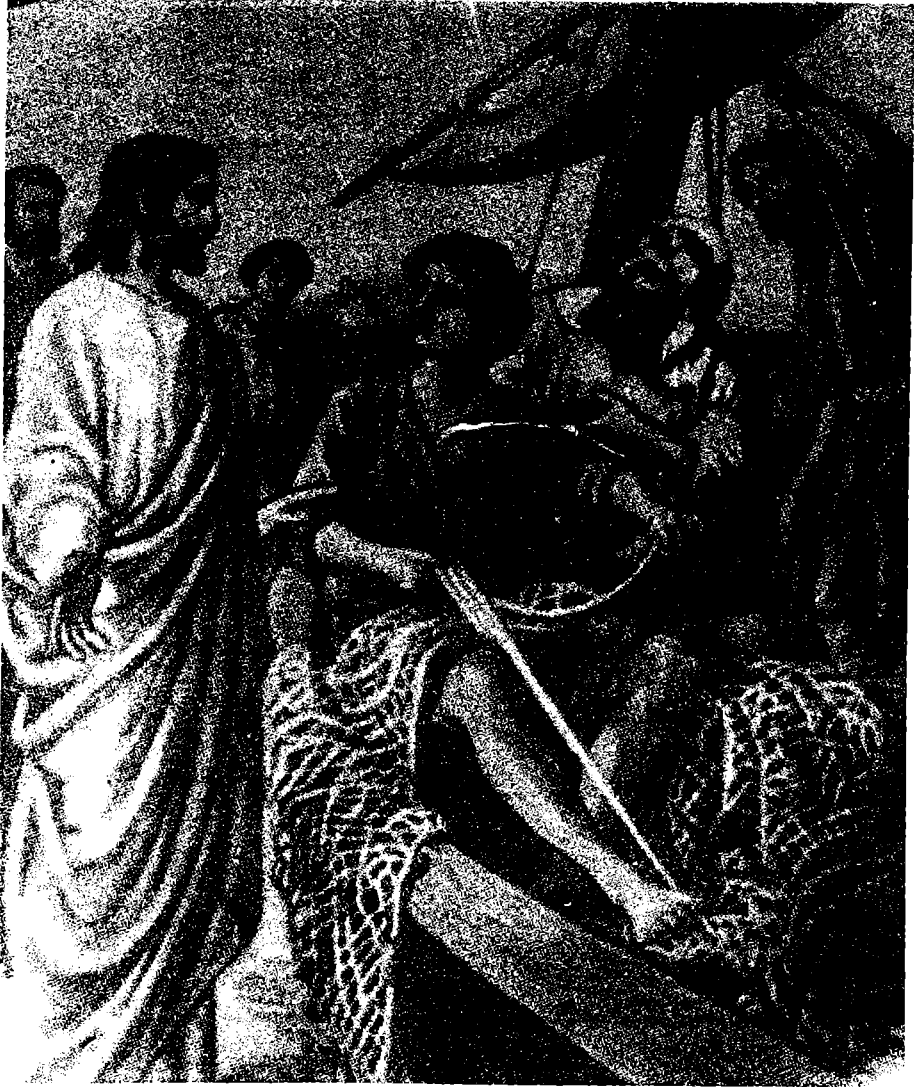
وجاءها الملك جبريل وهي في  
خلوة وبشرها بأن سيكون لها  
غلام زكى .. وعجبت كيف يكون  
لها ولد وهي عذراء لم يمسه  
بشر قال كذلك قال ربك هو  
على هين وقد خلقناك من قبل  
ولم نك شيئا



لوحة ترمز  
ليلا بءوع وءولة  
الملائكة من كل ءانب



العدراء مريم  
تحمل الطفل  
يسوع لوحة  
في إحدى كنائس  
القسطنطينية



يسوع يتحدث مع الصيادين  
و بينهم بطرس الذي أصبح أول  
حواريه الاثني عشر



الحكمة بحيث فهموا أن الملك هيرود لم يكن يريد أن يكتشف مكان وجود الطفل ليعبده، بل ليقضى عليه . وهكذا عاد الثلاثة إلى بيوتهم في فارس دون أن يمروا على قصر الملك هيرود العظيم .

في تلك الليلة رأى النجار يوسف ملاكا في الحلم يهمس في أذنه أن قم خذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر .. واشتد بيوسف الخوف حتى أن الصباح لم يكذب حتى كان قد اصطحب زوجته والطفل وانطلق بهما هاربا في الطريق إلى مصر

كل هذا حدث بينما الملك هيرود لا يزال ينتظر عودة الجوس الثلاثة ليقولوا له أين يوجد الطفل الذى ولد ليكون ملكا على اليهود . وانتظر وظل ينتظر ، وكلما طال انتظاره زاد به الغضب . حتى إذا مضى وقت طويل تبين له أنهم لن يعودوا .. وعندئذ راح يفكر في طريقة لقتل الطفل . وانتهى به التفكير إلى أن يصدر أوامره بقتل جميع الأطفال في بيت لحم ممن تقل أعمارهم عن السنتين .

على أن الأمر لم يستمر طويلا فإن الملك هيرود قد مات بعد وقت قليل من هروب يوسف وأسرته إلى مصر

وعندما وصلت إلى مصر أنباء موت الملك هيرود، عاد يوسف مع أسرته إلى موطنه واستقر في مدينة الناصرة بمنطقة الجليل .

\* \* \*

مدينة الناصرة مدينة صغيرة في منطقة الجليل السفلى ، بعيدة عن يسوع في الناصرة طرق العامة ، محتبثة في الوادى تحيطها التلال . وكانت بيوسها مبنية من لحجر الأبيض الذى جىء به من الحاجر القريبة . وكان منظر نياض البيوت لحجرية من بعيد يزيغ البصيرة أشعة الشمس ، فكان الناس يسمون

## الناصره بالمدينه البيضاء

ولم تكن الناصره تبعد عن اورشليم بأكثر من خمسة وخمسين ميلا .  
ولكن في تلك الأيام لم تكن ضجة المدينة الكبيرة لتصل إلى المدينة  
الريفية الصغيرة في تلال الجليل .

وكانت الحياة في الناصره هادئة ساكنة . وكان يوسف النجار رغم  
فقره سعيدا هناك ، يقضى أيامه في عمل يعول به نفسه وزوجته مريم وطفلها  
الصغير .

وفي تلك الأيام كان القادرون يرسلون أبناءهم إلى اورشليم ليتعلموا  
من الحاخامات الكبار ولكن يوسف النجار لم يستطع ذلك ومع  
هذا فإنه لم يهمل تعليم الصبي فكان وهو يمارس صناعة النجارة يعلمه هو  
وأبناء خالته الوصايا العشر المقدسة . وكانت زوجته مريم تعلمهم صلاة  
الصبح وصلاة المساء وكان الأطفال في المعبد يسمعون في أيام السبت  
والأعياد العديدة تلاوات من التوراة ، ويتعلمون الكثير عن القانون  
المقدس والعادات التي يسير عليها اليهود الصالحون .

ولطالما أحب يسوع البقاء في الكنيسة والإنصات إلى الكبار وهم  
يتناقشون في التوراة ويتبادلون أحاديث القصص عن الحاخام هليل العجوز  
الذي كان موجوداً حتى خمسين سنة مضت .

ويقال أن أحد الوثنيين جاء ذات مرة إلى الحاخام هليل وسأله :

— هل تستطيع أن تعلمني كل مافي الشريعة المقدسة وأنا واقف على

قدم واحد؟

وأجاب هليل على السؤال بقوله :



— لاتفعل للآخرين ما تكرهه لنفسك .. هذه هي كلمة الشريعة

المقدسة

وسمع يسوع هذه القصة وأشباهاها من القصص في معابد الناصرة ، وكانت هذه القصص عنده أكثر قبولا ومتعة من ألعاب الأطفال الآخرين . ولكن كان أكثر ما يحب هو أحاديث الهمس حول مجيء المسيح الذي يملأ كل تلك القلوب الحزينة بالفرح والسلام .

وعندما بلغ المسيح الثانية عشرة ، حدث في حياته تغيير كبير ففي تلك السن أصبح لا بد له من أن يتعلم الشريعة والحجج إلى أورشليم والصوم هناك من أهم واجبات من يصل إلى هذا السن ، وهكذا كان على يسوع أن يسافر إلى أورشليم لأول مرة في حياته .

وكان يوسف النجار شديد الفقر إلى حد لا يمكنه من شراء حمار . فاضطر يسوع إلى أن يمشى إلى جواره مع أمه ، طوال المسافة من الناصرة في الجليل حتى أورشليم

كان يسوع قد سمع الكثير عن أورشليم ، وغالبا ما حاول أن يتصور روعة مدينة الله ولكنه حالما دخل المدينة تبين أن أورشليم لم تكن قط مدينة أحلامه . فقد سمع حوله عدة لغات أجنبية يتكلمها الناس . ورأى حليطاً من الأجانب يرتدون ثياباً غريبة عليه ، وجنوداً رومانيين عابسي الوجوه منتشرين بين الناس

وزاد شعوره بخيبة الأمل عندما وصل إلى الهيكل فبيت الله الذي كان كثيرا ما يشكر فيه بإجلال وإكبار ، كان محاطاً بتطبيع من الأغنام والثيران المعروضة للبيع على التعمدين القادمين لتضحيتهما قرابين وفي كل مكان كان تجار الماشية يصحبون ، والحجاج والصيارفة يصيحون باستعدادهم

لاستبدال التور الختافة بعملة أورشليم الفصية

كانت أشد أحاسيس الخيبة التي ساورت يسوع هي تلك التي أحسها عندما دخل ذلك الجزء من الهيكل حيث مجتمع الخاضعات الكبار لمناقشة الشريعة .

فأفقد كانت الشريعة في معبد الناصرة الصغير شريعة بسيطة سهلة الفهم ، أما هنا في الهيكل فقد أنصت يسوع إلى التفسيرات الطويلة الصعبة ، وكانت الكلمات معروفة لديه ، ومع ذلك فقد عز عليه فهمها

وهكذا عندما انتهى الصيام وعاد يسوع إلى الناصرة ، كان أحلامه عن مجد مدينة الله قد تبددت وكانت أحزانه قد ازدادت وهو يشهد الهيكل الذي طالما قدس ذكره وقد انقلب سوقا صاحبة كلها الأباطيل . .

ولكن يسوع لم يكن يستطيع أن يفعل شيئاً بعد .

\* \* \*

يوهنا المعمدان لم يعرف سوى القليل عن حياة يسوع منذ بلوغه الثانية عشرة وزيارته أورشليم حتى بلوغه سن الثلاثين كل ما يعرف هو أن يوسف النجار مات وأن أمه مريم انتقلت بأسرها من الناصرة إلى « كانا » موطنها

وهناك اشتغل يسوع بالنجارة . الحرفة التي تعلمها عن يوسف النجار . وكان يعمل طوال أيام الأسبوع في حانوته الصغير بقرية كانا وفي أيام السبت يذهب إلى المعبد للصلاة ودراسة الشريعة . وغالباً ما كان يسوع يقف أمام المتعبدين يشرح لهم شريعة موسى فقد كانت العادة في تلك الأيام أن من يشتد به التأثير يقوم أمام المجتمعين يشرح ويفسر أى جزء من الشريعة يكون قد فكر فيه ولكن تفسيرات يسوع كانت مختلفة عن تفسيرات الآخرين . . إذ كانت كلماته بسيطة تستهوى أفئدة السامعين .



وأصبح الكثيرون في المعابد من المعجبين به. وأطلقوا عليه اسم «معلمنا» .  
وأخذ الكثيرون منهم يبحثون تعاليم النجار الشاب .

في ذلك الوقت جاءت أنباء تقول أن شاباً اسمه يوحنا بن زكريا قد جاء  
إلى شاطئ سهر الأردن ليعلن النبوءة . وكانت النبوءة وقتئذ تعني أن وقت  
ظهور المسيح قد حان

وتجمع عدد كبير حول يوحنا بالقرب من بيت حابارا على سهر الأردن،  
حيث أغطسهم يوحنا في ماء النهر ليطهرهم قبل أن يعظهم ويبشّرهم بقدم  
المسيح

والواقع أن الناس في جميع أنحاء آسيا قد ظلوا قرونًا عديدة يعتقدون  
أن في الماء المتدفق سرًا وفي الهند كان الناس يذهبون إلى سهر الجينجز  
ليستحموا فيه معتقدين أن ماء ذلك النهر المقدس يمكن أن يغسل آثامهم.  
ولقد كان بعض اليهود أيضا في أيام يسوع يؤمنون بأن انغطس في الماء  
المتدفق يغسل الآثام وكان يوحنا هو الآخر يؤمن بذلك فعمد الناس  
في ماء سهر الأردن قبل أن يعظهم .. ولهذا سمي يوحنا المعمدان .

أما يسوع فقد ترك حانوته وذهب جنوباً ليقابل المعمدان ، خاصة  
بعد أن قالت له أمه أنه ابن خالتها اليصابات .

وهناك ، على شاطئ الأردن وبالقرب من أريحا ، رأى يسوع عدداً  
كبيراً من الناس يلتفون حول رجل يرتدى معطفاً من وبر الجمل ، ربطه  
عند حقويه بجبل من الجلد ، وكان يخطب في الناس بكلمات تلهب حماساً .  
وبالرغم من أنه كان شاباً في الثلاثين من عمره إلا أن لحيته كانت طويلة  
كان شعره مهملاً وعرف يسوع من مظهره وكلماته أنه لا يبد أن يكون  
معمدان الذي سمع به .

واقترب يسوع وسمع يوحنا يقول :

« سيأتي بعدى من هو أقوى منى ، ولست جديراً بان أصل إلى درجة الأنحاء لفك رباط حدائه ».

- وعند انتهاء الموعظة ذهب يسوع إلى يوحنا وطلب إليه أن يعمده .
  - ولكن عين النبي الفاحصة لمحت على الفور أن يسوع ليس رجلاً عادياً .
- وتردد يوحنا وهو يقول :

« أنا الذى فى حاجة إلى أن تعمدينى ثم تأتى إلىّ ».

واكن يسوع أصر، فامتثل يوحنا الذى رأى الروح القدس نازلاً مثل حمامة . . وصوت من السماء يقول : هذا هو ابنى الحبيب .

\* \* \*

كان لقاء يسوع بيوحنا فى العام الثلاثين بداية حياته كنبى ، وهى حياة لم تستمر أكثر من ثلاثة أعوام مليئة بالأحداث السريعة التى انتهت بهاية مخزنة .

تجربة الشيطان

فلقد ظل يسوع أعواماً طويلة يقرأ ويسمع عن مجيء المسيح . وعندما سمع عبارات يوحنا المعمدان عرف أن مجيء الخالص قد أصبح وشيكاً . ولم يكن فى قلب يوحنا أدنى شك ولا فى عباراته أدنى تساؤل وكان قرب مجيء المسيح مؤكداً كطلوع الفجر عندما ينتهى الليل .

وترك يسوع يوحنا ومضى فى الصحراء يفكر فى المسيح الذى تنبأ به يوحنا . وظل أربعين يوماً وحيداً فى الصحراء المنعزلة ، لا يأكل ولا يشرب . . .  
يصلى ويتأمل

تقول الأناجيل : وخلال صيام يسوع فى البرية جربه الشيطان إذ أحس

بالجوع. أتاه الشيطان وقال له : إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه  
الحجارة خبزاً . فقال له : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان  
بل بكل كلمة تخرج من فم الله . فأوقفه الشيطان على جناح الهيكل  
وقال له

إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصى  
ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك .  
فقال له

مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك . فأخذه إبليس على جبل عال  
وأراه ممالك الأرض ومجدها وقال له : أعطيك هذه جميعاً إن خررت  
وسجدت لى فقال له يسوع إذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب  
إلهك تسجد وإياه وحده تعبد، فذهب عنه الشيطان وجاءته  
الملائكة لتخدمه .

ويقول برنابا في إنجيله الذي لا تعترف به بعض المذاهب المسيحية :

«ولما بلغ يسوع الثلاثين سنة من العمر كما أخبرني بذلك نفسه، صعد  
إلى جبل الزيتون مع أمه ليجنى زيتونا وبينما كان يصلي في الظهيرة وبلغ  
هذه الكلمات « يارب رحمة » إذا بنور باهر قد أحاط به، وجوق  
لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون ليتمجد الله فقدم له الملاك  
حبريل كتاباً كأنه امرأة براقه . فنزل إلى قلب يسوع الذي عرف به ما فعل  
الله وما قال الله وما يريد الله ، حتى إن كل شيء كان عرياناً مكشوفاً له .  
وتقد قال لى : صدق يا برنابا إنى أعرف كل نبي وكل نبوة . وكل ما أقوله  
بما قد جاء فى ذلك الكتاب ولما تجلت هذه الرؤيا ليسوع وعلم أنه نبي  
مرسل إلى بنى إسرائيل ، كاشف مريم أمه بكل ذلك قائلاً لها : أنه يترتب

عليه احتمال اضطهاد عظيم لمجد الله ، وإنه لا يقدر فيما بعد أن يقيم معها  
ويخدمها. فلما سمعت مريم هذا أجابت: يا بنى إني نبئت بكل ذلك قبل أن  
تولد فليتمجد اسم الله القدوس «

الرسالة

عاد يسوع من الصحراء إلى بيته وأفكاره تدور حول الأخوة  
الإنسانية وعالم العدل والسلام . ولكنه لم يطل إقامته في الجليل لأن عيد  
الصوم كان قد اقترب حيث يجب الحج إلى أورشليم  
وذهب يسوع إلى المدينة المقدسة وكان لا يزال غارقاً في أفكار  
ملكوت السموات ووصل إلى فناء الهيكل ورأى أمامه مرة أخرى منظر  
الثيران والأغنام المقيدة والتجار المنتحمسين وتجار الحمام والصيافة والحجاج  
القادمين لتكريم يهوه يناقشون التجار ويصخبون .

وتطلع يسوع إلى الهيكل الذى استقر فيه قدس الأقداس ، ثم أدار  
عينيه مرة أخرى نحو السوق . وشعر بغضب شديد من هذا الاحتقار لبيت  
الله والتقط سوطاً كان أحد تجار الماشية قد تركه وساق الماشية خارج  
الهيكل وقب موائد الصيافة ونثر النقود على الأرض بين الحصى  
وارتفع صوت يسوع فوق أصوات التجار الثائرين

— خذوا هذه الأشياء بعيداً لا تجعلوا بيت الله سوقاً

وما كان شئ يفعله يسوع غير هذا ليزيد غضب الكهنة ورعاء  
الدين في أورشليم ، لأنهم هم الدين سمحوا للتجار بدخول فناء الهيكل . وكان  
تدخل يسوع وطرد التجار والصيافة من الفناء تحدياً لسلطان الكهنة

وأثار يسوع بهذا العمل عدة أعداء ولكن كانوا قليلين إذا قورنوا  
بالأصدقاء والتابعين الذين تجمعوا حول الرجل الذى جرؤ على تحدى  
السلطات في أورشليم



وفي مهية الصوم عاد يسوع إلى الجليل وأخذ يعظ في الناصرة وكانا  
بالمقيدة التي يجب أن تنبع من القلب .

وحاول الناس الذين عرفوا يسوع منذ طفولته أن يقللوا من شأن  
تعاليمه . وقال بعضهم لبعض

— أليس هذا هو ابن يوسف النجار ؟

وأجاب الناس :

— نعم إنه ابن مريم .

وقالوا ساخرين :

— ماذا جعله إذن بهذه الحكمة ؟

وقال يسوع الذي سمعهم :

— لا كرامة لني في وطنه أو في بيته .

وسافر يسوع إلى كفر ناحوم وهي قرية صغيرة على شواطئ بحيرة  
الجليل وهناك عاش مع شقيقين اسمهما بطرس وأندراوس وهما  
صيادا سمك متواضعان يعتقدان أن يسوع هو المسيح المنتظر ،  
وغالباً ما كان يسوع يخرج إلى شاطئ البحيرة حيث يتجمع الصيادون  
لإصلاح شباكهم فيمظهم

ومت شهرة يسوع ببطء في تلك القرية وانتقلت إلى ما وراءها من  
القرى المجاورة والمدن القريبة . وبدأت القصص العجيبة تحكى عن نجار  
الناصرة الشاب . وانتقلت هذه القصص جنوباً حتى أطراف المملكة .  
وجاء الناس من قريب ومن بعيد إلى قرية الصيادين الصغيرة ليروا وليسمعوا  
الرجل الذي يحكى عنه إتيان المعجزات .

وذات مرة تجمع جمع كبير من الناس على أحد التلال القريبة من

القرية الصغيرة ليسمعوا موعظة يسوع . ووقف أمامهم وألقى عليهم الموعظة  
التي عرفت باسم موعظة الجبل . وفي هذه الموعظة ذكر لهم أهم تعاليمه  
وكشف لهم كيف أن تعاليمه تختلف عن تعاليم الكهنة والحاخامات  
الذين سبقوه

قال يسوع في تلك الموعظة الخالدة :

طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات

طوبى للودعاء لأنهم سيرثون الأرض .

طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون

طوبى للرحماء لأنهم يرحمون

طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله

طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون

لا تظنوا أني جئت أهدم الشريعة أو الأنبياء ما جئت لأقضى

بل لأكمل

لقد سمعتم أنه قيل للقديماء لا تقتل . من قتل يكون مستوجباً للحكم .  
وأما أنا فأقول لكم أن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون  
مستوجب الحكم

سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا  
الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً

لقد سمعتم أنه قيل . أحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول  
لكم أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيك ، وصلوا للأجل





الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات فإنه يشرق شمسهُ على الأشرار والصالِحين ويمطر على الأبرار والظالمين .

لأنكم إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم؟ أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك - وإن سلمتم على أخواتكم فقط فأى فضل تصنعون . أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك ؟

فكونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل «  
وأكد يسوع بهذه الموعظة على الجبل وبأغلب عظاته وأمثاله بعد ذلك أكد الفارق بين تعاليمه وتعليم اليهودية .  
كانت اليهودية تعلم القانون .  
ويسوع يعلم الحب .

\* \* \*

اختار يسوع من بين أتباعه وتلاميذه إثني عشر، سموا بالحواريين، وأرسلهم لإعلان ظهور المسيح

التحول في  
مبارة يسوع

ومضى التلاميذ في أنحاء الجليل يبشرون الناس بقدم مخلص البشرية كإتنبأ بذلك الأنبياء، وقالوا في همس أن يسوع الناصرة كان هو المسيح.

وجاء إلى القرية جموع عظيمة من المؤمنين، وجموع أخرى من الفضوليين، يبحثون عن يسوع ويطلبون منه إبراءهم، لأنه قيل في كل مكان أن يسوع كان ماهراً في إبراء المرضى .

وحيثما ذهب يسوع كانت تتبعه جموع كثيرة . وغالباً ما كان لا لا يجد وقتاً لتناول طعامه ..

في ذلك الوقت قتل يوحنا المعمدان ، الذي كان قد جهد في انتقاد  
فساد هيرود اندياس ابن الملك هيرود العظيم . ووصلت الى يسوع أنبياء  
مقتل يوحنا المعمدان وتقديم رأسه بعد أن اجتزتها السكين في صحفة  
أمام الملك

وكا كان أول لقاء بين يسوع ويوحنا نقطة البدء في حياة يسوع الدينية،  
كانت أنباء مقتله نقطة التحول في تلك الحياة

لقد دفع يوحنا المعمدان حياته ثمناً لهظاته ، ولكنه مموته أعطى درساً  
جديداً بأن خير ميدان للصراع هو معسكر الأعداء

وقرر يسوع أن يذهب إلى أورشليم نفسها لنشر تعاليمه هناك

كان يسوع يعرف مدى الخطر في ذهابه إلى أورشليم ولكنه مع  
هذا قرر الذهاب إلى « بيت حنة » القريب من أورشليم لنشر تعاليمه  
والقيام بالمهمة التي جاء لها

الصدوقيون

والفريسيون

والحق أن مهمة يسوع كانت مهمة غاية في السمو . أرمز ما فيها أن  
يضع الخطوط الرئيسية لمبادئ أخلاقية مثالية . . هي التي تنبأ بقيامها عندما  
يحل ملكوت الله .

فقبل مجيئه نأمد ليسر القصير ، كان بنو إسرائيل قد قسب قلوبهم  
وتحولوا عن أصول شريعة موسى ، وانحرفوا عن الطريق الواضح الذي  
رسمه لهم أنبيأؤهم . وأفرط اليهود في التهالك على المادة، واستعرق حب  
المال تفكيرهم فكان كهنتهم يحرضون الفقراء والمحتاجين على النذر  
للهيكل ليستولواهم على ذلك المال الذي كان الناذرون أنفسهم في أشد  
الحاجة إليه . . فأراد المسيح أن يخفف من هذه الأنانية في الكهنة ورجال  
الدين ، ويرد بنو إسرائيل كلهم عن القسوة والبعد عن الخير .



وكان في اليهود فريق الصدوقيين، الذين لا يؤمنون بالجنة أو النار أو القيامة أو البعث أو الحساب بل يقولون أن جزاء الأعمال الصالحة أن يبارك الله لصاحبها في الدنيا، وجزاء الأعمال الرديئة أن يعاقبه الله في الدنيا فكان من مهمة المسيح أن يرد هؤلاء إلى عقيدة البعث والقيامة والجزاء، وأن يثبت الإيمان في قلوبهم ويحذر الناس من اتباعهم والالتقياد لتعاليمهم

وكان هناك الفريسيون، الذين يريدون من شعب بني إسرائيل أن يعودوا إلى العقيدة القديمة قبل نفي اليهود إلى بابل وكانوا يعارضون كل تعاليم تعارض الشريعة الموسوية أو تعاليم الأنبياء الأولين . . ولكنهم قبيل زمن المسيح انحرفوا عن سنن أسلافهم، وأهتتم الحياة الدنيا بزخرفها، وأقبلوا على الشهوات يستسرون بها وهم في عملهم يراءون الناس ستر راجاً لهم ليوقعوهم في مخالبهم ويبتزوا أموالهم . . فكان ظهورهم بمظهر الزهد نفاقاً نصبوه لصيد الدرهم والدينار

وكان هناك الكتبة ومهمهم الوعظ وكتابة الشريعة لمن يطلبها، ولكنهم كانوا يشبهون الفريسيين في تصيد أموال الناس

وكان هناك الكهنة وخدمة الهيكل وهؤلاء صاروا في حال رديئة .  
نحرفون كلام الله ويهالسون على الحكام الفانيين .

كل هؤلاء كانت أحوالهم تستدعي إصلاحاً وتقويماً على يد مصاح  
مخلص نجاء المسيح ليخلصهم من الآثام التي راحوا يرتعون فيها ويصرهم  
بالطريق السوي . .

ومن هنا أيضاً اكتسب المسيح عداوة كل هؤلاء الذين وجدوا فيه

مخطماً لكل ما اكتسبوه من نفوذ وسلطان و ثراء خاصة بعد أن أعلنها  
فيهم عالية قوية

الكتبة والفريسيون . . يجرمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها  
على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يجركوها يا صعبهم . وكل أعمالهم  
يعملونها لكي تنظرهم الناس . . فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداف  
ثيابهم . ويحبون التمسكاً الأول في الولائم والمجالس الأولى في التجماع  
لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون أيها القادة العميان .  
أيها الجهال والعميان ، تركتم أثقل التاموس — الحق والرحمة والإيمان —  
تلقون خارج الكأس والصحفة ، وهما من داخل مملوءان اختطافاً ودعارة .  
ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تشبهون قبوراً  
مبيصة ، تظهرون للناس أزراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء ونفاقاً .  
إنكم أبناء قتلة الأنبياء . فاملا وأنتم مكيال آباءكم أيها الحيات  
أولاد الأفاعى كيف هربون من دينونة جهنم إن العشارين والزواني  
يسبقونكم إلى ملكوت الله .»

وهكذا كان لا بد أن يثور الكهنة ورجال الدين عندما علموا بأنباء  
قدوم المسيح إلى اورشليم وراحوا يدبرون المؤامرات له  
ولكن كيف السبيل إليه

الصراع  
مع يسوع

أنهم يعلمون أنه لا يقوم بغير وعظ الناس . والوعظ في تلك الأيام لم  
يكن محرماً على أحد ، ما لم يكن وعظه موجهاً ضد الحكومة الرومانية التي  
تحكم فلسطين أو ما لم يكن متهماً بالسخرية من الله .  
وإذن فما من سبيل إلا بمحاولة إثبات همة الخيانة أو السخرية من  
الله على المسيح ، حتى يسهل القضاء عليه وعلى تعاليمه .



وهكذا جاءوا إليه يلتمون عليه العديد من الأسئلة ، لعله يقول شيئاً يجعله آتماً ضد حكام البلاد ولكنهم عندما فشلوا في ذلك حاولوا أن يثبتوا عليه مهمة الإلحاد

سأله أحد الفريسيين « ما هي أول الوصايا ؟ »

ورد يسوع « أول الوصايا هي أن إلهنا إله واحد، والوصية الثانية هي أن تحب قريبك حبك لنفسك ، ولا أعظم من هذه الوصايا »

وأعقب ذلك نقاش طويل بين يسوع ومعلمي الشريعة والفريسيين وقال الفريسيون أن الشريعة المقدسة يجب اتباعها حرفياً ورد يسوع بأن العقيدة التي لا تنبع من القلب لا قيمة لها

وعندئذ أنكر يسوع علماء الشرائع صراحة . . وكذا الفريسيين ، وحذر الناس منهم ، وزادت الفجوة بين يسوع والزعماء الدينيين اليهود اتساعاً .

\* \* \*

بعد ثلاثة أعوام من ظهور المسيح في فناء الهيكل وطرده التجار تطهير الهيكل والسيارة ظهر مرة أخرى في عيد الفصح لليهود . ومن قبل الأعوام الثلاثة كان يسوع قد جاء وحده ، أما في هذه المرة فقد جاء في وسط جموع تنشد وترتل في الشوارع وهي تجتازها :

« تبارك الذي يأتي باسم الرب » .

ووقف الذين لا يعرفون شيئاً من أهل أورشليم عن يسوع الجليل يتساءلون من هذا الرجل الذي تغنون باسمه ؟

وأجاب أتباع يسوع « إنه يسوع تبي الناصرة » .

وعندما دخل يسوع فناء الهيكل عاد من جديد يشمر من منظر تجار المواشى والصيافة. وكما حدث في المرة الأولى هاله ما كان تحت المظلات من صحيح وأعمال تحابة . وانتاته هو وأتاعه نوبة قونة من الغصب الشديد دفعهم مرة اخرى إلى قلب مناخذ الصيافة والتجار وبعثرة نقودهم على الأرض ، وإخراج التجار من ساحة الهيكل بضرب العصي

وارتبك الفريسيون والكهنة من حرأة يسوع فمن قبل عندما جاء وحده أول مرة لم يخافوه ، أما الآن فأتباعه كثيرون ويبدو أن الاستقبال الحماسي الذي استقبل به في أورشليم حير رعاء اليهود فصاروا نخشون أن ناتهب حماسه هذه الجماعات التي اجتمع في عيد الفصح فتدفعها عواطفها الثائرة ونزعها الوطنية إلى الثورة على السلطة الرومانية ثورة طائشة عقيمة، فنكون عاقبتها القضاء على كل ما يستمتع به اليهود من حكم ذاتي وحرية دينية يتصرفون فيها كما يشاءون

إزدادت خشية الكهنة والفريسيين من امتداد سلطان المسيح ، وانتشار نفوذه ، فقرروا أن يعقدوا اجتماعاً سرى ليروا كيف يستطيعون أن يوقفوا يسوع عن الوعظ. ويتنعوا عدد أتباعه من الاردياد

المؤامرة  
صد يسوع

ودعا الحاخام الأكبر من السهدرين إلى الاجتماع ، وأغار فيه « إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد من الشعب ، لا تهلك الأمة كلها »

ووافقته أغلبية الحاضر بن على رأيه ، وأمر المجلس بإلقاء القبض على المسيح .



كان يعرف أن أعماله وأقواله عند الهيكل ومواعظه قد أثارَت الكينة والفريسيين وتذكر يسوع مصير يوحنا المعمدان ، وقال لتلاميذه ذلك اليوم عدة مرات أنه يشعر أن مهاتته قد دنت .

ولم يستطع أتباع يسوع أن يفهموا سر تشاؤمه .. وآمنوا سرّاً بأن يسوع في خلال عيد الفصح التالي سيعلن أنه المسيح وجعل هذا الإيمان السرى جميع الأتباع سعداء

وظل يسوع وحده ينتظر العيد بقلب مفعم بالنقل

**العشاء الأوَّلي** وفي الليلة السابقة لعيد الفصح ، اجتمع يسوع بحوارييه الإثني عشر في بيت أحد أتباعه لتناول طعام العشاء وكانوا ينتظرون أن ينجي المعلم نفسه بما لديه من المعجزات ، ولكنه لم يكن يفكر في ذلك قط.. فقد رضى بما قدر له . وعرف ان ما سيلقاه إنما هو تضحية يكفر بها عن ذنوب شعبه . وبعد أن جلس يسوع عند رأس المائدة ، لاحظ التنافس بين حواريه على مقاعد الشرف القريبة منه .

وبرك يسوع مقعده على الفور وأمسك حوض ماء وغسل أقدام تلاميذه . واندش جميع التلاميذ وهم يرون معلمهم يفعل ذلك واحتج بعضهم ولكن يسوع قال :

« لقد حاولتم التنافس على مقعد الشرف والآن أضرب لكم المثل الذي يجب أن تتخذوه . تذكروا أن الخادم ليس أعظم من سيده، ولا الذي أرسل بأعظم من الذي أرسله . »

وفهم التلاميذ هذا اليوم . وأخذوا يتناولون عشاءهم في صمت . وكان

على المنضدة لحم وخر ولكن القليلين منهم استطاعوا أن يأكلوا  
وإن كان الذين أكلوا لم يحسوا أى ابتهاج .

وبينما كانوا جالسين فى صمت ، قال يسوع فجأة :

« الحق أقول لكم إن أحدكم سوف يسلمنى »

وأخافت الكلمات التلاميذ ونظر كل منهم إلى الآخر فى حزن  
وتهامسوا « هل هو أنا يا معلم » ؟

وقال يسوع « إن الذى يضع يده فى الصفحة معى هو الذى

سيسلمنى »

ثم أضاف « ولقد كان خيراً للذى يسلمنى أن لو كان لم يولد »

وأكلوا فى صمت ولم ينتبه أحد إلى أن يهوذا الإسخريوطى كان  
هو بالفعل الذى وضع يده فى الصفحة معه .

وعندما انتهت المأدبة الحزينة هض يسوع والتفت إلى تلاميذه ، ونظر

إليهم وفى عينيه رقة وحب وقال

« يا أولادى . أنا معكم زماناً قليلاً بعد ، وستبحثون عنى ولكن

لا تضرب قلوبكم أنتم تؤمنون بالله فأمنوا بى ، فى بيت أبى منازل كثيرة ،

وإلا فإنى كنت قد قلت لكم أنا أمضى لأعد لكم مكاناً وإن مضيت

أعددت لكم مكاناً أتى أيضاً وأخذكم إلى حيث أكون أنا تكونون أنتم

أيضاً . وصية جديدة أنا أعطيتكم أحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم

فكذا سيحب بعضكم بعضاً ، وبهذا سيرف الجميع أنكم تلاميذى

إذا كان لكم حب بعضكم لبعض »



في تلك الليلة خرج يسوع من المدينة إلى حديقة جثمانى حيث  
اعتاد أن يخرج للصلاة والتأمل وكان جميع تلاميذه معه فيما عدا يهوذا  
الإسخريوطى الذى كان قد غادرهم فى أول الليل وفى أواخر الليل وصل  
يسوع وتلاميذه إلى الحديقة ، وكانوا جميعاً متعيين فناموا . لو حد بعد الآخر ..  
أما يسوع فظل ساهر يصلى وحده

و بعد منتصف الليل شق السكونى الحديقة وصول يهوذا الإسخريوطى ،  
وهو يتقدم جماعة من الصباط والجنود حاملين المصابيح والمشاعل والعصى ..  
وتقدم يسوع لمقابلة الصباط وهو يقول عنى نبحثون  
أجابوا ببحث عنى يسمى يسوع الناصرى .

قال أنا هو

ولم يكذب يقول ذلك حتى سقط الجميع على وجوههم . وعندما ههصوا  
وضع الصباط أيديهم على يسوع وقيده . وبقظت النصوصاء لحواريين  
النائمى ، وإذا رأوا الصباط والجنود هربوا جميعاً واحتبوا . بينما اقتيد معهم  
إلى بيت كبير كهنة اليهود .

المحاكمة

و بعد ليلة طويلة متعبة من الاتهامات والإهانات جىء يسوع إلى قاعة  
المحاكمة أمام بيلاطس النبطى حاكم أورشليم الرومانى ، مهتماً بالكفر والتمرد .  
وحقق بيلاطس النبطى مع يسوع دون اهتمام بالمنازعات الدينية  
الخاصة باليهود ، لعله يجد فيه واحداً من أولئك الزعماء العديدين الذين كانوا  
يثيرون الناس ضد الحكم الرومانى فى فلسطين ، ولكنه لم يحده مقترفاً  
لجريمة الخيانة ، وتمنى لو يستطيع إخلاء سبيله ولكن الدين أهملوا يسوع  
جاءوا باتهامات أخرى صده وقالوا

— إن هذا الجليلى يثير الشعب ضد القيصر

وتلقف بيلاطس هذه الكلمة وقال :

— إذا كان هذا جليلياً فيجب أن يحاكم أمام هيردوس أنتيباس حاكم  
الجليل لا أمامي ..!

وأرسل يسوع إلى هيردوس الذي كان وقتئذ في أورشليم  
وأعاد هيردوس ساخراً إلى بيلاطس ، الذي وجد نفسه مرغماً أمام ضغط  
كهنة اليهود وقيافا كبيرهم والضجة التي أقاموها ، إلى أن ينطق بالحكم على  
يسوع المتهم بالكفر . وكانت عقوبة هذه الجريمة هي الإعدام .

وكانت العادة في تلك الأيام تقضى بأن يعرض الحاكم العفو عن أحد  
المحكوم عليهم بالإعدام في البلاد في ليلة عيده . وكان أمام بيلاطس النبطي  
يسوع الناصرة وسجين آخر هو باراباس . . وهو رجل كان قد قاد ثورة  
ضد الإمبراطورية الرومانية وقبض عليه وحكم عليه بالموت .

وكان بيلاطس غير مؤمن بإدانة يسوع . . غير أنه وجد نفسه مضطراً  
للاستسلام لرجال الدين اليهود ولعله وجد فرصة للإفراج عنه إذا خير  
الجمهير عند اختيار أى من المحكوم عليهما يفرج عنه فاختاروا المسيح  
ولكن بيلاطس عندما سأل الزعماء والجمهير في قاعة المحكمة من مهما يريدون  
العفو عنه .. أجابوا : باراباس  
وهكذا كان ..

وأطلق سراح باراباس . وسلم يسوع الناصرة إلى الجنود لينفذ فيه حكم  
الإعدام ، بتلك الطريقة الرومانية القاسية المعروفة باسم الصلب .

وسيق يسوع وإثنان من اللصوص تحت حراسة الجنود ، يتبعهم بعض  
الدهماء القوضويين الساخرين . وكان اللسان قد حكم عليهما الآخران  
بالصلب في ذلك اليوم واقتيد الثلاثة إلى تل خارج المدينة اسمه تل  
جولوجنا .

**الصلب**

وكانت عادة الرومان وقتئذ تقضى بأن يحمل المحكوم عليهم صلبانهم التي سيصلبون عليها .

وكان الصليب الذى يحمله يسوع ثقيلًا ثقلاً خاصاً . وكان سر ذلك أنه عندما أثار باراباس ثورة في مدينة أورشليم صدحتم الرومان وقتل عدة رجال . حدث أن كان بين القتلى ابن بجار في أورشليم ، وقرر والد القتل أن ينتقم ، من باراباس لفقد ولده الوحيد . ولكن باراباس كان قد قبض عليه وحلّكم عليه بالإعدام ، فذهب الأب المتور إلى الجنود الرومانيين وقدم لهم الخمر والهدايا للسماح له بصنع الصليب للصين ولباراباس فسمح له بذلك . وهكذا صنع الصليب الخاص بباراباس ثقيلًا جداً حتى يجعل الثائر المحكوم عليه يعاني عناءً إضافياً حمل صليبه إلى جولوجثا

ولكن باراباس حصل على العفو عنه وأعطى صليبه ليسوع الناصرة الذى حل محله ليحمله . فسار في طريقه وهو يتعثّر تحت الحمل الثقيل .. بينما الجنود والسفهاء يضربونه ويعذبونه ويسخرون منه

وكان من عادة الرومان أن يضعوا إشارة على كل صليب تتضمن اسم المصلوب والجريمة التي يصلب من أجلها . وكان على صليب يسوع عبارة ساخرة تقول « يسوع الناصرة وملك اليهود »

وعندما جاءت نسوة أورشليم وعرضن على يسوع شرايا من الخل والصبر ليخفف عنه الآلام رفضه . وسكت عندما نزعوا ثيابه واقترعوا على ردائه وضربوه بالسياط ووضعوا أكليلا من الشوك على جبينه .

وعندما سخر منه الجنود والداهم همس في صوت خافت :

« إغفر لهم يا أبت .. لأنهم لا يعرفون ماذا يصنعون » .



وتقول الأناجيل إن المسيح بعد أن وضع على الصليب ببضع ساعات ،  
أصبحت آلامه لا تحتمل فصاح يسوع:

« إلهي إلهي لم تركتني » .

ثم أضاف بصوت لا يكاد يسمع « يا أبتاه في يدك  
أستودع روحي »

وهوى رأسه على صدره .. وكانت النهاية

واقترب جندي روماني من الجسد المصلوب، وطعنه محربة، في قلبه وانبتق  
الدم من الجرح أولاً ثم خرج بعده مصل الدم .

واستطاع اثنان من اليهود الرحاء ذوى النفوذ أن يحصلوا على إذن  
ببلاطس بإنزال الجثة عن الصليب . فأنزلاها وحفظاها بالنسج والمر  
ووارياها التراب

وبعد يومين من هذا الحادث زارت مريم المجدلية ومعها نساء: آخر  
قبر المسيح ، فوجدته فارغاً والأكفان موضوعة بترتيب

القبامة

وهو الأناجيل المسيح ظهر مراراً بعد قيامته . وفي أما كن  
متعددة . فقد ظهر لمريم المجدلية عند القبر ، وظهر لتلميذه عمواس والحواريين  
وهم مجتمعون في مخبئهم على جبل الزيتون . . . والأبواب مغلقة . مرتين . كما  
ظهر على شاطئ بحر طبرية لحوارييه أيضاً وهم في سفينتهم يصطادون  
وعندما خرجوا وجدوا سمكاً مشويا وعسلاً . ويقولون إنه بعد أربعين يوماً  
من قيامته ، اجتمع بالرسل على جبل الزيتون وبينما هو يباركهم أخذته  
سحابة وصعد إلى السماء ، وفيما هم يتأملون مندهشين إذ بملاك يقف بهم



ويقول « يسوع الذي رأيتموه صاعداً سيأتي أيضاً كما رأيتموه نازلاً من السماء » .

\* \* \*

تجدد المسيح والوهيته ،  
برغم الاعتقاد العام بأن الله نزل من سمائه وظهر في جسد إنسان ، ليفدى  
البسر من الخطيئة ويحمل عنهم الآلام

والأساس العام للعقيدة المسيحية هو أن الله له ثلاثة أقانيم الآب  
والإبن والروح القدس . وهذه كلها واحد فأنحدر الله — أو الكلمة —  
وحل في مريم البتول تجسد إنساناً ولد منها وهو يسوع

وتشعبت الآراء حول تصوير تجسد المسيح وتضاربت ..

\* قال البعض: إن المسيح إنسان عادى . ونادى بهذا الرأي أيون الذى  
ظهر في القرن الأول بعدخراب أورشليم، وأعلن أن المسيح لم يكن إلهاً بل  
كان إنساناً ولد بالطبيعة من يوسف النجار ومريم كما نادى به أيضاً  
كيرنتوس الذى اعتنق المسيحية في القرن الأول، وأعلن أن يسوع البار  
هو ابن يوسف ومريم، وأن المسيح وهو أحد الأرواح الخالدة قد حل  
عليه أثناء التعميد وقال بولس السامسوطى في القرن الثالث أن المسيح  
إنسان محص وفيه حلت الحكمة الإلهية

\* وقال آخرون إن المسيح نزل في جسم خيالى من السماء، ومر في  
بطن مريم العذراء ونادى بهذا الرأي فالينتوس الذى أعلن أن المسيح  
نزل من السماء بجسد واجتاز من العذراء كما يجتاز الماء في القناة وقال  
سطينس أن المسيح أتى إلى العالم بغير جسد حقيقى وقال مركيون أن  
المسيح أتى لابساً هيئة جسد . وقال تاتيانس أن المسيح لم يكن ذا جسد

حقيق. وقال برديسياس أن المسيح نزل إلى عالمنا لابساً جسداً سماوياً. وفي القرن الثالث الميلادي نادى ماني بأن المسيح نزل إلى العالم لابساً جسداً خيالياً، وأن اليهود عندما أمسكوه وصلبوه لم يقدرُوا أن يؤذوا جسده لأنه خيالي. ونادى أبو ليناريوس في القرن الرابع بأن «الكلمة» أخذ جسداً نامياً فقط بلا روح، وأن اللاهوت مارس وظيفة الروح وامتزج بالناسوت حتى أنه احتمل معه الصلب والموت. وقال أتباعه بعده أن جسد يسوع المسيح المولود من مريم العذراء كان مساوياً في الجوهر لللاهوت الكلمة وقال آخرون أن الكلمة لم يتخذ جسده من مريم العذراء، بل آتى به معه من السماء بينما اندفع قوم ينادون بعبادة مريم العذراء، ويقولون إن فيها شيئاً من اللاهوت إثر حلول الروح القدس عليها وتمجسّد الكلمة فيها وتطرف، أفتيخوس رئيس دير بضواحي القسطنطينية في القرن الخامس فنادى بوحدة طبيعة المسيح، ولكنه أنكر أنه إنسان، وادعى امتزاج واختلاط إحدى الطبيعتين بالأخرى، حتى استحال الناسوت وتلاشى في اللاهوت. وقد اتخذ البابا أناسيوس قراراً حول كل ما جاء من آراء الخياليين فقال: «كل من اعترف أن جسد المسيح نزل من السماء ولم يقل أنه من مريم العذراء وقال إن اللاهوت استحال إلى الناسوت واختلط وتغير. فإن الكنيسة تحرمه».

\* والرأى الثالث حول تجسيد المسيح يقول بفصل طبيعته اللاهوتية عن الناسوتية. والذي نادى بهذا الرأى نسطور بطريرك القسطنطينية في القرن الخامس وقد ترتب على ذلك عدم تسمية العذراء بوالدة الإله باعتبارها والدة الناسوت، وتسميتها أم يسوع فقط. وقد قال نسطور: «إني اعترف موقعنا أن كلمة الله هو قبل كل الدهور، إلا أنى أنكر على القائل بأن مريم والدة الإله فذلك عين البطلان، لأنها كانت امرأة. ولا أنكر



أنها أم المسيح ، إلا أن الأمومة من حيث الناسوت فقط ، لأن مريم لم تلد  
إلهًا بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً إن الخليقة لم تلد الخالق بل  
ولدت إنساناً تحول إلى اللاهوت .»

وقد أدى هذا الرأي إلى أن عمد البابا كيرلس الإسكندري معاصر  
نسطور إلى تفصيل العقيدة حول تجسد المسيح في إثني عشر بنداً ، وإعلان  
الحرمان على كل من يخالفها

وسرى قرار الحرمان على قوم كثيرين فقد أصبح محروماً كل من  
لم يعرف بأن المسيح إله حقيقي وأن العذراء الطاهرة والدة الإله ومن  
لم يعترف بأن المسيح واحد فقط مع جسده وهو إله وهو إنسان ومن  
فرق المسيح الواحد إلى أثنومين ولم يحسن أن يوحدما بوحداية طبيعية  
ومن ميز الأصوات المذكورة في الكتاب المقدس وفرزها إلى أثنومين  
فجعل بعضها لإنسان وبعضها لإله ومن تجاسر وقال إن المسيح الذي  
يستعمل السلطان الإلهي إنسان ساذج ولم يحسن أن يقول إنه إله بالحقيقة ..  
ومن قال أن « كلمة الآب » هو رب المسيح ولم يحسن الاعتراف بأن  
المسيح هو نفسه إله وهو إنسان ومن قال أن الله الكلمة كان يفعل  
في الإنسان يسوع ومن تجاسر وقال أنه ينبغي أن يسجد للإنسان  
الذي أضعده إلى السماء مع الله وأن يمجده معه أو يسمى معه إلهاً كان هناك  
اثنين ومن قال أن المسيح كان ممحداً من قبل الروح القدس بقدرة  
غريبة منه كأن يتم بها الآيات اللاهوتية في البشرية ولا يقول أن الروح  
خاصة للمسيح وإنه كان يفعل به آيات اللاهوت ومن قال أن كلمة  
الله ليس هو الذي صار رسولا وتجسد وصار إنساناً وأن المسيح قرب  
نفسه من الآب لأجل نفسه ولم يحسن القول أنه قرب نفسه لأجل خلاص

البشر ومن لم يعترف بأن جسد الرب شاف محي ولم يحسن القول بأنه معطى الحياة لأنه صار لكلمة الله خاصة الذى هو قادر أن يحيى الكل.. ومن لم يعترف بأن « الله الكلمة » تألم فى الجسد وصلب فى الجسد وذاق الموت وأنه يكبر الأموات .

وكان هناك رأيان آخران حول تجسد المسيح وأوهيته أحدهما مايقول به الكاثوليك باتحاد طبيعى المسيح لفظاً وفصلهما فعلاً. فقد نادى الكاثوليك بروما بهذا الرأى وأخذته عنهم الكنائس اليونانية والبروتستانتية . ويظهر ذلك مما قاله الأسقف ليو الأكبر فى رسالته التى أرسلها إلى مجمع إفسس الثانى فى القرن الخامس « حقاً يأتى المسيح الاثنان الإله والإنسان وإن الأول يبهز بالمعجزات والآخر ملقى للإهانات » كما يظهر كذلك من قرار مجمع خلقيدون الذى يتضح منه أن طبيعى المسيح اللاهوتية والناسوتية متحدتان لفظاً ومنفصلتان فعلاً ، إذ قال القرار « إن المسيح هو إله تام وإنسان تام ، مولود بحسب اللاهوت من الأب وبحسب الناسوت من مريم البتول والدة الإله ومعروف واحداً بطبيعتين متحدتين بلا اختلاط ولا ابتدال ولا انقسام ولا انفصال » كذلك يظهر ذلك الرأى فى المنشور الذى أصدره جرجوريوس الثالث عشر ، ويتضمن الأمر بعدم تلاوة الجزء الأخير من التقديسات الثلاث وهى : « يا من ولدت ويا من صلبت ويا من قمت » فقد قصد المنشور أن نسبة الولادة والصلب والقيامة ليست مستماعة إلى اللاهوت ولكنها للناسوت فقط .



\* والرأى الخامس قول الأرثوذكس باتحاد طبيعى المسيح لفظاً وفعلاً. وتنادى بهذا الرأى الكنيسة القبطية والسوربانية والأرمنية وجميع أتباعها



من الكنائس الأرثوذكسية ويطلق عليه تعبير آخر هو « وجود طبيعة واحدة للكلمة للتجسد » .

ويستند هذا الرأي إلى بعض آيات الكتاب المقدس وأقوال الآباء التي ثبت أن « للكلمة المتجسد » طبيعة واحدة لأنها لا تميز بين طبيعتي اللاهوت والناسوت مثل قول المسيح: « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » ومثل ماورد في رؤيا يوحنا عن المسيح بقوله: « أنا هو الأول والآخر والحى وكنت ميتاً وها أنا حى إلى أبد الأبدين » ومثل قول بولس الرسول عن المسيح: « يسوع المسيح هو هو . . أمس واليوم وإلى الأبد » ومثل قول بولس الرسول: « كنيسة الله التي اقتداها بدمه » ومثل ما جاء في رسالة البابا كيرلس الإسكندري إلى تيودوسيوس للملك « إننا لا نعرى الناسوت من اللاهوت ، ولا نعرى الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامض ، الذى لا يمكن تفسيره ، بل نعترف بأن المسيح الواحد من هو شيئين اجتماعاً إلى واحد مؤلف من كليهما لا يهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما بل باتحاد شريف فى الغاية » .

\* \* \*

إذا كانت هذه الخلاقات كلها قد ظهرت حول تجسد المسيح بين  
المسيحيين أنفسهم . . فقد كانت هناك خلاقات بين اعتقاد المسيحيين .  
وما يراه المسلمون حول صلب المسيح .

فالمسلمون يؤمنون بأن يسوع هو عبد الله ورسوله وكنته ألقاها إلى  
مريم وروح منه وأن مريم البتول نشأت على الطهر والبعد عن الدنس  
تكلؤها عناية الله ولما بلغت مبلغ النساء أرسل الله إليها الملك جبريل  
على صورة فتى ، فأخذها الرعب منه وقالت له إني أعوذ بالرحمن منك  
إن كنت تقياً . فأعلمها أنه مرسل من الله تعالى ليهب لها غلاماً زكياً .

رأى المسلمين  
فى التجسد

وأخذها العجب من ذلك إذ كيف يكون لها ولد وهي عذراء ولم يمسها أحد من البشر؟ فهون عليها الملك الأمر وأحاله على قدرة الله الذي لا يعجزه شيء ونفخ الملك في جيب درعها فإذا هي حامل وبشرها الملك بأن ابنها يسمى المسيح عيسى بن مريم وأنه يكون وجيها في الدنيا والآخرة ويكون من المقربين، وأنه يكلم الناس في المهد وكهلا، وأن الله يعلمه الكتاب والحكمة والتوراة، ويعطيه الإنجيل أى البشارة، وإنه سيكون آية للناس على قدرة الله ورحمة منه لعباده، إذ نصب لهم به سبيل الخلاص مما هم فيه من ضلال

وهكذا ولد يسوع عيسى بن مريم.. ليكون رسولا من عند الله.  
وهنا يختلف رأى الإسلام فى رسالة المسيح وتجسده وألوهيته عما يؤمن به المسيحيون

فبينما يؤمن المسيحيون بتجسد المسيح وباتحاد طبيعى اللاهوت والناسوت فيه وبأنه بشكل عام مهما اختلفت المذاهب — هو الله تجسد فى صورة إنسان — إلا أن الإسلام يقول إن المسيح ليس إلهاً ولا إبناً للإله من أمثلة ذلك ما جاء فى سورة آل عمران « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »

وما جاء فى سورة النساء « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق . إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد . له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً »

وما جاء فى سورة مريم « قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني



نبيا • وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا  
وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيماً والسلام على يوم ولدت ويوم أموت  
ويوم أبعث حيا»

• ذكر القرآن موقفاً للمسيح في يوم القيامة عبر عنه بلفظ الماضي  
لتأكيد وقوعه متى جاء وقته فقال في سورة المائدة « وإذا قال الله  
يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني أنا وأمي إلهين من دون الله  
قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى محق إن كنت قلته فقد  
علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما نفسك. إنك أنت علام الغيوب. ما قلت  
لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً  
مادمت فيهم. فلما توفيتنى كنت أنب الرقيب عليهم وأنت على كل شىء  
شهيد»

## رأى الاسلام فى صلب المسيح

• وثمة اختلاف كبير آخر بين ما يؤمن به المسيحيون وما جاء فى  
الدين الإسلامى حول خاتمة أمر المسيح .

فالمسيحيون يؤمنون — وتؤكد ذلك كل الأناجيل — أن المسيح مر  
فى آخر أيامه على الأرض بخاتمة شنيعة ومأساة مروعة وجعلوا الاعتقاد  
نحصولها أصلاً من أصول دينهم ودعامة من دعائم عقيدتهم هى  
صلب المسيح

و يقوم هذا الاعتقاد على أن آدم وهو أول كل البشر، قد عصى الله  
بالأكل من الشجرة المحرمة فصار خاطئاً، وصار جميع ذريته خطاة،  
مستحقين للعقاب فى الآخرة بالهلاك الأبدى. وقد جاء جميع أبناء آدم خطاة  
مذنبين، فهم يحملون وِرر ذنوبهم، ووزر ذنب أبيهم الذى هو الأصل لهذه  
الذنوب .

ولما كان من صفات الله العدل والرحمة ، فن عدله أنه لا يترك الجريمة دون عقاب ، وإلا لم يكن عادلاً والعقاب مناف للرحمة فلا يكون رحماً إذا عاقب. ولتحقيق الرحمة والعدل معا شاء الله أن تحمل « كلمته » في رحم امرأة من ذرية آدم ويتجدد جنينا في رحمها ويولد منها . فيكون ولدها إنسانا كاملا من حيث أنه ابن لتلك المرأة ، وإلهاً كاملا من حيث أنه « كلمة الله » ويكون معصوما من جميع المعاصي . ثم بعد أن يعيش كما يعيش الناس ، ويأكل ويشرب مما يشربون ويأكلون ، ويتلذذ ويتألم كما يتلذذون ويتألمون ، يأتي أعداء الله وأعداء شريعته ، ويقتلونه شر قتلة وأفظعها ، بأن يصلبوه ويسمروا يديه ورجليه في الخشب ، ثم يقتلوه بعد أن يلطموه على وجهه ويسخروا منه ويضفروا إكليلا من الشوك على رأسه ويصقوا في وجهه كل ذلك ليفدى البشر من آلامهم ويتحمل عنهم ذنوبهم وخطاياهم . وهذا هو ما حدث بالفعل - كما يرى المسيحيون - عندما عذب يسوع وصلب وقتل ثم صعد إلى السماء

واسكن الإسلام يقول إن يسوع لم يصلب ولم يقتل « وما قتله وما صلبوه ولكن شبه لهم » .

وخاتمة أمر المسيح كما يراها المسلمون تقول إن المسيح عندما أخرج من الكتبة والفريسيين بتعليمه وتجريحه إياهم في طريقتهم ، وفضح رياءهم وخبثهم ، أخرجهم إلى السكيد له والتدبير لقتله . وعندما اختمر هذا الأمر في أنفسهم شكوا أمره إلى بيلاطس ، وزينوا شكواهم بما يستدعي اهتمام الوالي بأن ادعوا عليه أنه يقول إنه ملك اليهود ، وأنهم لا يقرون بملك أحد سوى قيصر روما . فأرسل الوالي جنداً للقبض على المسيح عيسى بن مريم . فلما أتوا ولم يبق إلا القبض عليه ، أنقذه الله من أيديهم وطهره منهم ، وألقى شبهه على شخص



آخر هو تلميذه الخائن يهوذا الإسخريوطى ، الذى كان قد دل عليه أعداءه ، فإذا الله نجعله بحيث أن كل من رآه لا يشك أنه هو يسوع . وهكذا أخذ يهوذا وهو فى شبه المسيح ، حيث صلب وقتل ، ونجا المسيح من شرمه إذ أعلنه الله من قبل بما سيتم . وقد اختفى المسيح عن أعين أعدائه ، ثم رفعه الله بروحه وجسده حياً إلى السماء .

وعلى هذا الضوء يكون يهوذا الإسخريوطى هو الذى قبض عليه بالفعل . . . وهو الذى أخذه الجنود من حدائق جثمانى معهم . . . وهو الذى وقف أمام المحكمة اليهودية وهو الذى اقتيد حاملاً الصليب إلى مكان الصلب ، وضرب وعذب وجرح خلال الطريق والكل يظنونه هو المسيح ، وكذلك كان هو الذى دقت يدها وقدماه إلى الصليب ثم ضرب حتى مات . . . ثم كان جسده هو أيضاً الذى حفظ وكفن ودفن فى مقبرة يوسف الرامى . . . ثم اختفى منها . . . بينما كان المسيح فى طريقه إلى السماء .

• • •

لم يكن أعداء يسوع الذين كانوا سبباً فى موته شديدي الاهتمام بقتله إلى حد اهتمامهم بالرغبة فى القضاء على الطائفة التى نظمها . . . وكانوا يعتقدون أن موت الزعيم يقضى على الطائفة . . . ولكنهم كانوا مخطئين . . . قد أخذ تلاميذ يسوع يجتمعون سراً ويقررون الاستمرار فى عمل زعيمهم المصلوب . وأطلقوا على زعيمهم الميت يسوع اسم المسيح وأسماوا أنفسهم أتباع المسيح . . . أو المسيحيين .

وكان أغلب أتباع المسيح من الفقراء . وكان يسوع وهو فى كنعان وكفر ناحوم وقيصرية السامرة بمط الفقراء من أهلها وبيشرا المساكين والمضطهدين .

و بعد صلبه انتشرت تعاليمه بين الفقراء والمضطهدين ، وراح الجميع يتحدثون عن معجزاته وكانت تلك المعجزات كثيرة عجيبة .  
فقد قيل إن يسوع أحال الماء خمراً في حفل زواج في غانا الجليل  
وأنه مشى على الماء وصيره طريقاً له ولبطرس .

وأنه أطعم خمسة آلاف جائع بخمسة أرغفة من الخبز وسمكتين .  
ولكن أعجب هذه المعجزات هي قوته على إبراء المرضى  
فقد أعاد البصر إلى الأعمى، والسمع إلى الأصم ، والنطق إلى الأخرس  
وأعاد العقل إلى المجنون ، وجعل الكسيح يمشى والأبرص يشفى من  
البرص ، وأبرأ اليد اليابسة ، وشفى منحنية الظهر ، وجفف ينبوع نازفة  
الدم ، وأرجع الأذن المقطوعة للجندى ليلة آلامه .

وتقول إحدى القصص أن يسوع جاء مكاناً يسمى « بيت جزدا »  
حيث اجتمع المرضى ليستحموا إيماناً مهم بأن الماء يشفيهم وكان  
بين المرضى رجل ظل كسيحاً عمره ٣٨ سنة والتفت يسوع إلى  
الرجل وقلل :

«إنهض واحمل فراشك وامش »

وهض الرجل من فراشه ومشى، وهو الذي لم يمش قرابة أربعين عاماً.  
ولم يبريء يسوع المرضى بالمعجزات فحسب ، بل بعث الموتى من  
قبورهم كما فعل بابنة بايروس وابن أرملة نايين واليعازر ، وقد خضع  
لسلطانه ايليا وموسى فأتيا له عند التجلي على الجبل بعد أجيال من انتقالهما.  
وانتشرت قصص معجزات يسوع بسرعة بين فقراء فلسطين. وآمنوا  
فيما بينهم بأن يسوع قد هض من قبره بالفعل ، وضعد إلى السماء حيث  
سيظل هناك حتى ينتهي زمن وأزمان ونصف زمن ، ثم يعود ويكشف  
نفسه للبشر .



يسوع واثنان من حواريه  
سمعان بن يونا الذى دعاه بطرس  
أى الصخرة وصار هو مقدم  
الحواريين وزعيمهم والثانى  
اندراس أخوه الذى كان هادىء  
النفس وديعاً يقوم بدوره  
سكون من ليجل ابن الانسان



ففى يسوع ليلة كاملة  
يفكر فيمن يأخذهم على  
الزمنلة وفي الصباح  
اختار حواريه الإثنى  
عشر وعلى رأسهم  
بطرس « الصخرة »



نظير يسوع إلى  
الكسيح الذى لم يحرك  
قدميه خلال أربعين عاما  
ورفع يده وهو يقول  
لقد جاءك البرء إن  
برءك الآن فى يديك  
قم واحمل فراشك واذهب  
إلى بيتك . . . ١



ولقد تمنى الذين يريدون عودة المسيح أن يكون ظهوره سريعا في أيامهم .

ووجدت هذه الأمنية صدى طيبا وانضم الكثيرون إلى الطائفة الجديدة التي تؤمن بأن يسوع هو المسيح ، وأن يسوع قد هض من بين الموتى وأن عودته قريبة .

ونظم زعماء الطائفة الجديدة أتباعهم ، وأقاموا بينهم مجتمعا سمي مجتمع الأخيار . وكان لابد من تعميم من يريد أن يصبح عضوا في المجتمع الجديد .

وسمى هؤلاء الأعضاء أنفسهم « بالأخ والأخت » ، وآكلوا معا واعتنوا بالمرضى والمتعبين . . . وتجنبوا الأثرياء وما يملكه واحد كان ملكا للجميع .

وزاد عدد الذين اتبعوا دين المسيح وراحوا يتجمعون سرا .

وعندما تبين الخاطات أن أتباع يسوع قد أخذوا يزدادون عددا فزعوا ، وأرسلوا الضباط للقبض عليهم وإيداعهم السجن . . . ولكن الخاطام جماليل حفيد الخاطام هليل الكبير الذي كان يسوع يعجب بتعاليمه ، أنقذ زعماء المسيحية بقوله : « تنحوا عن هؤلاء الناس ودعوهم وشأنهم . فإذا كان عملهم وتعاليمهم هي تعاليم البشر انتهت إلى لا شيء ، أما إذا كانت من عند الله كما يدعون فإنكم لا تستطيعون القضاء عليها »

\* \* \*

الرسول قال لهم « أقيموا في اورشليم حتى تلبسوا قوة من الأعلى . . . واذهبوا قبل أن يصعد المسيح إلى السماء اختار إثني عشر تلميذا وسبعين رسولا

وتعلموا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس .. وعلموهم جميع ما أوصيتكم به .. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر ..» .

وبقي الرسل في أورشليم وصعدوا على جبل الزيتون وكانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة . وفي اليوم الخمسين الذي كان يتجمع فيه بأورشليم يهود من كل أمة ، حل الروح القدس على الرسل مثل ألسنة من النار ، وراحوا يعظون بمختلف اللغات . وكان من نتيجة ذلك أن آمن كثيرون . وعمد التلاميذ في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس

ولقد كان الرسل جميعاً يؤمنون بأن المسيح سيعود بعد قليل ليقم ملكوت السموات على الأرض وكانوا يعتقدون أنهم قد تلقوا عن المسيح ، أو عن الروح القدس ، قوى عجيبة من الإلهام وشفاء الأمراض والأقوال . وأقبل عليهم كثيرون من المرضى والعجزة .

ولما كثر عدد المؤمنين بالمسيح وكثر ماتحت أيدي الرسل من الأموال . عينوا سبعة من الشمامسة للإشراف على شئون الجماعة . وظل رؤساء اليهود فترة من الزمن لا يعارضون قيام هذه الفئة لصغرها فلما تضاعف عدد الناصريين في بضع سنين قلائل ، وقفز عددهم من ١٢٠ إلى ثمانية آلاف ، استولى الرعب على قلوب الكهنة فقبضوا على بطرس وغيره ، وجيء بهم أمام السهدرين لمحاكمتهم . وكان السهدرين يريد أن يحكم بإعدامهم ، ولكن فريسيا يبدو أنه معلم بولس الرسول ، أشار على المجلس أن يؤجل الحكم ، ثم وفق بين الرأيين بأن جلد المقبوض عليهم وأطلق سراحهم .

ومضت سنوات ثم حدث أن ثار اليهود على سلطان روما وأيقن المسيحيون المقيمون في أورشليم أن نهاية العالم قد دنت فخرجوا من المدينة وأقاموا في الأراضى القائمة على الضفة البعيدة من نهر الأردن .



ومنذ تلك الساعة افترت اليهودية والمسيحية ، وأنهم اليهود المسيحيين بالحيانة وخور العزيمة . ورحب المسيحيون بتدمير الهيكل على يد تيطس تحقيقاً لنبوؤة المسيح . واتقدت نار الحقد في قلوب أتباع كلا الدينين منذ تلك اللحظة .

وخلال ذلك كان الرسل والإنجيليون قد انتشروا إلى فرق خمس يبشرون بالمسيحية .. عملت إحداها في أراضى اليهودية وتخومها، والثانية في آسيا الصغرى وما حولها ، والثالثة ذهبت إلى العجم والهند ، والرابعة إلى أقاليم أوروبا ، والخامسة إلى مصر وأثيوبيا .

وهكذا انتشرت المسيحية على أيديهم وامتدت إلى كل مكان في

الأرض

\* \* \*

كان اليهود قبل عهد يسوع بوقت طويل قد انتشروا بين الأمم ، وكانوا في أول الأمر قد طردوا من أرض فلسطين بالقوة ، ثم أخذوا بعد ذلك يغادرون فلسطين بمحض إرادتهم .

وفي أيام يسوع كان يقيم في مدينة طرسوس عدد كبير من الجالية اليهودية .. بينهم تاجر ثرى اسمه كيساي البنيامينى له ابن اسمه شاول .

ولما كان شاول ابناً لمواطن رومانى حر ، فقد كان أيضاً معروفاً باسمه الرومانى بولس . وإذ كان الإبن الوحيد لرجل غنى ، فقد نال حظاً كبيراً من التعليم

وكان شاول في صباه يقضى معظم وقته على ساحل طرسوس ، يرقب السفن وهى تأتى من البحر الأبيض المتوسط .

وهنا شاول إلى أن يصبح ملاحاً ، ولكن أباه كان يرغب لابنه أن

يصبح حاحاما وعندما شب أرسل إلى أورشليم ليدرس على يد جماليل  
حفيد الحاخام هليل الكبير .

وهكذا بينما كان يسوع في الناصرة وكنعان متأثرا بتعاليم الحاخام  
هليل ، كان شاول الطرسوسى في أورشليم يتأثر بتعاليم حفيد هليل .

وبعد أن أتم شاول دراساته عاد إلى طرسوس حيث نشأ وهناك  
راح يدرس القانون وهو يعمل مع أبيه . وعندما صلب يسوع ووصلت إلى  
شاول في طرسوس أبناء تلك الأحداث لم يثرا اهتمامه كثيراً ، إذ لم يكن  
يوحنا المعمدان ويسوع الناصرى عنده أكثر من رعيمين دينيين من بين  
كثير من الزعماء الدينيين الذين قضوا على أنفسهم . ولم يكن شاول يعطف  
على من يبشر بتعاليم تخالف القانون المقدس اليهودى

وكان شاول كثيره من الحاخامات في عصره ، يؤمن بأن صلب  
المسيح كفيل بتفرق أتباعه .

ولكن شاول كان مخطئاً في ذلك الاعتقاد ، تماماً كما أخطأ  
أصدقاؤه الفريسيون والحاخامات .

فقد ثارت الاضطرابات في أورشليم ، وأخذ أتباع يسوع يتجمعون  
سراً لنشر تعاليم يسوع . ووصلت كلمة إلى شاول في طرسوس تقول :

إذا كانت شريعة موسى ورسالة إسرائيل مقدستين عندك يا حاحام  
شاول ، فتعال إلى فلسطين وساعد في القضاء على الناصريين ، الذين  
يسمون أنفسهم بالمسيحيين ، فإن عددهم يزداد يوماً بعد آخر ويزداد الشعور  
بتأثيرهم ضد الشريعة .

وذهب شاول على الفور إلى أورشليم ليفعل ما يستطيع للقضاء على



الطائفة الجديدة وكان منظماً ذكياً نظم قواته ضد أتباع يسوع المتفرقين .  
واضطهدهم بقسوة في اورشليم وطاردهم حتى السامرة . وعندما قيل له أن  
عددهم في دمشق في ازدياد، قام برحلة إلى تلك المدينة وقد عقد العزم على  
القضاء عليهم

ولكن حدث أثناء الطريق إلى دمشق أن أ برق حوله نور من السماء  
وسمع صوتاً يناديه شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فقال له : من أنت  
ياسيدي ؟ فقال أنا يسوع الذي أنت تضطهده صوب عليك أن  
ترفس مناخس

وهنا سقط شاول على وجهه ، وأصابه شيء من الدهول ، فاقتادوه  
بيده إلى دمشق . وهناك ظل ثلاثة أيام لم يأكل ولم يشرب مصلياً ومتأملاً .  
ومنذ تلك اللحظة تغير قلبه وبدلاً من أن يضطهد أعضاء الطائفة الجديدة ،  
انضم إليهم وراح يساعدهم في نشر عقيدتهم

ومنذ ذلك الوقت حتى نهاية أيامه ، كرس بولس نفسه لنشر تعاليم  
يسوع .. بعد أن غير اسمه من شاول إلى بولس .

وقضى خمسة وعشرين عاماً يتنقل من مدينة إلى أخرى ومن بلد إلى  
آخر . وحيثما ذهب كان يقصد معابد اليهود حيث يواصل فيها نشر تعاليم  
يسوع

وإذا لم تكن صورة بولس تسر الناظر إليها ، إلا أنه كان بارعاً في  
الخطابة . . واستطاع أن يجمع حوله عدداً هائلاً من جماهير المسيحيين .

ولم يكن معنى هذا ، أنه دفع الكثيرين إلى اعتناق تعاليمه على  
الفور . فإن اليهود في البلاد الأجنبية سخروا منه كما سخروا من يسوع  
في اورشليم كما أن الإغريق والرومان الذين كانت عقيدة اليهود كلها

غريبة عليهم ، لم يأخذوا تعاليمه مأخذ الجد ، فقد كانوا يعتبرون أنفسهم أرقى من اليهود ، وأعاروا عقيدة أولئك القوم المغلوبين على أمرهم في فلسطين انقباضاً ضئيلاً .

ولكن همة بولس لم تثبط مع بطء قبول الناس لتعاليمه . ورحل إلى سوريا ثم إلى كيليكية ثم إلى مقدونيا ثم إلى صقلية ثم إلى روما في إيطاليا . وحيثما ذهب كان يحمل معه البشرى السارة التي تقول :

« إن يسوع الذى أبشر به قد قام من الأموات ! »

وحيثما ذهب كان ينظم الجماعات الصغيرة من الأتباع ويحمل إليهم أنباء مجموعات أخرى في أماكن بعيدة . . . وجعلهم جميعاً يشعرون أنهم أعضاء في مجموعة كبيرة ستغزو العالم .

وبينما كان بطرس يسافر وينظم الكنائس باسم يسوع ، كان يكتب رسائل إلى أتباعه في البلاد المختلفة ، يفسر فيها عقيدته وبهذه الرسائل كان يقوى إيمان كنائسه المنظمة في كل مكان

وعندما ذهب بولس إلى روما لينظم كنيسة مسيحية هناك ، قبض عليه وآتهم بالخيانة . وظل في السجن عدة سنوات ثم حوكم أمام الإمبراطور نيرون وأفرج عنه .

ومات بولس ، ولكنه كان قد أتم رسالته

\* \* \*

عقيدة الاغريبي  
والرومانه  
في الوقت الذى اعتنق فيه بولس تعاليم يسوع ، كانت الطائفة اليهودية الجديدة غاية في الضعف .

وفي الوقت الذى مات فيه ، كانت جذور المسيحية بفضل عمله المتصل قد



تعمقت بقوة وأصبحت تأمل في أن تصير عقيدة العالم

بدأ بولس نشر تعاليم يسوع بين غير اليهود خارج فلسطين ، وبعد موته بدأ عمل المسيحيين قاصراً تقريباً على تنصير غير اليهود وخاصة الإغريق والرومان .

وكان الإغريق والرومان وقتئذ مستعدين لقبول عقيدة جديدة تحمل محل عقيدتهم .

وكانت عقيدة الإغريق بدون مؤسس وبدون كتاب مقدس، وتكاد تكون بلا كهنة أو قس .

وكان الإغريق يعتقدون أن بلادهم هي مركز العالم ، وأن في قلب بلادهم جبل عال جدا يسمى جبل الأولب ، وعلى قمة هذا الجبل تقيم الآلهة التي يؤمنون بها .

كما كانوا يؤمنون بأن هناك على شواطئ نهر الأوقيانوس الجميلة مجموعة من الجزر البديعة تسمى جزر النعيم حيث يعيش الأخيار الذين كانوا في دنياهم يحيون حياة فاضلة ويستمتعون بحياة الخلود

ومن بين الآلهة العديدة التي عبدها الإغريق كان جوبيتر إله الآلهة، وكانت جونو ملكة السماء ، وأبوللو إله الشمس والطب والموسيقى والفن، وفيينوس إلهة الجمال والضحك والزواج ، ونبتون إله الماء وبلوتو إله الجحيم . وكانت آلهة الإغريق تكاد تكون مثل البشر فهي تعشق وتكره وتعاني الآلام وتغضب ، وتشد المتعة ويفار بعضها من البعض الآخر .

وإلى جانب هذه الآلهة القريبة جدا من البشر ، كان هناك أنصاف آلهة مثل هرقل . بل لقد كان لديهم بشر عاديون يعبدوهم عبادتهم الآلهة .

وفي آخر الأمر تعددت الآلهة وأنصاف الآلهة والمعبودات البشرية.  
في اليونان ، إلى حد أن الناس لم يعودوا يؤمنون بأحد

وحدث نفس الأمر تقريبا عند الرومان في أيام بولس

وكان الكثيرون من الإغريق والرومان في لهفة لإيجاد دين جديد  
يرضيهم . واجتذبت معابد اليهود أنظارهم حيث استمعوا إلى التعاليم التي  
تدعو إلى عبادة إله واحد عادل . ولكن اليهود أصروا على أن الذين  
يعتقون اليهودية لا بد أن يتبعوا شريعهم وعاداتهم . وكان صمبا على  
الإغريق والرومان أن يقبلوا هذه الشريعة ، وأن يتبعوا جميع طقوس  
اليهود

وعندما جاء بولس وقال أن الإغريق والرومان يستطيعون أن يدخلوا  
الكنيسة دون أن يطيعوا شريعة اليهود ، طالما كانوا يقبلون يسوع رباهم ،  
زاد عدد أتباع الكنيسة الجديدة زيادة كبيرة  
وهكذا بدأت تعاليم يسوع تنتشر بين غير اليهود عن طريق الكنيسة  
التي أنشأها بولس .

\* \* \*

بعد مائة عام من وفاة يسوع بدأت تعاليمه تنتشر في أنحاء آسيا  
الصفرى وسوريا ومقدونيا واليونان وروما ، وحتى في مصر ووادي النيل .

انتشار المسيحية

وفي تلك الأيام تطلع للمسيحيون حولهم ونظروا إلى أنفسهم على أنهم  
جنس جديد على هذه الأرض . وعلى أنهم إسرائيليون حقيقيون وأنهم  
شعب الله المختار حقا .

وأخذوا يجتمعون كل يوم أحد ، وأسموه يوم الرب ، وراحوا يصلون  
ويقرأون الإنجيل .



وصلوا كل يوم أربعاء وكل يوم جمعة . وفي كل يوم راحوا يرددون  
صلاة تسمى صلاة الرب

وكانوا رحاء بالمرضى كرماء للفقراء وتمادى بعضهم إلى حد بيع  
أنفسهم في سوق العبودية حتى يستطيعوا بثمنهم مساعدة النكوبين

وبعد وفاة بولس بمائة عام ، جمعت التعاليم المقدسة عند المسيحيين  
وأصبحت كتابا مقدسا خاصا باليهود ، وأضافوا كتابا صغيرا أسموه  
العهد الجديد

وشعر كل من أصبح مسيحيا أن من واجبه أن يخرج وينشر البشارة .  
واعتبر كل واحد منهم نفسه مبشرا ، وهذه الطريقة نما عدد أتباعهم يوما  
بعد آخر

وفي تلك الأيام كان رعايا الأباطرة الرومان يعبدون ملوكهم على أنهم آلهة .  
ولكن المسيحيين رفضوا عبادة الأباطرة وعصوا الأوامر الإمبراطورية  
التي تأمر بالسجود لتماميلهم في المعابد ، كما شعر حكام الإمبراطورية  
بزعزعة أركان المجتمع الروماني بسبب انتشار المسيحية بين الخاصة والعامة .  
وهكذا قامت تيارات جارفة من الاضطهادات المتعاقبة على المسيحيين ،  
كانت فترات الراحة معها لاتوازي شيئا إذا قورنت بما لاقوه من عذاب .  
وبانح عدد عهود الاضطهاد عشرة بدأت بعهد نيرون وانتهت بحكم  
دقلديانوس واستمرت بذلك إلى ثلاثمائة سنة . ولكن هذا الاضطهاد  
ظل يجتذب المسيحيين ويزيد من قوة ارتباطهم وإيمانهم بعقيدتهم .

وفي عام ٣١٢ أصبح قسطنطين إمبراطور روما مسيحيا ، وجعل  
المسيحية دين الدولة الرسمي وبهذا انتهى اضطهاد المسيحيين  
ولكن حالما انتهى الاضطهاد ، بدأ النزاع بين المسيحيين في البلاد

المختلفة، ونشأت طوائف جديدة كل مها يبشر باعتقاد جديد في يسوع أو في التلاميذ .

وكان بعض هذه الطوائف يبشر بأن يسوع إله

وبعضها الآخر يبشر بأن يسوع إنسان من كل ناحية

وكان آخرون يعلنون أن أساقفة الكنيسة ليسوا مقدسين كما يدعون.

ولكنهم وإن تنازعوا فيما بينهم وبدأوا يكره بعضهم البعض الآخر،

إلا أنهم ظلوا ينشرون تعاليمهم بين الوثنيين ، وتحاول كل طائفة منهم

أن تنصر أكبر عدد ممكن من الناس .

وبعد ستمائة سنة من وفاة بولس بدا أن المسيحية ستصبح عقيدة

البشر وأنها ستصبح دين العالم . . ولكن . .

ولكن حدث وقتئذ في بداية القرن السابع من التاريخ المسيحي، أن

ظهرت عقيدة جديدة في بلاد العرب ، سرعان ما نافست المسيحية في

نموها وانتشارها . . وكانت هذه العقيدة الجديدة هي الإسلام .



## الإبصلاحي الشريحي

لا تصلوا يا أصدقائي من أجلي ،  
بل من أجل كلمة الله  
فقبل أن يبرد دمي تقع مسئولية سفكك ،  
على آلاف من الناس في كل العالم .  
فالعذو الأقدس للمسيح.. الأب ، المعلم ،  
زعيم القنلة بصر على سفك دمي  
فليكن كذلك و لتنفيذ مشيئة الرب .  
الله يهبني روحه حتى أستطيع أن أقاوم ،  
وأغلب خدام الباطل والضلال .  
فإني أحترمهم في حياتي وسأهزمهم بمماتي .  
هم مشغولون لإجباري للرجوع عن الحق ،  
وانحرافني عن السبيل الذي أراد الله أن أسلكه .  
وهذا هو رجوعي :  
لإني قلت قبلا أن البابا ،  
هو نائب المسيح على الأرض .  
وأما الآن فإني أقرر ،  
أن بابا روما ،  
عدو ربنا ورسول الشيطان .

« مارتن لوثر »

# الشرق سرق .. والغرب روما !

عندما أعلن قسطنطين أوغسطس المسيحية ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية ، منذ أكثر من ١٦٠٠ سنة ، كان يأمل أن يجمع بين مثل الكنيسة عن ملكوت السموات والمثل الرومانية عن ملكوت الأرض . وكانت الإمبراطورية الرومانية وقتئذ تسيطر على معظم العالم المتحضر . وكانت مراميهما بسط سلطانها على العالم فتحكم الشؤون الدنيوية لجميع البشر . وكانت مثل الكنيسة تنصير جميع شعوب العالم والتحكم في شئونها الروحية

ولما ربط قسطنطين بين الكنيسة والدولة ، كان ذلك في الحقيقة للتحكم في جميع شؤون البشر المدنية والدينية .

وأصبحت الإمبراطورية الرومانية العظيمة عن طريق هذه المزاوجة إمبراطورية الرومان المقدسة .

انقسام الكنيسة في ذلك الوقت كان يحكم الكنيسة أساقفة يرأسهم خمسة من الآباء يعرفون بالبطارقة ، كما كانوا يسمون أيضاً بالبابوات .

وكان بابا روما في الغرب وبابا القسطنطينية في الشرق هما أهم أولئك الآباء

ومنذ البداية اختلفت كنيسة الشرق عن كنيسة الغرب . ولم يعد بابا روما على وفاق مع بابا القسطنطينية ، وأخذ المسيحيون في كل مكان يرون في روما الأرض المقدسة ، لأن الحواريين بولس وبطرس وغيرهما من المسيحيين الأوائل استشهدوا فيها ، ولأن بابا روما كان يعتبر نفسه أعلى سلطة في الكنيسة .



ولكن القسطنطينية وتحتد كانت قاعدة الإمبراطورية الرومانية العظيمة ، واعتبر الأباطرة القسطنطينية مركز الكنيسة أيضا ومكانا له أعلى سلطة

وهكذا كان كل من بابا روما وبابا القسطنطينية يفار من الآخر كما كان هناك خلاف آخر غاية في الأهمية بين الشرق والغرب . فقد كانت اللغة اليونانية هي اللغة السائدة في الشرق واللغة اللاتينية هي السائدة في الغرب . وعند الترجمة من الأصل اليوناني إلى اللغة اللاتينية كان معنى الكلمات الدينية يتغير قليلا كما تغيرت معتقدات الدين وطقوسه . وأثار هذا كثيرا من الجدل غير الودي بين كنيسة الشرق وكنيسة الغرب

وبعضى الزمن زادت الخلافات بين كنيسة الشرق وكنيسة الغرب سنة بعد أخرى زيادة كبيرة ، كما زادت الغيرة التي يكنها للآخر كل من بابا القسطنطينية وبابا روما زيادة كبيرة يوما بعد يوم ثم ثار نزاع كبير حول عبادة التماثيل .

فقد كان المسيحيون الأوائل الذين انتقلوا من اليهودية إلى المسيحية، والمسيحيون الذين تلوهم مباشرة من غير اليهود ، يحرمون عبادة أو استخدام الصور من أى نوع في الكنيسة . ولكن المسيحيين في الشرق والغرب مرور الزمن بدأوا يصنعون الصور والتماثيل .

صنعوا تماثيل وصورا للشهداء والقديسين وتلاميذ يسوع وأمه مريم ، وليسوع نفسه ، بل حاول بعضهم أن يصنع صوراً لله . وكانوا في الغرب يصنعون التماثيل غالبا ، وفي الشرق يرسمون الصور المذهبة في كثير من الأحيان .

وأطلق إسم الأيقونه على الصور الملونة والمذهبة ، وجاء المسيحيون  
وركعوا أمام هذه الصور المصنوعة من الخشب والحجر الملون ، وصلوا لها ،  
وآمنوا بأن لها قدرات خارقة .

وأخذ اليهود ثم المسلمون فيما بعد في السخرية من المسيحيين ، وراحوا  
يقولون :

« أنظروا إلى هذه الصور وهذه الأيقونات : إن لها أعينا ولا تبصر ،  
وأذانا ولا تسمع ، وأيد ولا تتحرك وأرجلا ولا تمشي . ومع ذلك  
فالمسيحيون يعبدوها ثم يقولون لنا أن ديهم خير من ديننا ! »

وتبين رجال الدين في الشرق والغرب خطر عبادة التماثيل في الكنائس .  
ولكن رجال الدين في الشرق لم يكن لهم سلطان أمام سلطان الأباطرة  
وزوجاتهم اللواتي كن يردن الصور في الكنائس .

ونار نزاع كبير .

وكانت هذه الخلافات وكثير غيرها سببا في انقسام الكنيسة قسمين ..  
كنيسة الشرق الأرثوذكسية وكنيسة الغرب الكاثوليكية .

وفي أثناء ذلك هاجم البرابرة أوروبا واستولوا عليها . هاجمها القوط  
والهون والغال والدانيمرك والفرنجة ، وأنشأوا ما أصبح فيما بعد ممالك  
إنجلترا وفرنسا وأسبانيا وألمانيا . . . وتحول هؤلاء البرابرة إلى المسيحية  
تحت تأثير بابا روما ، فزاد ذلك من سلطان الكنيسة الغربية .

ولكن بينما ازدهرت قوة الكنيسة الغربية ، كانت الإمبراطورية  
الرومانية في الشرق آخذة في التدهور والاضمحلال . وزاد اتساع هوة  
الخلاف بين الشرق والغرب .



وفي عام ١٠٥٤ حدث الانفصال النهائي بين روما والقسطنطينية ،  
وانقسمت الكنيسة قسمين

- الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية في الشرق .
- والكنيسة الرومانية الكاثوليكية في الغرب .

على أنه قبل أن يحدث هذا الانقسام في الكنيسة بزمن طويلاً الحروب الصليبية  
ظهر الإسلام وأرسل جيوشه في جميع أنحاء العالم ، لنشر الإسلام والإيمان  
بالله وبنبيه محمد .

وفتح المسلمون أورشليم وهي المدينة المقدسة عند المسيحيين ، حيث  
كان يسوع يعظ الناس ، وحيث صلب يسوع  
وانتشرت الشائعات تقول أن المسلمين انتهكوا حرمة الأماكن  
المسيحية المقدسة .

وأخذ رجل عرف باسم بطرس الراهب يثير أهل فرنسا ليتجمعوا  
في جيوش صليبية لانتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين تمجيهاً للعقيدة  
المسيحية . وعرض بطرس الراهب على الذين ينخرطون في تلك الجيوش  
الفران من جميع أقاليمهم

وأقبل آلاف الآثمين والمجرمين الذين يشدون الفران من حطاباهم ،  
مع آلاف آخرين من المؤمنين المتحمسين للقضاء على الإسلام والمسلمين .  
كما انضم إليهم آلاف من المغامرين وآلاف من البرابرة ، الذين أرادوا  
الذهاب إلى أي حرب ، ومن هذه الآلاف جميعاً تألفت الجيوش الصليبية  
التي بدأت زحفها إلى بيت المقدس .

ووقعت عدة حروب صليبية أثناء القرنين الثاني عشر والثالث عشر .

وتم الإستيلاء على بيت المقدس ، وأنشئت فيها دولة للمسيحية  
استمرت بضعة أعوام .

ولكن الذين اصطلوا بنار هذه الحروب الصليبية لم يكن هم المسلمون  
بقدر ما اصطلى بنارها المسيحيون في الشرق

ذلك أن آلاف الصليبيين وهم في طريقهم إلى بيت المقدس ، نزلوا على  
المسيحيين وطلبوا منهم إطعامهم وإيواءهم بل حاولوا أن يقتلعوا الكنيسة  
اليونانية الأرثوذكسية من القسطنطينية ، ويبدلوها بكنيسة رومانية  
كاثوليكية .

وشك زعماء الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية في احتمال أن تكون  
الحروب الصليبية قد نظمت بقصد القضاء على المسيحيين الشرقيين الخارجين  
على الكنيسة الرومانية ، لا القضاء على المسلمين في بيت المقدس

ولكن الصليبيين فشلوا في الانتصار على المسلمين . كما فشلوا في  
إخضاع الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية

وكان كل الذي نجحوا فيه ، هو أنهم خلقوا كثيرا من الشرور  
التي لا يزال العالم يعاني من آثارها حتى اليوم .

وآتمت الحروب الصليبية الانفصال بين الكنيسة في الشرق والكنيسة  
في الغرب ، ورغم الجهود التي بذلت بعد ذلك لتوجيه الكنيسة الأرثوذكسية  
اليونانية والكنيسة الرومانية، إلا أن الكنيستين مازالتا حتى اليوم منشقتين .



البابوية في روما  
ازداد سلطان كنيسة روما فسيطرت تقريبا على معظم أوروبا . وأرسلت  
بعثات التبشير شرقا وغربا وشمالا وجنوبا لتفصير جميع البشر .





وازداد سلطان بابا روما يوم بعد آخر  
واعتبر عصيان أوامر بابا روما خطيئة تقضى على النفس ، بل وجريمة  
أيضاً ضد الحكومة .

وجمع البابا في شخصه سلطى السماء والأرض ، فلم يكن يوصف بأنه  
خليفة المسيح فحسب ، بل أصبح يعرف أيضاً بأنه أمير جميع الأمم والملوك .  
وعندما يموت البابا ينتخب بابا آخر مكانه بالطريقة التي ينتخب بها  
رئيس جمهورية مع فارق وهو أن الباباوات لم يكونوا ينتخبون من  
الشعب ، بل من جماعة من الكرادلة تسمى مجلس الكرادلة .

وثمة فارق آخر كان له كل الأهمية بين انتخاب البابا وانتخاب رئيس  
الجمهورية ، هو أن البابا حالما يتم انتخابه يستطيع أن يسن أى قانون يشاء  
وعلى الشعب الطاعة

وكان من بين القوانين التي سنها البابا أن يدفع الناس للكنيسة جزءاً من  
كل ما يكسبونه بل لقد أصبح البابا يستطيع أن يقرر ما يجب على الناس أن  
يقرءوه وما يجب ألا يقرءوه .. بل ما يجب أن يدرسه الناس وما يجب  
ألا يدرسه .. وأصبح كل ما يقرره البابا شريعة ملزمة .. والعقاب الصارم  
ينزل بكل من يجرؤ على عصيان أمر البابا

وهكذا عاقبت الكنيسة كل من خالفوا وصايا البابا وكرادلته  
وأساقفته . وكان هؤلاء كثيرين . فقد رأى بعض الناس أن دفع الضرائب  
التي فرضها البابا ليست واجبة ، وأراد البعض الآخر أن يختاروا لأنفسهم  
الكتب التي يقرءونها . وشاء آخرون أن يدرسوا بعض الموضوعات التي  
حرمها البابا ولم يشأ بعض الناس أن يحتفلوا بالأعياد التي قررها البابا

ولكن كل هؤلاء تعرضوا للقبض عليهم وجيء بهم إلى المحكمة

وحوكموا . . وكان الذين ثبتت إدانتهم يعاقبون بصرامة وقسوة .

وكما زاد تمرد الناس على الكنيسة زادت قسوة العقوبة التي تنزل بهم . . . وكما زادت وطأة العقاب زاد عدد المعارضين على بعض أحكام الكنيسة . . . وكما زاد عدد المتمردين على حكم الكنيسة زادت صرامة العقاب .

فقد اعتبر البابوات كل هؤلاء الذين عارضوهم ملحدين خارجين على قانون الكنيسة .

المعارضون  
للكنيسة

ففي عام ١٠٠٠ ظهرت جماعة في تولوز وأورليان تنكر المعجزات وقدرة التعميد على غسل الذنوب ، ووجود المسيح في القربان المقدس ، وتأثير الصلوات للقديسين . وإذا كان أمر هؤلاء قد ترك إلى حين ، إلا أنهم حوربوا بعد ذلك وأحرق منهم ثلاثة عشر وهم أحياء عام ١٠٢٣ . ومع هذا فقد قامت جماعات أخرى منذ عام ١٠٢٥ بعدة اضطرابات في كبريه ولييج وجبلار وسواسون وكولوني . . وكان من بينها جماعات اعتبرتها الكنيسة عديمة الضرر ، إذ كان أعضاؤها يلتقون لقراءة الكتاب المقدس بلغتهم القومية دون الاستعانة بقسيس ، ويفسرون بأنفسهم ما فيه من عبارات اختلف الناس في تفسيرها . وقامت جماعات أخرى في إيطاليا وهولندا تتمسك بالدين في كل شيء إلا في الإصرار على أن يعيش القساوسة قراء .

ثم حدث عام ١١٧٠ أن استأجر تاجر ثرى يدعى « بطرس والدو » جماعة من العلماء ليترجموا الكتاب المقدس إلى لغة جنوبي فرنسا . وخرج الرجل من دراستهما ترجم باعتقاد جديد ، هو أن واجب المسيحيين يقتضيهم أن يعيشوا كما كان يعيش الرسل ، ليس لأحد منهم ملك خاص .

وتحت سيطرة تلك الفكرة نزل الرجل عن جزء من ثروته لزوجته، ثم وزع الباقي على الفقراء، وراح يدعو الناس إلى الفقر. واجتمع حوله طائفة لبست مسوح الرهبان وعاشت عيشة العفة والطهارة، ومشى أعضاؤها حفاة أو منتعلين بالصنادل، وراحوا ينفقون مكاسبهم مشاعاً. وبعد مرور عدة سنوات اصطبغت حركة هذه الطائفة صبغة معادية لرجال الدين الذين لم يعترفوا بهم، وأنكر أعضاء الطائفة صحة العشاء الرباني الذي يقدمه قس آثم، ونسبوا إلى كل مؤمن طاهر القدرة على العفو عن الذنوب. وعارض بعض الأعضاء صكوك الفران وعقيدة المطهر، وتحول القرباب المقدس إلى جسم المسيح ودمه والصلاة للقديسين.

وقامت طائفة أخرى تقول بأن الأشياء جميعاً يجب أن تكون ملكاً مشاعاً

ونادت طائفة أخرى بأن الكنيسة هي المرأة الحمراء المذكورة في سفر الرؤيا.

وفي عام ١١٤٨ صدر قرار بحل هذه الجماعة. وإذا كانت أقلية مهم قد قبلت في الكنيسة بعد ذلك، إلا أن الأغلبية أصرت على آرائها التي اعتبرت خارجة على الدين، وانتشرت من فرنسا إلى أسبانيا وألمانيا. وعندئذ أصدر مجلس ديني عقد في تولوز عام ١٢٢٩ قرار يقضي بالاحتفاظ بملك شخص من غير رجال الدين كتباً مقدسة عدا كتب الترتيل والأدعية ومعظمها مزامير، وحرّم عليهم أن يقرأوا هذه الكتب بغير اللغة اللاتينية. وواجهت الكنيسة مقاومة هؤلاء الخارجين عليها بحرق آلاف من أتباع والدو

ومع ذلك فقد ظلت هذه الطوائف في ازدياد مستمر . . وراحت

تعدد بالرتوى وبيع المناصب الكهنوتية وثرأ رجال الدين وزواجهم وانتشار التسرى بينهم . واقترحت بعضها أن تصادر أموال رجال الدين وأن تباع أملاكهم بالمزاد ، فإذا قاوموا تباح بيوسهم للنهب ويطردون هم وأبناؤهم غير الشرعيين من المدينة

## الطائرى

وظهرت طائفة سميت الكاثارى ومعناها «الظاهر» نادت بالعودة إلى العقائد والأساليب المسيحية الأولى . وارتدى رجال الدين منهم ثيابا سوداء ، وأقسم مطارنهم عند ترقيةهم لهذه المناصب أن يتخلوا عن آبائهم وأزواجهم وأبنائهم وأن يهبوا أنفسهم لله والإنجيل ، وألا يقربوا امرأة قط ، ولا يقتلوا حيوانا ، ولا يأكلوا اللحم والبيض ومنتجات الألبان ، وألا يطعموا إلا السمك والخضر . وقال أتباع الطائفة إن الشيطان لا الله هو الذى خلق العالم المرئى ، وعدوا المادة كلها شرا ، بما فيها الصليب الذى مات عليه المسيح والقربان المقدس . وقالوا إنهم يرفضون العشاء الربانى والقداس وتعظيم الصور المقدسة والتثليث ، ولم يؤمنوا بأن المسيح ولد من عذراء ، وقالوا إن المسيح من الملائكة ولكنه ليس من الله .

وأطل البابوات إلى هذه الطائفة واعتبروها كاملة الإلحاد ، خاصة بعد أن أنكر أعضاؤها أن الكنيسة كنيسة المسيح ، وقالوا إن بطرس لم يأت قط لإروحا ولم يؤسس البابوية ، وأن رؤساء الأساقفة والأساقفة ذوى الأملاك الواسعة والقساوسة الدينويين والرهبان ، هم الفريسيون الأقدمون «الزنادقة» عادوا إلى الحياة من جديد ثم واصلوا هجومهم حتى قالوا إن رجال الدين هم زمرة الشيطان ، وأن البابا هو المسيح الدجال وهض البابا إنوست الثالث ليقاوم الكاثارى وأعانها حرباً مقدسة فى كل مكان ضدهم . وفرض الحرمان على كل من لا يمد يد



المساعدة في هذه الحرب . واستمرت الحروب ثلاثين عاماً انتهت بانتصار الكاثوليك . وظهور محاكم التفتيش في الأفق الدامي لأوروبا .

\* \* \*

وكانت لمحاكم التفتيش قصة طويلة رهيبة

ففي سنة ١٢٢٩ اجتمع رجال الكنيسة الكاثوليكية في تولوز محاكم التفتيش لأول مرة أيام البابا جريجوريوس التاسع وكان هذا الاجتماع تمهيدياً لتقرير إنشاء محكمة يقدم إليها كل من آتهم في دينه « الكاثوليكي » وكل من كان على دين أو عقيدة غير الكاثوليك سواء كان من اليهود أو البروتستانت ، وجماعة المفكرين والأحرار والمسلمين الذين كانوا في أوروبا في ذلك الوقت ، وفي أسبانيا والبرتغال بوجه خاص ، وكل من يتهم بالإلحاد والزندقة في مسيحيته الكاثوليكية .

ولكن البابا جريجوريوس لم يقرر إنشاء الديوان بطريقة رسمية إلا عام ١٢٣٣ ، وعندئذ صدرت الأوامر إلى كل الكنائس الكاثوليكية بتعيين كاهن يختص بالبحث عن المشتبه فيهم وتقديمهم للمحكمة البابوية الخاصة . وخول كاهن التفتيش الاستعانة بمن يراه لازماً لمعاونته من الجواسيس ، وأطلق على هذه المحكمة الخاصة اسم « الديوان المقدس » أو « التفتيش المقدس » .

أما هؤلاء الجواسيس فما كانوا يكشفون عن شخصياتهم قط . . بل أخفيت شخصياتهم ووعدوا بفران خطاياهم . . وأحل لهم ارتكاب الجرائم مهما كان نوعها . وكان التهم يسأل أمام المحكمة ليقرر ما يراه عن الكنيسة . . ورأيه صراحة في الدين المسيحي . . فإذا أبى الإذعان ألقى به إلى زبانية التعذيب .

وكانت أمثلة ما يحدث مع هؤلاء المذبذبين رهيبية غاية في القسوة ..

وسائل التعذيب جىء بواحد من هؤلاء أمام المحكمة .. ولم يكذب يصل حتى أمر رئيسها جنود التفتيش بوضع الحديد في أصابعه .. وعندما اتهموا طلب رئيس المحكمة أن يوقفوه .. وأجاب الجنود إنه لا يقوى على الوقوف .. فقال القاضى : إذن .. وضعوه في التابوت فإنه يقف فيه .

وكان التابوت الذى وضعوه فيه عبارة عن صندوق مربع فيه مسامير من الداخل .. فاضطر المسكين أن يقف رغم ما به من إعياء وضعف .. ثم رفعوا الكمامة التى كانت على فيه ليتمكن من الإجابة على الأسئلة . وعندما تنفس الرجل الصعداء طويلاً .. أمر رئيس المحكمة أن يسقوه قليلاً من الخمر . فلما شرب قليلاً منها تفتحت عيناه وحدث عنده شيء من الانتعاش . وخصه الطبيب حتى علم أنه قادر على الوقوف والاستجواب .. فأبلغ ذلك إلى هيئة المحكمة ..

ودار هذا الحوار بين رئيس المحكمة .. والضحية :

— ما اسمك ؟

— أنا مسلم مغربى .

— كلا بل أذكر اسمك المسيحى الجديد .

— صموئيل فرناندىس .

— إن صموئيل هذا إسم يهودى .

— لقد كان المسيح يهودياً أيضاً .

— قل صدقاً .. كم عمرك ؟



— ثلاث وثلاثون سنة . . مثل عمر المسيح .

— إذن أنت مستعد للتضحية ؟

— بإذن الله . .

— أتقبل ذلك وأنت راض ؟

— نعم .

— ما الذى تفكر فيه الآن ؟ وما هو تأثير المحاكمة عليك ؟

— تأثير داخلي

— وماذا يقول لك الصوت الداخلى ؟

— لا أدرى . فإنى الآن لا أدرى ماذا أقول .

— قل ما فكرت فيه بصوت مسموع .

— لا أقدر على الكلام لأنى متألم جداً من الضغط على صدرى .

والكلام لا يكون حسب الأمر بل حسب الاستطاعة .

— سنتظر ذلك جيداً جداً . . أيها الحراس . . أظن أن ضرب

وجهه بالسوط يمكنه من الكلام .

وسرعان ما جذبته أحد رجال التعذيب . وجعل يجلده على وجهه بجلدة

سميكة مبللة بالماء . فاحمر جلد وجهه . وكاد يخرج منه الدم وجعل يتلوى

من الألم . وعاد رئيس المحكمة يسأله

— أين ولدت ؟

— فى طنجة .

— أسباني أنت ؟

- كنت أسبانياً
- ولماذا تقول كنت؟
- أقول هذا لأنى لست بأسباني لكى أظل أسبانياً إلى الأبد .
- وأين أبوك وأمك؟
- ليس لى أب ولا أم . . . فقد ماتا
- وأين ماتا؟
- فى سجون ديوان التفتيش .
- أحرقاً؟
- بل تعذيباً حتى مهرأ جسداها فماتا من شدة العذاب .
- هل لك إخوة؟ وأين يقيمون؟
- بل قل أولاً أين ماتوا وأين قبورهم؟
- يظهر أنك تريد أن ينفد صبرنا معك . فسنبدأ بتعذيبك
- يسوءنى هذا .
- إذن أنت لاتريد أن تدلنا على البقية الباقية من إخوتك ولاعن مكان إقامتهم إن الديوان المقدس لا يخفى عليه أن لك إخوة على قيد الحياة وأنهم يصلون فى مساجد خفية . ألا تعلم أين هم؟
- لا أعلم
- عندما صدر الأمر بسجنهم هر بوا، ألا تعلم إلى أين؟ تذكر
- كيف يمكننى أن أتذكر وأنا مصطرب الفكر ضائع العقل؟





يجب أن تساعدنا على معرفة مقرهم حتى نخلص نفوسهم

كما ستفعلون معي الآن؟

- أنت تسكن مع امرأة فمن تكون؟

زوجتي

يجب عليك أن تساهم إلى ديوان التفتيش .. نحن نأمرك .

- إذا كنتم تأمروني فأولى بكم أن تقتلوني وهذا كل ما يمكن

أن تفعلوه . وعندئذ سوف تصلي زوجتي من أجلي

- سوف تساق إلى التعذيب الآن فأولى لك الإقرار

- لا يعينني العذاب فإن جسمي مخدر لا يشعر

- إذا لم تجب على ما سألتك فسوف نسيك الماء رغم أنفك .. يدفع

إليك من حلقك حتى يقضى عليك .

- لقد احترقت قدمي أولاً بناركم فلم أمت حتى الآن

واقرب منه أحد المعذبين وهو يتضع الرقة والمطف ، وقال بصوت

متكلف

- اعلم يا بني أننا لا نرحم من وراء تعذيبك إلا إلى الإقرار

عن بقية أهلك الذين تجبهم، وبذا تنجي نفسك ونفوسهم ونصعد بكم

إلى السماء

أجاب الرجل :

- إذا صعدنا نحن إلى السماء فمن يهوى بكم أتم إلى الجحيم؟

وعندئذ أشار أحد رؤساء المحكمة بيده إشارة سريعة إلى المعذبين

الواقفين أمام آلات التعذيب . فهجموا عليه وأخذ البعض منهم يضع الجبال في يديه وصدره معاً ويلفها لفا . . . وراح آخرون يربطون رجليه بحبل دقيق، ثم وضعوه على مائدة خاصة وأعادوا ربطه عليها ربطاً وثيقاً . وتقدم أحدهم وهو يحمل جرة ملاءى بالماء، وتقدم آخرون في يده قمع وأدخله في فمه . وراح المذب يصب الماء داخل القمع شيئاً فشيئاً . . . والطبيب إلى جوارها يراقب التعذيب ليرى إلى أى حد يمكن المسكين أن يحتمل العذاب الذى يؤدي إلى قتله خنقاً . ولكن الرجل مع هذا لم يعترف قط . . . وراح المذبون يزيدون في سكب الماء ولكن دون جدوى . . . وظل بطن الرجل ينتفخ . . . وجحظت عيناه . ثم مات خنقاً بالماء .

\* \* \*

تلك صورة من الصور التى كانت تجرى في محاكم التفتيش . . . على أن الصورة قد تبدو مكتملة عندما يتصور المرء آلات التعذيب التى كان يستخدمها رجال التعذيب في فرنسا .

وتلك صورة من صور آلات التعذيب كما صورها كتب التاريخ . . .

كانت آلة التعذيب عبارة عن غرفة مظلمة جدرانها سوداء . ثبتت فيها مسامير ناتئة قد صدأت . يعلق عليها بياب من الحديد السميك . وفي أرضها سلاسل ضخمة مشدودة إلى حلقات في الأرض . وكانت تلك السلاسل لربط المذنبين حين تعذيبهم ، وإلى جانب ذلك توجد مجالد من الجلد المعقود على رصاص ودواليب، وسحابات ذات مسامير صدئة حادة لتمزيق الأجساد ، وعضاضات حديدية لعض اللحم ، ثم أكاليل حديدية ذات مسامير ناتئة من الداخل تطوق بها جبهة الضحية ثم يأخذ المذب في تضيقها شيئاً فشيئاً بواسطة مفتاح يدور بلولب حتى تفرز المسامير في الرأس . ثم هناك كلاليب ذات

آلات التعذيب



رءوس حادة لسحب أثناء النساء من الصدور ، وآلات لسلس اللسان من أصله ، وأخرى لتكبير الأسنان ، وأحذية حديدية تحمي لدرجة الاحمرار يلبسوها لمن ساء حظه ووقع في يد أولئك الوحوش ، ثم أحذية أخرى حديدية ذات مسامير من الداخل يضعونها في رجل السجين ثم يأخذ الموكل بالتعذيب في تضيقها شيئاً فشيئاً

وتوجد مشنقة معلقة في السقف لكي تشنق المذب نصف شنق ، فلا هو حي فيرجى ولا هو ميت فيواري ، ثم سلاسل ضخمة وأنقال حديدية معلقة أيضاً في بواح مختلفة من السقف ليربط فيها السجين ويدها ، فتتحاذبه وتمزق أعضائه . وهناك تابوت . . هو عبارة عن خزانة حديدية يقف فيها المذب وفي بابها ست من الحراب القصيرة المثبتة ، فإذا ما أغلق ذلك الباب بقوة دخلت حربتان في عيني المذب ، فتنفذان من مؤخرة الجمجمة ، وتدخل حربة في قلبه وأخرى في معدته وأخريان في بطنه .

وكان يوجد في وسط القاعة ما يسمى « بالجحش الخشبي » فكان السجين يربط إليه لإزهاق روحه بواسطة التضيق على رثته ، فكانوا يطوقون صدره بألة حديدية ثم يأخذون في تضيقها بواسطة لواب حتى تنقطع أنفاس المذب المسكين .

\* \* \*

كل هذا كان بعض ما استخدمه الفرنسيون والأسبان . . ضد الضحايا في محاكم التفتيش . .

وبدا واضحاً أن محاكم التفتيش قد تحولت لتصبح طريقة جديدة لتحويل الناس إلى المسيحية ، فإذا رفض الرجال أو النساء أو الأطفال التحول إلى المسيحية الكاثوليكية عذبوا حتى يموتوا وحتى المسيحيون الأوائل قبل قسطنطين ، والذين كانوا يعذبون

ويقتلون ويلقى بهم إلى الاسود في روما والذين يعرفون باسم الشهداء . .  
لم يعاملوا بمثل القسوة التي عومل بها غير المسيحيين في ظل محاكم التفتيش .  
واستمر نظام محاكم التفتيش أكثر من مائتي عام ، وقتل خلالها  
آلاف الناس بأبشع صور التعذيب وحشية ، فكان الناس يحرقون أحياء  
على نار هادئة ، أو توضع على أجسامهم أثقال هائلة حتى الموت ، أو يمزقون  
إربا بأدوات وحشية رهيبة .

ولم تكن معاملة محاكم التفتيش القاسية قاصرة على اليهود والوثنيين  
فحسب ، بل وجهت أيضاً إلى المسيحيين مهما كانت تقواهم ، إذا هم  
جرءوا على أن ينطقوا كلمة واحدة ضد حكم البابا ، أو جرءوا على الإيمان  
بشيء لم توافق عليه الكنيسة .

ووضع بعض المسيحيين الشجعان كتباً يهاجمون فيها قسوة محاكم  
التفتيش ، واستبداد البابا . . ولكن هؤلاء الناس قبض عليهم وتذبوا  
حتى الموت في غرف تعذيب محاكم التفتيش .

ولكن صوت العدالة لم يمتنع أو يخرس ، فإن قوة الحق والاحتجاج  
على مقتل البشر ، كانت أقوى من السيف الذي يقتل الناس .

وكما زادت محاكم التفتيش قسوة زاد عدد المحتجين وعلى هذا  
الحال كانت أوروبا تعيش أيامها في نهاية القرن الخامس عشر ، عندما ولد  
مارتن لوثر في ألمانيا

\* \* \*

كان مارتن لوثر ولدا لهانز ومرجريت لوثر . . وهما فلاحان فقيران في إيزلبن

مارتن لوثر

ألمانيا وبرغم أن الأمر كان فقيرين وهما ستة أبناء، إلا أنهما علما مارتن  
تعلما طيباً وعندما تب مارتن أتحت أطعاه إلى الالتحاق بكلية  
الحقوق . . ولم تكن لدى الأوبن الوسائل الكافية لتعليمه بالكلية  
فحاول مارتن أن يجمع مصاريف دراسته في كلية الحقوق بأداءه في الشوارع.  
كثيرون من الطلبة الألمان وقتئذ يعولون أنفسهم بهذه الطريقة  
الناس يعرفون أن هؤلاء الطلبة ليسوا منسوبة من طلبة حائعون  
كل باب كانت تظهر سيدة وتنادى المعنى تدعوه إلى بيت ليتناول  
رحمة طعام

تن على وشك إتمام دراسته القانونية عندما مات صديق  
وكانت هذه الوفاة المفاجئة ذات تأثير قوي جدا على لوثر الشاب  
- دراسته للقانون على الفور وأخذ يدرس الدين  
وبعد سنتين من التحاقه بأحد الأديرة . . عين قسيساً

تلقت مارتن لوثر نظر رؤسائه بالدير بسرعة ذكائه وثقافته ولم  
سكن قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره حين عينوه أستاذا للفلسفة  
جمعة وتخرج

وأخذ مارتن يعلم الطلبة في الجامعة ويعظ الناس في الكنيسة ومع  
ذلك وجد من وقته فراغا لدراسة نظم الكنيسة المسيحية وتاريخها  
وقواعدها

وبرغم إخلاص مارتن لعقيدته الكاثوليكية، إلا أن عدة أمور  
حول سلوك البابا وحكمه وتصرفات رجال الدين بدت للوثر على أنها خطأ  
كبير. واعترض بصفة خاصة على نظام التفتيش، واعتبره نظاما شريراً  
بعيداً عن المسيحية، وراح يقول . . . « لا يستطيع أحد أن يأمر،

ولا يجب أن يأمر ، أو يكره أحدا بالقوة على اعتقاد معين »

ولم يستطيع لوثر أن يفهم كيف أن البابا أو أى واحد من أتباعه ، يكره رجلا على اعتناق المسيحية كما يعلمونها ، إذا لم يكن هذا الرجل مؤمنا بها أولا بقلبه ..

وبعد عدة سنوات أرسل لوثر وراهب آخر إلى روما في بعثة دينية . وعندما رأى لوثر روما ركع على ركبته وقال « بوركت ياروما المقدسة . بوركت من أجل دم الشهداء المراق هنا »

ولم يطل الوقت حتى تبين لوثر أن روما لم تكن المدينة المقدسة التي كان يرجوها

وعلم أن شعب روما يعيش حياة منحلة . وعندما يدعى رجل أنه مسيحي طيب كانوا يصفونه بالحق

وشعر لوثر بأ كبر خيبة أمل عندما وصل إلى مقر البابا الذي كان يعيش في قصر محاطا بالثراء ويخاطبه الناس على أنه ملك فيجشون أمامه ويقبلون قدميه ويلتمسون رضاه . والبابا ظل الله في أرضه . بيع كتبه بالثمن

وعاد لوثر إلى وتنبورج تفسا إذ أقنمته التجربة التي مر بها في روما بأن حكومة البابا كلها خطأ ، ولكنه لم يعرف كيف يمكن تغيير حكم البابا إلى حال أفضل ، ولم يكن قد خطر ببال لوثر كيف يمكن للمسيحيين الطيبين أن يحيا حياة طيبة بدون مساعدة البابا في روما وبعد عودة لوثر من روما بعدة سنوات مات البابا يوليوس الثاني ، وتولى مكانه البابا ليو العاشر .



كان البابا الجديد يريد أن يزوج البابوات السابقين ، فقرر أن **صكوك الغفران** يبني كنيسة لم تبين كنيسة مثلها من قبل .

ولكى يجمع المال اللازم لبناء الكنيسة العظيمة التي تسمى كنيسة بطرس، أرسل البابا ليو العاشر عملاءه لبيع صكوك الغفران في جميع أنحاء العالم المسيحي

وكان لدى البابا وجميع رجال كهنوته قائمة كاملة بجميع الخطايا التي قد يرتكبها البشر وعقاب كل خطيئة

وكانت هناك خطايا يستطيع الآثم فيها أن ينال الغفران عنها بالتوبة.. ولكن كانت هناك خطايا لا بد فيها للمذنب من أن تحل به اللعنة .

وفي أثناء الحروب الصليبية وعد المساهمون في تلك الحروب بغفران جميع خطاياهم إذا كانوا مستعدين لبذل أرواحهم في سبيل إيمانهم وبعد الحروب الصليبية حل البديل النقدي محل بدل الأرواح، فامتلات خزائن البابا بالأموال ، وكان دفع الأموال إلى البابا لغفران الخطايا يعرف باسم « شراء الغفران »

وكانت صكوك الغفران تباع أينما وجد مسيحيون ، وكان أكبر الآثمين طبعاً هم أكبر وأحسن المشترين .

ولم يكتف رجال الدين ببيع صكوك الغفران ، بل كانوا يكلفون التجار ببيعها ويعطوهم عنها عمولة قدرها الثلث ، وكانت لهذه الصكوك أسعار كالأسهم والسندات في بورصة اليوم

ورأى لوثر في هذا الاتجار في صفح الله خطأ . ولم يستطع أن يفهم كيف يمكن لإنسان أن يقتل إنساناً آخر ، ثم يلجأ إلى شراء صك الغفران من عملاء وسماسرة البابا فيصبح بهذا بريئاً أمام الرب .

وعنده رسل البابا ليو العاشر رجاله لبيع صكوك الغفران لجمع المال لبناء كنيسة بطرس ، كتب لوثر بعض الرسائل التي تتضمن احتجاجه إلى القسس في ألمانيا ، يطلب إليهم فيها أن يحتجوا على تجارة صكوك الغفران . ولكن هؤلاء القسس خافوا التدخل في أعمال البابا ، إذ كانوا يعرفون سلطان وقسوة محاكم التفتيش .

وفي ذلك الوقت وصل جوهان تنزل ممثل البابا في ألمانيا لبدأ المزاد على صكوك الغفران .

\* \* \*

لوثر يهدى البابا في ليلة ٣٠ أكتوبر ١٥١٧ حلم الأمير فريدريك أمير ساكسونيا أنه رأى راهبا يأتي إلى كنيسة ويكتب على بابها وكانت الكلمات التي كتبها الراهب طويلة إلى حد أنه كان من الممكن رؤيتها على بعد ستة أميال . وكان القلم الذي كتبها به ضخما إلى حد أنه يصل من ألمانيا إلى روما

وبينما كان الراهب في حلم الأمير فريدريك يحرك قلمه ، لمس رأس البابا في روما ، وكاد ياتي تاجه من فوق رأسه . وكان حلم الأمير فريدريك غريباً

ولكن مارتن لوثر ظهر في اليوم التالي ٣١ أكتوبر ١٥١٧ بكنيسة القصر في ويتنبرج ، وسم على بابها الخشبي مخطوطاً طويلاً باللغة اللاتينية . ووقف الناس بالكنيسة ليقروا الإعلان الذي استنكر فيه لوثر صكوك الغفران . وسرعان ما انتشر النبأ في جميع أنحاء المدينة ، وتجمع الناس حول الكنيسة

و بدون أن يعلم لوثر ترجم تحديه من اللغة اللاتينية إلى اللغة الألمانية . ثم



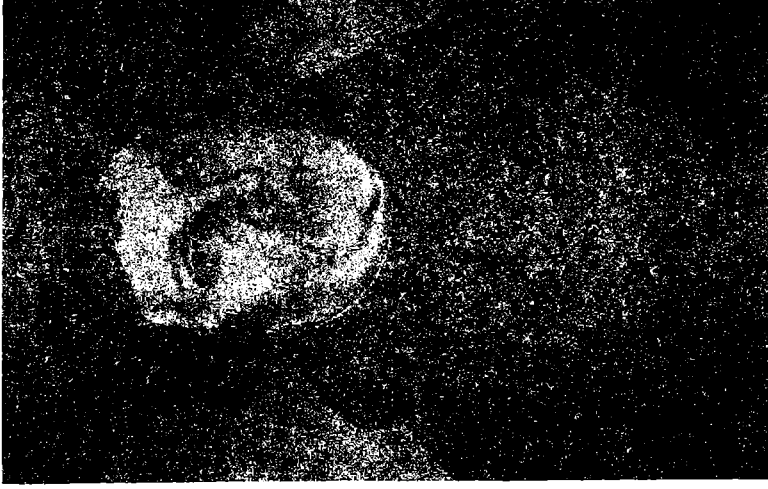




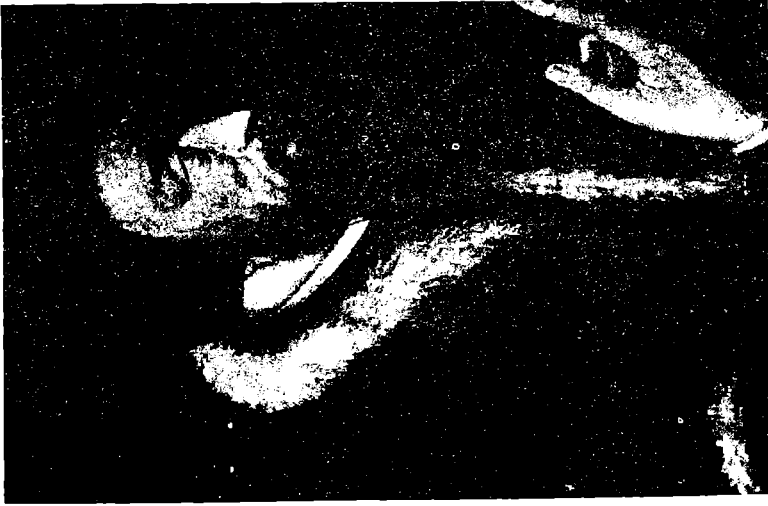
مر نعتش ابن أرملة  
نايين ونهى تبكى  
ووقف يسوع ولمس  
النعتش .. ورفع يده وهو  
يقول أيها الشاب  
لك أقول قم  
ونهض الفتى الميت من  
النعتش واحتضنته أمه



جاء الفرسيون يتقدمهم  
يهوذا وتقدم من يسوع  
وقبله على جبينه ، ليدلمهم  
على أنه يسوع وقال له  
السيد عاتب يا يهوذا  
أقبلتة تعلم ابن الانسان



مارتن لوتر  
هاجم سكيو - القرآن  
وكشف فساد البابوية



زفيجلى  
نظم كنائس البروتستانت  
مع صديقه مارتن لوتر

ترجم من اللغة الألمانية إلى اللغات الأوروبية الأخرى . ولم تمض أربعة أسابيع حتى عرف في جميع أنحاء ألمانيا وفي جميع أنحاء أوروبا ووصلت الأنباء إلى البابا ، ولكنه لم يزد على أن قال :

« إنه ألماني مخمور هذا الذي كتبه ، وعندما يفيق سيرى فيه رأياً آخر » .

### مخطوط لوثر

وكان المخطوط يحمل رأى مارتن لوثر في خمسة وتسعين بنداً منها \* أن ربنا يسوع المسيح في قوله « توبوا » يطالب المؤمنين أن تكون توبتهم حقيقية وسيرهم مقدسة طاهرة نقية طول حياتهم

\* إن هذه الكلمة لا يمكن أن تشير إلى التوبة أو الاعتراف على يد الكاهن أو الاكتفاء بوفاء فريضة أو قانون يسنه الكاهن

\* إن البابا لا يريد — ولو أراد لا يستطيع — أن ينقذ الإنسان من عقوبة قانون إلا الذي سنه هو بمحض إرادته

\* إن البابا لا يستطيع أن يرفع عن الإنسان قصاص الخطيئة . وإنما فقط يعلن أن خطاياها مغفورة من الله

\* إن الآراء المغلوطة الخاصة بإمكان الكفارة في المطهر ، هي بدعة قد نبتت في حقل الكنيسة في غفلة من رجال الدين .

\* كل رسل البابا وأتباعه الذين يبيعون صكوك النفران ، يخطئون في قولهم أن العفو البابوي يمكن أن يحرر الإنسان من الخطيئة ويؤكده خلاصه .

\* ينخدع غالبية الناس بهذه الوعود الجوفاء التي يستحيل على البابا الوفاء بها

\* القول بأنه في اللحظة التي ترن فيها الدراهم في صندوق الجمع تخرج النفس من المطهر ، قول ليس فيه ذرة من الحق .

\* أولئك الذين يعتقدون مخلصهم من العذاب في الجحيم لحصولهم على الوعود البابوية ، سيقصون أبدية تعيسة في جهنم رفقة الذين علموهم هذه الأمور

\* يجب أن يحذر الناس من التعاليم المضللة القائلة بأن هذه الغفرانات هي هدايا ثمينة من عند البابا بها يقبل الإنسان عند الله

\* كل مسيحي يترك خطاياهم ويتوب عنها توبة قلبية صادقة ، تغفر له خطاياهم ويكتب اسمه في سفر الحياة ، ولا حاجة إلى خطابات توصية من البابا

\* كل مسيحي حقيقياً حياً كان أو ميتاً ، يشترك في كل ركعات يسوع التي أعدها للمؤمنين باسمه ، بلا حاجة إلى صكوك الغفران

\* مع ذلك يجب ألا نحتقر الغفران البابوي لأن هذا إعلان لغفران الله.

\* الثائب الحقيقي يجب القصاص ويبحث عنه ولا يترأخى لحظة في قبوله.

\* يجب أن يعلم المسيحيون أن البابا لو عرف خداع الداعين لشراء الغفران وغشهم واختلاسهم ، لفصل أن تكون كنيسة ماربطرس التي سببها في روما رماداً من أن يراها تبنى من دماء الرعية .

\* لا ننكر نعمة الله التي منحت الكنيسة قوة الربط والإحلال من

الخطيئة على اعتبار أن ذلك مجرد إعلان لحكم الله

\* من يتكلم ضد غفران البابا على اعتبار أنه إعلان لغفران الله

فليكن ملعوناً ، أما من يتكلم ضد دعاة شراء الغفران وصكوكه ، أولئك الدعاة الحق ، فليكن مباركا

\* \* \*

على أن لوثر لم يكتف بكل هذا الذي فعله . . . بل لقد حطم لوثر



تلك الأسوار الواهية التي ظلت أكثر من أربعائة سنة تحيط المذهب البابوي ببياض القبور الناصع ، وهي من الداخل مليئة بالعظام النخرة . وراح لوثر يعدد المهازل والفضائح التي ارتكبتها روما في حق الشعب الألماني منذ أجيال عديدة . وتقدم بمشروع للإصلاح يحتوى على سبعة وعشرين بنداً أهمها ستة بنود محددة :

\* يجب على الشعب الألماني أن يرفض دفع الضريبة السنوية للبابا **مشروع الإصلاح** لأنه بدلا من أن يصرفها في أعمال البر والإحسان يستعملها لإشباع شهواته الدنيئة .

\* لا مانع من أن تكون الأمور الروحية الدينية من اختصاص البابا . ولكن على البابا ألا يتدخل في الأمور الزمنية التي هي من اختصاص السلطات الدنيوية .

\* يجب أن يتمتع البابوات عن الإنفاس في المتع والم لذات ، وأن يقللوا من مظاهر الأبهة والعظمة فن التناقض العجيب أن يدعى البابا أنه راعي كنيسة المسيح على الأرض ، وخليفة القديس بطرس ، بينما يحيا حياة العزة والأبهة غير متمثل بالمسيح الذي ولد وعاش ومات فقيراً

\* ليس للبابا سلطان على الإمبراطور إلا مسحه وتتويجه أمام المذبح ، فلا يجب أن نستسلم لكبرياء البابا وخبثه وأوامره التي تقضى بأن يقبل الإمبراطور قدمى البابا أو يمسك بلجام بقلته إذا ركبها أو يقسم له يمين الولاء والطاعة وغير ذلك من الحقوق التي يدعيها البابوات بلا خجل أو حياء

\* الناس يحترثون على الله بتقيلهم قدمى البابا وإذا كان المسيح يفضل أرجل تلاميذه ويمسحها بمنشفة لكي يؤكدهم أنه جاء ليخدم

لا ليخدم ، وكيف يتجاسر البابا أن يأمر الناس بتقبيل رجله مع أن بين من يقبلون قدميه من هم أكثر نقاوة وطهارة من البابا نفسه .

\* تحريم قانون الكنيسة الرومانية الزواج على الكهنة خطأ ، لأنه جعل الكثير من الكهنة يندفعون اندفاعاً خفيفاً إلى الفسق والفجور  
\* \* \*

كل هذه الاعتراضات أعلنها مارتن لوثر . . فاهتز عرش البابوية وهبط بيع صكوك الفقران

قرار المهرمان

ولكن بيع الصكوك الذي هبط بسرعة كان مثيراً أكثر من سواه لغضب البابا

وعندئذ أصدر البابا الفاضب أمراً بطرد لوثر من سلك رجال الدين ، وتحريم قراءة ما كتبه أو التعامل معه . وأرسلت نسخة من هذا الأمر إلى لوثر .

وعندما وصل الأمر إلى لوثر أحرقه علناً

وكان هذا هو الحد الفاصل بين لوثر وكنيسة روما . . وكان للوثر عدد كبير من المعجبين والأتباع الذين وافقوه على انتقاده سلطان البابا وشجموه على المضى في هجومه

ولم يخيب لوثر أملهم فيه وأخذ يلقى المحاضرات ويؤلف العديد من الكتب عن موضوع سلطان البابا

وفي أحد هذه الكتب يقول

« أصبحت كنيسة روما التي كانت من قبل أقدس الكنائس ، أشد مباءات اللصوص خروجا على القانون ، ومملكة الخطيئة والموت والجحيم » . وكان مارتن لوثر عاملاً مجدداً لا يتعب ولا يمل وقد كتب أكثر



من ٤٠٠ كتاب وكتيب ، وترجم الإنجيل إلى الألمانية . . ومع ذلك وجد وقتاً يعظ فيه الناس وينظم الكنائس التي انفصلت عن كنيسة روما . .

وقبل أن يموت لوثر كانت تعاليمه المسماة « اللوثرية » قد انتشرت في جميع أنحاء ألمانيا والنرويج والسويد والدانمرك .

وأصبحت الكنائس التي نظمها تعرف باسم الكنائس البروتستانتية . .

وهكذا تحقق حلم الأمير فردريك

\* \* \*

لم يكن مارتن لوثر أول من كتب تاريخاً جديداً للكنيسة في عهد **عصر النهضة** الإصلاح الديني

وقبل انفصال لوثر عن البابا حدثت عدة ظروف دعت إلى ضرورة إجراء تغيير في تاريخ الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، بما في ذلك الرجال الذي أبدوا الحاجة إلى التغيير

ويتميز القرنان الرابع عشر والخامس عشر بيقظة كبرى عن العصور التي تعرف باسم العصور المظلمة

وتسمى هذه اليقظة باسم النهضة

وفي خلال هذين القرنين أنشئت جامعات هيدلبرج وكولوني وبراج وفينا وارفورت ومن هذه الجامعات انتشرت المعرفة الجديدة

وفي أثناء العصور المظلمة حظر البابوات تعليم اللغتين اليونانية والعبرية ، ودراسة الفلسفة الإغريقية ودراسة الميثولوجيا الكلاسيكية . أما في القرنين الرابع عشر والخامس عشر فقد أعيد إحياء هذه الدراسات في الجامعات الكبرى ، وبعثت تعاليم وآداب التاريخ الماضي .

وأُسفرت دراسات اللغة اليونانية وتاريخ الإغريق عن اهتمام جديد بالفن . وشجع ذلك على عوفن عظيم في أوروبا . وفي هذا الوقت سجل ليوناردو دافنشى رسومه التي لا تزال كنوراً حتى اليوم . وسجل رافائيل رسومه المشهورة هو ومايكل أنجلو الذي ترك للعالم تراثاً رائعاً في الصخر المنحوت .

وبما هدرت المعرفة الجديدة كالرعد وأكب أسانذة الفرشاة والأزميل على العمل انتشرت الأنباء من بلد إلى آخر أن دياز وفاسكو دا جاما وكولمبس قد اكتشفوا سواحل عالم جديد وطريقاً مائياً إلى الهند ، ولم تكن أنباء الاكتشافات الرائعة للطريق الجديد إلى الهند ، والقارة المجهولة ، قد انتشرت كاملة عندما ظهر الطبيب البولندى العظيم العالم جان كوبرنيكوس ، ببعض آلات صغيرة تحت ذراع ، وكتاب صغير كان قد كتبه ليثبت اكتشافاته في السماوات .

وكان الناس حتى ذلك الوقت يؤمنون بأن الأرض هي مركز الكون ، وأن الشمس والقمر والنجوم تدور حول الأرض لتكون في خدمتها وأثبت كوبرنيكوس أن هذا الذي قيل ليس حقيقة وأثبت أن الأرض والقمر والنجوم تدور حول الشمس وأن الشمس هي مركز الكون . وهكذا انكشفت الأرض من مركز الأهمية الأولى في الكون ، إلى بقعة لا قيمة لها في الفضاء ، ضمن عدد كبير آخر يدور حول الشمس . واستطاعت نظرية كوبرنيكوس المذهلة عن الكون أن تجعل الناس يفكرون أفواهم دهشة ويفكرون

في إنجلترا وفرنسا وفي إيطاليا وألمانيا وفي جميع أنحاء العالم التحضر أشرق فجر النهضة وأثار تفكير الناس وجعلهم يتحركون .





وجند الشعراء والكتاب الكبار في تلك الأيام أنفسهم في جيش  
المعرفة الجديدة

وفي بداية القرن الرابع عشر نشر « دانتي » ملحمته الطويلة  
« الكوميديا الإلهية » وفيها يصف الشاعر رحلة خيالية عبر المطهر والجحيم  
والجنة . ولم يكن الدليل الذي قاد دانتي عبر النار والجنة ملكا ولا حواريا  
ولا فريسيًا ، بل فرجيل الشاعر العظيم الوثني

وقد لا يبدو لنا هذا العمل الآن هرطقة أما في تلك الأيام فقد كان  
إظهار دانتي هذا الاحترام لشاعر روماني جريمة يستحق عليها بعض الناس  
الحرق على الصليب

وبعد دانتي بدأ الكتاب العظماء الآخرون الثناء على فلسفة الإغريق  
وأساطيرهم وأدبهم العظيم

وإذ دبت الحياة في كل هذه الآراء، حدث تغيير في المعتقدات الدينية،  
واضمحلال في نفوذ البابا وهو أمر لم يكن منه مفر  
وفي كل مكان من أوروبا ظهر مصلحون آخرون مثل والدو وجون  
وايكليف ورفنجلي وجون كالفن .

\* \* \*

توجد في المتحف البريطاني وثيقة يرجع تاريخها إلى عام ٣١٤ وقعتها  
ثلاثة أساقفة بريطانيون ، تقرر أن المسيحية وصلت إلى إنجلترا قادمة من  
اسكوتلاندا وإيرلندا اللتين سبقتاها إليها ولكن بابا روما لم يرسل  
أوغسطين لتنصير الساكسونيين إلا في عام ٥٩٧ ، حيث أنشاء القرع  
الإنجليزي لكنيسة روما الكاثوليكية .. ذلك الذي سمي كنيسة إنجلترا .

كنيسة إنجلترا

وبعد سبع مئات من السنين ، رغب حكام إنجلترا في الانفصال عن بابا روما. ولم يكن لديهم ما يفظونه ضد عقيدة البابا كشأن رعماء الإصلاح الديني ، كان هدفهم هو السلطان السياسي وهكذا قرر رؤساء كنيسة إنجلترا في عام ١٥٣٤ أن بابا روما ليست له سلطة في إنجلترا تفوق سلطة أى حاكم أجنبي ومنذ ذلك الوقت وكنيسة إنجلترا منفصلة عن الكنيسة الكاثوليكية في روما ، وأصبحت كنيسة إنجلترا تعرف بالكنيسة البروتستانتية الأسقفية

وإذا كانت كنيسة إنجلترا قد انفصلت عن سلطان البابا ، إلا أن معتقداتها وطقوسها وكنهونها ظلت شبيهة بتلك الخاصة بكنيسة روما الكاثوليكية .

**طوائف البروتستانت** ولكن الطوائف البروتستانتية التي حاولت الانفصال عن الكاثوليكية وتعاليمها في إنجلترا وفي غيرها من بلاد العالم ، ظلت تنمو باطراد وكل منها تختلف عن الأخريات في بعض المعتقدات والطقوس وكان أتباع إحدى هذه الطوائف المهمة يعرفون باسم «المنكرين لوجود تعميده الأطفال» .

ولقد ظهر هؤلاء عقب انتشار تعاليم بيتر والدو وأتباعه . وفي الوقت الذي بدأ فيه لوثر وزفنجلي تنظيم كنائس البروتستانت ، كان هؤلاء المنكرون لوجوب تعميده الأطفال قد تكاثروا عددهم ومع ذلك فلعدة أسباب لم يجد لوثر وزفنجلي فيهم أصدقاء لهم وخاصة لأن ما يؤمنون به كان يخالف رأى لوثر وزفنجلي

فبين عام ١٥١٧ عندما تحدى لوثر صكوك الفجران ، وعام ١٥٣٠ عندما كثرت أتباع لوثر وزفنجلي ، أعدم أكثر من ٢٠٠٠ من أتباع الرأى



المنكر لوجوب تعويد الأطفال وكانت الطرق التي يتبعها المصلحون الدينيون في قتلهم من الشناعة بحيث تذكر المرء بمحاكم التفتيش .

وقد طاردهم الكاثوليك والبروتستانت على السواء من مكان إلى آخر وقتلهم أو سجنهم أيما وجدوهم . ومع ذلك فقد تكاثر عددهم وانتشرت تعاليمهم في سويسرا وألمانيا والنمسا وهولندا .

وكان هؤلاء طلائع عدد من طوائف البروتستانت الهامة ومن بينها المعمديون والمخفيون والأصدقاء .

وجماعة الأصدقاء ظهرت في إنجلترا قبيل نهاية القرن السابع عشر وكانوا يخالفون بعض الطوائف المسيحية الأخرى في أنه ليست لهم مجموعة معينة من الاعتقادات الخاصة بأعضاء هذه الطائفة .

كما أنه ليس لهم رجال دين أو كنائس

وكانوا يؤمنون بأن الدين الصحيح الذين يسمونه النور الباطن ، هو في داخل المرء . وأنه حينما يجتمع المؤمنون الحقيقيون كان مكان الاجتماع أرضاً مقدسة . وكانوا يجتمعون في بيوت خاصة وفي الحظائر وفي الهواء الطلق وفي الأسواق .

وكانت اجتماعاتهم تشبه اجتماعات الأصدقاء .

وكانوا في الواقع يسمون أنفسهم جمعية الأصدقاء

وقد اضطهدوا في إنجلترا وهاجر الكثيرون منهم إلى أمريكا ولكن معاملتهم في أمريكا لم تكن أحسن حالاً من معاملتهم في إنجلترا حتى اتخذ آخر أتباع هذه الطائفة مستعمرة لهم في بنسلفانيا ونيوجرسي وقد تأثرت هذه الطائفة بتعاليم الطوائف الأخرى التي سبقتهم، كما أنهم بدورهم أثروا في الطوائف التي جاءت بعدهم .

واستمر بعدد طوائف البروتستانت .

ويختلف بعض هذه الطوائف عن البعض الآخر إلى حد أنهم لا يكادون  
يبدون فروعا لدين واحد ويتشابه البعض الآخر إلى حد يدعو إلى التساؤل  
لماذا لا يتحدون في طائفة واحدة وكنيسة واحدة ولبعض هذه الطوائف  
مؤسسون مهم يسموهم القديسين والأنبياء ولبعضها كتب مقدسة خاصة  
بهم إلى جانب الإنجيل ولبعضها طرق عبادة لا يشاركون فيها  
آخرون

واستمر انقسام الطوائف البروتستانتية حتى اليوم إذ أصبح هناك ٢٠٠  
طائفة مختلفة . ولا تزال هناك طوائف جديدة في سبيل الظهور

\* \* \*

**الطوائف الأمريكية** أما في أمريكا فقد وجدت كل مذاهب المسيحية لها مكاناً  
ففيها الأرثوذكس اليونان والروم الكاثوليك وكذلك أتباع المائتي طائفة  
البروتستانتية. وبالإضافة إلى طوائف الكنيسة التي تطوف في أوروبا ، والتي  
انتقلت إلى أمريكا ، توجد طوائف أخرى نشأت على أرض  
أمريكا نفسها

وأبرز الطوائف الأمريكية

المورمونية ، وكرستيان ساينس

وقد أنشئت المورمونية منذ قرن من الزمان . أنشأها جوزيف سميث  
بولاية نيويورك وادعى أنه وجد كتابا مكتوبا على أوراق من الذهب  
كشفها له ملك من السماء اسمه موروني . ونظم جوزيف سميث مع بعض  
الأصدقاء كنيسة جديدة أسموها « كنيسة يسوع للقديسين الآخرين »  
وهناك قرابة نصف مليون مورموني في العالم الآن . ويقوم أغلبهم داخل

مدينة «سولت ليك سبي» . ومع ذلك فهم مؤمنون ويدعون في العالم كله أن الكنيسة الحقيقية القائمة في العالم هي كنيسهم .

وأحدث من هذه الكنيسة ظهوراً ، تلك الطائفة المعروفة باسم كريستيان ساينس — التي أنشئت منذ خمسين عاماً فحسب ، ومؤسسها هي مسز ماري بتل أيدى

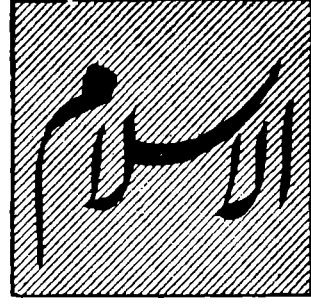
ولقد وضع مسز ايدى كتابا اسمه « العلم والصحة » كدليل إلى الإنجيل وحاولت فيه أن تفسر كيف يمكن شفاء المريض بالإيمان . ونظمت كنيسة خاصة بها كما فعل جوزيف سميث وآخرون غيره . وأسماها الكنيسة الأولى للمسيح في العالم .

وسرعان ما وجدت مسز ايدى عدة أتباع في أمريكا وفي غيرها من البلاد

ويدعى أتباع هذه الكنيسة ما يدعيه أتباع الكنائس الأخرى التي ظهرت حديثاً من أنها الكنيسة المسيحية الحقيقية الوحيدة .

على أنه مهما اختلفت طوائف البروتستانت فإنها تتفق على أن الإنسان يمكن أن يكون مسيحياً صالحاً دون أن يدين بالولاء للبابا، وأن كنيسة روما الكاثوليكية ليست وحدها الكنيسة المسيحية الحقيقية في العالم

ومع ذلك ٥٥ ففي أوائل عام ١٩٦٠ بلغ عدد الكاثوليك في العالم ٣٥٣ مليوناً والأرثوذكس ١٣٧ مليوناً والبروتستانت ١٧٠ مليوناً . ويقدر هذا العدد الذي بلغه المسيحيون بحوالى ربع سكان العالم .



د إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين  
أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون  
يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم  
عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من  
نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلبسوا  
أنفسكم ولا تتباذروا بالألقاب بئس الاسم  
الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك  
هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا  
كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا  
تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم  
أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا  
إن الله إن الله تواب رحيم يا أيها الناس إنا  
خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً  
وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم  
إن الله عليم خبير ،

« قرآنه كريم »

# كلكم لأدم وأدم من شراب

كان العمم شيئاً كريهاً في حياة إبراهيم بن آذر وزوجته سارة. وما كان مولد إسماعيل، أشق على إبراهيم ألا يكون له نسل وهو يقترب من التسعين ، وما كان أشق على سارة ألا يكون لها قدرة على الإنجاب وقد شاخت ، ولم يعد يرجى لها أن تكون أمّاً . ولم يكن أمام سارة لترضى زوجها إلا أن تشير عليه بالدخول محاربتها هاجر عليها تنجب له ولداً يسرى عنهما ما يجدان من لوعة الوحدة ومرارة الوحشة ، ورضى إبراهيم عن وهبتها له زوجته ، فأنجبت له غلاماً سماه إسماعيل .

غير أن الفرحة التي ملأت قلب إبراهيم بولده ، لم تجد لها صدق كبيراً في قلب سارة ، التي دبت إليها الغيرة والحسد من أن يكون لزوجها من جارتها ولد وهي ليست بذات ولد فلم يمض وقت طويل حتى أصبح إسماعيل قذى في عين سارة ، لاتطبق النظر إليه ، ولا تحتل رؤية أمه هاجر وفوجيء إبراهيم بسارة ذات يوم تطلب منه أن يقضى الولد وأمه عنها . ولم يجد إبراهيم إلا أن يدعن لإرادة زوجته ذات الحظوة لديه . وبدا له أن الله أوحى إليه أن يطيع أمرها ويستجيب لرجائها. فنهض في الصباح التالي ليركب دابته ، واصطحب معه الغلام وأمه ، وسار بهما يقطع الصحراء مبتعداً عن مكان سارة ، وطال به السير حتى وقف في مكان كان هو الذي صار مكة فيما بعد، فأنزل هاجر وطفلها في تلك الصحراء البلقع. وتركها هناك وليس معها سوى مزود به قليل من الطعام ، وسقاء فيه شيء من الماء ثم مضى عائداً إلى زوجته .

امتثلت هاجر للقضاء وجاست في ذلك المكان تأكل من الزاد وتشرب من الماء . غير أن الطعام والماء كان لا بد لها أن ينفدا ، نفوى بطنها وجف ضرعها ، ولم تعد تستطيع أن تجد ما ترضع به الرضيع الذي يرايح بصرخ ، وقد

ثقلت عليه وطأة الجوع والعطش . ومهضت الأم كجنونة تبحث عن ماء ، وراحت تجرى فزعة مذعورة بين جبلي الصفا والمروة القريبين مها . غير أن سعيها الكثير الذي بلغ سبع مرات بين الجبلين لم يتح لها أن تجد شربة ماء لها ولولدها . وعادت إلى الرضيع وجلست على حجر تبكي وتنوح ، وفجأة ، والولاد يضرب الأرض بقدميه في غضب شديد لطول ما ألم به ، إذ بالماء ينبع تحت قدميه من بين رمل الصحراء .. وكانت هذه هي عين زمزم التي يؤمها الحجيج ويستبقون إلى حوصها حتى الآن

### الضحية

استردت هاجر وإسماعيل حياتيهما من نبع الماء . وكان ذلك النبع سبيلاً يجذب إليه الطير الذي لم يكذب يكثر تحويمه حول المكان ، حتى جذب أقواماً فوجئوا بالماء في ذلك المكان البقع ، فاتخذوه موطناً لهم مع هاجر التي اطمأنت إلى جوارهم وعاشت بينهم مع ولدها إسماعيل ولم ينس إبراهيم ولده . فقد كان يأتي بين الحين والحين يزوره ويطمئن عليه ، حتى إذا شب وأصبح الولد ابن الثالثة عشرة ، رأى إبراهيم في نومه أنه يؤمر بذبح ولده الوحيد .

كان إبراهيم مؤمناً ربه لا يعصى له أمراً ، ولم يجد - برغم حزنه وألمه - إلا أن يمثل للأمر ويسارع إلى الطاعة فارتحل إلى حيثلقى ولده وأخبره بما أمر به

قال إبراهيم : يا بني .. إنى أرى في المنام أنى أذبحك .. فانظر ماذا ترى ؟  
أجاب إسماعيل : يا أبت .. افعل ما تؤمر مستحدي إن شاء الله من الصارين .



ومضى إبراهيم بولده لينفذ فيه أمر الله . واستسلم الولد لأبيه وهو يشد وثاقه ويحكم رباطه حتى لا يضطرب .. ووضع الأب السكين على عنق ولده





وأمرها.. غير أنها لم تقطع. فجزبها على قفاه فما استطاعت أن تقطع شيئاً..  
وأدركت إبراهيم الحيرة فتوجه إلى الله أن يجعل له مخرجاً فاستجاب  
الله لدعائه وناداه « يا إبراهيم قد صدق الرؤيا إنا كذلك مجزي المحسنين »  
وفوجيء إبراهيم بكبش بجانبه ، فادرك أن الله فدى به ولده ، فأقبل  
على الكبش وهوى بالسكين عليه فصرعه وخصب الأرض بدمه  
وكانت تلك هي الضحية التي تم بها فداء إسماعيل

وشب الصبي في ذلك المكان واختلط بالقوم الذين نزلوا حيث نزل  
مع أمه ، وهم قوم من جرهم ، فتعلم لغتهم وأخذ العربية عنهم وتزوج منهم .  
ومصب السنون وإبراهيم لا يأتي لزيارة ولده مكة إلا لماما حتى جاء  
يوم أمر فيه إبراهيم ببناء الكعبة وإقامة أول بيت للناس يعبدون فيه الله  
في ذلك المكان

### بناء الكعبة

ورحل إبراهيم ليلتقي بولده إسماعيل قرب زمزم وهناك كشف له  
سر ما أمر به ، فقال لولده وهو يشير إلى مرتفع قريب « يا بني إن الله قد  
أمرني أن أبني هنا بيتاً »

واستجاب الولد وهض لعون أبيه وراحا معاً يقيمان البناء ويحفران  
بالمعاول ويرفعان قواعد البيت .. وعندما بدأ البناء يكتمل وضع إبراهيم  
في الزاوية الشرقية منه الحجر الأسود الذي كان قد ورثه من آبائه الأولين ،  
والذي كان آدم أول البشر على الأرض قد جاء به من جنة عدن  
وعاش إسماعيل وذريته في ذلك المكان ، وكبرت أسرته وازدادوا بناؤه..  
ومع كثرة عددهم راحوا جميعاً يبنون حول الكعبة المقدسة مدينتهم التي  
سموها مكة .

وتكاثرت ذرية إسماعيل وأخذت تنتشر شرقاً حتى الخليج الفارسي  
وشمالاً نحو البحر الأبيض المتوسط وجنوباً حتى خليج عدن ولكنهم  
مهما ابتعدوا في رحيلهم وأينما استقروا . . فقد ظلت مكة عندهم هي  
المدينة المقدسة ، وظلت الكعبة هي محرابهم الذي يتوجهون إليه وهم يتذكرون  
الله . . وظل الحجيج من نسل إسماعيل يأتون إلى مكة مدينة الله يحجون  
إليها ليتهبدوا في الكعبة ، ويقبلوا الحجر الأسود الذي توارثوه من آدم ،  
وليشربوا من ماء بئر زمزم الطاهر

وأصبح أبناء إسماعيل وأحفاده ومن جاء من نسلهم جنساً اسمه  
العرب .

وأصبح أبناء إسحاق الذي أنجبه إبراهيم بعد ذلك من زوجته سارة  
جنساً آخرهم اليهود . . ومن نسلهم كان المسيحيون .

\* \* \*

كان العرب كالأمم القديمة من عبدة الطبيعة . عبدوا الشمس والنجوم  
وأرواح الشمس والنجوم ، كما عبدوا ذكرى آبائهم إبراهيم وإسماعيل . وبنوا  
الأصنام في مكة بالقرب من الكعبة وعبدوها .

عقيرة العرب

وكان لهم ثلاثمائة وستون صنماً يعبدون واحداً منها في كل يوم من أيام  
السنة . وقيل أن قريشاً وضعت هذه الأصنام حول الكعبة لتنتفع من قدوم  
القبائل العربية كلها في موسم الحج ، فإذا وجدوا معبوداتهم حولها أولوها  
احترامهم وتقديسهم . وكان أهم هذه الأصنام هبل . . وهو صنم على صورة  
إنسان مخفور من العقيق الأحمر اليماني ، وكان مكسور اليد اليمنى ثم صنعت  
له قريش يداً من الذهب الخالص . أما مناة فهي إلهة القضاء ولاسماً قضاء  
الموت ، وأما اللات فهي صخرة مربعة أقيم عليها بناء . . والعزى تمثل في  
شجيرات بواد بين مكة والعراق .



وكان العرب يعبدون الله - رب إبراهيم وإسماعيل - فوق عبادهم  
آلهة الطبيعة والأرواح والأصنام . ولكن إلى جانب عبادتهم لله الذي  
كانوا يعتبرونه هو الإله الأكبر . فقد أولوا النجوم والأصنام انتباهاً كبيراً .  
وكان لكل قبيلة صنمها واعتقاداتها الخاصة بها . . وغالباً ما كانت القبائل  
تقاتل بقسوة ويسحر بعضها من معتقدات البعض الآخر ومع ذلك  
فقد كانوا جميعاً يشعرون أنهم ترابطوا بصلة النسب القديم .

ومع ذلك فقد استمرت عبادة الأصنام وتقديسها تأخذ مكاناً بارزاً  
في نفوس أهل شبه الجزيرة وكان عدد الأصنام يزايد بشكل مستمر  
مع ما كان ينتشر بين الحين والآخر من أحاديث العرب الرحل عن  
اكتشاف تل أو كومة من حجارة أو خميلة أشجار لها قدرة على شفاء  
المرض أو جلب الحظ السعيد . . فقد كان مثل هذا الاكتشاف يزيد عدد  
الأصنام بقدر عدد الاكتشافات المقدسة .

هكذا ظلت بلاد العرب غارقة في حروبها القبلية وخلافاتها حول  
مختلف معتقداتها الدينية التي اكتظت بها وكتبت بمختلف صورها على  
حجارة مقدسة أو تلال أو نخيل ولم يستطع جيرانها أن يؤثروا فيها  
كثيراً ، إذ كان موقعها الجغرافي حائلاً دون أن تتعرض في يوم من الأيام  
لاضطهاد الدول الكبرى التي نشأت في الشرق أو في الغرب . . فلم يتجه  
طموح بابل أو آشور أو الإغريق أو الرومان إلى بلاد العرب قط . .  
سوى فترات ضئيلة مثلما حدث عندما أرسل هرقل الرومي  
إلى مكة من يحكمها ، أو مثلما حدث عندما زحف أبرهة الحبشي إلى مكة  
ليهدم كعبتها ويستبدل بها كعبة غيرها أو مثلما حدث عندما طغى  
الفرس على شرق البلاد أو على جنوبها .

على أن عجز هذه الدول كلها عن السيطرة على بلاد العرب ، لم يمنع من أن تتأثر عقيدة العرب بالأديان التي كانت مقدسات أهل تلك الدول المحيطة بشبه الجزيرة . فأديان فلسطين عرفت طريقها إلى بلاد العرب إلا أن كل دين استقر هناك بوسيلة مخالف صاحبه . فأما اليهود فقد نفذت عقيدتهم إلى شبه الجزيرة مع هجرة بنى إسرائيل وطلبهم للمرعى وبجهم عن القوت . واستطاع هذه الهجرات التي تمت قبل ميلاد المسيح بقرون أن تستقر في المنطقة بين يثرب ومكة لتتسرب منها بعد ذلك إلى اليمن . واستطاع هؤلاء اليهود أن ينشروا تعاليم التوراة من بعث وثواب وعقاب حيث نزلوا ، مما كان له أثره في الوثنية الحجازية حتى أصبح أهل يرب أسرع العرب إلى قبول الإسلام . وأما المسيحية فقد سارت في جزيرة العرب على أيدي دعاة ورهبان جدوا في نشر تعاليمها وتلقيها للعرب . ولكن برغم جهود أباطرة البيزنطيين ، إلا أنها لم تجذب إليها أنصاراً كثيرين ، وإن لم يمنع ذلك من أن تنتشر المسيحية شيئاً ما من الجنوب عن طريق الحبشة والشمال عن طريق سوريا وشبه جزيرة سيناء الآهلة بالصوامع والأديرة

على أن اليهودية والمسيحية وإن كانت لم تنتشر بشكل كبير عند العرب ، إلا أنها استطاعت أن تؤثر في عقيدة القوم الذين اختلطوا باليهود والمسيحيين عن طريق التجارة وظهر بين العرب أناس مستديرون فطنوا إلى سوء حالتهم الدينية ، وحاولوا الارتقاء من الوثنية إلى اعتقاد أرقى منها ، ووجد بينهم من دعوا إلى دين توحيد جديد له بعض العلاقة بالمسيحية فدعوا إلى نبذ عبادة الأوثان ، والتخلص من العادات الجاهلية ، كوأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر ، واعتقدوا في البعث ووجود إله واحد محاسب ويجازى الناس على أعمالهم من خير وشر . هؤلاء هم الحنيفيون أتباع دين إبراهيم



كل ذلك حدث إلى جانب أشياء أخرى كثيرة استطاعت أن تهز  
عقيدة العرب في مقدساتهم

فقد كان العرب في كل مكان يعتقدون اعتقاداً جازماً بقدسية مكة  
حيث الكعبة وبئر زمزم وكان العرب في حجهم إلى الكعبة المقدسة  
يحملون معهم البخور والتوابل والعود لبيعها أو للمقايضة بها في أسواق  
مكة وكان طبيعياً أن يستفيد تجار مكة الأغنياء من وصول سيول الحجاج  
الذين يشترون منهم كل ما يحملون من المنتجات وراح التجار يشجعون  
الحجاج على الإكثار من الحضور إلى ذلك المكان حيث الرحلة وحدها  
تجلب لهم اللحظ السعيد . ثم شجع زيادة عدد الحجيج بعض تجار مكة وهم  
من قريش على أن يدعوا أن بئر زمزم ملكهم الخاص وراحوا يبيعون  
ماءه للحجيج

وعندما حدث هذا بدأ العرب يشكون فيما إذا كان هذا الماء مقدساً  
حقاً فلو كان ذلك صحيحاً . فكيف يباع ببيع السلع !  
وقال بعض الحجيج إذا لم تكن هناك قدسية في ماء زمزم ، فأية  
قدسية هناك في تلك الأصنام والتماثيل ؟ !

وخطر ببال الكثيرين ألا قدسية هناك ولكنهم التزموا  
الصمت ثم أخذوا بالتدريج يفقدون الإيمان في قوة ماء زمزم وقدسية  
الكعبة وألوهية الأصنام .

وبعد أن تحطم إيمانهم بالأشياء المقدسة اتجهوا إلى الخمر والعرافة وادعاء  
معرفة المستقبل وكشف حجب الغيب .

وعندما انتشرت العرافة وحاول العرب معرفة أسرار أشياء كثيرة ، لجأوا  
إلى حساب النجوم وتشريح الطيور والفيضان واستكشاف الطوالع

وأدى كل ذلك إلى المقامرة

وأدت المقامرة إلى عدة شرور أخرى من بينها الترف والطمع والإغراق في الخمر والقمار والمتعة وتسخير الأقوياء للضعفاء

ولم يعد هناك أمل في استقرار بعد

شيء واحد فقط كان يمكن أن يعيد إليهم الطمأنينة والراحة  
ويعيد عنهم الشكوك هو ظهور عقيدة جديدة تهديهم وتمهد لهم الطريق

\* \* \*

وكان هذا هو الذى حدث بالفعل .

مولد محمد

فذات يوم من عام ٥٧٠ بينا عبد المطلب بن هاشم جالس في جوف الكعبة وحوله بنوه وكبار قومه إذ دخل من نبيء الشريف القرشي أن آمنة بنت وهب، أرملة ولده عبد الله الذى وراه تراب يثرب منذ شهر، قد ولدت صبياً. ودهش عبد المطلب للنبأ وفاض وجهه بالفرح وهو فى غير حاجة إلى بنين . فقد ذكر ولده الحبيب الذى مات عن خمسة وعشرين عاماً وهو عائد من رحلة التجارة إلى الشام .

وأسرع عبد المطلب إلى آمنة ، فوجد طفلها إلى جانبها ، فحمله وهو يسمع إلى ما تحدثه أرملة ولده ، إذ قيل لها ذات يوم حين أحست بالحمل « لقد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمداً » .

وسمع عبد المطلب لآمنة وهى تقص عليه أن قد رأت حين حملت بالصبي ، أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام ..

وانطلق عبد المطلب بالصبي إلى الكعبة وهناك سماه محمداً

على أن الصبي الصغير وإن كان قد تمتع بحب جده، إلا أنه كان في أمس الحاجة إلى رعاية أبيه الذي فقدته وهو لا يزال جنيماً بعد وبرغم أنه كان سليل عشيرتين كبيرتين من قريش أكبر قبائل العرب، ويتحدر من أصلاب بنى هاشم عن طريق أبيه ومن أرحام بنى زهرة عن طريق أمه، إلا أن كل ذلك لم يمنع الوليد من أن تمر به ساعات وهو محمول على كتف جارية تسمى « بركة » في انتظار أن تتقدم إليه من ترضعه، فلا يجد حتى إذا ما بلغ اليأس بالجارية حداً جعلها تأخذ طريق العودة إلى الدار . . إذ بمرضعة هي حليلة بنت أبي ذؤيب تقرب منه، وتمتد يدها إليه لتحمله وتأخذه، ليس عن رغبة فيه أو شفقة به، وإنما شفقة على نفسها من أن تعود وليس معها من ترضعه، بعد أن أخذت زميلاتها كل أبناء الأغنياء ولم يبق سوى هذا الطفل اليتيم الفقير . .

على أن الطفل كان قد قدر له أن يجرب يتم الأب ويم الأم أيضاً فلم تكدر تمضي سنوات ست حتى كان الموت قد استأثر بأمنة، وهي في طريق العودة من يثرب بعد زيارة قبر أبيه ولم تكدر تمضي سنتان أخريان حتى كان جده عبد المطلب قد هلك أيضاً . .

وفي بيت عمه أبو طالب ذاق محمد طعماً جديداً للحياة . . حياة الفقر والقور الذي لا يبذل فيه الإنسان ماء وجهه . ومن هنا . بدأ الطفل يسعى في الحياة يكسب بعض رزقه، فمارس العمل منذ بكورة طفولته، وراده رعى الغنم فهماً وهداً، كما زادت صحبته لتلك الخلوقات الوادعة التي لا شر فيها للإنسان ولا ضرر رحمة فاضت بها ينابيع روحه . ولم يكن ذلك هو كل ما أفاده من الرعى . . بل لقد جعله ذلك العمل يقضى على

حافة الصحراء طفولته وصباه . . وأصبحت تلك الصحراء مدرسته ،  
وتولت شمس النهار ونجوم الليل مهمة تعليمه .

### لقاء بحيرى

وذاث يوم تعلق الصبي بعمة أبو طالب وهو يخرج فى ركب تجارته  
إلى الشام . ولم يجد العم ما يمنعه من أن يأخذ الصبي الحبيب معه ، وأن يحمله  
إلى جواره حتى يبلغ به الشام . وهناك . . إلى جوار صومعة لراهب له علم  
أهل النصرانية اسمه بحيرى ، وقف الركب كله ليستريح . . وإذا ببجيرى  
الذى طالما مروا به فى قوافلهم من قبل ولم يحفل بهم ، إذا به يدعوهم إلى  
طعام ويطلب منهم أن يحضروه كلهم كبيرهم وصغيرهم . وإذا كان رجال  
القافلة قد استغربوا ذلك التحول فى معاملة بحيرى لهم ، فذلك لأنهم لم  
يدركوا أنه قد وجد يدهم هذه المرة من يستحق اهتمامه بشيء رآه وهو فى  
صومعته . إذ رأى محمداً فى الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من دواب  
القوم ، وحين نزلوا فى ظل الشجرة تدلت أغصانها على محمد حتى استظل  
بظلها طوال الوقت .

وراح بحيرى يلحظ الصبي لحظاً شديداً حتى إذا ما انتهى القوم من  
الطعام اتحنى الراهب جانباً بمحمد وقال له : « يا غلام . أسألك بحق  
اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه » فأجاب الصبي فى صيق :  
« لا تسألني باللات والعزى ، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بفضهما »  
فقال له بحيرى : « فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه » وعندئذ قال محمد  
« سل ما بدالك » .

وجعل بحيرى يسأله أسئلة عن حاله فى نومه وهيئته وأموره ،  
ومحمد يجبره ، وإذا بكل ما يجب به هو نفسه ما يعرفه بحيرى من صفات  
نبي جاء ذكره فى علم أهل النصرانية . .





ولما فرغ بحيرى انطلق إلى أبى طالب وقال له « ما هذا الغلام منك؟ » قال إبنى قال بحيرى ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً قال فإنه ابن أخى . قال بحيرى فما فعل أبوه ؟

أجاب مات وأمه حبلى به . قال الراهب صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه من اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم »

\* \* \*

زواج محمد

شب محمد ليترك رعى الأغنام ويتولى قيادة الجمال فى تجارة الشرق والغرب وبدأ يشق الصحراء فى قوافل تحمل منتجات بلاد العرب التى تباع فى أسواق مصر غربا وفارس شرقا وسوريا شمالا

وأصبح قائد القوافل الشاب الأمين قبلة كل تاجر ثرى من تجار مكة . وبدأ الأبى طالب أن يهد سبيلا لابن أخيه فى تجارة لسيدة كريمة ذات شرف ومال هى خديجة بنت خويلد ، كانت تستأجر الرجال فى مالها وتجعل لهم شيئا مما يكسبون لها واقترح أبو طالب على محمد أن يعرض نفسه على خديجة ، لعلها تستأجره وتضاعف له الجعل لعلها تمكثته من قريش ، ولشهرته بالأمانة والذمة فى كل ما تولاه من تجارة ورضيع خديجة بالأمين وكيلها فى تجارتها وخرج محمد بأول قافلة لها محملة بالتوابل والعطور إلى سوريا ليعود مها محرير وكتان

وعاد محمد من الرحلة فى الوقت المحدد ، وقد ربحت التجارة ضعف ما كانت تبيع من قبل ، وذهب على الفور إلى خديجة لحسابتها وكانت خديجة فى الأربعين من عمرها وأماً لثلاثة أطفال ولكن محمداً عندما رآها فى بيها لأول مرة أدهشه جمالها وشبابها . بينما كانت خديجة أكثر منه دهشة بمظهره وهى تراه لأول مرة .

وإذا لم يكن محمد مديد القامة ، إلا أنه كان عريض المنكبين بصورة  
نجمه يبدو كعملاق. وكان ذا شعر أسود مجعد ولحية كثة، يكشف عندما  
يبتسم عن أسنان يبهز بياضها الأنظار

وحلما تكلم محمد أدركت خديجة أنها لم تسمع من قبل صوتاً موسيقياً  
مثل صوته . ورغم أن حديث محمد قد اقتصر على التجارة والبيع والربح  
ومصاعب الصحراء إلا أن عباراته كانت منغومة كأنها الشعر

وحم محمد حسابه عن رحلته الأولى كممثل لخديجة ، وعاد إلى بيته -  
وبعد ظهر ذلك اليوم جاءت إليه نفيسة بنت علي إحدى قريبات  
خديجة تسأله

« ماذا يحول دون أن تتزوج يا محمد» وأجاب محمد «إنني فقير جداً..  
وما بيدي ما أتزوج به »

وقالت له « فإن كيف ذلك ودعيب إلى الجمال والمال والشرف ،  
ألا تجيب ؟ » فرد عليها محمد « وما هو اسمها »  
وأجابته « خديجة بنت حويلد »

واستغرب محمد ما قالته فلما أكذب له نفيسة ماتقول رد عليها: «ومن  
لي بذلك؟» فأجابته: « دع الأمر لي» فقال فرحاً «فأنا أفعل »

وهكذا تزوج محمد قائد الجمال في صحراء العرب وهو في سن الخامسة  
والعشرين، من خديجة الأرملة الثرية ذات الأربعين عاماً وكان رواجهما  
رواجاً هائلاً هادئاً . أثمر بنين وبنات كان أولهم جميعاً القاسم ، ثم ولدت  
له الطاهر والطيب ورينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة.. فأما الصبية الثلاثة فماتوا  
في الجاهلية وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن مع  
النبي حين ذهب إلى المدينة

كان محمد على جانب عظيم من حسن الخلق والعفة والتواضع والجدود  
والشجاعة والصدق والأمانة وكان يكره عبادة الأوثان فلم يحصر مواسمه  
الحج وكان لا يشرب كل تقدم من القرابين ولا يحصد  
محاسن يهود.

وكما  
لهذا  
التي  
لحقه  
بسه  
حتى أحـ بالختمية وهو د  
سى  
ن ندس نعتس ن ممن سبب عقولهم انحطاط نبية

وكان محمد وهو يتوود الجمال قد وقف على الكثير من اليم اليهودي  
والمسيحية من اليهود ومسيحيين الكثيرين الذين اتصل بهم وببادل وإياهم  
الحدث في الأسواق في سوريا وفارس ومصر . ولم يكن محمد يعرف القراءه  
أو الكتابة . وك بعد رواحه من حدنحة كثيراً ما كان تتمع إلى ورقة  
س نوفل ابن عم زوجته وهو يتلو التوراة بعد اعتناقه اليهودية . وكانت  
التوراة والإنجيل يبسمران بنى منتظر ورعي . يوقظ العرب ويدعوهم إلى  
الإيمان بإله واحد ، مطيع أن يخرجهم من حياتهم الصالحة إلى حياة صالحة .

محمد العزلة وألف النسك والعبادة . وأخذ يخرج من المدينة إلى  
التلال المحيطة بمكة ويقضى عدة ساعات في غار حراء تتأمل أحوال بلاده  
ومنظر إلى عجائب الكون ويفكر في البعث والحساب والجنة والنار حتى  
إذا فرغ ما سمعه من الزاد عاد إلى بيت حديجة فتروود مرة أخرى لمثل ذلك  
التغيب في الغار ولم يرل كذلك حتى نزل عليه الوحي وكان أول  
ما بدىء به من الوحي الرؤيا الصالحة وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت بعد  
ذلك واضحة . . . وبقى محمد على ذلك ستة أشهر حتى بلغ الأربعين من عمره . وذات

يوم ٠٠ في اليوم السابع عشر من رمضان ٠٠ بينما كان محمد جالساً يتأمل  
في الغار إذ ظهر أمامه الملاك جبريل  
وأخرج الملاك صفحة ذهبية وقال له  
« إقرأ »

قال محمد « ما أنا بقارى فضمه الملاك ضمة قوية حتى بلغ منه  
الجهد . وقال له

« إقرأ » فقال « ما أنا بقارى » . فضمه مرة أخرى بقسوة ثم أطلقه  
وقال له

إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك  
الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم »

وعاد محمد إلى حديجة وهو يرتجف مما أحس به وقال : « زمولونى زمولونى » .  
فلفته في الثياب حتى ذهب عنه الروع وأحبر حديجة بما رأى وقال  
« قد حشيت على نفسى » . فقال « كلا والله ما يحريك الله أبداً »

وانطلقت حديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان شيخاً كبيراً  
محفظ الإنجيل ، فقال له : « يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك » وأحبره  
محمد بما رأى فقال له ورقة « هذا الناموس الذى نزل على موسى » ثم  
قال « يا ليتنى كنت قويا إذ نخرحك قومك » قال محمد : « أو محر جي هم ؟ »  
قال ورقة « لم تأت رجل قط مثل ما جئت به إلا عودى . وإن يدركنه  
يومك أنصرك نصراً مؤزراً »

على أن ورقة لم يلحق بدعوة محمد حين جاء حبيها ٠٠ فقد توفى بعد  
اللقاء بأيام



عاود محمد الذهب إلى غار حراء وذات يوم آخر سمع صوتاً من السماء، فرفع إليه بصره فإذا الملك جبريل الذي جاءه من قبل بين السماء والأرض فرجع إلى داره وهو يقول مرتجفاً « دثروني دثروني » وراح محمد يهتز وثقل أنفاسه ونضح جبينه وكل جسمه بعمق غزير وسمع صوتاً يقول: « يا أيها المدرم فأنذر وربك فكبر. وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمن تستكثر. ولربك فاصبر »

وعرف محمد أنها الرسالة فقد بعثه الله رسالة إلى هذا العالم بعلمه الحقيقية الخالدة، وهي أنه ليس هناك إلا إله واحد نبيه محمد وهو نذر ويراقب أعمال الإنسان ويمجازى الطيبين والأشرار بعد الموت كل بمقدار عمله كما بعثه الله للناس يدعوهم إلى نبدعبادة الأصنام والتسليم لإرادة الله.

\* \* \*

بدأ محمد يبث بين أهله وأقاربه بما أوحى إليه وكاتب خديجة أول من آمن بدين محمد. ثم تبعها ابن عمه علي بن أبي طالب الذي كان يعيش في كفالة الرسول سم أسلم مولاه ريد بن حارثة الذي وهبته خديجة لمحمد فأعتقه وتبناه ولم يستمر الأمر في بيت محمد طويلاً إذ آمن بعد ذلك رجالات من قريش كأبي بكر الصديق أخلص أصدقاء محمد، وكان ثرياً ذا مكانة آمن على يديه خمسة من المسلمين الأولين هم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله ثم تلاهم بعد ذلك رجال آخرون على رأسهم الأرقم الذي جعل داره مركزاً للدعوة سراً إلى الإسلام

ومضت سنوات ثلاث ومحمد يدعو للإسلام سراً بين كل من يثق فيه ويطمئن إليه. وكان هو وأصحابه يستخفون من قريش في صلاتهم وفي الدعوة إلى دينهم الجديد ..

وذات يوم جاء جبريل إلى محمد وقال له

« واذر عشيرتك الأقرين، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين .

وقل إني أنا النذير المبين فاصدع مما تؤمر واعرض عن المشركين »

وذهب محمد إلى جبل الصفا في مكة ووقف عليه وهتف

— يا معشر قريش

وأجابه أبو لهب عمه

— مالك يا محمد ؟

وطلب إليهم محمد أن يدنوا منه يكلمهم ، ثم سأهم

— أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل يدان تغير عليكم .

أكنتم تصدقونني ؟

وأجابت قريش

— نعم .. أنت عندنا غير مهم وما جربنا عليك كذبا قط

قال محمد :

— إذن فاسمعوا .. إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . إن الله

أمرني أن أنذر عشيرتي الأقرين ، وإني لا أملك من الدنيا منفعة ولا من

الآخرة إلا أن تقولوا لا إله إلا الله .

وهتف أبو لهب غاضبا

— ألهذا جمعتنا ، تبا لك سأر هذا اليوم . تفرقوا أيها الناس عن هذا

المجنون الصالح .

وقال محمد

— ما أعلم إنسانا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به . قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه ، فأياكم مؤازرني على هذا الأمر وأن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟  
وسكت الجميع . ثم ضحكوا ساخرين ، ثم نهض من بينهم علي بن أبي طالب يقول :

— أنا يا رسول الله عونك .. أنا حرب علي من حاربت .

وانصرفت قريش هازئة . . ووقف محمد لحظة مطرقا ، ثم رواح يتلو « تبت يدا أبي لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلي ناراً ذات لهب . وامراته حمالة الحطب . في جيدها حبل من مسد » .

على أن دعوة محمد لم تلبث حتى تسربت إلى كل بيوت مكة . . مناقشات قريش  
وأسلم من الرجال كثيرون . ولم تحتمل قريش كتان ما بها من غيظ على محمد فخرضوا بعضهم بعضاً عليه ، ثم انطلقوا إلى عمه أبي طالب يشكونه إليه :  
-- يا أبا طالب ، إن لك لسنا وشرفا ومزلة فينا . وإنا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أعلامنا وعيب آلهتنا ، حتى نكفه أو تنازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين

وذهب العم إلى ابن أخيه وقال له

— يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوا في أمر هذا الذي جئت به . . وأجمعوا على فراقى وعدواني ، فابق على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق .

وأجاب محمد بقوة وحزم

— يا عم . والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه

ومضى محمد في طريقه لايهاب شيئاً قط . واستمرت قريش يحاول أن تفعل الأفاعيل برسول الله

وما أكثر ما وقف محمد يعظ الناس الذين تجمعوا لعبادة الأوثان . وما أكثر ما قال لهم « لا إله إلا الله محمد رسول الله »

وكان المشركون ينظرون إليه ساخرين

— وما دليلك على أنه لا إله إلا الله ؟ وأنتك رسول الله ؟

وكان محمد شديد الحساسية بالسخرية فيحمر وجهه خجلاً أمة . السؤال ، ولكنه يرى أن الأفضل هو متابعة أداء الرسالة التي كلف به وتجاهل الساخرين .

ويرفع محمد صوته ويحدث المشركين في عبارات حلوة بقصة إبراهيم وكيف حطم الأصنام في بيت أبيه بأرض الكلدانيين . ويقاطع الناس محمد مرة أخرى ويقولون له

— وما رهانك على أنه لا إله إلا الله وأنتك رسوله ؟

ويتصعب جبين محمد بالعرق ، ثم يتلو في صوت غاضب فيه انفعال شديد « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسبح الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى »

ثم يقول : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج هبّيج





تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات  
وحب الخصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد» .

ويزيدون في السخرية به يوما آخر فيتلو « الله الذى سخر لكم البحر  
لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم  
مافى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون» .  
« والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأثى »

«والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها  
والسواء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها» .

«التين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين . لقد خلقنا الإنسان فى  
أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم  
أجر غير ممنون»

تغريب المسلمين واستمرت المعركة حامية الوطيس واستمر تكذيب قريش للرسالة  
التي جاء بها محمد وواصلوا التنديد به وبكل من آمن بدينه

على أن المشركين إذا كانوا قد سكتوا عليه وتركوه يمضى فى أداء رسالته ،  
فذلك لأنه لم يسهمهم هم أنفسهم بسوء أول الأمر . إلا أنهم عندما وجدوا  
أنه لم يكتف بالهجوم على الوثنية والخمر والقمار ، بل أخذ يعط صد التجار  
الأغنياء وأشرف مكة الذين جعلوا من بئر زمزم والمسجد الحرام مصدراً  
للكسب ، راد بهم الغضب وملأهم التصميم على ضرورة التخلص منه  
ومن كل من تبعه من المسلمين

وبدأ المشركون يؤذون من تبع محمدا ليفتنوهم عن دينهم . غير أن كل  
العداب الذى لقيه هؤلاء لم يزدحم إلا إيماناً . وهل كان أقسى مما عمد إليه

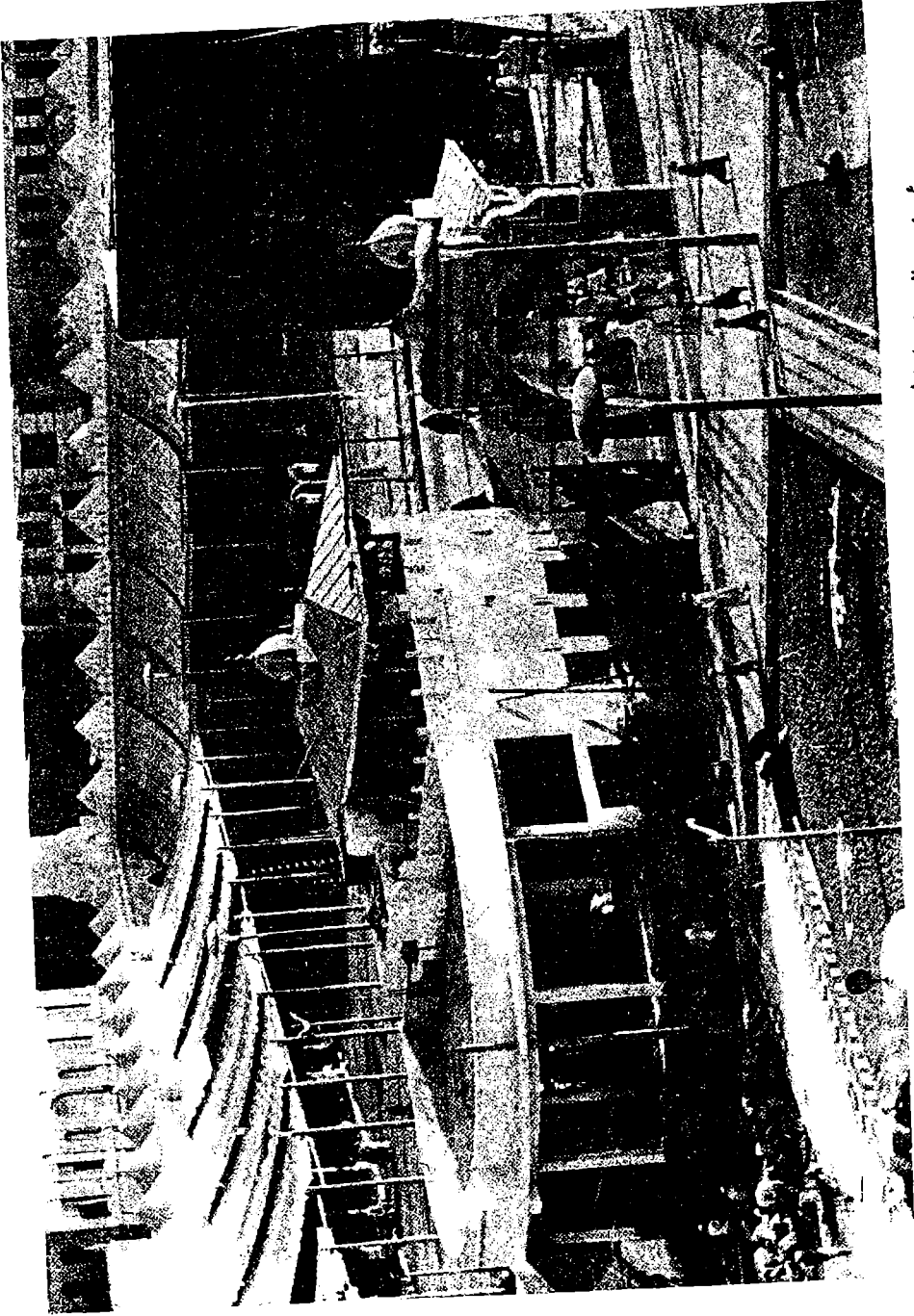
المشركون من ضرب المسلم وتجويعه وتعطيشه، حتى كان لا يقدر على الجلوس من شدة الضرب ليرتد عن دينه ويقول « أمنت بالللات والعزى؟ وما أكثر ما قاسى مسامون آخرون من تعذيب قريش

عمار بن ياسر وأبوه وأمه .. كان المشركون يخرجون مهم إلى الأبطح إذا حمت الأرض فيعذبونهم محرها ولما مات ياسر من العذاب أغلظت امرأته سمية القول لأبي جهل فطعمها محرمة فاستشهدت، ثم أمعن المشركون في تعذيب عمار بالحرق تارة وبوضع الصخر على صدره تارة، ثم بالتعريض تارة أخرى .

وبلال مؤذن الرسول كان أحد مشركي قريش يلقيه في الزم -  
المنهية على وجهه وظهره، ثم يأمر بالصخرة الكبيرة فتلقى على صدره ويقو -  
له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى .  
وخباب بن الأثر . . عذبه الكفار عذاباً شديداً ، وكانوا يوثقون -  
ظهره ويلقونه في الرمضاء ويصعون على صدره الحجارة المحماة بالنار -  
ومع كل ذلك .. ظل المسامون في ازدياد . وأخذ الغضب بالمشركين -  
يزداد ويفور

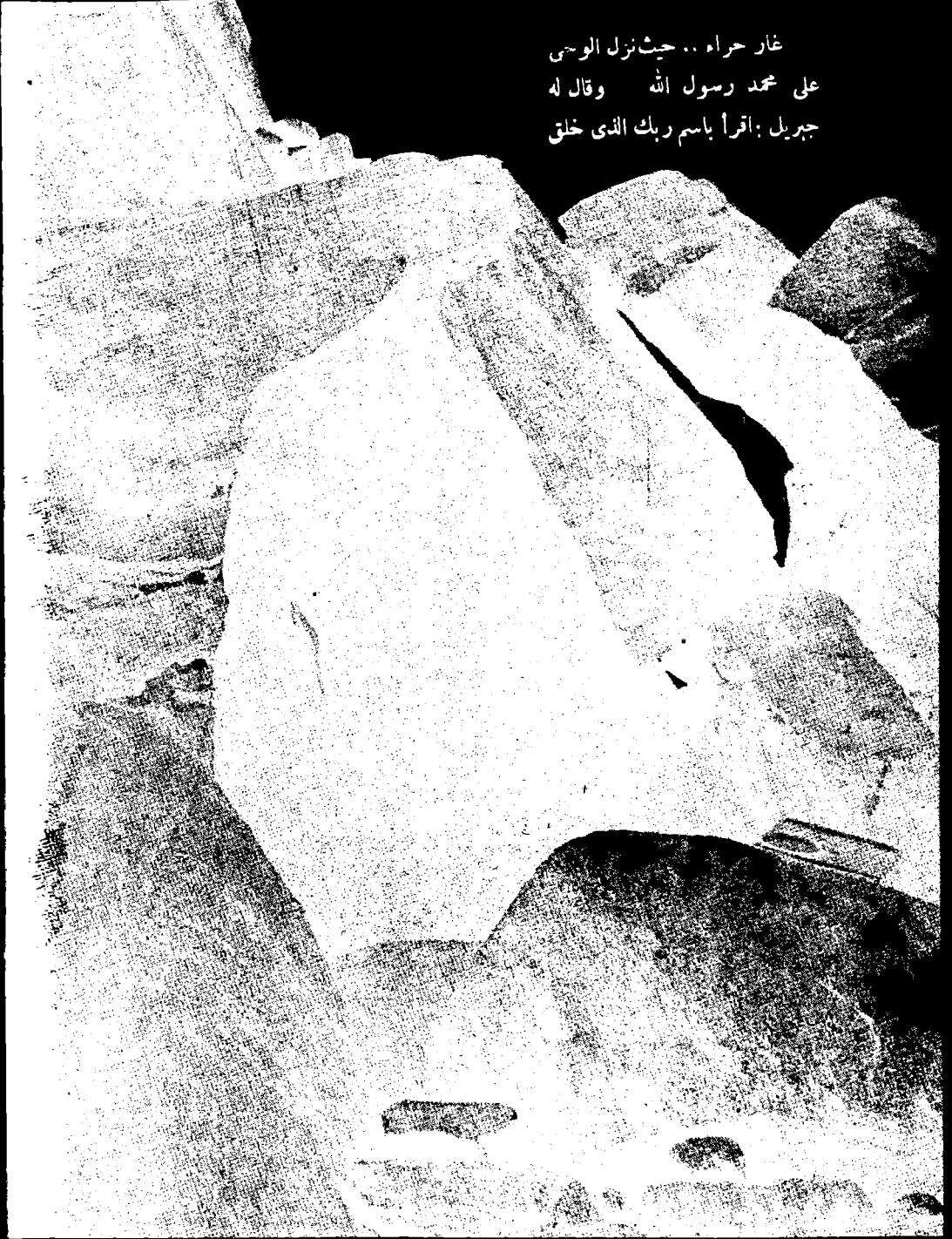
والحق لقد كان لهم أن يفضبوا ويشوروا فبرغم كل ما مزقوا -  
أجساد العبيد المسلمين وبرغم طول ماضي قوا محمداً واعتدوا عليه وسبوا -  
قوله وكادوا يقتلونه وبرغم كثرة ما دسوا له عند روار الكعبة وحده -  
حتى يخشوه ويتحاشوه، فما أجدى كل ذلك شيئاً قط، بل راء -  
ذلك قوة .. وكللك خطواته بنجاح عظيم إذ آمن به عمر بن الخط -  
وآمن به عمه حمزة . . وحتى الذين استطاعوا الهرب من نكال في

المحصار



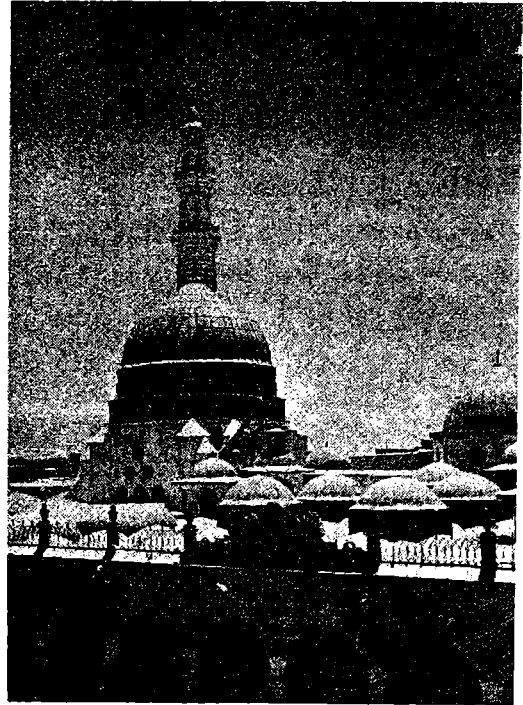
بئر زمزم التي يؤمنها المنيجج ويستقون إلى حوضها .. وحولها بناء أقم إلى جانب الكفة

غار حراء .. حيث نزل الوحي  
على محمد رسول الله وقال له  
جبريل : اقرأ باسم ربك الذي خلق





وقفة الحجاج على جبل عرفات



القبّة الخضراء فوق  
الحرم النبوي الشريف  
بالمدينة المنورة



غار ثور حيث اختفى محمد وأبو  
بكر ليلة الهجرة إلى يثرب . وعشش  
المنكبوت والحمام في مدخله فاستطاع  
من تبموهما أن يتصوروا وجود أحد بداخله



فهاجروا إلى الخبيثة ، وجدوا من النجاشي صدرًا رحبًا حيث سمح لهم  
بالبقاء ومنع عنهم أعداءهم حين قدموا إليه يدسون بينه وبينهم ..  
وإذن فلتجتمع قريش أمرها على خطوة جديدة لعل فيها القضاء على  
الإسلام والمسلمين ..

واجتمع سادة قريش واثمروا أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على  
بني هاشم وبني عبد المطلب ، لا يبيعونهم مهيثًا ولا يبتاعون منهم شيئًا  
وبدأ حصار رهيب ضد المسلمين

واضطر المسلمون إلى اللجوء إلى شهاب الجبال بأعلى مكة . ولكن  
الحصار الذي فرضته عليهم قريش — برغم ما كان فيه من قسوة وشدة  
وجوع — إلا أنه كان حصارًا مهلهلًا . فقد كان الطعام يصل إلى المجاهدين  
سرًا .. عن طريق أهاليهم في نفس قريش ..

وانهار الحصار ولم يفلح . ونزل المسلمون وبنو هاشم من شهاب مكة  
إليها بعد ثلاث سنوات ، حرموا فيها الأنس بدورهم والاطمئنان إلى منازلهم ..  
وذاقوا صنوفًا من الجوع والخوف .

على أن المسلمين ما كادوا ينزلون من جبال مكة حتى وقعت  
الفاجمة .. وذهب سند محمد وعونه ليتركه وجهًا لوجه مع قريش ..

مات عمه أبو طالب ثم لحقت به خديجة .. فلم تعد قريش تجد من  
تستحي منه وهي تحاول التخلص من محمد ودعوته ..

وزاد عسف قريش بمحمد والمسلمين ..

وبدأ محمد يعود إلى بيته وقد نثر سفهاء قريش على رأسه وثيابه

للتراب .

ومع ذلك فقد واصل محمد دعوته .. وانتقل إلى الطائف ..

على أن سادة قبيلة ثقيف بالطائف ضنوا عليه .. فقد كانت مدينتهم مركزاً واسعاً لإنتاج العنب . فكره راعو العنب وتجار الخمر محمداً لأن تعاليمه كانت ضد شرب الخمر .. فلم يكذب محمد يصل حتى أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يصيحون به ويسيونه .. واجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه .. فلما مر محمد بينهما جعل لا يرفع رجلية ولا يضعهما إلا دقوما بالحجارة حتى أدموها .. وكان إذا أصابته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذونه بمضديه فيقيمونه .. فإذا مشى زجموه بالحجارة وهم يضحكون حتى شحب بها رأسه

ولجأ محمد إلى بستان من بستان كانت لشيبة وعتبة ابني ربيعة .. وقد كاد اليأس يأخذ به وشق عليه الكرب والوجع . ولعل رأسه امتلات في تلك اللحظات أفكاراً سوداء تصور خلالها أن الله قد نسيه .. فأجبه بناظريه إلى السماء وابهل قائلاً :

— اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني أم عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك . ولك العتبي حتى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بك »

وعاد محمد إلى مكة . واستمر في أداء رسالته

\* \* \*

هض محمد من صلاة الفجر ، وانطلق إلى أم هانئ بنت عمه أبي طالب حيث كان يقضى في دارها ليلته تلك .. وفوجئت أم هانئ بمحمد

اوسراء





يناديها في شوة غريبة وفي عيبه لمعان ، ولم تكن تدري أنه إنما ينطلق  
إليها وفي نفسه أن يحدثها بما شهده تلك الليلة من أمر عظيم

قال محمد

— يا أم هانيء.. لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ،  
ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه . ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن  
كأثرين .

ولم تدر أم هانيء أول الأمر ما إذا كانت قد فهمت شيئاً من كل  
ما قال محمد غير أنها لم تشك والاحظات تمر وهي تعجز عن النطق ،  
أن الله قد اختص محمداً بفضله منه وآثره بشرف لم يؤثر به أحداً قبله قط  
ولم يخامر أم هانيء شك في صدق ما رأى محمد .

وانطلق محمد ليلتي قريشاً ويخبرهم بما رأى ، وعندما بلغ الحطيم بين  
الكعبة والحجر الأسود وجد أبا جهل جالساً ينظر إليه ويبتدره  
مسهزناً قائلاً

— هل هناك من شيء؟

قال محمد : نعم . . أسرى بي الليلة

قال أبو جهل ساخراً إلى أين

أجاب محمد : إلى بيت المقدس .

ضحك أبو جهل وقال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال محمد : نعم

عاد أبو جهل يقول : رأيت إن دعوت قومك أن تحدثهم بما حدثتني ؟

بوافق محمد وانطلق أبو جهل يعدو منادياً قومه . فجاءوا من كل

حذب وصوب حتى أحاطوا بمحمد من كل جانب . وطلب أبو جهل أن  
يخبرهم محمد بما رأى . فقال محمد :

— إنى أسرى بي إلى بيت المقدس . . فنشروا رهط من الأنبياء . .  
مهم إبراهيم وموسى وعيسى . وصلت بهم وكلمهم .  
قال أبو جهل ممضاً في هزئه ومكره :  
— إن كنت قد رأيتهم فصفهم .  
قال محمد :

— أما عيسى فقوى الرمة ودون الطويل ، تلوه حمرة كأنما يتحادر  
عن لحيته الجمان . وأما موسى فضخم آدم طويل كأنه من رجال شنوءة .  
وأما إبراهيم فإنه والله لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه .  
وعاد القوم يطالبون من محمد آية تدل على صدق ما قال . . فأجاب :

— آية ذلك أنى مررت بعير أنفرهم حس الدابة فنذلهم بعير . فدللتهم  
عليه وأنا موجه إلى الشام . ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت  
بعير قوم آخرين فوجدتهم نياماً ولهم إناء فيه ماء . وقد غطوا عليه بشيء  
فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيته كما كان . وآية ذلك أن  
عيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جل أورق عليه غرارتان  
إحداها سوداء والأخرى بقاء .

وابتدر القوم إلى الثنية يتأكدون من صحة ما قال . . فوجدوا العير  
كما ذكر محمد . . في مقدمتها جل أورق كما أخبرهم .

وسكت القوم قليلاً ثم عادوا إلى تنامزهم وإنكارهم . وقال أحدهم  
وهو المظعم بن عدى :

كان أمرك قبل اليوم أمراً يسيراً ، فإذا بك اليوم تعجب وتغرب .  
نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس نصعد شهراً ونحدر شهراً  
وأنت تزعم أنك أتيت في ليلة واحدة . واللات والعزى لا أصدقك ولقد  
أشهد أنك كاذب ..

ورد أبو بكر لفوره :

— أشهد أنك صادق يا رسول الله

فقال ابن عدى :

— أتصدق أنه ذهب إلى بيت المقدس وعاد قبل أن يصبح ؟

قال أبو بكر

— نعم إنى لأصدقته فيما هو أبعد من ذلك . أنا أصدقته في خبر السماء .

في غدوه ورواحه . أفأكذبه في إكرام الله بأن ينقله مسيرة شهر ؟

وسكت القوم ثم لووا أعناقهم ومضوا .. وكان لم يسموا شيئاً قط .

\* \* \*

اليوم

كان محمداً لا يعرف موسماً يقام أو جمعاً يحتشد أو حجيجاً يقدمون إلا

أذاع فيهم دعوته ونشر رسالته . وسمع محمد ذات يوم برهط قادم من يثرب

فقدم إليهم والتقى بهم عند العقبة .

عرف محمد أنهم قوم من الخزرج . . فجلس يتحدث إليهم ويقول :

— أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوم إلي أن يعبدوا الله ولا

يشركوا به شيئاً . وأنزل على الكتاب . فهل تبايعوني على ألا تشركوا

بالله شيئاً . . ولا تسرقوا . ولا تزنوا . . ولا تقتلوا أولادكم . ولا تأتوا

ببهتان . . فإن وقيتم فلکم الجنة . . وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم

محمداً في الدنيا فهو كفارة له . وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأضرم

إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر .؟

وتشاور القوم . . وكانوا من قبل قد سمعوا بالدين الجديد . . وعرفوا  
عن اليهود الذين يعيشون معهم في يثرب إيمانهم بالإله الواحد وكرههم  
للأوثان . . ولهذا فهموا كل الفهم ما قاله لهم محمد.  
واتفق القوم وقالوا لحمد إنا نقبل منك ما عرضت علينا من هذا  
الدين . .

وعاهدهم محمد على كتمان أمرهم عن قريش . . ووعدهم اللقاء في العام  
التالى وأرسل معهم محمد أحد رجاله يفقههم في الدين ويقرهم  
القرآن ويعلمهم قواعد الإسلام

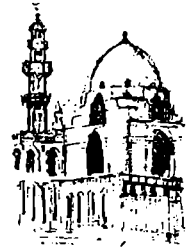
وعندما جاء العام التالى قدم إلى مكة سبعون رجلا وامرأتان من  
مسلى الخزرج والأوس في يثرب ، والتقوا بمحمد في الشعب عند العقبة  
ليدعوه للقدوم إلى مدينتهم وسأله أن يأخذ لنفسه ولربه ما يحب منهم  
فأجابهم محمد : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم  
قالوا له : فوالذى بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه ذرارينا ، فبايعنا  
يارسول الله فنحن والله أبناء الحروب ورثناها كبراً عن كابر . .  
وقال له زعيمهم : ومالنا بذلك يارسول الله إن نحن وقينا ؟  
قال محمد : الجنة .

قالوا : أبسط يدك نبايعك

قال محمد أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربم وأسالم من

سالم

وعندما انتهى العهد طلب منهم إثني عشر من كبارهم فلما اتخبوا  
بقبائهم قال لهم : أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى .  
وأنا كفيل على قومي .



شاع في مكة أمر البيعة . وعلمت قريش بظهور الإسلام في المدينة  
فاضطربوا ، وزاد بهم الغيظ واشتدت بصدورهم الحفيظة فصاعفوا الأذى  
بالمسلمين وعندما ساءت حال المسلمين وكثرت أحزانهم ورأى محمد ما هم  
عليه من محنة وفتنة ، أذن لهم بالهجرة إلى المدينة . .

وجن جنون قريش عندما رأت المسلمين قد هربوا إلى المدينة .  
وعرفوا أن الإسلام سيزداد هناك قوة ومنمة . . فكان لا بد أن  
يقرروا شيئاً

وكان قرارهم هو أن يقتلوا محمداً . .

وفي تلك الليلة . . جاء جبريل إلى محمد يقول له لا تبت هذه الليلة  
على فراشك الذي كنت تبيت عليه

وعاد محمد إلى داره وهو عالم أن القوم يحيطون به وفي أيديهم سلاحهم  
وبين جوانبهم كيدهم ومكرهم . . وعندما انتصف الليل والقوم خارج  
الدار ، خرج محمد عليهم بعد أن أمر علياً بن أبي طالب أن ينام في فراشه  
وأن يتسجى ببرده وألقى الله على المتربصين النوم فناموا وخرج محمد  
ومر بهم فلم يروه . . وانطلق إلى دار أبي بكر الذي كان في انتظاره . .  
وساراً معاً حتى بلغا غار ثور . . حيث كئنا فيه

وكشف الصباح للقوم المتربصين أنهم قصوا الليل يحرسون على بن  
أبي طالب لا محمداً فذعروا وهرعوا إلى أشرفهم الذين أرسلوا خلفه  
فارساً هو سراقة الكناني فظل يروح ويحجى ويمر أمام الغار لا يدري  
ما بداخله . . حتى إذا مضى اليوم الثالث ، وخرج محمد وأبو بكر من الغار  
في الطريق إلى المدينة إذ بسراقة يراها فيحاول اللحاق بهما ولكن  
ما يكاد يقترب منهما حتى يعثر به فرسه وتسيخ قوائمها في الأرض ويثور

من حوله الدخان والإعصار وأدرك سراقه أن محمدا ممنوع منه فاستغاث واستنصر على ألا يخبر قريشا بشيء مما رأى . فدعا له محمد . وعاد سراقه إلى قومه فلم يقل شيئا قط ..

وتمت هجرة محمد إلى المدينة .. والتقى المهاجرون بالأنصار الذين خرجوا عند شعاب المدينة وهم يرددون « طلع البدر علينا .. من ثنيات الوداع » .

\* \* \*

لا يبدأ المسلمون تاريخهم بالسنة التي ولد فيها محمد . ولا بيوم إبلاغة الرسالة ونزول الوحي عليه . . ولا بيوم وفاته .. ولكنهم يبدأون تاريخهم بيوم الهجرة الذي هاجر فيه محمد وهو في عامه الثالث والخمسين من العمر من مكة ليلحق بالمهاجرين الذين احتضنهم الأنصار في يثرب . وكان ذلك اليوم في الواقع هو أهم يوم في حياة محمد .. وفي تاريخ الإسلام .

مؤسس  
دين ودولة

كان محمد حتى هجرته رسول دين جديد أما بعد الهجرة فقد أصبح إلى جانب ذلك مؤسس دولة .

كان محمد في مكة مضطهداً . أما بعد وصوله إلى يثرب فقد تلقاه أهلها بترحاب كبير وأصبحت في يده السلطان الدينية والزمنية فهو رسول الله إلى الناس ، وحاكم قومه وراعي شؤونهم

وجمع محمد حوله في يثرب — التي سميت منذ ذلك اليوم بالمدينة ومعناها مدينة الرسول — جمع أتباعه المخلصين وأخذ ينظم عقيدته . ولم يكتف بإصلاح أحوال أهل مكة ، بل أراد إصلاح أهل الجزيرة العربية كلها ..



وكانت مساحة المدينة لا تزيد عن نصف مساحة مكة .. إلا أنها كانت أنسب مكان لمحمد لتنظيم عمله . وكانت المدينة تحوطها أشجار النخيل ، فكان من الممكن أن يقوى محمد نفسه وأتباعه ضد الجوع وضد الأعداء على السواء .

كان محمد وهو في مكة داعياً لدين جديد فحسب .. أما في المدينة فقد أصبح حاكماً يرعى شئون المسلمين ويوجه أمورهم ويسن القوانين ويقود الجيوش ويقضى في جميع شئون الناس .

وفي المدينة بدأت شعائر الإسلام تأخذ طريقاً محدداً مرسوماً ..

فند وصل محمد إلى المدينة كان أول شيء أتجه إليه ، العمل على إقامة شعائر دينه الجديد فبنى مسجده الذي دُفن فيه . ولما اطمان بالمدينة واجتمع إليه اخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار واستحکم أمر الإسلام . أمر الرسول بإقامة الصلاة خمس مرات في اليوم .. كما أمر بصوم شهر رمضان .. وحى حقوق الملكية .. ومنذ ذلك الوقت قامت الحدود وعرف الحلال والحرام وتبوأ الإسلام بين أظهر المسلمين .

وكان محمد حين قدم المدينة يجتمع الناس إليه للصلاة في مواقيتها بغير دعوة . وتشاور المسلمون يوماً فقال بعضهم « لتتخذ ناقوساً مثل ناقوس النصارى » وقال آخرون « لتتخذ بوقاً مثل بوق اليهود » .

وبينما هم على ذلك إذ قدم عبد الله بن زيد وهو أنصارى من الخزرج إلى رسول الله محمد وقال له :

« يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طائف .. مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده فقلت له : يا عبد الله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به إلى الصلاة . قال : أفلا

أدلك على خير من ذلك؟ قلت: وما هو؟ أجب: أن تقول «الله أكبر  
الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، حى على  
الصلاة حى على الفلاح . . الله أكبر الله أكبر . . لا إله إلا الله . .»  
قال محمد: إنها لرؤيا حق إن شاء الله . . فقم مع بلال فآلها عليه . .  
فليؤذن بها فإنه أندى صوتاً منك . .

ومنذ تلك اللحظة صار هذا النداء آذاناً للدعوة للصلاة . . واستقلت  
شعبيرة من شعائر الإسلام عن مجارة اليهود فى بوقهم والنصارى فى ناقوسهم .

\* \* \*

استتب الأمور فى المدينة . . خاصة بعد أن آخى محمد بين المسلمين  
على اختلاف قبائلهم ومراتبهم، وأحل الوحدة الدينية محل الوحدة القومية  
فأصبحوا متساوين جميعاً لا فرق بين سيد وعبد . وساعد محمداً على توحيد  
كلمة العرب تلك المساواة التى جاء بها الإسلام وتلاشت أمامها هذه القوارق  
الجنسية التى مزقت من قبل شمال العرب .

نشر الدعوة

وعندما فرغ محمد من توحيد كلمة العرب . بدأ يحول همته وجهوده  
إلى نشر الإسلام خارج المدينة . .

وعندئذ بدأ محمد جهاداً واسعاً فى سبيل نشر دعوة الإسلام . . والدفاع  
عن حقوق وحريات المسلمين

على أن محمداً حين بدأ هذا الجهاد وأذن للمسلمين بالقتال .. كان يفعل  
ذلك لأمر على رأسها الدفاع عن النفس والعرض والمال ثم تأمين  
الدعوة والدفاع عنها أمام من يقف فى سبيلها، حتى لا يخشى من يريد الدخول  
فى الإسلام الفتنة عن دينه .

كان محمد يعرف جيداً أن السيف لم يكن وسيلة للدفاع قط . .





ولا هكذا أراد الله للإسلام أن ينتشر بين الناس.. لهذا فعندما قاتل قريشاً  
فإنما قاتلهم لأنهم يقفون حجر عثرة في سبيل الدين الجديد بما ناصبوا  
المسلمين من عداة ، وما راحوا ينشرونه بين جموع الحجيج كل عام من  
أراجيف وأكاذيب عن النبي بغية صد الناس عن الدين .. وعندما قاتل  
المسلمون الفرس والروم فلم يكن ذلك إلا بعد أن وقفوا حجر عثرة في  
سبيل تقبل شعوبهم للدعوة التي أنفذ محمد إلى ملوكها من أجلها كتبه ،  
فاضطر خلفاء محمد إلى إزالة نفوذ قيصر الروم عن أكثر أملاكه ، وإلى  
إزاحة عرش كسرى . ففتحت المدائن والقرى صدرها للإسلام وأقبل من  
شاء من أهلها على اعتناقه أما من آثر البقاء على دينه من الكتابيين  
فكانت له حرية اعتقاده وحرية مناسكه جميعاً

هكذا لم يكن الإسلام دين قتال ، ولم يكن محمد رجلاً مقاتلاً يطلب  
الحرب للحرب أو يطلبها وله سبيل آخر عنها ولكنه كان قائداً  
بصيراً إذا وجبت الحرب ودعت إليها المصلحة اللازمة

وقد وجبت الحرب حين كان على محمد أن يؤمن حياة المسلمين في  
المدينة ويرد إلى المهاجرين حقوقهم التي سلبها منهم أهل مكة **المسلمين والمركبين**  
وطردوهم عنها .

وراح محمد يعترض هو وأتباعه طريق القوافل التي تحمل تجارة مكة  
وكان يقسم الغنائم بين الأنصار والمهاجرين على قدم المساواة  
وكان محمد يعرف أنه بهذا العمل إنما يثير أهل مكة لكي يخرجوا  
إليه في قتال صريح ولكنه كان يعلم ألا سبيل له إلى استرداد حقوق  
المسلمين إلا من هذا الطريق

وتجمع أهل مكة عندما تعددت حوادث الاعتداء على قوافلهم ، وأخذوا

يتدبرن أمرهم ويقررون ماذا يصنعونه إزاء محمد وأتباعه المسلمين.

وقال أهل مكة: لقد فسدت تجارتنا ولم نعد نجد أمناً في إرسال سلعنا إلى الأسواق الأجنبية وكل هذا بسبب الإسلام ومحمد .

وهض أحد التجار ليقول : لنعلن الحرب على محمد وأصحابه .

وأجابوه : ولكنه في يثرب ونحن في مكة وبيننا وبينه مسافة طويلة . فكيف يمكن أن نصل إليه .

قال التاجر : نستأجر جنوداً ونذهب بهم إلى يثرب ونقضي عليه هو ورجاله قضاء لا رجعة لهم بعده .

وأخذ القوم بالنصيحة .

واستؤجر المقاتلون وأعطوا الرماح للقتال بها وقدمت لهم الجمال ليركبوها جمال سريعة جداً يمكن المطاردة بها واللحاق بالعدو .

وأعلنت مكة الحرب على المدينة . . وعلى محمد . . وعلى كل من تبعه من المسلمين ..

وعلم محمد مخطئة قريش . . وأسرع بتنظيم رجاله لمواجهة العدو وجيوشه .

\* \* \*

كان لا بد أن تقع المعركة بين المسلمين والمشركين

• معركة بدر

فن قبل . . أخرج المسلمون مطرودين هائمين على وجوههم من مكة .. لم يحملوا معهم من أملاكهم وحاجاتهم سوى أقل القليل . بينما استولت قريش على كل ما تركه المهاجرون الذين فروا من أرضهم وبيوتهم لطول ما أوذوا وعذبوا

ولم يكف كل ذلك قريشاً، بل دأب رجالها على الوقوف في سبيل

الدين الجديد بما ناصبوه من عداة ، وما نشره بين جموع الحبيج الذين يفتدون إلى مكة من أراجيف وأكاذيب على النبي ، يريدون بها صد الناس عن دينه

من هنا كان لابد من قتال الفئة الباغية التي لا تعرف سوى الظلم .  
أما المشركون من قريش . . فقد فر محمد من بينهم ، وجاءت الأنباء تترى بأن أهل يثرب عصموه ومنموه ، وغازطهم ماراحوا يسمعونه من أحاديث جزيرة العرب كلها كمارحلت قبائلها وقوافلها حول الدين الجديد . . وساءم أن ينتشر دين يذم آلهتهم وآلهة آبائهم وأجدادهم ويحقرها . . أي يمكن بعد ذلك لقريش أن تسكت أو تكف عن ملاحقة النبي بكل ما تملك من كيد ومكر . . ؟

وهكذا كانت بداية المعارك الكبرى بين الطرفين عند بئر بدر ، في رمضان من السنة الثانية للهجرة .

في ذلك اليوم ندب الرسول نبراً من المسلمين لاعتراض قافلة لقريش قادمة من الشام ، فيها أموال للمسلمين صادرها المشركون قبل الهجرة وبعدها . غير أن أبا سفيان رئيس القافلة علم بخروج محمد ورجاله ، فغير طريقه وتوجه إلى البحر وسار محذاته ، بينما أرسل إلى قريش من يخبرها باعتراض المسلمين لبحارنهم ، ويستنفرهم لاستنقاذها . وخرجت قريش للقاء محمد . . والتقى الجيشان عند بدر ، حيث نزل المسلمون عند أدنى ماء قبل أن تصل إليه قريش ، وأفسدوا القليب بالقاء التراب والأحجار . وبنوا فوقه حوض ماء . وحالوا دون أن يصل إليه المشركون .

ودارت للمركة بين قريش بقواتها التي بلغت الألف ، ورجال محمد

الذين لم يتجاوزوا الثلاثمائة . ونصر الله المسلمين الذين استشهد منهم  
أربعة عشر، بينما قتل سبعون من رجال قريش وساداتهم

ولم يكن من المعقول أن تنسكت قريش

معركة أحم

وكان لا بد أن تقع حرب شديدة .. للثأر ..

وخرج قريش بثلاثة آلاف رجل خصصت لهم جميع ما كان من  
مال القافلة التي كانت سبب بدر . وخرج محمد في ألف من المسلمين ليلتقى  
بهم عند جبل أحد غير أن أحداثاً جرت غيرت ما كان يمكن أن  
تكون عليه نهاية المعركة .. فقد حدث انقسام في صفوف المسلمين بعودة  
عبد الله بن أبي إلى المدينة بثلاث الجيش بينما أهمل الرماة وسط المعركة  
وصية الرسول لهم بالثبات في أما كنهم دون طمع في الغنيمة حتى يصدر  
إليهم أمره .. وكان لا بد حين اندفعوا يتعجلون الغنيمة تاركين أما كنهم،  
أن ينهز المشتركون بقيادة خالد بن الوليد فرصة خلو الجبل من الرماة، فأتوا  
المسلمين من خلفهم ويعملوا في ظهورهم الرماح

ودب الذعر في المسلمين خاصة عندما صاح صائح أن محمداً قد قتل .  
وكان الذي حدث لمحمد هو أن الأعداء وصلوا اليه بالفعل ، ورماه  
أحدهم بحجر فأصيب في وجهه وشقت شفته . ثم ضربه آخر فشحج جبهته  
وتبعه ثالث بضربة في الوجه فدخلت حلقتان من خوذة الرأس في وجنتيه ،  
فوقع في حفرة من الحفر التي كان المشركون قد حفرها لتكون أنخاضاً  
لاصطياد المسلمين .

وانتشر في الناس أن محمداً قد قتل وانطلق أهل مكة عاتدين وفي  
قلوبهم فرح كبير

وانتهت المعركة في هذه المرة بالفعل بانتصار قريش وهزيمة المسلمين .



ولكن هل كان من الممكن بعد ذلك أن تسكت قريش . وأن يستكين المسلمون . ؟

وهل كان من المعقول أن تدع قريش تلك الفرصة بعد أن اطمأنت إلى أنها قد هزمت محمداً وأتباعه ، فلاتعد العدة لغزوة أخرى تقضى بها على ما بقي له من قوة

وهل كان من الممكن أيضاً أن يرضى المسلمون بما واجهوه من استخفاف بعض القبائل المحيطة بهم ، بين منافقين وكفار ويهود ، حين أسهائوا بقوة أتباع محمد وتجراًوا عليهم بعد يوم أحد ؟

لم يكن هناك من شك في وقوع معارك وحروب وغزوات جديدة ، الغزوات بعد أحمد حتى قبل أن يلتقي المسلمون وقريش من جديد في يوم الأحزاب .

من بين ذلك ما حدث بين المسلمين ويهود بني النضير

ولعل بني النضير ظنوا الأمر سهلاً أن يقتلوا رسول الله وكان محمد قد جاءهم يستعيهم في ذية قتيلين قتلها المسلمون خطأ — كما كان يقضى بذلك حلف الحديبية بينهم وبين المسلمين — ولم يرفض بنو النضير ، واستمهلوا النبي ليأتوا له بالمال

ولكنهم كانوا في ذلك الوقت نفسه ، قد خلوا بعضهم إلى بعض يتآمرون على حياة الرجل الذي استأمهم ، وجلس إلى جانب جدار من بيوتهم حتى يأتوه بالمال

وقال واحد منهم : أمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيرى محنا منه ؟

واستحسنوا الرأي . . وصعد أحدهم ليلقي بالحجر على الرسول وهو

جالس في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي .. غير أن السماء كانت ترى كل شيء ، فأتى الخبر إلى محمد بما أراد القوم فعاد إلى المدينة ، ولم يكن بد من أن يسير إليهم ويحاصرهم لأيام ستة .. عندما انتهت كان بنو النضير قد طلبوا الأمن منه على أن يتركوا الأرض ويخرجوا إلى خيبر .

وكان بعد ذلك لقاء المسلمين وقريش في غزوة الأحزاب حيث انضم يهود خيبر وبنو النضير ومن أبوه معهم إلى قريش التي اجتمعت للقضاء على محمد

واتصل بالرسول ما عزم عليه المشركون ، فحفر حول يثرب خندقاً عجز المشركون عن تخطيه طوال أيام أحكموا فيها الحصار على المدينة واضطر المسلمون آخر الأمر أن يعملوا الوقيعة بين صفوف الأحزاب ، فاختلفت ، وعزم بعضها على الرحيل ثم لعبت الطبيعة دوراً آخر يرمح عاتية جعلت تنزع خيام قريش وحلفائها وكان لا بد مع ضيق الأحزاب من طول الحصار أن يحس المتحالفون بالإخفاق وأن يقرروا الرجوع يجرؤن أذيال الخيبة والفشل .. وأن يكون رجوعهم فرصة جديدة لسرعة انتشار الإسلام بين قبائل العرب ..

وراحت الأيام تمضي ..

ومع مضيها كان لا بد للمسلمين أن يحولوا اهتمامهم إلى اليهود ليؤدبهم على نقضهم العهد وتحالفهم مع مشركي مكة .

وواصل المسلمون انتصاراتهم على اليهود والمناقين .. والكفار وزاد عدد المسلمين مع كل انتصار أحرزه محمد ..

ولما انتهت حروب محمد مع قريش ومن تبهم .. استقر في المدينة للعمل على تقدم انتشار الإسلام

وبالرغم من شهرة محمد وما صار له من قوة فإن نجاحه لم يغيره بل ظل في بيته وديعاً رقيق الجانب وكان يعامل الخدم وتأنبه أئذاه وأقام عند باب بيته أريكة كل من حاس عبيد قدمه معه كـ ، وأحب الأطفال ولم يكن يشعه شئ وقوف معبد عتبه وعندما كان يخرج في قتال فقد كان يصر على عبيده من عمر أنه كان الرسول وكان القائد والزعيم

ولكنه ظل في الحرب كما في السلم يهدى أتباعه وحاول أن يجعل أركان الإسلام تعاليمه غاية في البساطة حتى يمكن أن يتبعها ويفهمها حتى أشد الناس جهلاً فكان يقول أن المسلم الحق عليه أن يتبع أركان الإسلام الخمسة: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله .

صلاة الأوقات الخمسة الزكاة والبر بالفقراء والإحسان لهم صيام شهر رمضان . حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً

والحق لقد كان التوحيد أول أركان دين الإسلام . وإذا كان محمد ومن جاء بعده من الخلفاء ، لم يقبلوا هوادة ولا مساومة في الدعوة إلى التوحيد من المشركين وعبدة الأوثان ، إلا أنهم كانوا يؤمنون بأن الدعوة التي جاء بها النبي قد بلغت من التسامح مع أهل الكتاب من أتباع عيسى وموسى حداً لم يعرف مثله أصحاب هذه العقائد أنفسهم فقد كان نصب أعيهم ما جاء به القرآن حين قال « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » . وكانوا يعرفون أن الهدف الأسمى لرسالة محمد هو الإيمان بالله لا شريك له . وفي سبيل التوحيد تسهل كل العقبات وتنسوى القبائل والشعوب جميعها بل والأديان الساوية أيضاً . . ولطالما ردد أصحاب محمد وخلفاؤه تلك الآية التي جاءت في

الكتاب « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »

ولقد كان كل ذلك هو الحقيقة . . فمحمد الرسول لم يدع قط أنه مبتدع ، بل قال أنه مكمل للشرائع السابقة ومعيد للحنيفية الفطرية ، التي هي دين إبراهيم بل دين نوح وآدم ، وأنه لا تبديل لذلك الدين القيم الذي يستند إلى وحدة الله ، ويترتب عليه وحده خلقه . . وإذا كان محمد قد اختلف مع أهل الكتاب في بعض مآلوه فإما كان ذلك حيث كان تنزيه الخالق موضع الشك . ففي سبيل التوحيد والتنزيه جادل وخاصم ولم يصالح أو يهادن أحداً على حساب دعوة الاسلام

وما كان هناك من شك قط فيما قرره الدعوة المحمدية من أن الناس كانوا على الفطرة يعبدون الله وحده ، ثم ضلوا ، فإذا عادوا لها استقاموا

والواقع أن الشرك بالله غالباً ما جاء نتيجة لبدع وخرافات وأباطيل أحدثها الناس حين عددوا الآلهة وابتدعوها : وأقام المبتدعون والمفسدون أنفسهم قوماً على الآلهة وحراساً على معابدهم ، كما جعلوا أنفسهم وكلاء . ونواباً يملكون سلطان الآلهة الذين ينوبون عنهم . وتأمروا ذوا الأغراض وتساندوا على تضليل الناس ، وانتهوا بوضعهم في أسر مجموعة من الخرافات ، وكان الكهنة وأمثالهم من الوكلاء والمرشدين خزنة الأسرار الدينية هم في الواقع الآلهة المتصرفون في المجموعات البشرية

ومن هنا تحولت العبودية للصم إلى عبودية للقائمين على الصم أنفسهم .





واستطاع هؤلاء أن يستغلوا ذلك السلطان الذى منحوه لأنفسهم فطفوا  
واستبدوا حتى بدا الشرك والاستبداد حليفين متلازمين

ثم جاء التوحيد فى دين محمد

وكان الاله الذى دعا إليه محمد منزها عن الهوى والغرض . لا يريد  
من خلقه رزقا ولا طعاما ولا قربانا . وليس له وكلاء ولا نواب ولا وسطاء .  
فهو يقول للناس « ادعوني أستجب لكم » وأنه أقرب إليهم من حبل  
الوريد . وهو الرحمن الرحيم ، الغنى القدير ، الحكم العدل ، المنتقم الجبار  
البارئ المصور ، العفو الغفور ، المعطي المانع ، المسيطر فوق عباده ، العزيز  
الحكيم

وأطل الناس حولهم وهم يتأملون حتمية الإله الواحد ، وبدا لهم أن كل  
تلك الصفات ومامعها من تنزيهه عن وجود شبيهه ومثيله . جعلت الالهية فى  
وضع يعلوبها عن الاستغلال السىء ، رجملت الناس تحمها متساوين فى حكمها  
أكرمهم عند الله أتقاهم ، وأقربهم أبرهم بالعباد

وأدرك الناس أن الظلم والأثرة والفساد الذى يلازم الشرك . يتحول  
كله من الإيمان بالتوحيد إلى ائصاف وعدل ومساواة .

وعرفوا أن الإيمان القابى الخالص من الشوائب يتبعه كل نواع  
الفضيلة . لأن المؤمن يجد حسابه مع الله مباشرة ، وهو من أجل ذلك لا يعش  
لنفسه بل لكل المحيطين به . وهو لا يكون ظالما لأنه يعارض بالظلم  
صفة من صفات الله وهى العدل ولا يكون غليظا قاسيا بينما ربه رحمن  
رحيم . ولا يكون كاذبا مخادعا منافقا لأن حسابه مع الله العليم الخبير الذى  
يعلم خائنة لأعين وما تخفى الصدور ولا يكون ذليلا جبانا لأنه يعلم  
أن ذلك لا يفيد مادام الأمر بيد الاله الواحد . .

وبذلك الإيمان تحول الناس غير الناس .

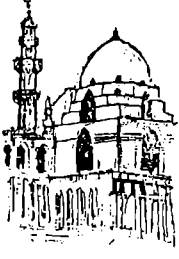
الأعراب الذين وأدوا البنات وأعتادوا سفك الدماء والنهب ، صاروا  
خاشعين راكعين يبتغون فضل الله الواحد ورضاه .

والأسرة التي كان يرث الرجل فيها زوجات أبيه تحولت إلى أسرة  
مطهرة . والقبيلة التي كانت لاتعرف حقاً إلا لمصبيتها ، ولا ترى ذمة إلا لمن  
كان معها ، صار فيها من يرد إلى النصارى أموالهم لأنه عجز عن رعاية  
ذمتهم ، كما حدث من خالد بن الوليد حين أجلاه الروم عن حمص فرد إلى  
المسيحيين أموالهم وهو يقول إنما أخذناها لحمايتكم وقد عجزنا عنها  
والسادة الذين استعبدوا الناس صاروا يحشون الله ولا يخشون في الحق  
لومة لأثم

ومن الجفأة القساة كان الخليفة الذى ترده امرأة وهو واقف بين الناس  
فيقول « أصابت امرأة وأخطأ عمر »

والمجتمع الذى عاش على كل السوءات تقسمه العصبية القبلية والقسوة  
الفردية ، تحول إلى مجتمع تسوده الرحمة والإحاء والمساواة . . يخشى كل فرد  
فيه أن يكون واحداً ممن جاء ذكرهم فى حديث محمد الرسول حين قال

« يقول الله يوم القيامة يا ابن آدم . مرضت فلم تعدنى فيقول ابن  
آدم : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ فيقول الله أما علمت أن  
عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟ أما أنك لو عدته لوجدتني عنده . يا ابن آدم  
استطعمتك فلم تطعمنى ، فيقول : يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟  
فيقول الله : أما علمت أن عبدى فلانا استطعمك فلم تطعمه ؟ أما أنك لو أطعمته  
لوجدت ذلك عندى . يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى ، فيقول : كيف



أستقيك وأنت رب العالمين؟ فيقول استسقاك عبدى فلم تسقه . أما أنك  
لوسقته لوجدت ذلك عندي »

وهكذا عرف الناس أن البر والرحمة والمساواة أركان هامة من أركان  
دين محمد الذي قال « كلكم لآدم ٠٠ وآدم من تراب » وأن ذلك الدين  
يؤمن بالوجود الإنساني ويبعث الكرامة البشرية ، كما يؤمن بالمساواة  
الطلقة في الحقوق والواجبات وفي تكافؤ الفرص بين الناس بعضهم بعضاً .  
كما يحقق التحرر الكامل للإنسان من ضغط الضرورات سواء نشأت عن  
اعتبارات اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية

ومرت السنوات ٠٠ ثم كان فتح مكة

فتح مكة

والحق لقد كان حج البيت الحرام في مكة أحد أركان الإسلام الهامة .

وكان محمد يعرف أن الناس منذ قرون طويلة يعتبرون المسجد الحرام  
والحجر الأسود وبئر اسماعيل في مكة أما كن مقدسة غير أن الشيء الذي  
حدد موعد غزو مكة كان نقض قريش لصلح الحديبية الذي كانوا عقده  
مع المسلمين في السنة السادسة للهجرة ، وانفقوا فيه على هدنة قدرها عشر  
سنوات ، وأن يرد الرسول من يأتيه من قريش مسلماً بدون إذن وليه ، ولا  
تأزم قريش برد من يأتي إليها من عند محمد إلا أن مكة لم تحترم الصلح  
وأغارت على أحد القبائل الموالية للمسلمين فاستجارت القبيلة بمحمد .  
فكان لابد أن يسير إلى مكة لفتحها

وكان ذلك في السنة الثامنة للهجرة . حين جمع محمد جيشاً قوامه  
عشرة آلاف رجل مسلح من أتباعه وزحف بهم على مكة .

وعندما عرف أهل مكة نبأ اقتراب الجيش هربوا إلى التلال رعباً

وفزعاً . ولم يعد بمكة واحد من أهلها . وأخذ الناس وهم فوق التلال يرقبون في خوف تقدم الجيش العظيم القادم من المدينة .

ودخل المسلمون مكة، المدينة المهجورة، وعلى رأسهم رسولهم وقائدهم على ظهر جملة القصوى ..

وزحفوا في الشوارع الخالية رأساً نحو المسجد الحرام .  
وأوقف محمد جملة أمام صنم المعبود هبل ذى اليد الذهبية ، وأشار إليه وهو يقول

— قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً

وانهال أتباع محمد على الصم وأنزلوه من مكانه وحطموه وعندئذ مضى محمد إلى الصم الثانى وأشار إليه وردد قوله :

— قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً

فخطمه المسلمون هو الآخر

وأخذ محمد ينتقل من صم إلى آخر حتى قضى على الأصنام الثلاثمائة والستين . وعندئذ أمر محمد رجاله بعدم تحطيم شىء آخر فى مكة ، أو سلب أسواقها ، أو الإتيان بأى خطيئة

وعندما عاد الهاربون من الجبال ورأوا أن محمداً قد جاء مسلماً ليعبد فى المسجد الحرام ، ولم يكن يعتزم قتلاً أو سلباً دخلوا دين الإسلام واعترفوا بمحمد رسولاً وزعيماً وقائداً

وكان ذلك اليوم الذى تم فيه فتح مكة من أكبر العوامل التى ساعدت على نجاح الدعوة الإسلامية فقد تأكدت القبائل العربية التى رفضت الدعوة من قبل أن المسلمين تلحظهم عناية إلهية لا قبل لغيرهم بها .. فسارعوا إلى الإسلام ودخلوا فيه أفواجا ..

في العام السادس الهجري ، وقبيل دخول محمد مكة بدأ يرسل وفاء محمد  
كتبه إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام  
كتب إلى هرقل ملك الروم يقول

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل  
قيصر الروم السلام على من اتبع الهدى أما بعد : إسلم تسلم وألم  
يوثك الله أجرك مرتين وإن تتول فإن إثم الأريسيين عليك يا أهل  
الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك  
به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا  
اشهدوا بأنا مسلمون »

وكتب إلى نحاشي الحبشة :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النحاشي الأفخم  
ملك الحبشة سلام أنت فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن  
المهيمن . وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكنته . ألقاها إلى مريم البتول  
الطيبة الحصينة فحملت بعيسى نخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم  
بيده ونفخه وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاتة على طاعته  
وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن  
عمي جعفرأ ونفراً معه من المسلمين . فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر . فإني  
أدعوك وجنودك إلى الله فقد بلغت ونصحت فأقبلوا نصحي والسلام على  
من اتبع الهدى »

على أن الملوك والأمراء لم يستجيبوا إلى دعوة محمد وكان لا بد  
أن تسير جيوش المسلمين بعد ذلك لتقر دعوة الإسلام بين الشعوب ..

ولم تمض سنوات ثلاث حتى أصبحت كل بلاد العرب وكثير من القبائل  
المجاورة تحت دين الإسلام

وهنا كانت مهمة محمد رسول الله قد انتهت وتحققت

ففي السنة العاشرة للهجرة وكان محمد قد بلغ الثالثة والستين  
شعر أن هيبته قد دنت فخرج للحج في أكثر من مائة ألف من  
المسلمين وعند جبل عرفات وقف محمد يلقي خطبة الوداع الخالدة التي  
بين فيها دستور الإسلام وقواعده ، وثنأى بالمساواة بين الناس لا فرق في  
ذلك بين العبد الحبشي والشريف القرشي

« أيها الناس إن ربكم واحد . وإن أباكم واحد . كلكم لآدم .  
وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم لا فضل لعربي على  
عجمي الا بالتقوى »

وفي ذلك اليوم تم القرآن بنزول الآية الكريمة :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام  
دينا »

ولم تمض على حجة الوداع ثلاثة أشهر حتى مرض محمد وانتقل إلى جوار  
ربه بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة كما كلفه بها الإله الواحد العظيم

\* \* \*

بعد وفاة أصحاب العقائد والأنبياء والرسل غالبا ما كان يحدث أن  
تنسب إليهم معجزات ومعجائب .. في أغلبها من الخرافة بقدر ما فيها من خيال  
مؤلفيها من الكهان والمفرضين . والذين يكتبون التاريخ لا يجدون ما يمنعهم قط  
من أن ينقلوا ما يسمعونهم ويزيدوا عليه عن قصد أو غير قصد ، فتبدلو بعض  
المعجزات الحقيقية بما أضيف إليها من خيال وكأنها الخرافات .. ثم يختلط

معجزات محمد



الحابل بالتابل فلا يكاد الصالح يبين من الطالح ولا تكاد الحقائق تعرف مما أحاط بها من «أباطيل»

وهذا هو الذى حدث بالضبط عندما كتب المستشرقون وكتاب الغرب والشرق عن معجزات محمد

ادعى البعض أن ملك فارس كان يتجول مع بعض مستشاريه ذات ليلة حين أطل إلى السماء الصافية التي تألقت فيها النجوم وظهر على حين فجأة نجم مفرد فاق في لمعانه ضوء الشمس ونظر الملك إلى مستشاريه الذين كانوا يتبادلون النظرات في عجب.. ثم قال كبيرهم «لابد أن نبيا عظيما قد ولد» وعندما عادوا ينظرون من جديد إلى السماء ويحسبون مكان النجم وجدوا أنه كان في ناحية مكة ..

وكان ذلك اليوم هو يوم ميلاد محمد .

وتقول قصص أخرى أنه حدث وقت ميلاد محمد أن رققت الجبال وغنت «لا اله الا الله» وتهامست الأشجار في سعادة وابتهاج «محمد رسول الله» . كما تجمعت كل الطيور حول مكة وأخذت تسبح محمد الله ، ورفعت كل مخلوقات الساحة في الماء رءوسها إلى أعلى وهي تقول «لقد آن الأوان فقد جاء إلى العالم النور الذى يهديه» .

وتقول إحدى القصص أن زوارا عديدين جاءوا ليروا محمدا يوم مولده ولكنهم عندما كشفوا عن وجهه غطوا أعينهم بسرعة حتى لا يخطف أبصارهم بإشراق وجهه ..

وقالوا أيضا أن عددا كبيرا من ملائكة السماء جاءوا في صورة أطفال صغار إلى بيت محمد ومعهم إناء من الذهب ملىء بندى الجنة استحم فيه الطفل الصغير .

وكان هذا هو السبب في أنه كان نظيفاً دائماً منير الوجه ناصعه  
وقالت قصص أخرى أن محمداً لم يتعرض للحرارة قط ، حتى أيام كان  
يقطع الصحراء مع قوافل التجارة . فقد كانت سحابة تظله أيما سار  
فتمنع عنه الحر والقيظ .. وفي الليل كانت عيناه تيران له الطريق ، وإذا سقط  
منه شيء على الأرض كان في استطاعته أن ينحني فوقه ويلتقطه بسهولة  
كما لو كانت الشمس مشرقة .

وقيل إنه عندما أزيح فراشه جانباً ، وحفر قبره تحت المكان الذي  
مات فيه ، وجد الذين حفروا القبر حجراً يمكن أن يرى ضوءاً من  
بعد كبير

وأمثال هذه المعجزات كثير مما قاله المستشرقون والمؤرخون واحتلفوا  
فيه وتناقضوا وراحوا يذيعونه في محاولات للنيل من المسلمين  
وإذا كان بعض ما قيل ربما حدث و بعضه لم يحدث إلا أنه كان  
ثمّة معجزة لم يستطع أن يختلف في حقيقتها أحد قط ..

وكانت هذه المعجزة هي القرآن . ذلك الكتاب المقدس الذي  
شغل غير المسلمين من الباحثين تماماً كما شغل المسلمين أجمعين فهو الذي  
جمع المسلمين حوله منذ نزل به الوحي على رسول الله محمد حتى اليوم ، وكان  
هاديهم ومرشدهم وعاصم دينهم وعقيدتهم من الفتن والطغيان

أما كيف تمت هذه المعجزة الكبرى ، وكيف نزل كلام الله  
وكيف اجتمع عليه الناس وكيف اختلفوا حوله . فتلك حقيقة تبدأ  
تفاصيلها مع نزول الوحي على محمد وهو بعد يتعبد في غار حراء ، حين  
غشيه وهو في سنة من النوم نور نزل إليه من السماء ، وإذا بجبريل واقف  
أمامه يدعوه الى النهوض ويقول له « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق  
الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم علم الإنسان  
ما لم يعلم »

القرآن



هكذا نزل الوحي على محمد ، وانطق لسانه بالقرآن الكريم .  
و اذا كان الناس قد عجزوا عن معرفة الطريقة التي كان الوحي ينزل  
بها على محمد . . الا أن علماء الدين والمفسرين أجمعوا على أن الوحي كان  
يأتي رسول الله في صور متباينة .

إحدى هذه الصور أنه كان يأتي كالرؤيا في المنام ، كما حدث عند نزوله  
على محمد في غار حراء لياقته سورة القلم إذ هو في سنة من النوم والصورة  
الثانية للوحي ، ما كان يليقه جبريل في روعه وقلبه حيث كان محمد لا يرى  
شيئاً ولكن يحس أن معنى جديداً وعاه قلبه في صورة خاصة . . والصورة  
الثالثة أن يظهر الملك لمحمد في هيئة رجل يخاطبه حتى يعي عنه ما يقول  
والحالة الرابعة كان يأتي فيها الوحي للنبي مثل صلصلة الجرس ، وكانت  
هذه الحالة أشد ما يعانیه النبي حتى أن جبينه كان يتفصد عرقاً في اليوم  
الشديد البرد . والصورة الخامسة التي روى أن الوحي ظهر فيها هي أن يرى  
النبي جبريل في صورته التي خلق عليها .

وهناك صورتان أخريان أوردتهما « ابن القيم » هي التخاطب المباشر  
كما كلم الله موسى ، والأخرى ما أوحاه الله إليه وهو فوق السموات من  
فرض الصلوات وغيرها .

وقيل إن النبي رأى جبريل على صورته الحقيقية مرتين ، إحداها عند  
البعثة والثانية عند الإسراء وهو ما يفسرون به ما جاء في صورة النجم  
« والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ،  
إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق  
الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده  
ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى أفتأرونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة

أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يفسى  
ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

هكذا نزل القرآن الذي لم يكن لمحمد من سلاح أقوى منه  
وأعظم يستعين به على المشركين طوال الأعوام الثلاثة التي أقامها مكة ،  
فكان نفاذ القرآن إلى قلوبهم أقوى من كل ما أبدوه من عناد .

وكان كفار قريش يتجادلون كل يوم حول الآيات التي يأتي بها محمد..  
فيقول أحدهم إنه سحر ، ويقول آخر بل هو شعر ، ويقول ثالث ما هو  
بسحر ولا بشعر ولكنه كهانة فيقول لهم شيخهم والله إن لقوله  
لحلاوة وإن أصله لغدق وإن فرعه لجناة . وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً  
إلا عرف أنه باطل

ولكن عتبة بن ربيعة الذي ترسله قريش ليفاوض النبي في ترك  
دعوته ، لا يكاد يعود من عنده بعد أن يسمع كلامه حتى يقول لقريش وهم  
يسألونه عما وراءه

«ورأى أنى سمعت قولاً . والله ما سمعت مثله قط . والله ما هو بالشعر  
ولا بالسحر ولا بالكهانة . يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها لى وخد  
بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكون لقوله الذى سمعت  
منه نبأ عظيم »

استمر الوحي يهبط على محمد بالقرآن مدة استغرقت ثلاثة وعشرين  
سنة ، كان يوافيه خلالها بأحكام الله وما شرع لعباده ، في آيات تحل  
يعرض للنبي من مشكلات وتذلل ما يعترض مهمته من عقبات وتيسر  
له الطريق وترسم الخطط

وكانت الآيات توحى الى النبي متفرقة بحسب الحاجة، بين خمس آيات



وعشر آيات وأكثر وأقل وكانت الآيات التشريعية وهي آيات الأحكام تنزل على الرسول في الغالب جواباً لحوادث في المجتمع الاسلامي. وكانت تنزل في أحيان آخر جواباً عن أسئلة يسألها بعض المؤمنين ، وقليلاً ما كانت تنزل الأحكام مبتدئة بغير سؤال . . أما الأحكام التي أنزلت بدون حادث أو سؤال فهي آيات نقل كثيراً جداً عما جاء إجابات على أسئلة متصلة بأحداث معينة

ولقد اختلفت الآيات التي نزلت من القرآن قبل الهجرة عن تلك التي نزلت بعدها فقبل الهجرة كان الرسول يناقش قريشاً في المبادئ العامة ويختلف وإياهم في الألوهية وهل أساسها التوحيد أم تعدد المعبودات ، ويخوفهم بيوم القيامة ويرهمهم بما فيه من بعث وحساب اب عقاب ويطالب بإنصاف سائهم وعبيدهم ويسوى بين فقيرهم غنيهم :  
ينبههم إلى أن في أموالهم حقاً معلوماً للأنامل والمحروم

فلما هاجر الرسول إلى المدينة، أخذ القرآن يفصل ما أجازت العهد من أمور العبادة ومبادئ الأخلاق، كما وضع النظريات العامة وشرع المسلمين نظم المعاملات كالبيع والشراء والزواج والطلاق، وحرّم المنكرات كالخمر والزنا والميسر، وقرر الحدود والقصاص

وفي تلك الآيات شرعت أركان الدين فشرعت الصلاة والزكاة في مكة ، أما كيفية إقامة الصلاة وألوان الزكاة وحدودها فلم يشرع إلا في مدينة كما شرع بها الصوم .

وعندما شرعت الصلاة كان ذلك لتكون رمزاً لشكر الخالق مما أنعم على عباده ، وليتمس بها المسلم بالعبادة من الله .

المادة ، لما فيه من كسر حدة الشهوات الجسمية التي تعوق الروح عن السمو  
اللائق بالإنسان

والزكاة تتفق مع الصوم في ذلك التشريع .. فيها تطمئن نفس المسلم  
وتؤمن بما عليه من حق نحو بنى جنسه وبذل هذا الحق عن حب ورضا ،  
وذلك مما يعطى المرء الفقير والمحروم .

أما الحج فحين شرع فقد كان ذلك ليجتمع فيه القادرون من المسلمين ..  
لأن الإسلام دين وحدة وتعارف وألفة .

كل ذلك جاء في القرآن . كلام الله الذي كلما ازداد تكرراره ازداد  
تأثيره في النفوس . والذي عجز عن الإتيان بمثله مجتمع حتى هو أصل  
اللغة العربية ، لم يستطع أن يرد على تحديه ، ولا أن يحاكيه . برغم كل  
محاولات التقليد التي حاولتها قريش فلم تجد بداً آخر الأمر من الاستسلام .

\* \* \*

مضت الأيام بالمسلمين بعد وفاة النبي كما لم تمض من قبل أبداً

التبؤره

فبرغم أن محمداً أعلنها داوية وهو يتلو « إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي »  
إلا أن عدداً كبيراً من أتباع محمد ما كانوا ليصدقوا قط أن الموت يمكن  
أن يقبض رسول الله .. فما كان من المعقول في نظر هؤلاء الذين افتتنوا  
به أن يموت محمد

وزاغت أبصار كثيرة في كل مكان .. وارتفعت همسات حائرة في  
عدد من القبائل ، بينما انكشفت من بعض الصدور ما كانت تحفيه من  
حقد وغل ..

واضطربت المناقشات واشتدت في كل مكان من أرض العرب ..  
وارتفعت أصوات تقول :



— لقد ذهب محمد وانتهى الإسلام بوفاته . وما كان لأحد أن  
يحل محله ويأخذ مكانه.. ولقد فارقنا إلى ربه بعد أن كان يقوم بالسفارة عنه  
يبلغنا أوامره ونواهيه ، ويتمتع بالعصمة عن الخطأ والتعزير عن الزلل  
وما في العالم كله إنسان يتصف بهذه الصفات التي كانت الضمان الوحيد  
لمساواة القبائل بعضهم ببعض وجعل الناس كأسنان المشط فكيف  
يكون أمرنا إذا جاء من خلفه ليحكم هواه وأهله وعشيرته في الناس  
ومصالح الناس ؟

هـ آخرون يتبعوهم ويقولون

اجل إنه لا يبعد أن يرفع مركز الخلافة من شأن القبيلة التي  
سعى إليها من يخلف محمداً ، ويفض من شأن غيرها من القبائل  
بميل ميزان العدل بين الناس .-

وتلفت عدد من الأنصار حولهم وهم يتهايمسون

لماذا يكون الأمر لقريش والمهاجرين يستأثرون به دوننا . . ولولانا  
كان نصر للإسلام ولا بقاء .

وكان المهاجرون يجهلون : منا الأمراء ومنكم الوزراء

ويرد الأنصار بل منا أمير ومنكم أمير

ويهمس بعض من قريش :

— لقد تم الأمر لأبي بكر في خلافة رسول الله . أفما كان أجدر

بأن يكون محمد منا نحن بني هاشم . . ؟

وهمس أبو سفيان بن حرب في أذن أنصار علي ابن أبي طالب

— كيف يكون الأمر لأبي بكر وليس لعلي ابن عم رسول الله

وأول من آمن . ما بال هذا الأمر في أقل حى من قريش والله  
لئن شئت لأملاها عليه خيلا ورجالا فيم أبو بكر من أموركم : أين  
المستضعفان ؟ أين الأذلان على والعباس

وينظر بعض الناس من غير قريش إلى كل ما هناك من خلاف ويقولون :  
— أو ظنتها قريش ملكا يورث ألا إن قريشا لن تقوم لها قائمة  
بعد موت رعيهم . . . لقد سلبتنا قريش حريتنا وأدحلتنا تحت سلطاتها  
محكم الدين فلن نستكين لها أبداً

على أن أشد ما كان من ذلك الخلاف ما تردد في بعض القبائل من  
اتخاذ أنبياء جدد لهم أسوة بالنبوة التي قامت في بنى هاشم إذ كيف  
يظهر من بنى هاشم نبى ولا يظهر في قبائلهم و بطوهم مثل تلك النبوة ،  
التي تعد شارة من شارات الشرف والزعامة ، ونوعاً من السلطان يبيغيه  
لنفسه كل فريق . . . ؟

ولعل تلك النبوات لم تظهر ويستفحل بها الأمر قبل انتهاء حياة  
محمد مثلاً حدث بعد موته . فقد كانت الفرصة في ذلك الوقت قد بدت  
ممكنة . . . سواء أكان أصحابها ممن دخلوا في الإسلام ، وهم يبطنون غير  
ما يظهر . . . أم كانوا ممن لم يدخلوا الإسلام ، وتمنوا أن يقاوموه ،  
ولكنهم وجدوا أن المقاومة للسلحة وحدها لم تكن تكفى لمنع هذا الدين  
الجديد ، ففكروا في وسائل أخرى غير السيف ، هي قيام أنبياء مثل هذا  
النبى الذى ظهر في مكة . . .

وكان هذا هو الذى حدث بالفعل . . .

ففي بنى حنيفة باليامة ظهر مسيامة ، وفي اليمن ظهر الأسود ، وفي قبيلة  
أسد تنبأ طليحة بن خويلد ، وفي بنى تغلب تنبأت امرأة اسمها سجاح . . .

فأما مسيلمة فقد زعم أن وحيا يهبط عليه من السماء يسمى «رحمان» ، وأنه يهبط عليه في الظلام لا في وضوح النهار ، وأنه يقرئه قرآنا وقبل أن تنتهى حياة محمد أرسل مسيلمة إليه كتابا يدعى فيه مشاركته في الرسالة ، ويساومه في اقتسام الملك والسيادة في جزيرة العرب فكتب إليه الرسول : « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »

ولكن مسيلمة تمادى في الحديث عن الوحى الذى يهبط عليه . وقال في قرآنه « يا ضفدع يابنت ضفدعين . نقى ماتنقين . نصفك في الماء ونصفك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين »

وقال مسيلمة آيات أخرى يقلد فيها قرآن محمد « والباذرات زرعا والخاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا . والعاجنات عجنا . والخبزات خبزا والثاربات ثردا واللاقات لقما . أهالة وسمننا . لقد فضأتم على أهل الوبر . وما سبقكم أهل المدر ريفكم فامنموه . والمعترف آروه . والباغى فناؤوه » .

وأما طليحة بن خويلد ، وهو كاهن من بنى أسد ، فقد اتبعه قومه ودعوا إليه حلفاءهم من طيء والقوث . وكان وحيه يزل به عليه — فيما زعم — ملك أسماه ذا النوب ، ثم عدل عن ذى النون وقال لا بل هو جبريل . ولم يعرف عن قرآنه شيء إلا أنه كان يعترض على السجود في صلاة المسلمين ويقول « صلوا قياما فإن الله لا يقنع بتمفير وجوهكم وقبح أديباركم »

وأما الأسود العنسى الذى ادعى النبوة في اليمن وتابعه قومه ، فقد طغى وبغى ودانت له بلاد نجران ، وهاجم صنمها وقتل أميرها وتزوج

امراته ، وألقى الرعب في قلوب ولاة المسلمين على اليمن حتى كتبوا بذلك إلى الرسول. فبعث محمد إليهم فأمرهم بالقيام على دينهم ومناهضة الأسود ، الذي كان يقول أن وحيه ينزل به عليه ملك سماه « ذا خمار » ، وقد إئتمروا

الولاية به حتى قتله غيلة في الليلة التي مات الرسول في صبيحتها

وأما سجاح فقد ادعت النبوة وقالت أن لها قرآنا يهبط عليها به الوحي ، غير أن هذا الوحي صمت حين لقيت مسيما وتزوجته ، وكان الصداق الذي أعطاه لها هو إعفاء أتباعها من صلاة العصر ، وقد ظل بنو تميم وقتا غير قصير لا يصلون العصر حتى لا يضعوا صداق ابنتهم زوجه مسيما

\* \* \*

كل ذلك حدث في أرض شبه الجزيرة ، واستفحل أمره خاصة بعد انتهاء حياة محمد وكان ممن التف حول هؤلاء المنتهين عرب لم يؤمنوا بنبيهم ، وإنما فكروا في الارتداد . وانحازوا إلى هؤلاء المنتهين يستنصرون بهم على قريش ، ليتخلصوا من زعامتها وسيادتها التي فرضها عليهم

المرتد

ولم يكن من المعقول لأبي بكر وقد تولى الخلافة على المسلمين ، أن يسكت على كل تلك الأحداث التي كان يمكن أن تودي بالإسلام كله . وكان لابد أن يحارب المنتهين والمرتدين ، فأرسل إليهم جيوشه وأمر كل قائد بالسير إلى ناحية من نواحي بلاد العرب ، بعد أن كتب له عهدا يأمره فيه بعدة أشياء :

\* الجدل في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان

\* ألا يرد المسلمين عن قتال عدوهم





\* ألا يقاتل إلا من كفر بالله ورسوله

\* ألا يدخل في الإسلام قوما حتى يعرفهم ويعلم ما هم ، حتى لا يكتوتوا

عيونا ، ولثلا يؤتى المسلمون من قبلتهم

ومع كل قائد من قواده أرسل أبو بكر كتابا بدعو جميع المرتدين للرجوع إلى حظيرة الدين ، ويرد الشبهة التي نشأت عن موت الرسول بأنه بشر يموت كما يموت كل إنسان . ثم هددهم بالقتل والإحراق وسبي النساء والذراري إذا لم يرجعوا .

ودارت المعارك في كل مكان

ومن جديد كان النصر حليف المسلمين . وارتفعت كلمة الدين الإسلامي من جديد بعد أن أعمل القواد وجنودهم السيوف في رقاب المرتدين على أن المسلمين وهم يحاربون المرتدين لم يكن هدفهم قط — كما أدعى بعض المستشرقين من بعد — نشر الإسلام بحد السيف وإرغام العرب على الدخول في هذا الدين بالرغم منهم ، فما كان المرتدون في الواقع مسلمين ممن دخلوا الإسلام عن اقتناع بصحته وإدراك لسمو مبادئه. فهؤلاء لم يرتد منهم أحد قط ، ولكن المرتدين كانوا أحد اثنين:

أولها قوم لم يخالط الإسلام قلوبهم ، إذ كانوا من الأعراب الذين تعودوا النفاق ، ولم يمض عليهم من الزمن ما يكفي لأن يؤثر الدين في قلوبهم ، فأرادوا القضاء عليه وهو لازال في المهد .

والثاني قوم منعوا الزكاة فقط زعما منهم أنها إتاوة تدفع إلى الرسول ، وأنهم بعد موته أصبحوا في حل من عدم دفعها لخليفته ، وهؤلاء لم يرتدوا عن الإسلام لبغضهم إياه أو كراهتهم فيه . وإنما ظنوا أن الإسلام قد انتهى بوفاة الرسول .

ولقد كان الإسلام شديد الحيطه في أمر المرتدين كلهم . . فهم لم يؤخذوا بالشبهة ولا بالظنون . وإنما كان المرتد يمهل ثلاثة أيام يناقشه خلالها علماء المسلمين وفقهاؤهم فيما ألبس عليه من أمر الدين وما دخل فكره من الشبهة في صحته وذلك حتى يهاك من يهاك عن بينة ، أو يعيش من يعيش عن بينة وإدراك ، دون أن يهيم أحد فيه بالظلم والظفیان .

\* \* \*

كان نجرا حزينا لكأنه يبشر بيوم أسود كثيب

الموالى

ولكن الخليفة عمر بن الخطاب لم يكن يهيم للندر السود وعندما خرج ليؤم المسلمين في المسجد لصلاة الفجر ، نفض عن نفسه تلك الذكري التي أرقته في منامه تلك الليلة ، وهو يذكر ذلك النقاش الغريب الذي حدث بينه وبين أبي لؤلؤة الفارسي ، أحد الموالى الذين أوصى بهم والى الكوفة المغيرة بن شعبه في ذلك اليوم كان عمر يتحدث إلى أبي لؤلؤة عندما ذكر له أن الفرس يصنعون طواحين الهواء

وقال عمر للمولى الفارسي

— ذكر لي أنك تستطيع أن تصنع رحى تطحن بالريح ؟ ..

ولمخ عمر في عيني الفارسي عبوساً غريباً وهو يجيبه :

— لأصنعن لك رحى يتحدث بها الناس ..

وأحس الخليفة تهديداً من وراء ذلك الرد الغريب . . ولكنه وإن لم يدرك بالضبط ما يعنيه الفتى ، إلا أنه همس لمن حوله : أوعدني العبد . . على أن عمر نفض عن نفسه تلك الذكري وهو يذهب ليؤم الصلاة . ومر في صفوف المصلين يسويها ثم وقف عند القبلة . . وبدأ الصلاة وهو يقول « الله أكبر » .

ونفاة سمع المصلون خلفه صرخة خفيفة وصوتاً يهتف محسراً :

— آه . قتلتى الكلب ..

وخرج المسلمون من الصلاة . . . فقد كان الصوت صوت عمر . . .  
الذى كان يخر صريحاً على الأرض وهو يتمم . « وكان أمر الله  
قدراً مقدوراً »

وتلفت الناس حولهم .. فإذا أبو لؤلؤة العبد الفارسى يحاول أن يفر  
وفى يده خنجر مشرع ، لا يقترب منه أحد إلا طعنه ، حتى بلغ جملة من  
أصحابهم سبعة رجال . . . وأسرع وراءه عبد الرحمن بن عوف فألقى  
عليه برنسا شل حركته وأوقفه ، غير أن العبد الفارسى عندما أحس  
بوقوعه فى أيدي الناس ، أسرع فطعن نفسه بنفس الخنجر الذى طعن به  
خليفة المسلمين . . .

وقبل أن يلفظ عمر بن الخطاب أنفاسه الأخيرة . . . كان آخر ما قاله  
عندما علم بأن قاتله أبو لؤلؤة :

— الحمد لله الذى لم يجعل قاتلى يحاجنى عند الله بسجدة سجدها له  
قط . . . ما كانت العرب لتقتلنى . . .  
وكانت هذه هى الحقيقة . . .

فما كان فى العرب من يجرؤ على قتل عمر خليفة رسول الله . . . ولكن  
كان هناك من يعيشون بين العرب أنفسهم ممن دخلوا الإسلام من الفرس .  
جاءوا كأسرى حرب أو كصناع وتجار ورقيق . . . وإذا كان بعض هؤلاء  
قد دخل الإسلام عن إيمان حقيقى به ، إلا أن الإسلام لم يبلغ فى قلوب  
البعض الآخر مبلغاً كبيراً . . . بل ربما انطوت هذه القلوب على غير قليل

من الحقد والموحدة على هؤلاء العرب الذين مزقوا أوصال بلادهم ووطأوا  
بأقدامهم سيادتها

وكان هؤلاء الحاقدون من أول أسباب الفرقة والخلاف بين  
المسلمين وإذا كان مقتل عمر قد جاء على يد واحد منهم . فإن الفتنة  
التي حدثت بعد ذلك أيام عثمان بن عفان ثم ما تبعها من انقسام المسلمين  
وظهور مختلف الفرق والأحزاب التي خرج بعضها على الإسلام نفسه  
وإن تظاهرت بالإيمان والشدة فيه . . كل ذلك كان وراء نفس  
هؤلاء الحاقدين . .

### وكانت الفرصة مواتية حقاً

فقد كان وانحماً منذ أول خلافة عثمان أن ثمة شيئاً سيحدث . فما  
كان عثمان بالذي يستطيع ملء مكان عمر بن الخطاب الذي عرف كيف  
يسوس أمور الإمبراطورية الإسلامية التي اتسعت خارج الجزيرة العربية  
اتساعاً هائلاً وما كان الخليفة الجديد بقادر على أن يمسك بيديه  
المرتمشتين دفة السفينة في حزم وقوة كما فعل عمر في أدق فترة من فترات  
الإسلام وأخطرها .

من أجل ذلك برزت عوامل النكسة لتسيطر على أقدار المسلمين  
ومهض العداة الدفين للإسلام داخل الجزيرة وخارجها يستغل فرصة  
عدم التكافؤ بين شخصية الخليفة عمر والخليفة عثمان ، بشيخوخته  
وتساهله وضعفه أمام أسرته فراح يعمل عمله في جسم الإسلام القوي  
الصلب ، وأطلت العصبية القبلية بوجهها الكئيب .. لتجعل الأمويين  
يضمرون العداة المهاشمين الذين كانوا أنداداً لهم في الجاهلية .

وظهرت عوامل الفرقة والخصام والتنافس في المجتمع العربي في الجزيرة وفي الأمصار .. ثم ظهرت عصبية العرب ضد الموالي خاصة بعد المؤامرة الفارسية التي دبرت لقتل عمر .. فبدأت قسوة العرب للموالي واضحة . ثم استفحل الأمر .. وبدأت الفرق الإسلامية تظهر في الأفق بشكل سافر وبدأ الخلاف واضحاً بين المسلمين بعضهم وبعض .

\* \* \*

### الفرق الإسلامية

على أن الأحداث التي جرت فيما بعد أكدت بما لا يدع مجالاً للشك ، أن العداء القنع للإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وظهور العصبية القبلية .. كل ذلك كان ينطوي على مكر بالإسلام ومحاولة لهدمه ، من أناس يتسترون بالإسلام ظاهرياً ليغفل عنهم المسلمون . فكان أن وجدت الفرق الإسلامية التي أوجدت بدورها التشاحن والتصارع بين المسلمين .. برغم أن الإسلام في كل خصائصه جاء منكرأ للفرقة والخصام ، مقدساً رأى الجماعة ، عاملاً على إيجاد التعاون والألفة بين الناس . ومشاركة بعضهم البعض في الأحاسيس والمشاعر بل واستطاع بمبارسته من مبادئ وتعاليم أن يمازج ويؤلف بين مختلف الأجناس البشرية ، المتباينة العادات ، المتنافرة الطباع ، ممن ارتضوه ديناً أو استظلوا به مطمئنين لحمايته . كل ذلك الذي حدث . كان بعض أسباب الفتنة التي استفحل أمرها عندما قتل عثمان بن عفان ليزيد الأمر سوءاً على سوء .

وكان أساس الفتنة اختلاف المسلمين أواخر أيام عثمان بن عفان حول تصرفات للخليفة وولاته على الأمصار ، رأى فيها بعضهم خروجاً على مبادئ الإسلام واستنكروها عليه وبذر بذور الثورة على عثمان رجل من أهل صنعاء هو عبد الله بن سبأ ، كان يهودياً ثم أسلم . واستفحلت الثورة

حتى بلغ بها الأمر أن اقتحم الشوار على الخليفة داره فقتلوه وهبوا بيته وبيت المال ثم كان تولى على بن أبي طالب الخلافة بعده ، أول فصول المأساة ، وما أعقبها من انقسام العرب أحزاباً متباينة متضاربة مما أضعف الإسلام وزاد كلمة المسلمين انقساماً .

## الخوارج

وكان أول الغيث قطر ، حين انحصر النزاع في أول الأمر في حزبين اثنين : حزب عثمان وعلى رأسه معاوية بن أبي سفيان رأس بني أمية ، وحزب على بن أبي طالب رأس بني هاشم الذين كان العداء بينهم وبين بني أمية قديماً منذ الجاهلية ولم يزد الإسلام إلا شدة ، إذ لم ينس بنو أمية ما كان من حمزة وعلى يوم صرع أكبر رجالهم يوم بدر ، كالم ينس بنو هاشم ما كان من هند حين لاكت كبد حمزة ومثلت به يوم أحد .

واشتعلت نار الحرب بين الفريقين حين أبي معاوية الاعتراف بخلافة على ، وشق عليه عصا الطاعة وآتهم بدم عثمان

على أن المعركة التي كانت سجالات كادت تنتهي ذات يوم بانتصار على ومن معه من أهل العراق ، على معاوية وجيشه من أهل الشام ، لولا خدعة عمرو بن العاص . وهو على جيش معاوية حين جعل رجاله يصعون المصاحف على رماحهم ليكون كتاب الله بين الفريقين

فقد اضطر على إلى قبول التحكيم الذي أراده عليه رجاله من أهل العراق ، رغم نصحه لهم بالأبىفتروا بقول معاوية وأصحابه

وكان التحكيم خدعة انتصر فيها عمرو ، حين استدرج الحكم الذي ارتضاه على حتى خلع علياً ، بينما ثبت هو موكله معاوية على الخلافة .

وحين اضطر على إلى القبول وأصبح الأمر لمعاوية انقسم جند على

وخرجوا عليه .. وأعلنوا غضبهم لقبوله التحكيم رغم أنهم هم الذين  
أرغموه عليه وأخذوا يلومونه ، ويلومون أنفسهم لأنخداعهم بخدعة  
عمرو

وكان هؤلاء هم الخوارج .

وكان موقفهم من علي غريباً وردم عليه أكثر غرابة ..

سألهم علي بن أبي طالب :

— ما أخرجكم علينا ؟

قالوا : حكومتكم يوم صفين .

قال علي : أنشدكم الله ألسنت قد هببتكم عن قبول التحكيم فرددتم  
علي رأيي ، ولما أيسم إلا ذلك اشترطنا على الحكيم أن يحكما بما في القرآن ..  
فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكماً يحكم بما في القرآن ، وإن  
أبينا فنحن من حكمها براء . ؟

قالوا له : نخبرنا .. أترأه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟

قال علي : إنما يحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن . وهذا القرآن إنما  
هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال .

قالوا له : نخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم ؟

قال : ليعلم الجاهل ويثبت العالم . ولعل الله عز وجل يصلح في هذه  
الهدنة هذه الأمة .

قالوا وهم يهزون أكتافهم : لا حكم إلا لله .

أجاب علي وهو يمضي : كلمة حق يراد بها باطل .

وكان لا بد أن يصطدم علي بالخوارج قبل أن يعود لتحكيم السيف بينه

وبين معاوية .. واطتاع على أن يقضى على جزء كبير منهم ، إلا أن الذين فروا أمام جيشه واصلوا الانتشار سواء في أيام الدولة الأموية أو الدولة العباسية

على أن الخوارج كان لهم رأيهم في الأمر كله فبينما كان شيعة بنى أمية في الشام ومصريون أن تكون الخلافة في قريش وأن البيت الأموي أحق بها ، وبينما كان شيعة على بن أبي طالب في العراق يرون أن تكون الخلافة في قريش ، وأن علياً وأولاده من بعده أحق المسلمين بها .. كان الخوارج وهم أعداء الفريقين يستحلون دماءهم ، ويرون أن كل أفراد الجماعتين الآخرين خارجون على الدين ..

وكان هؤلاء الخوارج يمثلون الديمقراطية الإسلامية ، إذ كانوا يرون أن الخلافة حق لكل مسلم عربي حر ، ثم عدلوا شرطهم إلى الإسلام والعدل بدل العروبة والحرية ، خاصة بعد أن انضم إلى صفوفهم كثير من المسلمين من غير العرب وخاصة الفرس كما قالوا أياً كان إذا اختير الخليفة فلا يصح له أن ينزل عنها . وإذا ظلم استحلوا عزله أو قتله ..

واضطبغت آراء الخوارج السياسية بالأبحاث الدينية . فقالوا إن الفعل بأوامر الدين من صلاة وصيام وصدق وعدل جزء من الإيمان ، وليس الإيمان هو الاعتقاد بالله ورسالة محمد بحسب فمن اعتقد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم لم يعمل بما يفرضه الدين ، وارتكب الكبائر فهو كافر . وامتاز الخوارج بشدة تمسكهم بالقرآن واتباع أحكامه وتنفيذ أوامره . وكان خوفهم من عذاب الله يوم القيامة يثير في نفوسهم الحساس للحق وشدة التمسك به ، والامتنال لأوامر الله واجتناب نواهيه . إلا أنهم غلغوا في إنكارهم حتى عدوا مرتكب أى هفوة مهما صغرت كافراً . واشتدوا في



معاملة المخالفين لهم ، حتى كان كثير منهم لا يرحم المرأة ولا الطفل الرضيع ولا الشيخ الفاني ولم يتورعوا عن ارتكاب أشد الأعمال قسوة ، برغم ما كان من ظهورهم بمظهر العباد الزهاد وتورعهم عن تافه الأشياء ، كما كانوا يأتون بأفظة المنكرات كأنهم لا يدينون ياله ولا يعرفون شفقة ولا رحمة

ويقول البعض إن العوامل التي أثرت في عقيدة الخوارج لم تكن عوامل داخلية ذاتية بقدر ما كانت عوامل خارجية ، إذ ساهم فيها اختلاط العرب باليهود والنصارى واختلاطهم أكثر من ذلك بالفرس .. الذين كانوا عوامل رئيسية في كل ذلك الاضطراب الذي دخل على الدين .

ومن أجل ذلك أيضاً تفرق الخوارج أنفسهم إلى فرق عدة .. كاد عددها يصل إلى عشرين فرقة .. ولكن هذه الكثيرة لم تمنع من أن يكون بين الخوارج من يبدو فيهم الاعتدال .. وأن يكون بينهم من يميلون إلى المغالاة .

على أن مغالاة بعض فرق الخوارج كانت هي السبب بغير شك في اتهامها هي نفسها بالخروج على الإسلام .. وكان من بينها فرقتان بارزتان هما : اليزيدية أتباع يزيد بن أبيه الذي زعم أن الله سيرسل رسولا من العجم ويزل عليه كتابا ينسخ القرآن .. والميمونية أتباع ميمون العجدي الذي أباح الإنصال بينات الإبن وبنات أولاد الإخوة والأخوات ، كما أنكر سورة يوسف ولم يعدها من القرآن ، وزعم أنها قصة من القصص .. وقالوا أنه لا يجوز أن تكون قصة المشق من القرآن فاستبعدوها .

كان هذا هو أمر الخوارج ..

فإذا كان من أمر الشيعة ؟

لقد كان أساس اعتقاد الشيعة هو أن علي بن أبي طالب أحق بالخلافة

الشيعة

وأن أبا بكر وعمر وعثمان أخذوا حق الإمامة المقدس من علي .

وكان الأمر قد بدا سهلاً لهم حين تذر المسلمون من سياسة عثمان بن عفان ، فطالبوا بتحويل الخلافة إلى أهل البيت . وأشعل نيران ثورتهم أبو ذر الغفاري بتحريض ابن سبأ الذي أخذ يتنقل في الولايات الإسلامية ووضع أسس عقائد مذهب الشيعة . وفي مصر استقر به المطاف حيث ألبس دعوته لباس الدين . . . ووضع مذهباً يقول برجعة عيسى ، ولا يقول برجعة محمد رسول الله إذ قال : « إني لأعجب ممن يقول برجعة عيسى ولا يقول برجعة محمد » وزاد ابن سبأ « أن محمداً أحق بالرجوع من عيسى » وكان ذلك أساس نشوء مذهب تناسخ الأرواح في الإسلام . . . وهو خروج الروح من جسد وحلولها في جسد آخر

وكان ابن سبأ يهودياً قبل إسلامه . لهذا أخذ بمذهب الوصاية ، فقال أن علياً وصي محمد ، وأنه خاتم الأوصياء بعد محمد خاتم النبيين . . . كما قال أيضاً أن علياً هو الخليفة بعد النبي ، وأنه يستمد الحكم من الله .

والحقيقة أن ابن سبأ لم يكن خالص الإيمان بالإسلام بل كان يريد من وراء دعوته إفساد دعوة الإسلام وتشويه العقيدة وإثارة الفتنة بين المسلمين .

ودارت مناقشات غريبة حول مذهب الشيعة من أصحاب عبد الله بن سبأ . . .

ذهب بعضهم إلى علي بن أبي طالب وقالوا له :

-- أنت هو . . .

قال علي : ومن هو ؟ . . .



قالوا له : أنت الله ..

وغضب على ، وأمر بنار أوقدت ، وأمر مولاه بأب يلقي بهؤلاء الرجال في النار ، وبينما كانوا يساقون إلى النار كانت أصواتهم ترتفع لتقول :

— الآن صح عندنا أنه الله ..

وعندما مات على قال السبئية بأنه سيرجع مرة أخرى .. وأنه هو المهدي المنتظر . وقال ابن سبأ لما بلغه مقتل على « لو أتيتموني برأسه سبعين مرة ما صدقنا موته . ولا يموت حتى يزل من السماء ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا » .

وقال السبئية إن المقتول لم يكن عليا وإنما كان شيطانا تصور للناس في صورة علي ، وأن عليا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم وعندما يعود سيحيى من السماء . وقالوا أيضاً أن الرعد صوت على والبرق نوره حتى أنهم عندما كانوا يسمعون صوت الرعد كانوا يهتفون « عليك السلام يا أمير المؤمنين »

على أن السبئية لم يكونوا هم وحدهم شيعة علي . فقد كان هناك فريق معتدل لايمكن أن يتطرق الشك إلى إيمانهم وإخلاصهم للإسلام .. ومضت هذه الشيعة في طريقها حتى بعد مقتل علي بن أبي طالب ، ونزل ابنه الحسن عن الخلافة، عندما أحس بخذلان أهل الكوفة له تماما كما خذلوا أباه من قبل ..

على أن الحسين بن علي لم يعتبر بما فعله أهل الكوفة بأبيه وأخيه، ولجى دعوتهم عندما دعوه إلى أرضهم على أن يناصروه ضد يزيد بن معاوية

ولكن المأساة كان لا بد أن تقع مع استمرار ناس الكوفة في خذلان الحسين . وكانت موقعة كربلاء التي قتل فيها ابن بنت رسول الله . ولطخت أرضها بدمه وأحيطت جثته بحش أهل بيت النبي

منذ تلك اللحظة اندلعت من جديد نار التشيع في نفوس الشيعة - وخاصة الفرس ، فوحدت صفوفهم بعد أن تفرقت من قبل كلمتهم . ولم يكن عجباً أن يأخذ شعور العداء للأمويين منذ ذلك الوقت يثور لأوهى الأسباب . كما لم يكن غريباً أن يقف القائد الأموي بعد قتل الحسين ليخطب في المسلمين فيقول : « الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه ، وقتل الكذاب بن الكذاب وشيعته » . فيجد القائد المنتصر من يقف في وجهه ليصرخ فيه « يا عدو الله .. إن الكذاب أنت وأبوك الذي ولاك وأبوه ، تقتل أولاد النبيين وتقوم على المنبر مقام الصديقين ؟ »

وواصل الشيعة صراعهم ضد الأمويين

الكيسانية

على أن الشيعة كانت هي الأخرى قد انقسمت أقساماً أخرى عديدة .. كان أبرزها بعد ذلك فرقة تسمى الكيسانية ، ناصر أهلها محمد بن الحنفية أصغر أبناء علي بن أبي طالب . وقالوا إنه هو إمام المسلمين بعد أبيه ، وغالوا في اعتقادهم بإحاطة الآئمة بالعلوم الإلهية . وقالوا أن ابن الحنفية أحاط بالعلوم كلها وأن أخويه الحسن والحسين عهد إليه بالأسرار السماوية ، وبعلم التأويل والباطن . . ثم قالوا بعد ذلك أن من حق الإمام تأويل الشريعة ، وضرورة الطاعة له لأن طاعته ليست سوى طاعة للقانون الإلهي . .

واعتقد الكيسانية أن الله يغير ما يريد . وآمنوا بتناسخ الأرواح والحلول من جسد إلى جسد واعتقدوا بنبوة علي والحسن والحسين وابن الحنفية وعندما مات الإمام ابن الحنفية أنكروا موته ، وقالوا أنه يقيم في

جبل رضوى على مسيرة سبعة أيام من المدينة، وأن عودته ستكون من هذا المكان .

وإذا كان للشيعة ذلك الأثر الكبير في سير الإسلام . . فقد كان هناك طائفتان أخريتان في ذلك العهد أيضاً . . هما المرجئة والمعتزلة .

المرجئة . والمرجئة ظهروا في دمشق عاصمة الأمويين بتأثير بعض العوامل المسيحية . وكان أساس إيمانهم هو إرجاء الحكم على العصاة من المسلمين إلى يوم البعث وعدم إدانة أى مسلم مهما كانت الذنوب التي اقترفها .

وقال المرجئة إنه لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة . . وبذلك لا يمكن تكفير إنسان أيا كان مهما ارتكب من المعاصي ، مادام قد اعتنق الإسلام ونطق الشهادتين ، ويترك أمر حسابه أو عقابه إلى الله وحده . وكان من الطبيعي أن تدفع مثل تلك العقيدة أصحابها إلى ترك الفروض التي فرضها الدين من صلاة وزكاة وصوم ، وأن يضعوا واجبات الإنسان نحو من يحيط به من الناس ، فوق أداء الفروض التي جاء بها القرآن .

المعتزلة . . أما المعتزلة . . فكانت نشأتهم عندما اختلف واصل بن عطاء مع أستاذه الفقيه حسن البصرى ، في مسألة المؤمن العاصى الذى ارتكب ذنباً كبيراً . . أسمى مؤمناً أم كافراً . وقال واصل إن مثل هذا الشخص لا يعتبر مؤمناً ولا يسمى كافراً . . بل يجب أن يوضع في منزلة بين المنزلتين . واعتزل واصل ناحية بعيدة عن المسجد يشرح رأيه لأتباعه . . فكان أن سمو بالمعتزلة . .

وسمى هؤلاء المعتزلة بالقدرية . . وترجع تلك التسمية إلى أن مذهبهم

وتتكون عقيدة المعتزلة من خمسة أصول :

\* التوحيد إذا قالوا أن الله ليس كالأشياء والأجسام ، وأنه ليس بجزء ولا عنصر ولا جوهر ، بل هو الخالق لهذه الأشياء جميعاً ، وأنه لا يحصره المكان ولا تحويه الأقطار

\* والعدل هو الأصل الثاني ، ومعناه أن الله لا يحب الفساد ولا يخلق أفعال العباد ، بل إنهم يفعلون ما أمروا به وهوأ عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم ، لأنه لم يأمر إلا بما أراد ، ولم ينه إلا عما كره . وأنه ولي كل حسنة أمر بها ، برىء من كل سيئة هبى عنها ، وأن الله لو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم عن معصيته ، غير أنه لم يفعل وهو قادر . وعلى ذلك فإن من الظلم أن يعاقب الإنسان على عمل ساقه إليه القدر الإلهي

\* والوعيد هو الأصل الثالث.. وهو أن الله لا ينفرد لمرتكب الكبائر إلا بالتوبة ، وأنه لصادق في وعده ووعيده لا مبدل لكلماته

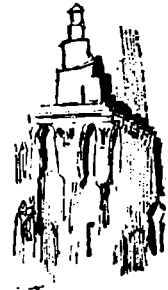
\* والأصل الرابع هو المنزلة بين المنزلتين وهو أن الفاسق مرتكب الكبائر ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل يسمى فاسقاً . .

\* وأما الأصل الخامس فوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . وهو أن ما ذكر على سائر المؤمنين واجب على حسب استطاعتهم في ذلك بالسيف فما دونه ، ولا فرق بين جهاد الكافر والفاسق .

ويقول المعتزلة أيضاً بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقيبح . كما يقولون أن الإمامة اختيار من الأمة ، لأن الله لم ينص على رجل بعينه ، وأن اختيار الإمام مفوض إلى الأمة .

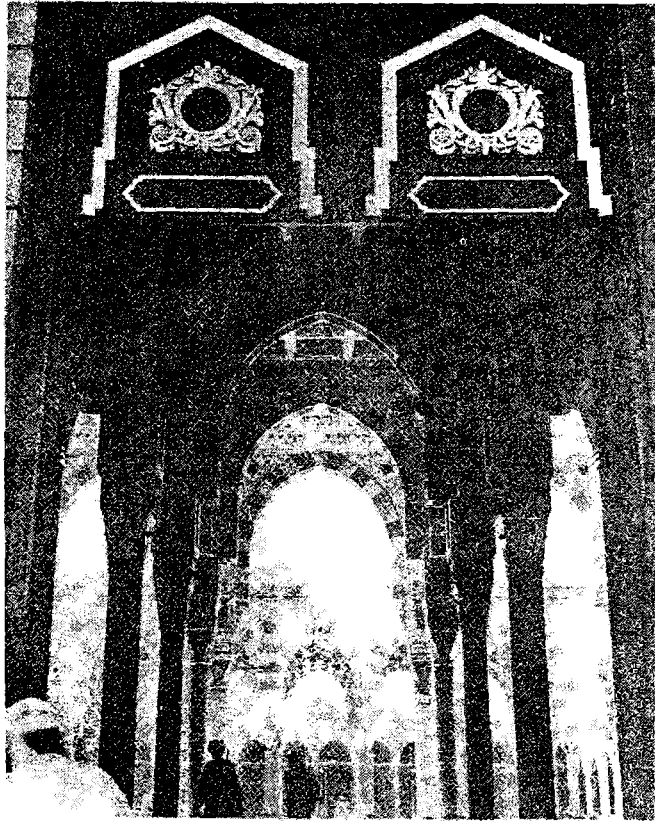
\* \* \*

كل تلك الاختلافات وهي قليلة جداً من كثير - حدثت عندما استمر





القليب وحوله دارت معركة بدر أولى معارك المسلمين مع المشركين

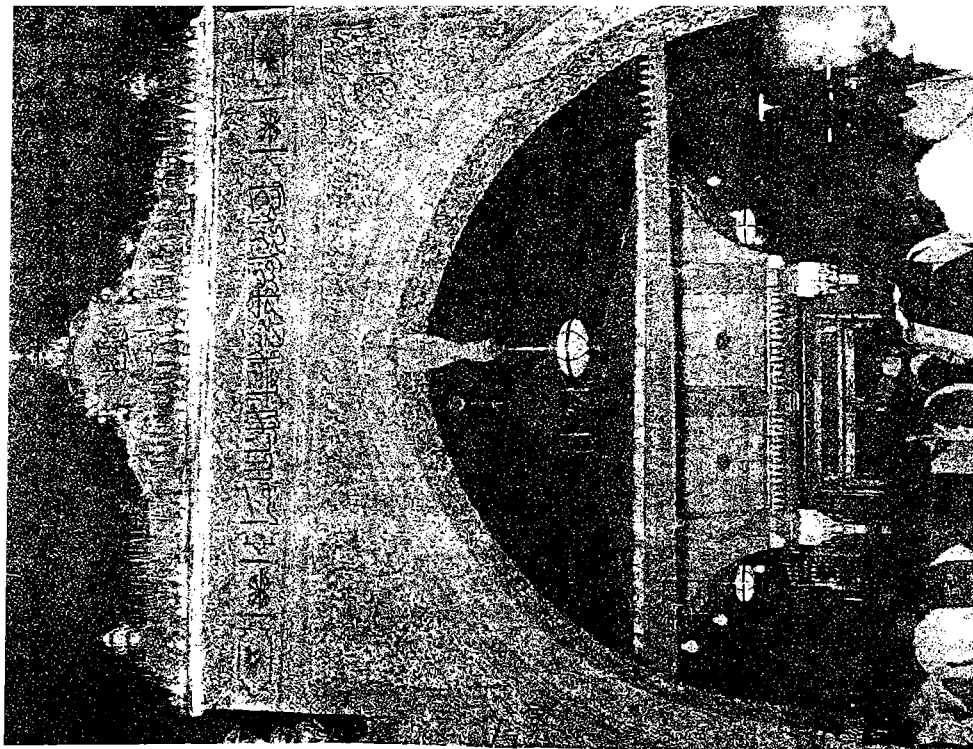


باب السلام مدخل  
الحرم النبوي الشريف



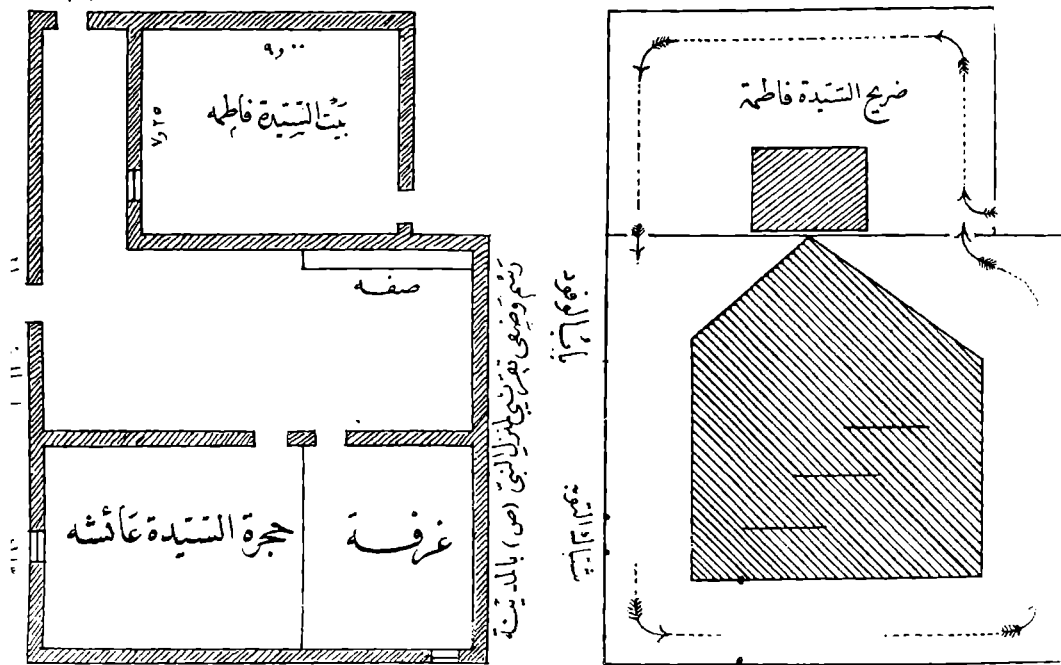


مقام إبراهيم في الفناء أمام الكعبة وبالقرب من بئر زمزم

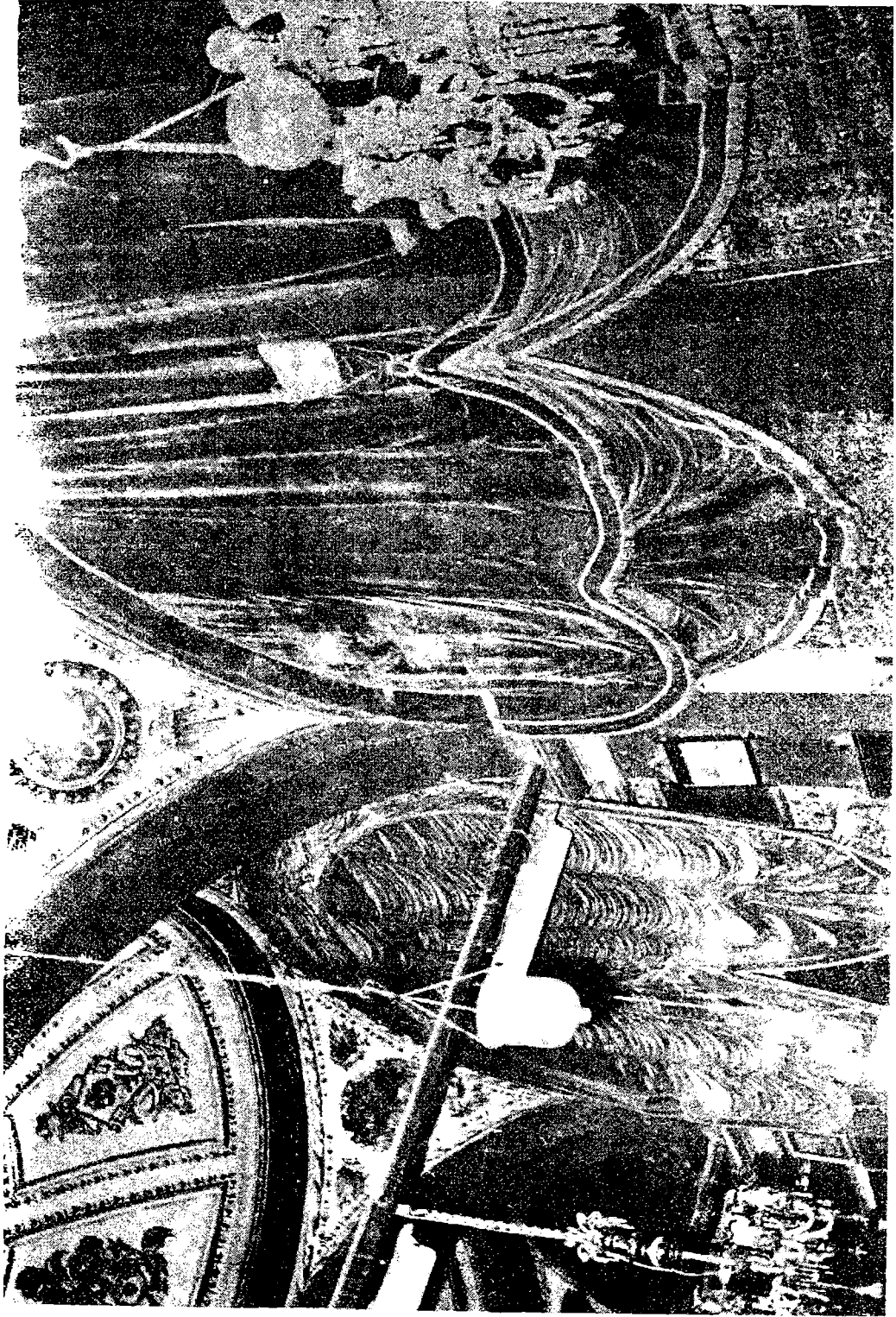


الباب الثاني

شمالاً



رسم للمقصورة الشريفة الحالية التي بها قبر الرسول (ص) والى جواره قبر أبي بكر ثم قبر عمر



انقسام المسلمين إلى فرق متنازعة متضاربة ، وراح الفرس والمدعون للإسلام ينفثون سمومهم لإفساد عقيدة المسلمين.

غير أن أخطر الخلافات لم تأت إلا بعد أن انقسمت فرق الشيعة نفسها إلى أكثر من حزب .. وراح البعض مهم يدخل على الدين بدعا كان لا بد أن تؤدي إلى اعتبارهم خارجين على الإسلام .

من بين ذلك فرقة تسمى « الغرايبة » زعمت أن الله أرسل جبريل إلى علي بن أبي طالب ، فأخطأ وذهب إلى محمد لأنه كان يشبه عليا.

\* \* \*

على أن الفرق التي لاتزال حية من فرق الشيعة ، تكاد لاتزيد اليوم عن ثلاث فرق رئيسية فقط .. هي الإثنا عشرية والزيدية والإسماعيلية

فالإثنا عشرية سموها بذلك لأنهم يسلسلون أئمتهم اثني عشر إماما ، **الإثنا عشرية** أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم محمد المهدي . وهؤلاء الناس يؤمنون كغيرهم من الشيعة بالإمام الخفي « المستور » وينتظرون ظهوره آخر الزمان ليطهر الأرض ويقضى على المفسد والشور . وهم يروون عن موسى الكاظم سابع أئمتهم أنه قال « كل من حكى عنى أنه عنى في خلال مرضى أو غسلنى أو حفظنى ودفننى ، وأنه نزل فى قبرى ومس رفاى ، فقل عنه أنه كذاب . وإذا استعلم أحد عنى بعد اختفائى فليجب أنه يعيش والله الحمد . ولعنة الله على من سئل عنى فأجاب أنه قد مات » !

**الزيدية** أما الزيدية فيعتبرون من فرق الشيعة المعتدلين . فهم لم يؤمنوا كباقي فرق الشيعة بمصمة الإمام المستور عن الخطأ ، ولا بالعلم الباطنى الذى يهبه الله للأئمة دون غيرهم ، ولم يلعنوا أبا بكر وعمر وسائر الصحابة ويرمومهم بالخروج على الإسلام . وأخذهم الخلافة غصبا من على ، ولكنهم يؤمنون

في الوقت نفسه بتفوق على بن ابي طالب عنهم في قوة الإدراك ، وفي المواهب الممتازة والصفات الحميدة . ولم يتعصب الزيدية ذلك التعصب الأعمى إذ اعترفوا بالإمامة لكل علوي دون مراعاة انتسابه لهذا الفرع أو ذاك من البيت الهاشمي ، متى توفر له من الاستعداد الروحي والمواهب الدينية والتكافؤ الشخصي ما يعينه على القيام بمسئوليات الإمامة الدينية .

\* \* \*

فأما الاسماعيلية ففرقة أشد من كل هذه الفرق قوة وتنظيماً

الاسماعيلية

فهؤلاء ينظمون جمعية منظمة تنظيماً دقيقاً ، لها تعاليم سرية على حظ كبير جدا من الدهاء ، وتنسب إليهم الدولة الفاطمية التي أسسها الفاطميون في مصر وكان قيام هذه الفرقة في أواخر القرن الثالث الهجري نسبة إلى الإمام السابع من الإثنا عشرية وهو اسماعيل بن أبي جعفر الصادق وقالوا لتأكيد الإمامة فيه « أن السموات سبع والأرض سبع والأيام سبعة وكل ذلك دليل على أن دور الأئمة يتم بسبعة »

وظل الإسماعيليون يعترفون بالإمامة لإسماعيل ، برغم أن أباه بعد أن نصبه للإمامة رجع فسحب الولاية منه ، لما رآه عليه من انغماس في المذات والمنكرات وتعاطي الخمر . وعندما نعى خصوم الإسماعيلية عليهم ذلك لم يحاولوا أن يبرئوا إمامهم مما يصنعه من إتيان المنكرات جهاراً فزعموا أن الإمام مباح له أن يفعل كل شيء لأنه مطهر عند الله ومعصوم من الخطأ والمنكر ، فكل ما يأتيه من قول أو فعل يراه الرأي منكراً ليس كذلك إلا في الظاهر فقط أما الحقيقة فهو مبرأ منذ القدم من المعاصي من الخطأ !

وانقسمت الاسماعيلية نفسها أقساماً خاصة بعد أن فر المعتنقون لها

إلى فارس وخراسان وماوراء ذلك من الأقاليم الإسلامية كالهند وتركستان.  
فهناك خالط مذهبهم بعض آراء من عقائد الفرس، والهند، وتحت تأثيرها  
أنحرفت بعض الطوائف الإسماعيلية حتى خرجت عن دائرة الإسلام.

ولقد قيل في بعض طوائف الإسماعيلية إن القيرواني، وهو من كبار  
رجالهم، قال في رسالة له إلى سليمان بن الحسن القرمطي «إني أوصيك  
بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل وبعدهم إلى  
إبطال الشرائع، وإلى إبطال المعاد والنشر من القبور وإبطال الملائكة  
في السماء وإبطال الجن في الأرض. وأوصيك بأن تدعومهم إلى القول بأنه  
قد كان قبل آدم بشر كثير، فإن ذلك عون على القول بقدم العالم وفي  
هذا تحقيق دعوانا الباطنية وينبغي أن نحيط علماً بخوارق الأنبياء  
ومناقضاتهم في أقوالهم، كعيسى بن مريم قال لليهود لا أرفع شريفة موسى  
ثم رفعها بتحريم الأحد بدلا من السبت وأباح العمل في السبت وأبدى  
قبلة موسى بخلاف جهها. ولهذا قتلت اليهود لما اختلفت كلمته»

وكان الإسماعيلية يخفون ما يريدون أن يحملوا الناس على اتباعه  
ويتظاهرون أمامهم بأمور أخرى وكان دعاة المذهب الإسماعيلي إذا  
شككوا المدعو وطلبوا إليه حل رموز الدعوة التي جعلوها سرية، أخذوا  
عليه العهد والمواثيق ألا يكشف عن سر دعوتهم، وأن يدافع عنها وأن  
يتحمل في سبيل الدفاع عنها كل ضروب العذاب والآلام

ونظام الإسماعيلية الداخلي ينقسم إلى خمسة أقسام :

القدمون : وهم الرؤساء .

الدعاة : وهم الذين يبشرون الدعوة .

الرفاق : ويتولون إدارة حركة المؤمنين .

الفدائيون : وهم المنفذون للأحكام .

المؤمنون : وهم المستجدون في الطريقة

والطرق المحددة في طريق نشر الدعوة . . وإن كانوا يهتمون جيداً

بإخفاء أسرارها . تسير في عدة خطوات :

أولها : اختيار استعداد الشخص لقبول التعاليم ، وثانيها : الاستئناس به ، وثالثها إدخال روح التشكك في أعماقه . فإذا نجحت هذه الخطوات الثلاث تؤخذ عليه الموائيق بالألأبيوح بشيء مما يسمع ، ثم تبدأ خطوات الإقناع وأولها غرس الإيمان بمقيدة الإسماعيليين وقوتهم ، وثانيها تلقين التابع تعاليم العقيدة فإذا تم ذلك رفعت عنه بعض الفروض الشرعية ومنح السر الأعظم

وكما كان دور الأئمة يتم بسبعة عند الشيعة . كذلك فإن الأئمة أنفسهم سبعة كأيام الأسبوع والسماوات والكواكب . ويوجد بين كل إمامين سبعة رسل ناطقين . وبين كل ناطقين سبعة من أئمة العصر يعملون لإتمام شريعة الناطق التابعين له . ولكل إمام عصر من هؤلاء مساعدون يبلغ عددهم به سبعة هم الذين يقتدى بهم

فإمام العصر يستمد فيضه من الله ليتم شريعة الناطق . والحجة يستمد فيضه من الإمام ويكون حجة لوجوده . وذو المصبة يمتص العلم من الحجة والداعى الأكبر وهو أعظم المؤمنين مقاما . والداعى المأذون يأخذ العهد ممن يريد الدخول في الإسماعيلية من أهل الظاهر . والمكلب لا يؤذن له بالدعوة لسكنه يرشد الطالب إلى المأذون والمؤمن هو الذى دخل في زمرة الجماعة .



وكل ناطق ينسخ الشريعة التي أتى بها الناطق السابق له . . والسبعة الناطقون هم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد بن عبد الله . . ثم محمد المهدي .

ومعنى ذلك أن كل شريعة تأتي في كل دورة من دورات الناطقين تنتهى بظهور الناطق الذى يليه . . أى أن الوحي الإلهي لا ينقطع ولا ينتهى في فترة زمنية معينة . وبهذا النظام يكون محمد المهدي قد أتى برسالة تعد من حيث هى مظهر من المظاهر الدورية أكمل وأعظم مما سبقها بل تفوق رسالات من سبقوه . حتى رسالة النبي محمد ..

ويقول الإسماعيليون إن المرید ينبغي أن يفهم القرآن والشريعة فهما مجازيا أى أن عليه أن ينبذ المعانى الظاهرة ولا يعنى بها ، لأنها ستار محجب المعنى الروحي الصحيح .

فالحقائق عند هذه الطائفة لا توجد إلا في المعانى المستترة، أى «الباطنة» . أما المعانى الظاهرة فهي حجب مضطربة وأقنعه متناقضة . والذين يريدون الاندماج في الطائفة تراح عنهم هذه الحجب بالقدر الذى يناسب استعدادهم ، ويتدرجون في هذه المعرفة حتى تنهيا لهم المقدرة على مواجهة الحائق وهي سافرة . . ولهذا سمي الإسماعيليون بالباطنية . وهم يقولون :

« إعلم أن آيات الكتاب سهلة يسيرة ، ولكنها على سهولتها تخفى وراء ظاهرها معنى خفيا مستترا . ويتصل بهذا المعنى الخفى معنى ثالث يحير ذوى الأفهام الثاقبة ويعيبها ، والمعنى الرابع مامن أحد يحيط به سوى الله واسع الكفاية من لاشبيه له . وهكذا نصل إلى معان سبعة الواحد تلو الآخر . ولذا لا تتقيد يا بنى بفهم المعنى الظاهري ، كما لم تر الشياطين في آدم إلا أنه مخلوق من الطين . »

وقالت بعض طوائف الإسماعيلية: « إن الخلافات لا تسبب إلا

عن المال والنساء . فيجب إباحتهما للناس عامة .»

ولا يزال الإسماعيليون يعيشون إلى اليوم جماعات متفرقة بعضها

في شمال سوريا، وهم منفصلون عن طائفة الدرروز التي تؤله الحاكم  
والبعض الآخر يقطنون أجزاء أخرى من العالم الإسلامي وخاصة إيران  
والهند، حيث يسمون باسم « الخوجة » وشيد لهم بزنبار بناء تعقد فيه  
اجتماعات الإسماعيلية

وقد اختلفت معتقدات الجماعتين عما كانت عليه المعتقدات الأولى .

ولكنهما تتفقان في تجلي الألوهية في الأئمة المعاصرين حيث لازالوا يقولون  
« ليس من المعقول الاعتقاد بإله لا يرى فظهور الإله لازم لأجل تلقين  
الشرائع » وإذا كانت هناك أقلية لا تزال تبحث حتى الآن عن يليق  
بالإمام إلا أن الأغلبية وجدت « محمد علي شاه وهو « أغاخان » الذي  
قالوا إن نسبه ينتهي إلى أحد فروع الدولة الفاطمية بصفته سليل أمراء  
الحشاشين الذين يدعون انتسابهم إلى هذه الدولة

وأتباع أغاخان كانوا يدينون له بالطاعة.. كما يدينون الآن لحفيده. وهم

يقدمون صورة أغاخان ويصلون لها مرتين كل يوم إحداهما في الصباح  
والأخرى بعد العشاء. وهم لا يصومون أبدا. ولكنهم يحجون إلى بومباي  
حيث هبط « محمد علي شاه ». وأما الزكاة فتدفع حسب تفسيرهم للآية:

« واعلموا أن ماغنم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى »

فهم يخصصون لأغاخان نسبة الخمس من كل ما يملكونه بعد الموت  
كما يخصصون له خمس الإيراد وخمس المهر . . . وإذا لم يعقب الإسماعيلي



ولدا تذهب أمواله لأغاخان لأن البنات لا يرثن . وهم يرددون الشهادة  
بجملة تقول : « الله رب واحد روح الوجود الحق المعبود »

أما احتفالات أعيادهم فهي عيد الأضحى مع المسلمين ، وعيد الميلاد  
مع المسيحيين . كما يعيدون النيروز وصلاتهم رطانة من اللغتين  
الأردية والعربية

\* \* \*

**الدروز** ومن بين فرق الإمامية الباطنية قوم غالوا في معنى « الإشراق الالمى »  
حتى أخذوا بنظرية حلول الإله في نفس الإمام . ودعوا إلى عبادته  
وكان على رأس هؤلاء « الحاكم بأمر الله الفاطمى » الذى ادعى أن الإله  
قد حل فيه . . ودعا إلى عبادته .

ف عندما تولى الحاكم الخلافة فى القاهرة عام ٩٩٦ وهو بعد فى الحادية  
عشرة من العمر ، تعمق فى دراسة الفلسفة والتنجم . وبدأت عليه فى ذلك  
الوقت بوادر غريبة . فكان يفرط إذا عاقب ويغلو إذا أجاز . وكثرت  
المشاحنات الدينية فى عهده مما اجتذب العلماء اليه ، حتى أنه أسس بهم  
مدرسة جديدة شادت بذكره حتى لقبته « الحاكم بأمره » . وراح الأئمة  
يخطبون له مبتدئين بدلا من البسملة بقولهم باسم الله الحاكم الحمى  
المميت

على أن كل ذلك لم يتم إلا على أيدي قوم ممن كانوا يهدفون إلى  
هدم الإسلام من الفرس . فقد كان المحرك لتلك الدعوة هو أحد القرامطة  
واسمه محمد بن إسماعيل الطهرانى ولقبه لافشكين الدرزى . وأطلق لافشكين  
على مولاه اسم « سيد الهادين وسيف الإيمان » . وجاء بكتاب قديم أدخل

فيه صفحات قال فيها إن روح آدم انتقلت إلى علي بن أبي طالب ، ومنه إلى الفاطميين أسلاف الحاكم

وأحدثت تلك الدعوة بابل في مصر ، ولم يجد الحاكم إلا أن يرسل لافشكين الدرزي إلى وادي التيم في الشام للتبشير بالوصية ، حيث أبقى أهله من تنوخيين دعوته ..

في ذلك الوقت كان الحاكم قد أخذ لنفسه وزيراً هو حمزة بن علي بن أحمد الطهراني . واستطاع هذا الرجل إبعاد الدرزي وحل محله . وكان هو الآخر من الباطنية . فراح يسيء إلى سمعة سلفه الذي كان الخلاف قد اشتد بينه وبين أهله في جبال الشام فقاموا عليه وقتلوه .

وعندما مات الدرزي اتسع المجال لحمزه فادعى الإمامة في ظل الحاكم بأمره ، ولقب نفسه « بهادي المستجيبين »

و ذات يوم خرج الحاكم للخلاوة فوق جبل المقطم كعادته لاستطلاع النجوم ولم يعد . وبعد أيام عثروا على ثيابه ملوثة بالدم ، فزعموا أنه خرج إلى البركة الزرقاء ومها عرج إلى السماء مختفياً عن الناس ليمتنح إيمان المؤمنين . !

ويسمى أتباع الحاكم بالحاكية . وهم الدرروز أو « الأعراف الذين يكثرون بالشام . . ويؤمنون بأنه يعيش مستخفياً وأنه سيرجع . وهم يمتقدون أن الحاكم بأمره إله واحد أتباعه له موحدون ، وعندما يظهر آخر الزمان سيعين أتباعه أمراء وسلاطين يحكمون بقية البشر وسيمذب غير أهل بلته عذاباً ألماً ويقول كتاب « ميثاق ولي الزمن » الذي وضعه حمزة الذي جعل نفسه إماماً أن على التابع أن يقول « توكلت

على مولانا الحاكم الأحـد الفرد الصمد المـزه عن الزواج والعدد، أقر أنى قد تبرأت من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات على أصنافها واختلافها، وأنى لا أعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره. والطاعة هى العبادة.

ويؤرخ الأعراف «أى الدرور» بسنة كذا من سننى عبد مولاه جل ذكره حمزة بن على الهادى وهم يعتقدون بوحدانية الله «وهو الحاكم» وأنه فرد صمد مزه عن الأزواج والعدد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، لا بدء له ولا مهاية. عادل لا غرض لفعله قادر لامرد لحكمه، إن ائاب فبعده وإن عاقب فبعده له. ويؤمن الدرور بالملائكة والأنبياء والرسل وبالقضاء خيره وشره وبالقدر كما يعتقدون بخلود النفس التى تتقمص فى الأجساد البشرية إلى يوم الحشر، حين تجزى كل نفس بما كسب «قال الله للعالم كن فكان والأعمار مقدره»

وكان حمزة قد أعنى المؤمنين والأتباع من أركان الإسلام الخمسة وعوضهم بسبعة أركان

\* التوحيد للمولى الحاكم

\* الرضى بفعله كيفما كان.

\* التسليم بأمره فى السر والإعلان.

\* صدق اللسان.

\* حفظ الإخوان.

\* ترك ما كان يعبد من العدم والبهتان.

\* البراءة من الأبالسة والظفيان

وجاء في كتابهم « تكونب النفوس البشرية دفعة واحدة في بدء الخلق من نور حمزة وعددها محدود لا تزيد ولا تنقص . فإذا مات شخص ولد غيره وقت دفنه ، فتحل فيه روح الفانى ، لأن الجسد ليس إلا قيص والنفوس خالدة تنتقل من قيص لآخر حتى يوم الحشر »

وتنقسم الطائفة إلى مشايخ عقلاء ٠٠ وقضاة المذهب . والعقلاء ثلاث درجات المنزهة وهم أكثرهم تقى وورعا ، والشرائح وهم أقل درجة والأجاويد أو الخلوئية وهم الطبقة الدنيا والشرائح هم أصحاب الأسرار الداخلية ، بينما الأجاويد هم أصحاب الأسرار الخارجية أما الجهال فييدهم قبضة السيف والزعامة الوطنية ، وهم أربع طبقات أعلاها الأمراء فالمشايخ فالأعيان فالعامّة والطبقتان الأوليتان تتوارثان الألقاب أباعن جد .

وحتى يترك الدرزي الجهالة الى العقل - حتى ولو كان أميراً - يتحتم عليه أن يتصف بالعفة وأن يبتعد عن التلطف بكل خبيث من القول ، وأن يبتعد عن التأنق وشرب الخمر والتدخين ، وأن يرسل لحيته فإذا ما تبين فيه الصلاح سمح له بالحضور فى خلواتهم ليالى الجمع وفى هذه الخلوات البعيدة عن العمران يجتمع العقلاء تحت حراسة شديدة حتى لا يسترى معلوماتهم أحد من الظفيانيين . فإذا ما انقضى شطر من الليل انسحب الأجاويد وبقي الآخرون ، وبعد مدة أخرى ينسحب الشرايح ويظل المنزهة يتذاكرون حتى مطلع الفجر ، أما الجهال فيسمح لهم بالحضور فى ليلتى أول يوم من عيدى الفطر والأضحى . ويبلغ عدد الدرور ٢٥٠ ألفاً .



البابية

وثمة فرقتان أخريتان من أخطر الفرق التي خرجت على الإسلام

وأول هاتين الفرقتين لها قصة . .

فذات يوم من عام ١٨٤٠ ، وقف فتى غر اسمه ميرزا علي محمد الشيرازي لا يتجاوز من العمر الخامسة والعشرين ، ليعلم في ١٨ مرتدا من المسلمين الشيعة أنه هو «الباب» أي الواسطة بينهم وبين المهدي المنتظر ، الذي قرب موعد ظهوره وعودته بعد أن غاب « غيبته الصغرى » قبل ذلك بألف سنة .

وكان هذا الإمام وهو « محمد المهدي » ، قد اختفى وهو ابن ست سنين في سرداب « سامرا » ولم يعد . . وكان هو الإمام الثاني عشر من أئمة الشيعة الإمامية .

ولم يكن ذلك الفتى قد عمد وحده إلى تولي هذا الدور الذي بدأ يلعبه . . فقد كان من ورائه رجالان آخران يتآمران ومعهما آخرون لهم أركان الدين القائم بتغيير عقائده وتشريعاته وأنظمتهم وجميع أهدافه ، مدفوعين بأسباب لا تزال مجهولة ، وإن كان الغالب فيها التآمر ضد الإسلام والعداء له .

ويمكن لرجال من أن يوها الفتى الصغير ، الذي كان يتدين تدين العوام ، ويغلو في تدينه غلوا ضخما مستعيضا في تدينه من العلم بدعوى الفهم فراحا ومعههم ثالث اسمه البشروتي ، عرف كيف يستغل سداخته وغروره وغلوه في الدين ، فأوهوه أن سيكون له شأن ، وأن هذا هو أو أن ظهور المهدي المنتظر ، وفي ثنايا حديث البشروتي مع الصبي أدخل في روعه تماما أنه سيكون البشير بظهور المهدي ، وأنه سيكون الواسطة بينه وبين شعبه .

واقتنع الفتى وأعلنها في الناس أنه البشير بظهور المهدي واعتقد أنه يؤدي رسالة سامية فوق مستوى البشر. وأن أداءها هو نتيجة حتمية ملازمة للتطور التاريخي للإسلام وتحقيق رسالته السامية. وبعد أن اقتنع بأنه الباب الذي أشرقت منه على العالم الرغبة المعصومة التي « للإمام المستور » الذي يعد المصدر الأعلى لكل حقيقة وهداية ، أصبح عند أتباعه الذين تصوروا أنه أوتى علم الإمام النوراني ، حجة فيما يقول لامعقب لقوله كشأن الإمام تماماً . . . ووجد منهم طاعة مطلقة وتلقيا لكل ما يقول بالقبول . وانطلق ميرزا على يدعو في الناس تاركا تجارة خاله الذي كان يعمل لديه في مدينة بوشهر على الساحل الشرقي من الخليج العربي بإيران واستمر ميرزا على يدعو ومن حوله الناس مكذبين ، بينما قليل من الراغبين عن الدين يميلون إلى تصديقه .

ومع ذلك فقد واصل ميرزا على تصوره بأنه مصدر الهداية والمعرفة... ثم ما أسرع ما جال في خاطره أنه أكبر من أن يكون أداة للإمام المستور الذي يحيا ليهدى الناس ويعلمهم رغم اختفائه عن الأنظار وأعلن أن الله قد رفع قدره اقتصادا في مراحل التطور الروحي واختصارا لمراتب الهداية ، وبذلك أصبح هو نفسه المهدي الجديد ، الذي لا بد من ظهوره على وجه التحديد. عام ١٢٦٠ أي بعد غيبة الإمام المستور بألف سنة

وهكذا ادعى ميرزا على أب الله قد حل فيه ، وأنه هو الذي يظهر به الله خلقه ، وأنه السبيل لظهور موسى وعيسى في آخر الزمان ، وأن كل الرسائل الإلهية تجمعت فيه . وراح الباب يعلن أن اليوم الآخر ليس أكثر من رموز حياة روحية متجددة . وأنكر وجود الجنة والنار. وقال إن الرسالة الحمديّة ليست آخر الرسائل ، ثم سمي نفسه « الذكر »

قائلا إنه المقصود من الآية الكريمة « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

ووضع ميرزا على كتابا ضمنه كل آرائه وسماه « البيان » هو عنده الكتاب المقدس ، وقال إنه هو للمقصود من الآية « خلق الإنسان علمه البيان »

واعتبر علماء المسلمين ميرزا على وأتباعه خارجين على الإسلام. وتصدت لهم الدولة فطاردت ميرزا على وأتباعه وشردتهم . ووقع ميرزا على نفسه في أيدي الحاكين فحجزوه ثم أمروا بنفيه في « أذربيجان »

غير أن الذين صنعوا منه ذلك الداعية كانوا لا يزالون في عداوتهم للدين الإسلامي . ووجدوا الفرصة سانحة لاستغلال قضيته بالاستمرار في الدعوة على أساس أنه يمر بما مر به من سبقوه من الرسل واجتمع هؤلاء في مؤتمر عقده بالصحراء بين خراسان ومازندران . وأعلنوا نسخ دين الإسلام بالدين الحقيقي الكامل الجديد . . وظهور « البهاء » .

والذين قاموا بأدوار البطولة على مسرح ذلك المؤتمر أربعة : البشروي الذي أفتح الباب « بأنه وسيط » المهدي المنتظر وسمى نفسه « باب الباب » والبارفروشي الذي سمي نفسه « القدوس » وأم سلمى التي لقبوها « الطاهرة » ثم رابعهم ميرزا حسين الذي اكتشفوا فيما بعد أنه هو « بهاء الله » ومظهر أمر الأرباب . . !

وكان الأمر يقتضى أولا وجوب سبب للاجتماع ، فقيل إنه العمل على تخليص حضرة « الباب » وإنقاذه من منغاه . وتم الاتفاق مع « الأحياء » على أن يصحبوا معهم ذوى قربانهم إلى البلدة التي اعتقل فيها الباب، ليطلبوا

بالإفراج عنه . . وإلا أنقذوا حضرة « الباب » بضارم القوة وحد  
الاعتدار .

وكان بعد ذلك أن قرر المجتمعون من « الأحياء » بحث مسألة  
الأحكام الفرعية وهي : الصلاة والصوم والحج . وتنادى البعض بلزوم  
« التجديد » على أساس أن قوانين الحكمة الإلهية في التشريع الديني  
تقتضى أن يكون « الظهور » اللاحق أعظم مرتبة وأعم دائرة من سابقه  
وأن يكون كل خلف أرقى وأكمل من سلفه . وعلى هذا القياس يكون  
حضرة « الباب » الذي كان مبشرا ورسولا بظهور « البهاء » أعظم مقاما  
وآثارا من جميع الأنبياء الذين جاءوا من قبله . . وله بذلك مطلق الحرية  
في تغيير أحكام التشريع وتبديله

غير أن « التجديد » مع إلغاء التشريعات الخاصة بالدين السابق —  
وهو الإسلام بالطبع — يقتضى حكمة أكثر . والحكمة تقتضى أن  
تكون « الطاهرة » في جانب وأن يكون « القدوس » في الجانب الآخر،  
وأن يظل الحكيم الذي سيعتبر هو « البهاء » فيما بعد غير منحاز إلى أى  
من الاثنين . واشتد الخلاف بالطبع بين الجانب الذى تزعمه الطاهرة والذى  
ينادى بضرورة نسخ القديم وتجديد الجديد ، والجانب الذى يزعمه القدوس  
والذى ينادى بالتمسك بعبادات الإسلام « والعبادات هنا هى الصلاة  
والصوم »

وهكذا اقتضى الاتفاق اشتداد الخلاف حتى الذروة . وهنا . لا بد  
بالطبع أن يتدخل حضرة الحكيم الذى سيكون « البهاء » قيا بعد، فيبرز  
من أساليب الحكمة ولطائف الحزم ما يهدى به روع الجميع . . ثم يفيض  
عينيه ليقرا سورة « الواقعة » ويفسرها للناس ويفيض في شرحها بيانها





يما يتفق مع الهدف الأساسي وهو وقوع الواقعات وتغيير قواعد الدين القديم

وكان لابد أن ينتهى الأمر كما يقتضى التدبير بأن يقال أن المسألة تحتاج إلى رفع التفاصيل إلى حضرة « الباب » فى معتقله ليصدر حكمه الفاصل

وقد كان .

وأعلن أن رأى الباب يتفق مع التجديد . . .

\* \* \*

البرهانية

ولكن . . كيف جاء البهاء . هو نفسه ! ؟

الحقيقة أنه بعد إعدام « الباب » الذى ادعى قبل إعدامه أنه كان هو « المهدي المنتظر » وليس « بابا » له ، قيل أنه حين علم بصدور الأوامر بإعدامه ، جمع كل ما كتبه ووضع فى خاتمه ومقلته فى جعبة أرسلها مع مفتاحها إلى شخص أذاع أنه مأمور بتوصيلها إلى ميرزا حسين المازندراني . وعندما تلقى ميرزا حسين الجعبة أعلن أنه هو نفسه « البهاء » وأن الباب لم يكن سوى « نقطة » جاء كمن سبقه من الرسل والأنبياء ليبشر بمجيء البهاء ، وهو أكل وأخر مظاهر أمر الله ومهابط وحيه . وهو بذلك مظهر الله الأكل وجماله الأبهى

وهكذا ظهر البهاء الذى سماه البهائيون فى كتبهم المقدسة وألواحهم الإلهية « ربنا الأبهى » . رغم أن هذه الربوية نازعه فيها أخوه يحيى المسمى « صبح الأزل » الذى خرج عليه وقال أن الوحي نزل عليه هو ولكن أخاه حسين سرق كتاب الوحي وإدعاه لنفسه . وظل يقول هذا

حتى بعد أن كشف أمرهما وتم نفيهما في عكا . حيث مات البهاء وصار مدفنة مقصد الحجاج البهائيين .

يقول أ كبردعاة البهائية في شرح عقيدته في كتاب « الدرر البهية » :

« نحن معشر الأمة البهائية نمتقد أن مظاهر أمر الله ومهابط وحيه وهم هنا برهما وبوذا وكونفوشيوس و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد والباب الذين بشروا في النهاية بالبهاء — هم في الحقيقة مظاهر جميع أسماء الله تعالى وصفاته ومطالع شمس آياته وبيناته . لا تظهر صفة من صفات الله في المرتبة الأولية إلا مهم . ولا يمكن إثبات نعت من النعوت الجلالية والجلية إلا بهم »

ثم يقول الداعية البهائي :

« وكل الأدلة والبراهين تثبت حقيقة مظهر أمر الله في زماننا هذا ، وهو البهاء ميرزا حسين المازندراني ، أكثر وأوضح وأجلى مما كانت عليه حقيقة مظاهر أمر الله — أى الأنبياء — في الأزمنة السابقة وهذه البراهين قائمة متوافرة في هذا الظهور الأعظم الأسنى والطلوع الأنعم الأبهي .. ونعني به ظهور سيدنا البهاء جل اسمه وعز ذكره »

والواقع أن « البهاء » قبل أن يموت راح وهو في المنفى بعكا يضع كتابا سماه « الكتاب الأقدس » عارض به القرآن وادعى أن آياته كلها نزل بها الوحي عليه ، وأنها قديمة قدم الذات العلية وأعلن أن ما كتبه لا يمثل كل علمه الإلهي ، بل هناك ما احتفظ به لصفوة أصحابه لأن من عداهم لا يطبق هذه العلوم الباطنية

وقال البهاء إن الدين الجديد الذي يدعو إليه ليس هو الإسلام .. بل

إنه دين جديد عالمي يجمع الأديان كلها والأجناس كلها ، ويدعو لمحور الإقليمية والوطنية لأن الأرض للجميع، ويجعل البشر كلهم متساوين مهما اختلفوا ، ويلغى كل ما جاء في الإسلام من أحكام الحرام والحلال، ويحل العقل في الحكم محل الشرع الإسلامي .

وهكذا انتشرت البهائية .. وإن لم ينته عهدا بموت البهاء عام ١٨٩٣ فقد خلفه في زعامة المذهب ابنه «عباس افندي» الذي سمي نفسه «عبد البهاء» وكان لثقافة عباس الغربية أثرها في تحوير تعاليم أبيه مما يتقارب مع العقل الغربي . فأبعد فكرة « حلول الله في جسد الإمام » ولم يدع الخوارق التي ادعاها أبوه

واتسعت البهائية ودخل فيها عدد من اليهود والمسيحيين والمجوس ، فقد وجد عباس كما وجد أبوه من قبل أن المسلمين يرفضون تعاليمه . وأقام البهائيون حول فارس والبلاد القريبة .. ، كما أسسوا بناء لهم في بعض بلاد التركستان يعقدون فيه اجتماعاتهم وتبعهم بعد ذلك عدد من الناس في أوروبا وأمريكا حتى أصبحت مركز دعاية البهائية في شيكاغو .

وأصبح البهائيون يعلنونها اليوم صراحة بأن البهاء ليس فقط مظهر صفات الله .. بل لقد أصبح يتصف بها من دون الله .. وهو مصدر أفعال الله يفعلها بنفسه من دون الله . وهو المعنى بالقيامة وبالساعة الكبرى وهو وجه الله وجماله البهي الأبهى .. وهو الموعد للناس في كل البشارات التي أتى بها كل الأنبياء والرسل .. ثم .. هو الإله لا إله إلا هو ولا قيامة إلا قيامه ، ولا آخرة إلا بدايته ، ولا دين إلا دينه . وكما أن الإسلام نسخ الديانات التي سبقته فالبهائية نسخت الإسلام ، وكل الأديان كانت ناقصة بدائية ولم تجيء إلا لتكمل بالدين الكامل الذي جاء به البهاء .

على أن البهائية ازدادت بعد ذلك انغماساً في الإلحاد خاصة بعد أن خلف عبد البهاء عباس أباه .. وكأنت خلافته هو نفسه صورة من صور الغدر ، فبينما قيل إنه خلف أباه بوصية منه قال آخرون إن البهاء جن في أواخر أيامه ، وكان ابنه يعمل كحاجب له ، فاستأثر بالأمر . وأغدق على الجماعة أموالاً حبيبها الأتباع فيه حتى سموه « المعلم » .. فلإمامات البهاء وحل محله عباس غضب أخوه وسعى ضده لدى الحكومة التي ضيقت عليه حين أعلن الدستور عام ١٩٠٨ . وفي ذلك العام أطلق سراحه وتمكن من قضاء ثلاث سنوات سأمحا بين مصر وأوربا وأمريكا . وعند ما نشبت الحرب العالمية الأولى كان في فلسطين فخدم الحلفاء حتى أنعمت عليه الحكومة البريطانية برتبة فارس مع لقب سير . وعند ما توفى عام ١٩٣١ وهو في السابعة والسبعين خلفه بوصية منه حفيده لابنته شوقي رباني .

على أن البهائية لم تعد مذهباً خاصاً الآن . وإذا كان البهائيون كثيرين اليوم في إيران ، إلا أن مذهبهم تحول منذ وقت ليس بالقصير ليكون حركة صهيونية أمريكية . فبعد أن أعلن البهائيون أن عقيدتهم دولية وأنها تهدف إلى تحقيق الديانة العالمية التي لا تفرق بين جنس و جنس ، وبعد أن مات ميرزا شوقي رباني دون أن ينجب ولداً اجتمع المجلس الأعلى للطائفة البهائية في إسرائيل .. وانتخب اليهود الأمريكي الصهيوني ميسون رئيساً روحياً لجميع أفراد الطائفة البهائية في العالم . ومنذ تم انتخاب الرئيس الأمريكي اليهودي للطائفة تحولت إلى حركة صهيونية أمريكية . ولا يزال المعبد الرئيسي للبهائين يقع في إسرائيل بمدينة عكا حيث يحج إليها كل عام عشرات الألوف من البهائيين ، من إيران والولايات المتحدة وبعض أنحاء أوروبا

وبعد...

كل تلك الاختلافات حدثت عندما انقسم المسلمون إلى فرق متنازعة، وراح الكارهون للإسلام ينفثون سمومهم لإفساد عقيدة المسلمين .  
على أن كل هذه الآفات إذا كانت قد استطاعت أن تفرق كلمة الإسلام .. وإذا كان عدد من الفرق والأحزاب قد تغالت في غلوها حتى خرجت عن تعاليم الإسلام نفسه كما فعلت طوائف الإسماعيلية والدرزية ثم البهائية .. إلا أن الإسلام رغم كل ذلك مضى .. يحدد للناس طريقه .. ويرسم لهم كل خطوات الحرية .. والتأخي والسلام

---

**MADBOULI BOOKSHOP** **مكتبة مدبولي**

---

6 Talat Harb SQ. Tel: 5 756421 ٥٧٥٦٤٢١ ت: القاهرة - ميدان طلعت حرب



## هذا الكتاب...

القارئ لهذا الكتاب «قصة الديانات» يستطيع أن يجد أنه حصيلة قراءة متأنية في مقارنة الأديان . . من خلال المراجع والكتب المتخصصة في مجال العقائد والديانات . . بالإضافة إلى أنه يجد فيه معايشة على أرض الواقع من خلال رحلات الكاتب إلى الشرق ، منبت الحضارات وموطن العقائد التي ماتزال حيّة يؤمن بها مئات الملايين من سكان هذا العالم .

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة . تلك التي نُوخت أن تضم بين دفتيها معلومات وحقائق جديدة ، كما توخت الاعتدال والبعد عن التحيز مما جعلها تحمل طابعاً متميزاً اتسم بالموضوعية كما التزم بالأمانة العلمية ، من خلال استعراض العقائد والديانات التي عاشت على هذه الأرض طوال آلاف من السنين . . ومن خلال حياة البشر الذين طالما حاولوا التطلع إلى معرفة الخلق والخالق . وحقيقة الصراع بين الخير والشر .

ومن أجل أن تهدي السماء الناس . . أرسلت بعضاً منهم برسالات محددة إلى أهل الأرض . .

ومع تغير الناس في العالم وتناسلهم راحت تلك الديانات تتغير ، وراح كل جديد يحو بعض القديم . . حتى غابت عن الوجود بعض هذه العقائد والديانات التي كانت موجودة فيما مضى من الأيام . . تماماً كما انمحت أمم كانت موجودة من قبل . . .

هذه العقائد والديانات التي مازالت حيّة . من الهندوكية والبوذية والجانانية والكونفوشية والداوية والشنتوية والزرادشتية . . إلى اليهودية والمسيحية والإسلام . . هي في الواقع موضوع هذا الكتاب .

## الناشر

MADBOULY BOOKSHOP

مكتبة مذبولى

6 Talat Harb SQ. Tel.: 25756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٢٥٧٥٦٤٢١

www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com